

بسم الله الرحمن الرحيم



كلية الشريعة
قسم أصول الدين

التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند الزجاج
والراغب الأصفهاني وابن سيدة
دراسة منهجية مقارنة

**THE LINGUISTIC QURANIC INTERPRETATION
OF AL- ZAJJAJ, AL-RAGHEB AL-ASFAHANI AND IBIN
SEEDAH METHEDOLOGICAL AND COMPARATIVE STUDY**

إعداد

داود عبد اللطيف داود سكر

٢٠٠٦٢٥٠٠١٢

ماجستير أصول الدين، جامعة اليرموك ٢٠٠٦

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الله السّوّالمة

الفصل الدراسي الثاني

٢٠١٢/٢٠١١

التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند الزجاج والراغب الأصفهاني
وابن سيدة دراسة منهجية مقارنة

التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند الزجاج والأصفيهاني
وابن سيده دراسة منهجية مقارنة

إعداد

داود عبد اللطيف داود سكر

ماجستير أصول دين، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨

قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

في جامعة اليرموك، تخصص أصول الدين/ تفسير

وافق عليها:

- أ.د عبد الله مرحول سالم السوالمة رئيساً ومشرفاً
أستاذ الحديث الشريف، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
- أ.د عبد الله أبو السعود بدر عضواً
أستاذ التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
- د. يحيى ضاحي علي شطناوي عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.
- د. عايش علي محمد لبانة عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
- د. زكريا علي محمود الخضر عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

..
..
..
..

.. ۞

إلى سيّد الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين سيدنا محمّد

صلى الله عليه وسلم

ومن مقامه الكريم إلى العلماء العاملين العارفين بالله

الذين خضبوا بدمائهم

أسفار البطولة على طريق الانتصار كما سطروا بأقلامهم

أسفار العلم

فكانوا مثلاً متجدداً لمن قال الله تعالى فيهم:

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب: ٢٣]

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بحمده تدوم النعم، وتتم الصالحات، ومن جميل حمده حمد معلم الناس الخير،
والصلاة والسلام، والثناء عليه بما يستحق، وأتى لنا ذلك!

وبعد، فالتشكر الجزيل الموصول، والتقدير على كل صنيع جميل دقيق أو جليل إلى كل من ساهم
في وصول هذا الجهد إلى ختامه - وأسأل الله أن يكون ختام خير-.

وأخصُّ بالذكر أستاذي الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله السوالمه على ما أسداه إلي من
نصائح جليية ومعاملة هادئة لطيفة.

كما أشكر أستاذي الدكتور محمد العقلة عميد كلية الشريعة السابق لما أسداه من موقف طيب في
بدايات هذه الدراسة.

وأشكر فضيلة عميد كلية الشريعة الدكتور عبد الرؤوف خرابشة، لمودته في الاطمئنان على سير
الدراسة كلما التقيت به .

كما أشكر أستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور شحادة العمري، صاحب الاقتراح لمشروع الدراسة.
كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان لأصحاب الفضيلة: الأستاذ الدكتور عبد الله السوالمه المشرف

على الرسالة وأعضاء لجنة المناقشة.
ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر لإداريي قسم أصول الدين، والإداريين في ديوان عمادة كلية

الشريعة، وعمادة البحث العلمي، ولكل من أسهم في طباعة هذه الرسالة وسهر معي من أجل
إنجازها على أفضل وجه ممكن من التنسيق وحسن الإخراج.

سائلاً الله أن يجعل لذلك أجراً وافراً في ميزان حسناتهم

وبالله التوفيق

الفهرس

- الإهداء أ
- شكر وتقدير..... ب
- فهرس المحتويات..... ج
- المخلص..... ح
- المقدمة..... ي
- الفصل التمهيدي: التعريف بالزجاج والراغب وابن سيدة وكتبهم..... ١
- المبحث الأول: التعريف بالزجاج وكتابه (معاني القرآن الكريم وإعرابه)..... ٢
- ترجمة الزجاج ٢
- عصر الزجاج: (العصر العباسي الثاني)..... ٣
- التعريف بكتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج..... ٥
- المبحث الثاني: الراغب الأصفهاني وكتابه مفردات ألفاظ القرآن..... ٩
- عقيدة الراغب..... ١٢
- عصر الراغب:(البويهيون)..... ١٥
- التعريف بكتاب الراغب (مفردات ألفاظ القرآن)..... ١٩
- المبحث الثالث: التعريف ابن سيدة المرسي وكتابه المحكم والمحيط الأعظم..... ٢٣
- ترجمة ابن سيدة المرسي..... ٢٣
- عصر ابن سيدة:(ملوك الطوائف)..... ٢٩
- تعريف بكتاب المحكم ٣٧
- منهجه العام..... ٣٨
- مآخذ على المحكم..... ٣٩
- الفصل الأول: التفسير اللغوي: تعريفه وأهميته وعلاقته بالتفسير التحليلي..... ٤١
- تعريف التفسير اللغوي في اللغة والاصطلاح ٤٢
- تعريف التفسير اللغوي في كتب اللغة..... ٤٢
- التعريف الاصطلاحي للغة، مناقشة واقتراح..... ٤٢
- تعريف التفسير لغة واصطلاحاً..... ٤٣
- تعريف التفسير اللغوي اصطلاحاً..... ٤٥
- تعريف اصطلاحى مقترح للتفسير اللغوي..... ٤٦
- علاقة التفسير اللغوي بالتفسير التحليلي..... ٥٢

الفصل الثاني: التفسير اللغوي في كتاب (معاني القرآن الكريم وإعرابه)..... ٥٦

للزجاج وبيان منهجه فيه

المبحث الأول: عناصر التفسير اللغوي عند الزجاج..... ٥٦

المطلب الأول: عنايته بدراسة الظواهر الدلالية..... ٥٦

الترادف والفروق اللغوية..... ٥٦

موقف الزجاج من الترادف..... ٦٠

موقفه من الفروق اللغوية..... ٦١

المشترك اللفظي..... ٦٣

موقف الزجاج من المشترك اللفظي..... ٦٦

التضاد اللفظي..... ٩٦

موقف الزجاج من "المعرب والدخيل" في القرآن الكريم..... ٧٠

منهج الزجاج في التعامل مع الدخيل والمعرب في القرآن الكريم..... ٧٢

النادر اللغوي..... ٧٤

العناية بكليات القرآن..... ٧٤

المطلب الثاني: وسائل تقرير المعنى اللغوي..... ٧٦

عنايته ببيان أثر الاستعمال (التطور الدلالي)..... ٧٦

الاشتقاق كوسيلة لتقرير المعنى عند الزجاج..... ٧٩

العناية بمباحث علم الصرف في (معاني القرآن للزجاج)..... ٨٢

السياق القرآني كوسيلة لتقرير المعنى..... ٦٨

المطلب الثالث: العناية بالقراءات والنحو..... ٨٦

أولاً: القراءات..... ٨٦

نقد القراءات..... ٩٩

ثانياً: العناية بالنحو..... ١٠٣

المبحث الثاني: سمات بارزة في منهج الزجاج في كتابه (معاني القرآن الكريم وإعرابه)..... ١١٠

المطلب الأول: اعتماده على التفسير بالمأثور في بيان المعنى اللغوي للآيات..... ١١٠

أولاً: مصادر التفسير بالمأثور..... ١١٠

القرآن الكريم..... ١١١

الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف..... ١١٢

الاستشهاد بالشعر..... ١١٧

١٢١.....	الاستشهاد بأقوال العرب:
١٢٢.....	الاستشهاد بلغات العرب ولهجاتها.
١٢٤.....	الفصل الثالث: التفسير اللغوي في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن).
	للراغب الأصفهاني ومنهجه فيه
١٢٥.....	المبحث الأول: عناصر التفسير اللغوي عند الراغب.
١٢٥.....	المطلب الأول: الظواهر الدلالية؛ كالترادف والفروق اللغوية والمعرب.
١٢٦.....	الترادف.
١٢٩.....	الفروق اللغوية بين المفردات.
١٣٠.....	المشترك اللفظي.
١٣٢.....	موقف الراغب من التضاد اللغوي.
١٣٦.....	موقف الراغب من "المعرب في القرآن الكريم".
١٣٧.....	النادر اللغوي عند الراغب.
١٣٨.....	عناية الراغب بكليات القرآن.
١٣٩.....	المطلب الثاني: وسائل تقرير المعنى اللغوي.
١٣٩.....	العناية بالتطور الدلالي "أثر الاستعمال".
١٤٢.....	الاشتقاق كوسيلة لتقرير المعنى عند الراغب.
١٤٥.....	التصريف كوسيلة لتقرير المعنى عند الراغب.
١٥٣.....	مدى عناية الراغب برسم المصحف.
١٥٥.....	السياق القرآني كوسيلة لتقرير المعنى.
١٥٧.....	مظاهر الاهتمام بالسياق القرآني عند الراغب.
١٦١.....	المطلب الثالث: عناية الراغب بالقراءات في (المفردات).
١٦٩.....	العناية بالنحو في (المفردات) للراغب.
١٧٤.....	العناية بالبلاغة عند الراغب.
١٧٧.....	المبحث الثاني: سمات بارزة في منهج الراغب في التفسير في (المفردات).
١٧٧.....	المطلب الأول: اعتماده التفسير بالمأثور لبيان المعنى.
١٧٧.....	الاستشهاد بالقرآن الكريم عند الراغب في (المفردات).
١٨٦.....	الاستشهاد بالحديث الشريف عند الراغب في (المفردات).
١٨٨.....	الشاهد الشعري في (المفردات) للراغب.

١٩٦.....	المدة الزمانية للشواهد الشعرية عند الراغب
١٩٨.....	الفصل الرابع: التفسير اللغوي في كتاب (المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده)
١٩٩.....	المبحث الأول: عناصر التفسير اللغوي عند ابن سيده في (المحكم)
١٩٩.....	المطلب الأول: الظواهر الدلالية، ومدى عناية ابن سيده بها
١٩٩.....	الترادف
٢٠٠.....	الفروق اللغوية
٢٠٢.....	المشترك اللفظي
٢٠٤.....	عناية ابن سيده بالتضاد اللغوي في (المحكم)
٢٠٥.....	عناية ابن سيده بالمعرب
٢٠٦.....	عناية ابن سيده النادر اللغوي
٢٠٨.....	المطلب الثاني: وسائل تقرير المعنى اللغوي عند ابن سيده في (المحكم)
٢٠٨.....	السياق القرآني كوسيلة لتقرير المعنى
٢١٠.....	عناية ابن سيده بالتطور اللغوي (أثر الاستعمال)
٢١٢.....	عناية ابن سيده بالاشتقاق
٢١٦.....	عناية ابن سيده بالتصريف
٢٢٠.....	المطلب الثالث: عناية ابن سيده بالقراءات في " المحكم"
٢٢٣.....	العناية بالنحو عند ابن سيده في " المحكم "
٢٢٩.....	المبحث الثاني: سمات بارزة في منهج ابن سيده في التفسير اللغوي
٢٢٩.....	المطلب الأول: مظاهر اعتماد ابن سيده على التفسير بالمأثور
٢٤٠.....	منهج ابن سيده بين الرواية والقياس
٢٤٣.....	مصادر التفسير بالمأثور عند ابن سيده
٢٤٣.....	تفسير القرآن بالقرآن
٢٤٥.....	التفسير بالحديث المأثور
٢٤٩.....	الشاهد الشعري عند ابن سيده في (المحكم)
٢٥٦.....	الأمثال العربية في (المحكم) لابن سيده
٢٦٠.....	الفصل الخامس: الدراسة المنهجية المقارنة للتفسير اللغوي
	عند الزجاج والراغب وابن سيده
٢٦١.....	المبحث الأول: عناصر التفسير اللغوي عند العلماء الثلاثة: دراسة مقارنة
٢٦١.....	المطلب الأول: الظواهر الدلالية عند العلماء الثلاثة

مقارنة مواقف العلماء الثلاثة من:

- الترادف والفروق اللغوية..... ٢٦١
- المشترك اللفظي..... ٢٧١
- التضاد اللفظي:..... ٢٨٢
- المعرّب والدخيل..... ٢٨٧
- النادر اللغوي..... ٢٨٨
- المطلب الثاني: مقارنة مواقف العلماء الثلاثة من وسائل تقرير المعنى..... ٢٩٠
- التعامل مع السياق القرآني باعتباره وسيلة لتقرير المعنى..... ٢٩٠
- عناية الزّجاج والراغب وابن سيده بالتطوّر الدلالي..... ٢٩٤
- عناية العلماء الثلاثة بالاشتقاق وسيلة لتقرير المعنى..... ٣٠٠
- عنايتهم بعلم الصّرف كوسيلة لتقرير المعنى..... ٣٠٦
- المبحث الثاني: سمات بارزة في منهج التفسير اللغوي /دراسة مقارنة**..... ٣١٩
- لمناهج الزجاج والراغب وابن سيده فيها
- المطلب الأول: اعتمادهم التفسير بالمأثور..... ٣١٩
- مصادر التفسير بالمأثور:..... ٣١٩
- الاستشهاد بالقرآن الكريم..... ٣١٩
- الاستشهاد بالحديث الشّريف..... ٣٢٧
- الاستشهاد بالشعر..... ٣٣٠
- المطلب الثاني: العناية بالقراءات عند الزّجاج والراغب وابن سيده/ مقارنة..... ٣٣٩
- مصادر كل من الزّجاج والراغب وابن سيده في القراءات..... ٣٤١
- موقف الزّجاج والراغب وابن سيده من بعض الاختيارات في القراءات..... ٣٤٦
- مظاهر العناية بالتحو عند الزّجاج والراغب وابن سيده/ مقارنة..... ٣٤٧
- الخاتمة..... ٣٥٠
- المراجع..... ٣٥٣
- Abstract..... ٣٧٣

ملخص الرسالة

التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند الزجاج والراغب الأصفهاني وابن سيدة

دراسة منهجية مقارنة

إعداد الطالب: داود عبد اللطيف داود سكر

إشراف: أ. د. عبد الله السوالمه

تحدثت هذه الدراسة - بشكل مقارن - عن جهود ثلاثة من علماء العربية في مجال التفسير اللغوي، هم: إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج (المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة) في كتابه (المختصر في إعراب القرآن ومعانيه) والشائع تسميته بـ (معاني القرآن للزجاج)، والراغب الأصفهاني (المتوفى - على الأرجح - سنة خمسة و عشرين وأربعمائة للهجرة) في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)، وابن سيدة اللغوي الأندلسي (المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة) في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم)؛ حيث ابتدأت هذه الدراسة بالتعريف بكل واحد من العلماء الثلاثة، وأحوال عصره، ووصف إجمالي لمنهجه العام في تصنيف كتابه، ثم اعتنت ببيان منهج كل عالم من العلماء الثلاثة - على حدة - وفق الترتيب الزمني لتواريخ وفياتهم، وهو بيان يشتمل على دراسة تفصيلية لعناصر التفسير اللغوي عند كل واحد من العلماء الثلاثة، من عناية بالظواهر الدلالية اللغوية، والمباحث التي وظفها كل واحد منهم كوسائل لتقرير المعنى اللغوي. كمباحث الصرف، والاشتقاق، والرسم. ثم اعتنت الدراسة بوصف السمات المنهجية البارزة في كل كتاب من الكتب الثلاثة محلّ المقارنة، بما يشتمل على مظاهر التفسير بالمأثور، ومظاهر التفسير بالرأي، والعناية بالنحو والقراءات، والعناية بالتفسير اللغوي لآيات العقيدة، والعناية بالتفسير اللغوي لآيات الأحكام. وبناءً على ذلك عقدت فصلاً للمقارنة بين مناهج العلماء الثلاثة فيما اشتملت عليه مصنفاتهم المعنية بالدراسة من عناصر أو سمات منهجية بارزة.

وخلصت الدراسة إلى الكشف عن مدى التقارب النوعي الملحوظ في ما اعتمده العلماء الثلاثة من أصول التفسير اللغوي، على الرغم من اختلاف المقاصد التصنيفية للكتب الثلاثة، واختلاف المنهج العام لكل منها بناءً على ذلك. ذلك التشابه الذي عبّر عن نفسه في ضوء التشابه النوعي بين العناصر والسمات المنهجية وتوزيعها الأفقي على مساحة البحث مع الأخذ بالاعتبار التفاوت في عمق التوزيع العمودي لهذه العناصر والخصائص على نفس تلك المساحات، وفقاً لسمات خاصة تميّز بها كل واحد من هؤلاء العلماء الثلاثة سواء في أسلوب معالجته للعناصر، أو تصرفه الخاص داخل الإطار العام لكل عنصر أو سمة منهجية عامّة، وفقاً للتفاوت بينهم في طبيعة العصر، أو الخبرات الثقافية الخاصة، أو الموهبة المتميزة في استخدام أسلوب معين في التصنيف، أو تحليل الظواهر، أو تحليلها، أو تحديد المفاهيم والمصطلحات.

النتائج والتوصيات

- قدّمت الدّراسة تعريفاً للتفسير اللغوي يعالج ما وقع في التعريفات الموجزة التي تُغفل التنويه بالدور المركب للغة والتفسير المستخلص من تركيب الإضافة عن توظيف طاقات اللغة في خدمة تفسير القرآن وحمل رسالته الحضارية.

- كشفت هذه الدّراسة بشكل مقارن عن أبرز العناصر والسّمات المنهجية للكتب الثلاثة محل الدّراسة، وهي: (معاني القرآن وإعرابه) للزّجاج و (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب و (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده.

- كشفت هذه الدّراسة عن أبرز مصادر المعرفة التي يصدر عنها المفسّرون اللغويون في تفاسيرهم.

- بيّنت هذه الدّراسة مواقف العلماء الثلاثة من بعض الظواهر اللغوية التي ترتبط بها كثير من مسائل التفسير اللغوي.

- بيّنت هذه الدّراسة أصناف البحث اللغوي التي استخدمها العلماء كوسائل لتقرير المعنى القرآني باعتبارها أصولاً للتفسير اللغوي.

- توصي هذه الدراسة بمزيد من العناية بتحقيق الكتب محلّ الدّراسة بضبط ألفاظها، ونفاذي ما وقع بها من التصحيف، والسّقط، وأخطاء النّسخ، والطّباعة، وتعتني بشرح الشّواهد، ونسبتها إلى أصحابها مستفيدةً من الإمكانيات التي توفرها برمجيات الحاسوب .

- كما توصي الدّراسة بمزيد من الأبحاث التي تسلط الضوء على مصادر أخرى رئيسة للتفسير اللغوي وخاصةً الأصول التي أخذ عنها هؤلاء العلماء، وبخاصّة: (جهود أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب)، في (التفسير اللغوي).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونسأله تعالى أن يمنّ علينا ببركة فهم كتابه العزيز، وييسّر لنا العمل بهداياته، ويوفّقنا إلى الإسهام في خدمة من يأتي بعدنا في كشف ما ينفع الإنسانية ويرتقي بها من روائع بيانه و لوامع أسرارهِ وبعدُ فإنّ النشاط اللغوي من أعظم ما امتنّه الله على الإنسان، وتزداد هذه المنّة عظيمة، ويزداد المُحصّل لها فضلاً - بعد إخلاص النية لله إذا جمع بين فضيلتين: تعلّم القرآن وحسن البيان.

وقد تنبّه الأوائل من علماء الأمة ونجبائها إلى كل ذلك في سلوكهم اليوميّ، فكانوا يتخيرون أطايب الكلم كما يتخيرون أطايب الثمار. حريصين على كفاءة أدوات التلقّي نقاءً ووفاءً. حتى إذا وردوا تلك الموارد أو أوردوها رعيتهم كانوا أعرف الناس كيف يردون وكيف يصدرون، ومع ذلك كان لكلّ منهم منهجٌ وذوق في الفهم والإفهام والعمل، وكان الاختلاف بينهم في ذلك اختلافاً مثمرًا، فتكاملت جهودهم وتضافرت وتكافلت في خدمة البيان القرآني وتحصين أخصّ أوعية حفظه من الضياع والالتباس، ولم تحل دون تلك الهمم في تكامل جهودها في خدمة القرآن حدود ولا قيود، فتفاعلت علوم المشرق في خدمة القرآن وعلومه في بغداد، وحملها سفراء العلم إلى الأندلس فمن العلماء من رحلت كتبه - ولو بعد وفاته - واعترف له عند طلاب العلم فيها بالفضل والمشیخة، ومنهم من رحل بذاته وكتبه معلّمًا، فأثمرت هذه العلوم في طلاب العلم هناك، وعاد خيرها إلى المشرق وظلّ سجلًا حافلًا، ولسانًا ناطقًا بمفاخر حضارة القرآن التي فتحت ذراعيها بصدر منشرح فاحتضنت العجميّ والروميّ أبناء للإسلام تشرّفوا بالعربيّة انتسابًا، وتشرّفّت بهم أبناء مخلصين على مرّ الزمان، لا يّضيرُ سيرتهم وقد أفنوا أعمارهم في خدمة هذه اللغة أن يتلقاها أبناؤها بالعقوق، زهدًا بها وبعلمائها، ومع ذلك فقد يسّر الله من طلاب العلم على مرّ القرون من يسعى للاستفادة من مصنّفاتهم، ونشر محاسنها وزيادة التعريف بها لمن يليهم. فلا عجب أن يكون في هذه الدراسة ما يرمز إلى الوقوف بأعتابهم، والإلحاح بطرق أبوابهم لعلّه يفتح لطالب العلم بذلك بهذه الوقفات ما يتزوّد به في مسيرته، ويستضيء بقبسات علمهم بقيّة دربه.

سعت هذه الدراسة للكشف عن جهود ثلاثة من علماء العربيّة ممن ذاع صيتهم فيها، في مجال التفسير اللغويّ للقرآن الكريم هم أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج (المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة) في كتابه: (المختصر في إعراب القرآن ومعانيه) المشهور باسم (معاني القرآن للزجاج) وأبو القاسم، الحسين بن المفضل المعروف بالرّاعب الأصفهانيّ

(المتوفى-على الراجح- سنة خمسة و عشرين وأربعمئة للهجرة) وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي اللغوي الضّرير (المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمئة للهجرة) حيث: تتبع أهميّة هذه الدراسة من المكانة المرموقة التي وصل إليها كل واحد من العلماء الأعلام الذين اعتنت بدراساتهم، فالزجاج علم في اللغة وعلم في النحو على منهج أهل البصرة وعلم في علم القراءات كما أنه كان على قدر كبير من الاضطلاع بالفقه المالكي، تلقاه عن أحد أكبر علمائه في ذلك الوقت إسماعيل بن إسحاق القاضي.

والرّاعب علم في تفسير القرآن وعلوم العربيّة وآدابها، وشهرة كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) لا تخفى على طالب علم، كما لا تخفى قيمة هذا الكتاب بالنسبة للمفسّرين، واعتمادهم عليه في أبحاثهم.

وابن سيدة علم من أعلام التّأليف المعجمي في الأندلس جمع في مصنّفه ذخائر كتب علماء العربيّة قبله، وتلمذ على كتب أهل المشرق - وبخاصّة الزجاج وتلميذه أبي علي الفارسي - وتلميذ الفارسي ابن جني؛ حيث درس ابن سيدة كتبهم على يد شيخه أبي العلاء صاعد البغدادي.

كما تتبع أهميّة هذه الدراسة من ائباعها طريقة المقارنة بين مناهج هؤلاء العلماء الثلاثة، وكون المقارنة بينهم غير مسبوق؛ حيث يؤمل لهذه المقارنات أن تستنبط أصولاً بارزة للتفسير اللغوي من خلال تأصيلات العلماء الثلاثة وتطبيقاتهم، وهي تقدّم بذلك دليلاً على وحدة أصول التفسير اللغوي عند المفسّرين اللغويين وإن اختلفت مقاصدهم المنهجية.

مشكلة الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

السؤال الأوّل: ما أبرز ملامح منهج التفسير اللغوي المتوافرة في كتب هؤلاء العلماء التي أدت إلى اختيارها تحديداً دون غيرها كموضوع للدراسة المقارنة؟، وينفرّع عنه:

١. ما أبرز ملامح منهج التفسير اللغوي وتطبيقاته المتوافرة في كتاب (معاني القرآن الكريم

وإعرابه) للزجاج والتي أدت إلى اختياره من بين كتب معاني القرآن الكريم؟

٢. ما أبرز ملامح منهج التفسير اللغوي وتطبيقاته المتوافرة في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن

للرّاعب والتي أدت إلى اختياره من بين الكتب التي تعنتي ب (غريب القرآن الكريم) لهذه

الدراسة المقارنة؟

٣. ما أبرز ملامح منهج التفسير اللغوي وتطبيقاته المتوافرة في كتاب (المحكم والمحيط

الأعظم) لابن سيدة والتي أدت إلى اختياره من بين عامّة المعاجم؟

السؤال الثاني: ما هي السمات المنهجية القابلة للمقارنة بين الكتب الثلاثة؟ وينفرّع عنه:

١. ما هي السمات المنهجية في كتاب الزجاج (معاني القرآن الكريم وإعرابه) القابلة للمقارنة بـ(مفردات ألفاظ القرآن) للراغب و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده؟
 ٢. ما هي السمات المنهجية في كتاب الراغب (مفردات ألفاظ القرآن) القابلة للمقارنة بـ(معاني القرآن الكريم وإعرابه) للزجاج و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده؟
 ٣. ما هي السمات المنهجية في كتاب ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) القابلة للمقارنة بـ(معاني القرآن الكريم وإعرابه) للزجاج و(مفردات ألفاظ القرآن) للراغب؟
- السؤال الثالث: ما الإضافات التي قدمتها هذه الكتب الثلاثة في جانب التفسير اللغوي؟
- محددات الدراسة:**

اقتصرت مجال الدراسة على دراسة معاني المفردات القرآنية في سياقها التركيبي في الآية القرآنية أو مجموعة الآيات ذات السياق الواحد (التي تربط بينها وحدة معنوية) من غير مبالغة في تحليل سباق الآيات ولحاقها، لمقصد التدوق الأدبي أو البلاغي مع الالتزام بالمنهج الذي تغلب عليه - في حدود الإمكان - السمة الاستقرائية المقارنة لعناصر مجال الدراسة المحدد بعنوانها: "التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند الزجاج، والراغب الأصفهاني، وابن سيده، دراسة مقارنة" بما تشتمل عليه من قواعد تأسيلية، أو تطبيقات عملية؛ حيث يحتز بهذا الحد من إدخال منهج آخر من مناهج التفسير - كالفقهي، أو الاجتماعي، أو الأدبي، أو أن ينصب الاهتمام على غير المصنفات المذكورة فيه وغير أصحابها.

أهداف الدراسة :

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. تحديد مفهوم التفسير اللغوي في ضوء الأسس التي اعتمدها المفسرون اللغويون، وفي ضوء العناصر المستنبطة من السمات المنهجية للعلماء محلّ الدراسة.
٢. بيان أهمية التفسير اللغوي في فهم القرآن الكريم ومقاومة أشكال التفسير البدعي، ودفع ما يثار من شبهات حول معانيه.
٣. بيان أبرز السمات المنهجية للكتب محلّ الدراسة وهي:
 - أ- (معاني القرآن الكريم وإعرابه) لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج (المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة) .
 - ب- (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن الفضل الأصفهاني (المتوفى-على الراجح- سنة خمسة و عشرين وأربعمائة للهجرة).
 - ج- معجم (المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن سيده (المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة).

٤. التعريف بالبيئة السياسية والاجتماعية والثقافية لكل من العلماء الثلاثة، وأثرها في إنتاجهم.
٥. بيان أبرز وجوه المقارنة بين الكتب الثلاثة من الناحية المنهجية.
٦. بيان المصادر العامة للتفسير اللغوي لدى العلماء الثلاثة، ومعايير الرواية والدراية في تعاملهم مع هذه المصادر بشكل مقارن.
٧. بيان مواقف العلماء الثلاثة من بعض الظواهر اللغوية التي كثيراً ما يدور حولها النقاش؛ وهي: الترادف، الفروق اللغوية، المشترك اللفظي، والتضاد، والمعرّب، والمحظور اللغوي، والنادر اللغوي، ومظاهر التطور الدلالي.
٨. بيان أصناف البحث اللغوي التي استخدمها العلماء كوسائل لتقرير المعنى، وبشكل مقارن.
٩. بيان أثر كل من العلماء الثلاثة في الدراسات اللغوية والتفسيرية بعده.
١٠. تسليط الضوء على المباحث اللازمة كوسائل لتقرير معاني القرآن الكريم، مما له صلة بأصول التفسير اللغوي.
١١. التعريف ببعض المصطلحات اللغوية والنحوية التي وردت في مصنفاتهم وبض تطبيقاتها والتنويه بما جرى على بعضها من تغيير - حيث يستدعي الأمر ذلك -.

سبب اختيار الموضوع :

كان في ذهن الباحث في مرحلة اختيار موضوع الدراسة ما يدور من نقاش حول ثوابت المصطلحات والمفاهيم، وخطورة ما تواجهه في هذه الأيام من تيارات فكرية وعقدية تستدعيها إلى ساحة الامتحان من جديد بدواعي الصراع المكشوف مرّة، وبدعاوي الحوار الفكري أو العقدي مرّة، وبدعاوي التقارب بين الأديان والمذاهب مرّة . مما يستدعي تسليحها بوسائل برهانية قوية، لا يمكن إغفال الوسائل اللغوية كعمدة رئيسة لها. ووافق ذلك التوجّه إلى الأستاذ الدكتور شحادة العمري في استشارة لاختيار موضوع للدراسة، فاستقرّ الأمر بيننا على اختيار هذا العنوان. وهو - مع ذلك - يحقق كثيراً مما كان يدور في ذهن الباحث بشكل قريب مباشر، أو بشكل بعيد غير مباشر.

الدراسات السابقة:

لم تتوفّر للدارس دراسات سابقة في صميم عنوان الدراسة؛ فليس هناك في حدود الاطلاع دراسة قارنت بين العلماء الثلاثة أو بين اثنين منهم. ومع ذلك أمكن الاستفادة من دراسات سابقة تناولت بعض جهود كل واحد من هؤلاء العلماء، أو تناولت جهوده مقارنةً بواحد من العلماء من غير مجال الدراسة. ومن هذه الدراسات:

١. دراسة الباحث (مساعد الطيّار، ١٤٢٢هـ) بعنوان (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) التي تعرّض فيها لتعريف التفسير اللغوي، ومناهج التأليف فيه، وأبرز مصادر التفسير اللغوي،

وطريقة السلف من المفسرين فيه، ومن ضمن ما تعرّض له من مصادر التفسير اللغوي كتب معاني القرآن، وقد خصّص تسع صفحات للكلام عن الزجاج ومنهجه في كتاب (معاني القرآن الكريم وإعرابه)، ولم يتعرّض لذكر ابن سيدة، ولا لمعجم (المحكم والمحيط الأعظم)، كما لم يتعرّض لذكر (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني.

٢. دراسة الباحثة (خديجة الذالاتي، ٢٠٠٧م) بعنوان (الجهود اللغوية والنحوية للزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه)، وقد تركّز اهتمام الباحثة فيها على مسائل نحوية ولغوية بحتة، لم تقصد إلى ربطها بعلم التفسير، ومع ذلك فقد كان لها فيه بعض النظرات، كموقفها من تأثير الإسرائيليات في كتاب (معاني القرآن للزجاج)، وأنه كان له أثر سيء يقدر بعصمة الأنبياء.

٣. دراسة الباحث (زياد الجبالي، ٢٠٠١م) بعنوان (معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية)، وقد انحصر البحث فيها على الجهود النحوية.

٤. دراسة الباحث (محمود القويدر، ١٩٩٩م) بعنوان (البحث الدلالي عند الراغب) استخدم المنهج الاستقرائي في دراسة الظواهر الدلالية في ضوء علم الدلالة الحديث، وهي على قدر من مستوى البحث الجاد، ولكنها تتوجّه بمقصد لغوي بحت وتخلو من التطبيقات التفسيرية، أو المقارنات بكتب التفسير.

٥. دراسة الباحث (وسام مساعدة، ١٩٩٩م) بعنوان (التخرجات اللغوية والنحوية في كتاب معاني القرآن الكريم وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١هـ) ارتكز البحث فيها حول وسائل التخريج النحوي للقرآن الكريم، وقد استفادت هذه الدراسة منها في بعض النقولات المثبتة في حواشي هذه الدراسة.

٦. دراسة الباحث (ناجح البعول، ١٩٩٦م) بعنوان: (كتب معاني القرآن الأخفش والفراء والزجاج ومناهج مؤلفيها، دراسة مقارنة) ذكر فيها أمثلة من تفسير القرآن بالسنة عند الزجاج، ومصادر الزجاج في تععيد القاعدة النحوية وأمثلة من شرحه للمعنى اللغوي، يغلب عليها منهج الوصف المجرد، والتوسع في المباحث النحوية.

٧. دراسة الباحث (عبد القادر سلامي، ١٩٨٩م) بعنوان (ابن سيدة اللغوي)، وهي رسالة ماجستير، مقدمة لقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلب، ١٤١٠هـ-١٩٩٨م. تطرق فيها الباحث للحديث عن عصر ابن سيدة، وأبرز آثاره ومصادره في مصنفاته، حيث أفرد الكلام لكل مصنف على حدة، ووصف منهجه في التعامل معها، ثم وصف منهجه في التفسير المعجمي للألفاظ مطلقاً عليه وصف (التفسير اللغوي للألفاظ) ذاكراً بعض أساليبه في تفسير الألفاظ. واشتملت الدراسة كذلك على بعض مباحث فقه اللغة، ومن ذلك مباحث

الترادف، والمشتراك، والتضاد اللفظي... وهي مفيدة في دراسة منهج ابن سيدة في دراسة الظواهر الدلالية.

٨. دراسة الباحث (عمر الساريسي، ١٩٨٧م) بعنوان (الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب) اعتنى فيها بتحقيق تاريخ ميلاده، ووفاته، وسمات عصره، وأبرز مؤلفاته، كان الكلام فيه عن (مفردات الراغب) مقتضياً اقتصر على وصف إجمالي للشكل المعجمي.

٩. دراسة الباحثة (نزال، ١٩٩٨م) بعنوان (المقصود والممدود عند ابن سيدة، دراسة في المستويين الصوتي والصرفي).

١٠. دراسة الباحثة (سعدون، ١٩٩٨م) بعنوان (الجهود التحويلية عند ابن سيدة).

١١. دراسة الباحث (إبراهيم الطيار، ١٤١١هـ) بعنوان (المسائل التصريفية في كتاب المحكم لابن سيدة، جمعاً ودراسة).

والرسائل الثلاث الأخيرة أيضاً حصرت بحثها في مجال من مجالات اللغة وليس من مقصدها (التفسير اللغوي للقرآن). وتوسعت في مجال بحثها خارج (المحكم) لابن سيدة

منهجية الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة منهجاً يجمع بين استقراء ظواهر التفسير اللغوي في الكتب الثلاثة محل الدراسة، والمنهج المقارن؛ حيث لجأت الدراسة إلى تصنيف العناصر والسمات المنهجية المطلوب تتبعها، ثم قامت بدراستها عند كل واحد من العلماء بشكل مستقل.

وبعد ذلك عقدت فصلاً للمقارنة قابلت فيه بين ما تم استخلاصه من وصف العناصر والسمات المنهجية المتوافرة في منهج كل واحد منهم. وقد أغفلت الدراسة المقارنة في بعض الجزئيات التي تفاوتت تفاوتاً واضحاً، كالعناية بأسباب النزول أو تشابهت تشابهاً واضحاً كالعناية بكتابات القرآن، أو تفرّد بها واحد من العلماء، كظاهرة اختلاف معاني اللفظ تبعاً لاختلاف الاعتبارات عند الراغب.

وقامت الدراسة بتوثيق الأقوال في الحاشية وبيان السورة ورقم الآية لكل ما ورد في الدراسة من الآيات أو أجزاء الآيات، بعد الآية مباشرة. وكذلك قامت الدراسة بتخريج الأحاديث الواردة في الدراسة، والحكم عليها - ما أمكن ذلك كما عرفت تعريفاً موجزاً بالأعلام التي يحتاج إلى بيانها في فهم النص أو ما يتعلق به، وشرح الألفاظ الغامضة وإثبات ذلك في حواشي الدراسة.

الفصل التمهيدي

التعريف بالزجاج والراغب وابن سيدة وكتبه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التعريف بالزجاج وكتابه (معاني القرآن الكريم وإعرابه)

ترجمة الزجاج

هو " الإمام، نحويٌّ زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي مصنف كتاب: "معاني القرآن" وله تأليف جمّة^١ لزم المبرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كلّ يوم درهما^٢ قال ابن النديم في (الفهرست): " وهو... أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه. ثم ارتفع الزجاج وصار مع المعتضد يعلم أولاده، ... وذكر أن: سبب اتصاله بالمعتضد أنّ بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب "جامع المنطق" الذي عمله مَحْبَرَةٌ النديم واسم (مَحْبَرَةٌ) محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر... وكان حسن الأدب ونادم المعتضد وجعل كتابه جداول، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسّر [ذلك]^٣ الجداول. فاعتذر له كلّ من ثعلب والمبرد وأحاله المبرد على الزجاج^٤ فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما، لأنه كان ضعيف العلم باللغة، ففسّر الثنائيّ كله، وكتبه بخط الترمذي

١- الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٨٤ هـ). سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط و أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م، ١٤ / ٣٦١.

٢- أقرب من ترجم للزجاج زمانا منه هو الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ وعنه أخذ من بعده معظم ترجمته، وذكر أنّ اسمه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، وقد ذكر قصة له مع الوزير القاسم بن عبيد الله ولعلّ في نقلها هنا بطولها ما يعطي انطبعا مهما عن الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والسياسية في عصر الزجاج:

ذكر الخطيب البغدادي: بسنده في تاريخ بغداد أنّ الزجاج قال: كنت أخرط الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان، أو درهم ونصف، وأريد أن تبلغ في تعليمي، وأنا أعطيك كلّ يوم درهماً، وأشرط لك أنّي أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه. قال فلزمته وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم فينصحن في العلم حتى استقلت، فجاءه كتاب بعض بني مارمة [كذا، وفي بغية الوعاة مارقة] من الصرّاة يلتمسون معلماً نحوياً لأولادهم؛ فقلت له: أسمني لهم فأسماني فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه كل شهر ثلاثين درهماً، وأنفقده بعد ذلك بما أقدر عليه، ومضت مدة على ذلك، فطلب منه عبد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلاً زجاجاً بالصرّاة مع بني [مارمة]، قال: فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عنّي، فتركوني له، فأحضرني وأسلم القاسم إليّ، فكان ذلك سبب غناي. وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كلّ يوم إلى أن مات، ولا أخليه من التفقد معه بحسب طاقتي.

ثم ذكر رواية أخرى أكثر تفصيلاً تعزو سبب غناه إلى اشتغاله بالتوسط في المظالم على باب الوزير القاسم بن عبيد الله، الذي تتلمذ على يدي الزجاج، - وهي قصة يطول المقام بسردها - وهي تتعارض مع ما رده مصنفو التراجم من ثناء على ديانة الزجاج، وقد نبهت الدكتورة هدى قراعة في تحقيقها لكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف إلى هذا التناقض جازمة بنفي التهمة عن الزجاج.

٣- كذا، والصواب: تلك.

٤- قول ابن النديم: " فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما لأنه كان ضعيف العلم باللغة" فيه من التّجني على الزجاج ما يزيد على ما ورد في رواية الخطيب البغدادي، على أنه تجنّ مكشوف، فكيف يقوم بهذا العمل الذي استنكف عنه ثعلب والمبرد، ويُرشّحه المبرد لذلك، ثم يقال فيه إنه كان ضعيفاً في اللغة، وهل يحلّ ضعف اللغة فيما يقوم بهذا العمل الضخم مجرد استعارة الكتب!؟

الصغير أبي الحسن مجوده وحمله الوزير إلى المعتضد، فاستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدّم إليه بتفسيره كله. ولم يخرج لما عمله الزّجاج نسخة إلى أحد إلا في خزانة المعتضد... قال وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء ورزق في العلماء. قال ابن النّديم: له من الكتب:

كتاب ما فسّره من جامع النّطق، كتاب معاني القرآن^١، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفُرق، كتاب خَلق الإنسان^٢، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر النحو، كتاب فعلت وأفعلت^٣، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر، المؤاخذات على الفصيح لثعلب، كتاب الأنوار.

قال ابن الأثير الجزري في "اللباب في تهذيب الأنساب": "... وكان من أهل العلم والدين المتين... روى عنه علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري وغيره.

قال ياقوت الحموي: قال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزّجاج ينزلُ بالجانب الغربي من بغداد بالموضع المعروف بالدّويره وأنشدتُ له:

قعودي لا يرُدُّ الرّزق عني
ولا يدينه إن لم يقض شيءٌ

وفاته: الراجح أنّ الزجاج توفّي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة، بحسب ما ذكره الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة) وقيل سنة عشر، وقيل سنة ست عشرة كما ذكر ابن النديم في الفهرست، والراجح أنّه بلغ من العمر سبعين عاماً، وأنّ ولادته كانت سنة إحدى وثلاثين ومائتين.^٤

عصر الزّجاج: (العصر العباسي الثاني)

أولاً: الأحوال السياسية.

واكبت حياة الزّجاج ما يسميه المؤرخون العصر العباسي الثاني، وهو عصر سيطرة الترك، حيث عاصر عشرة من الخلفاء ابتداءً بالمتوكل، وانتهاءً بالمقتدر، وكانت هذه الفترة فترة اضطراب سياسي، حيث غلبت الترك وكثرة انقلاباتهم على الخلفاء، وثورات القرامطة، وثورة الخرمية في

١- مطبوع: شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٤م خمسة مجلدات، وبتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٢- مطبوع، نشره إبراهيم السامرائي، ضمن رسائل في اللغة، طبعة ٢، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٤م.

٣- مطبوع نشره محمد أمين الخانجي...

٤- انظر في مناقشة هذا الترجيح: وسام عقلة مساعدة، التخريجات اللغوية والنحوية في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م، ص ٤.

أذربيجان، والقرامطة وغلبنهم على الحرم المكي، وثورة الزنج، وتفكك الدولة، ومؤامرات على الدولة الفاطمية.^١

ثانياً: الأحوال الاجتماعية

رأى أهل البلاد المفتوحة من سلوك الفاتحين المصادقية العملية للارتباط بين الفتح وتعاليم الإسلام ودعوته، وكان من أدلة ذلك ما ظهر بينهم وبين الفاتحين من مظاهر الاندماج و ظهور طبقة الموالي والمولدين، وإقبالهم على طلب العلم والآداب واللغة العربية، والتصنيف باللغة العربية أيضاً. في حين كان النظام الساساني يفرض الحواجز بين طبقات المجتمع بحيث لا يجوز اختراقها. ومن أبناء هذه البلاد المفتوحة كان كثير من علماء التفسير، واللغة، والحديث وعلى رأسهم البخاري، ومسلم، والطبري، وسيبويه... ومنهم أبو إسحاق الزجاج^٢.

ثالثاً: الأحوال الاقتصادية

انعكست آثار الاندماج الاجتماعي الذي تسببت فيه الفتوحات على اقتصاديات البلاد الإسلامية انعكاساً واضحاً، وكذلك اعتنى الأمويون ومن بعدهم العباسيون بدعم النشاط التجاري، وقد اتسع النشاط التجاري للدولة العباسية فشمّل مناطق العالم القديم بأسرها " كذلك عرف العرب كثيراً من أنظمة التسهيلات التجارية " ^٣ ومع هذه الأحوال التي تعطي انطباعاً كبيراً بالرواج الاقتصادي إلا أن أمراضاً كانت تدبّ في نظام توزيع الثروة، وضبط نفقاتها، كانت ولم تزل وراء تراجع متوالية لقوة الأمة وهيبتها الاقتصادية والسياسية، ومن ذلك: تفشي الترف في أوساط الخلفاء والوزراء. ويذكر الطبري أن الحكم حينئذ قد فسد فساداً شديداً، إذ كان الوزراء يرتشون ومنهم الولاة على الأقاليم وكبار الكتاب، وقد بدأ هذا الوباء بأخرة من العصر العباسي الأول في زمن الوثائق، إذ صادر في سنة ٢٢٩ للهجرة كتاب الدواوين، واستخلص منهم نحو مليوني دينار.^٤ ولا يخفى فيما ورد في ترجمة الخطيب البغدادي، وابن النديم والمتحاملة على الزجاج من دلالات أثر تلك الأحوال في حياته الخاصة والعلمية.

الحياة العلمية والعقلية:

١- ينظر في ذلك: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبع دار الأندلس، بيروت، ط ١. ١٣٨٥هـ-١٩٦٥ م. ج ٤، صفحة ١١٧. والسيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء. طبع المطبع محمدية، ١٣٠٢هـ-١٨٨٢م، ص ٤١٠، ٤١١، ٤٢٠.
٢- المرعشي، السيد (ت ١٤١١هـ)، شرح إحقاق الحق، جزء ٣٢، ص ٢٠١، مطبعة حافظ، قم، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٦٨.
٤- الطبري، نفسه، ج ٩، صفحة ١٢٥

اعتنى الخلفاء العباسيون بالعلم، واختاروا لأولادهم أكابر المؤدبين، فكان " المفضل الضبي مؤدب المهدي، وعبد الله بن المقفع مؤدب أولاد إسماعيل بن علي، ويحيى بن خالد البرمكي والكسائي مؤدبا الرشيد، والفراء مؤدب ابن المأمون، وقطرب مؤدب ابن أبي دلف، وابن السكيت مؤدب أبناء الخليفة المتوكل، والمبرد مؤدب عبد الله بن المعتز، والكندي مؤدب المعتضد...^١ ولما أسند محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المتوكل على بغداد وجماعة من الخلفاء بعده تعليم ابنه إلى ثعلب؛ الإمام الكوفي النحوي المشهور، ظل ثلاث عشرة سنة يتناول الغداء معه على مائدته...^٢

كذلك أسس الخلفاء العباسيون المكتبات الكثيرة، وقلدهم في ذلك حكام الأقاليم والوزراء، ويذكر ياقوت أن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلية الشافعي من أدباء العصر وعلماؤه أسس مكتبة ملأها بكتب من جميع العلوم والفنون، وقفها على كل طالب للعلم، وكان لا يمنع أحداً من دخولها، فهي مفتوحة للجميع، وإذا ألمّ بها معسرٌ أو بائسٌ فقيرٌ صرف له الورق للكتابة فيه، وفضة أو دراهم لمعاشه، وكانت تفتح في كل يوم وكان ابن حمدان يجلس في بعض غرفها ويحاضر قاصديها مملياً عليهم من أشعار غيره وحكايات مستطرفة وشدوراً من الفقه وما يتعلق به"^٣.

وازدادت حركة الترجمة حدة في العصر العباسي الثاني، وتحسنت تحسناً نوعياً لافتاً للنظر، وقد واصل الخلفاء العباسيون العناية بالترجمة وتشجيع المترجمين.^٤

وعني علماء هذا العصر بجمع دواوين الشعراء، وتوثيقها وتحقيقها ومنهم من تصدى لشرحها"ويشتهر في هذا المجال محمد بن حبيب البصري وثعلب الكوفي، والسُّكْرِيُّ أبو سعيد الحسن بن سعيد البصري تلميذ الرياشي وأصغر تلاميذ الأصمعي، المتوفى سنة ٢٧٥هـ... ولم يكتفِ بجمع دواوين طائفة كبيرة من الشعراء، بل مضى يجمع دواوين القبائل ويقال إنه جمع منها نيفا وثمانين.^٥

التعريف بكتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج

يلاحظ طالب العلم في أوّل تصفحه لهذا الكتاب ذلك العنوان البارز الذي اختاره له من تصدى لتحقيقه، وصار هو اسم الشهرة الذي عرف به الكتاب، وهو: (معاني القرآن وإعرابه) وهم

- ١- عبد الدايم ، عبد الله ، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٦م، صفحة ١٦٧.
- ٢- ضيف ، أحمد شوقي عبد السلام ، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٥م. ص١١٧.
- ٣- ضيف، نفسه، صفحة ١٢٤، وقد ذكر قصصاً كثيرة تدل على عظم اهتمام القوم بالتقدم العلمي في مجال المكتبات، والترجمة والمناظرات وغيرها.
- ٤- السيوطي، جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ١١٤/١
- ٥- ضيف، نفسه ، ١٤٣.

في ذلك يقصدون وضع الكتاب في إطار تصنيفٍ معرفي يلتحق فيه بأنداد له من المصنفات في هذا المجال المعرفي التي تعورف على تسميتها بكتب معاني القرآن وبخاصة كتب سابقه، ولعلّ في تقديم لفظ المعاني على لفظ الإعراب في صفحة غلاف النسختين المطبوعتين المتوفرتين وهما طبعة دار الكتب بتحقيق د. عبد الجليل شلبي، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م. ما يشير إلى الفرق بين الكتاب الذي بين أيدينا، وكتاب آخر منسوب للزجاج هو (كتاب إعراب القرآن) الذي حققه الأستاذ إبراهيم الأبياري. وقد نفى الأستاذ الأبياري نسبته إلى الزجاج وقال باحتمال أن يكون مؤلفه مكي بن أبي طالب.

وقد أثبت أحمد راتب النفاخ في مقالين نشرهما في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق^١ نسبة الكتاب إلى "جامع العلوم النحوي، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي - رحمه الله - المتوفى سنة ٥٤٣ هـ. كما قدّم الدكتور عبد القادر السعدي في تحقيقه لكتاب (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) في إعراب القرآن وعلل القراءات"^٢ مزيداً من الأدلة على نسبة الكتاب للباقولي، وأن اسمه الحقيقي هو الجواهر في تقديمه لكتاب (كشف المشكلات) للباقولي أيضاً، الذي حققه وطبعه في مجمع اللغة العربية بدمشق.^٣

على أن الزجاج نفسه يقول في مقدمة الكتاب: "هذا كتاب مختصر في إعراب القرآن ومعانيه"; فوصف الكتاب بالاختصار من جهة، وقدّم الإعراب على المعنى من جهة أخرى، وكرر ذلك في موقع آخر من الكتاب فقال: "وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأنّ كتاب الله ينبغي أن يتبين؛ ألا ترى أنّ الله يقول: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُتْرَانَ} [النساء: ٨٢] فحُضْنَا التَّدْبِيرَ والنَّظَرَ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم".^٤

ويقول في موضع آخر: "وهذا الباب فيه صعوبة إلا أنّ كتابنا هذا يتضمّن شرح الإعراب والمعاني، فلا بدّ من استقصائها على حسب ما يُعلم".^٥

- ١- النفاخ، أحمد راتب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٣، مجلد ٤٨، ج ٤
- ٢- الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٥٤٣). كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، دار عمار، الأردن، ٢٠٠١ م.
- ٣- الباقولي، كشف المشكلات، ص ٤٠ - ٤١ راجع الشهري، عبد الرحمن بن معاضه، مقال على الانترنت للدكتور المحاضر بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.
- ٤- الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ)، معاني القرآن الكريم وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١ / ١٨٥.
- ٥- الزّجّاج، معاني القرآن، نفسه، ١ / ١٨٦.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بروكلمان قد ذكر أن هذا الكتاب يطلق عليه معاني القرآن، أو معاني القرآن وإعرابه، كما يذكر أن هناك نسخة من هذا الكتاب بعنوان "الزاهر في معاني القرآن" يستعمله الناس في القاهرة، وعلى هذا الكتاب صنّف أبو علي الفارسي كتاب الإغفال، فيما أغفله الزّجاج من المعاني.^١

وعلى أية حال، فلا يبعد أن يكون اختلاف العناوين لنفس المصنّف من صنع النّساخ، بل هذا هو الاحتمال الراجح، على أنّ هذا الاختلاف في العناوين لا يغير ما يستنبطه الباحثون من ربط الإعراب بالمعنى أو تقديم العناية بالإعراب -بمعنى أوسع وأشمل- مما استقر عليه الاستعمال الاصطلاحي للفظ، ولا يغير من واقع منهج المؤلف في تأليف الكتاب.

قيمة الكتاب بين كتب المعاني من أشهر ما ذكر من عبارات التقدير لهذا الكتاب وصف الزركشي له بأنه "لم يصنف مثله"^٢.

"ويلحظ أن المقصود بالإعراب عند الزّجاج معناه الواسع، فهو يشمل كل ما يحتاج إليه النص من بيان لغوي ونحوي، بل إنه يتجاوز ذلك إلى الغوص في مسائل الخلاف النحوية وتقدير أدلتها، ويدخل في ذلك أيضاً توجيه القراءات والاحتجاج لها والموقف منها تأييداً ونقداً"^٣.
ومما أكسب هذا الكتاب قيمة علمية:

١. أن الزّجاج ألفه قبل وفاته بعشرة أعوام، واشتغل في تصنيفه سنة عشر عاماً^٤.
٢. أنّ الزّجاج استوعب نحو المدرستين البصرية والكوفية في هذا الكتاب حيث بدأ حياته العلمية تلميذاً لثعلب شيخ الكوفيين، الذي أرسله لمناظرة المبرّد شيخ البصريين - وكان الزجاج شاباً - فأعجبه حجة المبرّد فتحوّل إلى المنهج البصري، وظهر ذلك في مناقشاته لأقوالهم على امتداد كتابه، "وأته أورد أقوالاً لسيبويه لم يتضمنها كتابه، كما أنّ الزّجاج نفسه أورد شروحاً لغوية ليست مذكورة في كتب النحويين.

٣. أنّ كثيراً ممن عاصر الزّجاج أو جاء بعده قد استفاد من كتابه (معاني القرآن وإعرابه).

١- مساعدة، وسام عقلة، التخرجات اللغوية والنحوية، مرجع سابق، بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي. ترجمة وتحقيق: محمود حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م. ١٧٢ / ٢
٢- الزركشي، بدر الدين محمد أبو عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزملاؤه، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م، ١٤٧ / ٢.
٣- الشاعر، عبد العظيم فتحي خليل، النحو العربي عند أبي إسحاق الزّجاج، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٧٠-١٧١، صفحة ١٧ نقلاً عن رسالة علمية بعنوان النحو وكتب التفسير، ١ / ٢٥٣، ولم يذكر أي معلومات عن هذه الرسالة.
٤- الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، ص ٢٨، نفسه، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، ص ٢٤.

ويذكر أن ابن جرير الطبري- شيخ المفسرين- قد استفاد من كتاب معاني القرآن للزجاج^١ كذلك " قرر الزمخشري في (كشافه) أنه اعتمد على الزجاج في دراسته اللغوية"^٢.
وممن تأثروا بأراء الزجاج في تفاسيرهم القرطبي، وابن الجوزي في زاد المسير، والسمين الحلبي في الدرّ المصون، ومن المفسرين المتأخرين البغوي والخازن، كما تأثر به عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) والبغدادي في (خزانة الأدب).^٣ ولعلّ قراءة سريعة في كتب هؤلاء العلماء تظهر كثرة نقولاتهم عن الزجاج وعنايتهم بأقواله.

٤. نزعة الزجاج الاستقلالية التي تظهر في كتابه إلى جانب ما يظهر من تمسكه بالمنهج البصري الذي أفضت زعامته إليه، فهو قد " يجمع آراء النحاة في مكان واحد، يعزوها إلى أصحابها تارة في مواضع، ويجمال العزو تارة أخرى، مستعرضاً ما قالوه فيها ثم يُردُّ على تلك الآراء واحداً فواحداً ويناقشهم فيما قالوه"^٤.

النسخ المطبوعة للكتاب

كانت أول طبعة للكتاب تلك التي أخرجها د. عبد الجليل شلبي بتحقيقه، وقد أخرج منه جزأين: الجزء الأول: يبدأ بالفاتحة، وينتهي بآخر سورة آل عمران وقد تم طبعه ١٩٧٣م. والجزء الثاني: يبدأ بأول سورة النساء وينتهي بآخر سورة التوبة، وتم طبعه سنة ١٩٧٤م. والطبعة الثانية للكتاب بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي أيضاً، بمطابع عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ويؤخذ على هذا التحقيق مأخذ أبرزها:

- " وجود تصحيف وأخطاء في الآيات القرآنية وعدم صحة الضبط في كثير من المواضع.
- إهمال التشكيل والضبط في المقارنة بين القراءات المتنوعة.
- أخطاء كثيرة العدد في الأبيات الشعرية".

ثم صدرت نسخة مطبوعة للكتاب، تحقيق وتقديم أ.د. فتحي عبد الرحمن حجازي، عن دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، في أربعة مجلدات.

ويغلب على الظن أنّ هذه الطبعة اعتمدت على طبعة الدكتور عبد الجليل الشلبي. وفيها أخطاء ترجع إلى عدم العناية بالضبط يصعب حصرها في الكتاب، وكذلك وجود بعض السقط الذي

١- أنظر مقدمة د. عبد الجليل شلبي لتحقيق " معاني القرآن" للزجاج، طبعة دار الكتب، جزء ١، ص ٢٦.
٢- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: خليل محمود شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. ٢ / ٧٣ و الزجاج، معاني القرآن تحقيق الشلبي، جزء ١، ص ٢٤.
٣- عبد الرحمن، أحمد فتحي، مقدمة تحقيق " معاني القرآن للزجاج، مرجع سابق، صفحة ٢٩.
٤- مساعدة، التخريجات اللغوية، مرجع سابق، صفحة ١٠، وانظر مطلب عناية الزجاج بالنحو في هذه الدراسة.

لم ينتبه له مما يخلُ بالمعنى، كسقط لا النافية مثل " يجيز النحويين: " أنت زيدا غير ضارب" لأنّ زيدا من صلة ضارب فلا يتقدم عليه، فالعبارة سقطت من أولها (لا) النافية.^١

وهناك الكثير من الشواهد التي ضبطت ضبطاً مخطوئاً، بلغت من العدد ما يحتاج إلى عناية خاصة لحصر عددها، وهي متلاحقة تكاد تبلغ نصف الشواهد!، على أنه لا يخلو من زيادة فائدة على طبعة الدكتور الشلبي فيما يتعلق بالإحالة إلى المراجع التي تعرضت للمسائل المطروحة في متن الكتاب، وخاصة كتب التفسير مما يفيد الباحث في إجراء المقارنات.

ونخلص من هذا الوصف لنسخ الكتاب وطبعاته أن الكتاب ما يزال بحاجة إلى مزيد من العناية بتحقيقه تحقيقاً يجمع كل ما يتوفر له من نسخ. خاصة وأنّ إمكانات الوصول إلى المخطوطات قد ازدادت بالاعتماد على الشبكة العنكبوتية للمعلومات وازدياد فرص تبادل الخبرات بين الجامعات ومؤسسات العناية بإحياء التراث والمخطوطات... في حين أن بقاء حال الكتاب عند هذا الحد من العناية -وهي مشكورة، لا شك أن جهوداً كبيرة بذلت في إخراجها -لا يزال أدنى مما يستحقه الكتاب من تحقيق وتنقية من التصحيف، والسقط، وضبط الشواهد، وشرحها، وتزويد الكتاب بفهارس شاملة. وليست مختصرة للأعلام، والمواقع، والمسائل العلمية؛ حيث يفضل أن تكون مرتبة على الموضوعات، بحيث يستفيد منها طالب العلم.

الرّاعب الأصفهاني وكتابه مفردات ألفاظ القرآن

كلُّ ما يعرف على وجه التحقيق من هوية صاحب هذه الترجمة، هو كنيته " أبو القاسم " واختلف الباحثون بعد ذلك في اسم هذا العلم الكبير الملقب بالرّاعب، هل هو الحسين بن محمد بن المفضل^٢؟ أم الحسين بن المفضل بن محمد^٣؟ أم الحسين بن محمد الفضل^٤؟ أم الحسن بن الفضل^٥؟ أم المفضل بن محمد^٦؟

١- الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، جزء ١، صفحة ٤٧.

٢- كما ظهر في مقدمات أكثر مؤلفات الرّاعب، وأكثر المصنفات التي ترجمت له، راجع الرّاعب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: سيد علي ميرلوي فلورجاني، جامعة أصفهان، معاونية البحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. ص ١٩ و الرّاعب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تقديم وتحقيق د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م صفحة ٢٣، ومفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان الداودي، ص ٥٠، وراجع: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م. ج ٢ ص ٢٧٩. والتبريزي،

أم " الحسين بن نظام بن الخضر بن محمد " ؟^٧

ثم اختلفوا أيضاً في مولده، وذلك لا يبعد بهم عن اشتهاره بالنسبة إلى أصفهان، ولعلّ " الدليل الذي يزيل أي إبهام عن مولده أنّ المافروخي عدّه في كتاب (محاسن أصفهان) من جملة علمائها المتبحّرين في النحو والإعراب، ويزيد هذا الدليل أنّ الرّاغب نفسه تكلم أحياناً في بعض مؤلفاته عن بعض مجالسيه من الذين نشأوا في أصفهان... " ^٨

واختلفوا أيضاً في " موطنه ومتوفاه "، ولجأوا في ذلك إلى التخمين " فربما كان منتقلاً في حياته بين أصفهان وبغداد ^٩، ووصفه بعضهم بأنه كان (نزير بغداد) ^{١٠}، أما قول بعضهم " وربما ولي القضاء بالمرية بعد انتقاله من بغداد إلى مرسية ثم منها إلى المرية-المرية ومرسية من بلدان شرق الأندلس وفي الثانية ولد ابن سيدة- كما نقله العجمي عن أعلام الزركلي، وهو كما ذكر الدكتور عبد المجيد النجار، غير مذكور في ترجمة الرّاغب في أعلام الزركلي... فهو مما يزيد الترجمة غموضاً مع أنه مستبعد. حتى إذا دخل الباحثون في تحديد وفاته فإنك تجد أيضاً اختلافاً كبيراً؛ ويلخص الدكتور رياض عبد الحميد مراد هذا الاختلاف كما يلي:

" اختلف القدماء والمحدثون في وفاة الرّاغب اختلافاً بلغ حدّاً كبيراً يتجاوز القرن بقليل، من سنة اثنتين وأربعمئة هجرية إلى سنة خمس وثلاثين وخمسمئة هجرية " ^{١١} ولم يقع لهذه الدراسة سبب في كلّ هذه الاختلافات، وخاصةً أنه عالم وأديب مشهور وليس مغموراً، وله حضور في المحافل الأدبية وخطبة بأهل العلم والسياسة، ومن الصّعب كذلك تحليلها بعزوف العلماء عن الاهتمام بترجمته لسبب عقديّ؛ حيث لم يظهر في كتبه تطرّق يجلب عليه ذلك. أمّا أنه لم يكن حريصاً على الظهور بذاته، بل كان حريصاً على عدم ظهورها، مكتفياً بظهور آثاره العلميّة الفائقة الشّهرة، وهذا

-
- محمد علي مدرّس (ت ١٣٧٣ هـ) ، *الراغب الأصفهاني* ، ج ٢ ص ٦٦ ، وكشف الظنون ج ١ صفحة ٤٦٢ ، جزء ٢ ، ص ١٧٢٩ ، وهداية العارفين ج ١ صفحة ٣١١ ، وكنز الحكمة ص ٦٩-٧٠ .
- ١- كما في تيمور، أحمد بن إسماعيل (ت ١٩٣٠م)، فهرس الخزائن التيمورية، دار الكتب المصرية، ١٩٤٨م. ٣/١٠٨.
 - ٢- كما في الخوانساري، محمد باقر (١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، قم، ١٣٩٢هـ-ص ٢٤٩.
 - ٣- كما في الرّاغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م. ج ١ صفحة ٧.
 - ٤- عن البيهقي، ظهير الدين علي (ت ٥٦٥هـ)، تتمة صوان الحكمة، ت: رفيق العجم، بيروت ١٩٩٩م، ص ١٠.
 - ٥- كما في نزهة الأرواح، مخطوطة برلين رقم ٢١٧ نقلاً عن تتمة صوان الحكمة.
 - ٦- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م. ص ٣٩٦.
 - ٧- كما نقل الزركلي في الأعلام عن الجواهر المضيئة: ٢١٩/١، راجع الأعلام ط ٣، مجلد ٢ ص ٣٧٩ مرجع سابق.
 - ٨- الرّاغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص ٢٤.
 - ٩- العجمي، أبو اليزيد، مقدمة تحقيق الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط. دار الصحوة ودار الوفاء، القاهرة ١٩٨٥م.
 - ١٠- البغدادي، إسماعيل باشا الباباني بن محمد أمين (ت ١٣٣٩هـ)، هداية العارفين، طبعة دار الفكر، ١٩٨٢م.
 - ١١- الرّاغب الأصفهاني، مقدمة محاضرات الأدباء، مرجع سابق.

يشبه مع - الفارق - توجُّه بعض الكُتَّاب في هذا العصر إلى البروز باسم الشهرة من دون أن يكون وراء هذا التُّخفي أي شعور بالخطر!

على أنّ مما يعتمده البعض في الترجيح قول العلامة الذهبي في سير أعلام النبلاء -وقد أورده في الطبقة الرابعة والعشرين " وكان -إن شاء الله في هذا الوقت حياً، يسأل عنه، لعله في " الألقاب " لابن الفوطي.^١

ومع ترجيح انتسابه إلى هذه الطبقة فالحدود العمريّة المذكورة في هذه الطبقة واسعة، تبدأ بسنة ٤٤١ وتنتهي في سنة ٤٨١، مما يضطر الباحث إلى سلوك سبلٍ أخرى للترجيح. ومنها البحث في وفيات المعاصرين للراغب، ومنهم:

١. أبو القاسم غانم بن أبي علي بن أبي العلاء. ذكر الراغب أنه أرسل إليه رقعة فيها أبيات من

الشعر يطلب فيها من أبي القاسم بن أبي العلاء أن يُعيّره ديوان شاعر الخوارج الشهير عمران بن حطان. قال الثعالبي (المتوفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة).^٢

٢. أبو العباس الضبي: الملقب بـ " الكافي الأوحّد " و " الأستاذ الرئيس"، نشأ تحت رعاية صاحب بن عباد، و منحه فخر الدولة البويهية منصب الوزارة، وتوفي سنة ٣٩٩هـ.

وقد ذكره هلال الصابي (ت ٤٤٨هـ)^٣ ويذكر صاحب معجم الأدباء أنه توفي في بروجرد من نواحي عمل بدر بن حسنويه (بدينور)^٤، وقد نقل الراغب بعضاً من أشعاره، وأشاد بذكره بألقاب، كالوزير الرئيس، والكافي الأوحّد، والأستاذ الرئيس، " ولا يبعد أنّ الراغب ألف كتابه (تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين) بإشارة من أبي العباس الضبي الذي اشتهر بالأستاذ الرئيس؛ لأنه يقول في الكتاب المذكور: " ولقد عملت ذلك للأستاذ الكريم لما رأيته معتنياً باكتساب الإنسانية الموصلة إلى السعادتين. علماً بأن لفظ الكريم لم يثبت في بعض النسخ، وثبت مكانه لفظ الرئيس.^٥ كما نجد مثل ذلك في مقدمة محاضرات الراغب"^٦.

١- لم أقف عليه في فهرس الطبعة الإيرانية بتحقيق محمد كاظم، ولعلها أكمل طبعات الكتاب، علماً بأن الكتاب لم يزل الكثير منه مفقوداً.

٢- أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٨هـ)، تنمة يتيمة الدهر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧٩م، ج ١، ص ١٢٠.

٣- في تاريخه الملحق بذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع. في حوادث السنوات من ٣٨٩-٣٩٣هـ، ٧/٦٦-٦٩.

٤- ياقوت الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٢/١٠٥، ١٣٢. ودينور مقاطعة من أرض الأكراد منها أبو حنيفة الدينوري.

٥- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، مرجع سابق، صفحة ٣.

٦- مقدمة مجمع البلاغة، المخطوطة المعتمدة من قبل الساريسي، عمر عبد الرحمن، الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. راجع ص ٣٦ من الكتاب المذكور حاشية ٣٦.

يقول الدكتور الساريسي: لعلّ المخاطب هنا هو الوزير أبو العباس الضبي، الملقب بالكافي الأوحّد، وزير فخر الدولة البويهّي بعد وفاة الصاحب، توفي عام ٣٩٩ هـ.

وممن عاصرهم الرّاعب أيضاً الشريف الرضيّ، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩-٤٠٦ هـ)، وقد عرف بالرضيّ عندما منحه هذا اللقب عضد الدولة الديلمي سنة ٣٩٦ هـ، ويلاحظ أنّ الرّاعب في (محاضرات الأدباء) ذكره باسمه - وليس بلقبه-، ولكنه على أية حال ينقل في محاضرات الأدباء من شعر الرضيّ ما يمكن الاستنتاج منه أنه كان حاضراً المجلس الذي قيل فيه الشعر: " وذكرت قصيدة ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسن بديهاً..."^١.

ومهما اجتهد المرء في استنباط تاريخ دقيق لحياة الرّاعب من مجرد ذكر ما استشهد به من شواهد الشعراء، فإنّ استخدام هذه الوسيلة بشكلها المجرّد يصلح مؤشراً على العصر أو الطبقة، فهو يشير إلى أنّ المؤلف المطلوب ترجمته عاش معاصراً أو معاشراً للشاعر المستشهد بآثاره أو لاحقاً له وهو ما يتطلب أن تنضمّ قرائن أخرى لتحديده.

عقيدة الرّاعب

دفع نسبته للاعتزال

قال السيوطي " كان في ظني أنه معتزلي، حتى رأيت بخط بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من (القواعد الصغرى) لابن عبد السلام ما نصه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس) في الأصول أنّ أبا القاسم الرّاعب كان من أئمة السنّة، وقرنه بالغزالي. قال: وهي فائدة حسنة، وأكثر الناس يظنون أنه معتزلي..."^٢.

دحض الرّاعب لبعض آراء المعتزلة:

يكرر الرّاعب دحض دعوى المعتزلة بتأويل الآية الدالة على ذلك ففي مادة (إلى) من المفردات يقول الرّاعب: " وقال بعضهم في قوله تعالى: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة ٢٢، ٢٣] إنّ معناه: إلى نعمة ربها منتظرة، وفي هذا تعسف من حيث البلاغة "وفي مادة (زاد) من (المفردات) يقول الرّاعب: " الزيادة أن ينضمّ إلى ما عليه الشيء آخر، يقال: زدته فازداد،...وقد

١- الرّاعب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، مرجع سابق جزء ٣، ص ٣٠٩.
٢- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٩ م. ٩٧/٢، والرازي، فخر الدين محمد (ت ٦٠٦ هـ)، تأسيس التقديس في علم الكلام، تحقيق: محمد العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣ م. ص ٧.

تكون زيادة محمودة نحو قوله تعالى {لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] وروي من طرق مختلفة أن هذه الزيادة النظر إلى وجه الله، إشارة إلى إنعام وأحوال لا يمكن تصوّرها في الدنيا^١. انتهى. وتنويه الرّاعب بالروايات إذا انضمّ إلى تصريحه المذكور قبله يعدّ دليلاً على معارضته لموقف المعتزلة.

ومسألة أخرى يعترض فيها الرّاعب على " جماعة من المعتزلة " موقفهم من قضية الجبر والتفويض؛ يقول الرّاعب: " فأما في وصفه تعالى نحو: {الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} [الحشر: ٢٣] فقد قيل: سمي بذلك من قولهم: جبرئ الفقير؛ لأنّه هو الذي يجبرُ الناس بفائض نعمه، وقيل لأنه يجبرُ الناس أي يقهرهم على ما يريد، ودفع بعض أهل اللغة ذلك^٢ من حيث اللفظ فقال: لا يقال من: " أفعلت " فعّال، فجبار لا يبنى من أجبرت، فأجيب بأنّ ذلك من لفظ الجبر المروي في قوله: " لا جبر ولا تفويض " لا من لفظ الإيجاب، وأنكر جماعة من المعتزلة ذلك من حيث المعنى فقالوا: " يتعالى الله عن ذلك " وليس ذلك بمنكر فإنّ الله تعالى قد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية، لا على ما تتوهمه الغواة والجهلة...^٣ .

أما نسبته إلى التشيع فمن اللافت لنظري بعض الباحثين في عقيدة الرّاعب اهتمام علماء الشيعة بترجمته وأنهم قد أرخوا له في كتبهم وعدّوه من علماء الشيعة حيث يشير البعض أنّ كتب الشريعة " قد تناولت الرّاعب بشيء من التفصيل أكثر من مؤرخي السنة " بل يرى أن " الذين أهملوه هم رجال طبقات أهل السنة على العكس من رجال الطبقات في المذهب الشيعي الذين أرخوا له في كتب كثيرة ذكرها في الترجمة له الخوانساري والعاملي، " فنراهم يذكرون كتاب تاريخ أخبار البشر، وكتاب ريان العلماء وكتاب أسرار الإمامة " °

ومما يستوقف المرء ملياً قول الباحث نفسه " إلا أننا نلاحظ أنّ المذهب الوحيد الذي لم يتعرّض له من قريب أو بعيد نصّاً أو تلميحاً هو المذهب الشيعي، ومن هذه الزاوية تلقفه مؤرخو هذا المذهب... وليس سهلاً أن يختار الشيعة أحد العلماء ويعدّوه منهم... ". ثم يتوصل الكاتب من تمسك علماء الشيعة بنسبة الرّاعب إلى التشيع إلى أنهم " بهذا يجعلوننا نميل إلى الظن أن الرّاعب كان

١- المفردات، ص ٣٨٥ / ٣٨٦

٢- قال المحقق الداودي هو ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله (٢٧٦ هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ هـ-١٩٧٦ م. ١٤٥ / ٢

٣- المفردات، ص ١٨٤ وفي العبارة إثبات الجبر في ما هو مذكور بالطبيعة التكوينية، وهموم المعتزلة!

٤- عبد الحميد، عباس محمد، الرّاعب الأصفهاني ومنهجه في كتاب المفردات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧١ م.

٥- نفسه، صفحة ٧٨

يبطن- وإن لم يكن من الغلاة، وهي ظاهرة موجودة لدى الكثير من المذاهب الشيعية حتى وقتنا الحالي مثل الدروز في لبنان مثلاً!!^١

فمما يُردُّ به هذا الكلام قول الرَّاعِب في رسالة الاعتقاد^٢ في ذكر أهل البدع:

" والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثني والسبعين سبعة: المشبهة، ونفاة الصفات، والقدرية، والمرجئة، والخوارج، والمخلوقية والمنتشعة، فالمشبهة ضلت في ذات الله، ونفاة الصفات في أفعاله، والخوارج في الوعيد، والمرجئة في الإيمان، والمخلوقية في القرآن، والمنتشعة ضلت في الإمامة، والفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحاب^٣.

هذا بعض المنقول من كلام الرَّاعِب وفيه ما يغني عن الاستطراد في دحض بقية حجج من ينسب الرَّاعِب إلى التشيع، يضاف إلى ذلك أنه لم يرد في تراجم علماء الشيعة من ترجمة الرَّاعِب ما يحقق مولده أو وفاته بشكل قطعي، كما أنّ بعضهم اضطرب بعد نسبته إلى التشيع، فعاد لينسبه إلى الأشاعرة، وإلى الشافعية.

وكذلك فإنه من غير المنطقي أن يحتج عالم شيعي آخر على نسبته إلى التشيع بتشابهه مع المعتزلة.

وببطلان هذه الحجج يبطل أيضاً ما استنبطه الباحث من نسبته إلى الشيعة العدلية على " أنه نشأ في بيئة شيعية بين أهل يتشيعون لأهل البيت الكريم... " يضاف إلى ذلك ما ذكره المقدسي في وصف أهل أصفهان " أهلها أهل سنة وجماعة، وأدب وبلاغة كم أخرجت من مقرئ وأديب، وفقهه ولييب " ^٤.

أما هذا الإصرار من الرَّاعِب وقبلة الزّجاج، وبعده ابن سيده على ذكر فضائل علي، وآل بيت النبوة، والاستشهاد بأقوالهم -مع مخالفتهم الواضحة لمذهب الشيعة، ودحض الثلاثة لمزاعمهم في كثير من القضايا الواردة في كتبهم، فيحمل على أحد محملين أو كليهما.

الأول: سعي هؤلاء العلماء إلى الحدّ من التعصب بأحد الاتجاهين؛ سواء الغلو في التعصب لآل البيت كموقف المنتشعة، أو التعصّب عليهم كموقف الخوارج، وبعض من ناصب علياً العداً وسمّوا بالناصبية! والثاني: التأكيد عملياً على أن أهل السنة والجماعة الحريصين على سدّ ذرائع الفتنة

١- نفسه، صفحة ٧٣.

٢- نفسه، صفحة ٤٣،

٣- السابق، صفحة ٥٤، والرّاعِب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن مقدّمة المحقق، مرجع سابق، صفحة ٩.

٤- المقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

والمتمسكين بمبدأ عدالة الصحابة هم أولى بعليّ - رضي الله عنه ونبيه، وهو أمرٌ جاهد في إثباته أعلام هذه الأمة إلى درجة أن كثيراً منهم اتهم أيضاً بالتشيع، كالإمام النسائي والإمام الطبري، بل لم يسلم من هذه التهمة الإمام الأعظم أبو حنيفة لما يروى من مناصرته لبعض أعلام أهل البيت في الخروج على العباسيين^١.

عصر الرّاغب الأصفهاني

يتضح من القرائن الواردة في ترجمة الرّاغب الأصفهاني أنه عاش في المدّة الواقعة بين حوالي منتصف القرن الرابع، والرّبع الأوّل من القرن الخامس. وهو عصر تغلب البويهيين على الدولة العباسيّة ويمكن تقسيم دراسة العصر البويهي إلى الأحوال الآتية:

أولاً: الأحوال السياسية / البويهيون

ترجع الجذور الأولى للبويهيين إلى ثورات العلويين في شمالي إيران، وبخاصة في ولايات قزوين. التي حققت بعض المكاسب السياسية إلا أنها أخفقت في المحافظة عليها لما أصابها على يد خصومها من نكسات وظهرت من خلالها أسماء قادة من الديلم كان في الصف الثاني منهم آل بويه. ثم بدأ نجمهم بالظهور فقاموا بالتوسع نحو الجنوب وزحفوا بجيوشهم نحو بغداد، واحتلوها سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م. وعلى الرغم من ذلك الترحيب الذي قوبل به قائدهم أحمد بن بويه من الخليفة المستكفي إلا أنه لم يلبث بعد دخوله بغداد أن انقلب على الخليفة المستكفي الذي آل أمره إلى أن خلع وسلمت عيّناه سنة ٣٣٤هـ.^٢

وقد شهد العصرُ البويهي أشكالاً مختلفة من الصراع كان أبرزها وأشدّها الصراعات التي نشبت بين أبناء عضد الدولة بعد وفاته، واستمرت حتى عهد آخر ملوك بني بويه.^٣ وعلى الرغم مما عرف عن تردد الرّاغب على كبار الوزراء في مجالسهم، والاستجابة لمطالبهم في تصنيفه لبعض كتبه كما تشير مقدماتها، إلا أنه لم يذكر عنه- في حدود الاطلاع - أيّ انغماس في السياسة أو رغبة فيها أو أسف عليها خلافاً لمعاصره أبي حيّان التّوحيديّ، صاحب الإمتاع والمؤانسة المشهور بكتاباتة في الشكوى من أحوال عصره.

١- نوري، موفق سالم، العامة والسلطة في بغداد: دراسة تحليلية، تاريخ العصر الإسلامي، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ٢٠٠٥م. صفحة ١١٦، وشيبه به موقف الإمام مالك مقتل محمد النفس الزكية، راجع: العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١٩٧٢م. صفحة ٥
٢- آدم متز ٣٧/١، نقلاً عن العيون والحدائق، مخطوط برلين ٢٣٩ أ - ب.
٣- الجاف، حسين، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، ٢٠٠٣م. صفحة ٩٧

ثانياً: الأحوال الدينية

يظهر للمتفحص لمسيرة البويهيين السياسية والدينية، أنّ جانب المصلحة كان مقدماً عندهم منذ بداية ظهورهم كجند مرتزقة في صفوف الدولة العلوية ونلاحظ أنهم ساهموا في الانقلاب على العلويين وانتزاع أملاكهم عندما كانوا تحت إمرة القائد مرداويج.^١ كما يظهر ذلك في عدول معز الدولة البويهي عن إقامة خلافة علوية مكان الخلافة العباسية، أو مبايعة الخليفة الفاطمي بدل العباسي وما كان وراء ذلك العدول من موازنات رجحت جانب المصلحة السياسية على العاطفة الدينية.

ومع ذلك فقد قام البويهيون ببعض التصرفات لصالح نصرة المذهب الشيعي " كإقامة الأضرحة الدينية كضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعث المناسبات الدينية الشيعية، كعاشوراء، وتشجيع الفقهاء الإثني عشريين، وما ذكر عن معزّ الدولة بأنه أمر أن يكتب على المساجد لعن الصحابة،^٢. ويذكر ابن الأثير^٣ أنّ فتنة قامت بين السنة والشيعية أدت إلى حريق عظيم في حي الكرخ " وكان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان وثلاثمائة دكان، وكثيراً من الدور وثلاثة وثلاثين مسجداً ومن الأموال ما لا يحصى.

ولعلّ في هذا الجو من الغليان أثر في حرص بعض المصنّفين السنة من استخدام ألفاظ الشيعة في الترضي على آل البيت والاهتمام بأخبارهم، ومنهم الراغب، ولعله من باب الحرص على هدوء الأجواء بين أصحاب المذهبين.

ثالثاً: الأحوال الاقتصادية

كثرت شكوى الأدباء والمؤرخين من سوء الأحوال في ذلك العصر، ومن ذلك: قول أبو بكر الخوارزمي- وهو من كبار أدباء الشيعة ذوي الخطوة في البلاط البويهي في وصف بعض الحكام: " فما زال يفتح علينا أبواب المظالم ويحتلب فينا ضرع الدنانير والدرهم ويسير في بلادنا سيرة لا يسيرها السنور في الفأر، ولا يستخيرها المسلمون في الكفار، حتى إذا افتقر الأغنياء وانكشف الفقراء، وحتى ترك الدهقان ضيعته، وجعد صاحب الغلة غلته، وحتى نشف الزرع والضرع.... والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ولا السوس في الخزّ في الصيف

١- عبد الحميد، سعد ز غلول، التاريخ العباسي والأندلسي بيروت: جامعة بيروت العربية، ١٩٧٦ م. ص ١٨٨.

٢- منيمنة، تاريخ الدولة البويهية مرجع سابق، صفحة ١٢٨.

٣ ابن الأثير الجزري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، ١٩٦٥م. ج ٧ ص ٥١.

عنده إلا من المحسنين فإن كُنا به معاقبين، فقد تنقضي مدة العقاب وتختم صيحة العذاب^١. ويذكر ابن مسكويه^٢ في وصف عهد البويهيين أنه لم يكن للمال من دور سوى إرضاء الجند لضمان استمرارهم في الحكم، أما عمارة البلاد، والاهتمام بتحسين أحوال الناس، فلم تكن على الإطلاق في وارد البويهيين، وكما يذكر أنهم -أي البويهيين- لم يكونوا يرغبون في عمارة النواحي، خوفاً من إخراج درهم من الخزانة.

ولعلّ في ذلك ما يفسّر اضطرار الرّاعب - رغم حرصه على عدم الظهور بشخصه - إلى ذكر دور بعض الوزراء في دفعه إلى تصنيف كتبه مما يوحي بافتقاره إلى عطائهم لإنجاز مصنفاته.

رابعاً: الأحوال الاجتماعية

واكب تغلب البويهيين على الدولة العباسية شعور من عامة الناس ومثقفهم بانقلاب الموازين السياسية، والاجتماعية والأخلاقية؛ فقد كان للأحوال السياسية والعسكرية أثر كبير في تدهور الأحوال الاقتصادية، التي أدت بدورها إلى بروز ظواهر اجتماعية مقلقة كظاهرة جماعات اللصوص المنظمة، وجماعات الشطار، والعيارين، والمكدين (النصابين). وقد تسبب العيارون بفتن عظيمة عمت بغداد نُهبت فيها مخازن التجار، ودور الكبار، وتجدد أخذ اللصوص لخيال الأجناد من الاصطبلات^٣.

ولم يكن أصحاب المراكز والوظائف العليا في مأمن من أن يطالهم تقلب الأحوال، فتصيبهم بنكبة تحوّلهم من عزّ إلى ذل وإهانة ومن غنى إلى فقر، ومن سعة القصور إلى ضيق السجون، ومن مقام الأمر الناهي إلى مقام المعذب تحت السياط لاستخراج ما جمعه من مال. ولم يسلم من مثل هذا المصير الوزير أبو الفتح ابن العميد^٤.

وكذلك تكرر الأمر بين فخر الدولة ووزيره ابن عباد^٥، أما أبو اسحق الصايبي، كاتب المهلبي في بلاط معزّ الدولة، فإنه نكب بثلاث نكبات جرى له في بعضها من الخطوب ما أشفى فيها على ذهاب النفس^٦.

- ١- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن عباس (ت ٣٨٣هـ)، رسائل الخوارزمي، طبعة بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦٦.
- ٢- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٩٢٤م، جزء ٢، ص ٢٨٠ - ٢٨١، والدهقان: التاجر، فارسيّ معرّب، ابن منظور، اللسان، مادة دهق.
- ٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج ٧، ص ٣٢٥.
- ٤- النعالي، عبد الملك بن محمد (ت ٤٣٠هـ)، يتيمة الدهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٣، ص ١٨٧.
- ٥- منبنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية مرجع سابق ص ٢٣٥/ ٢٣٦.
- ٦- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.

ولعلّ في ذلك ما يفسر اقتصار مخالفة الرّاغب لأهل السياسة على مجالس الأدب الذي يمتزج بشيء من الصبغة الترويحويّة ولم يذكر هو أو يُذكر عنه في حدود الاطلاع توّسّعه في علاقته بهم إلى أبعد من ذلك.

ويصف المقدسي الأحوال الاجتماعية الاقتصادية في فارس في عهد عضد الدولة فيقول: " إن فارس كانت أكثر أقاليم المملكة الإسلامية فسقاً ويذكر البيروني أن عضد الدولة كان قد فرض ضريبة على المغنيات والراقصات، طلباً للمال^١، ولم تكن فارس وحدها على هذه الحال، فقد بلغ من إقبال الناس على الملذات ما سجلت فيه القصص، بل صنفت فيه الكتب، ومن ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، كما حفل كتاب بيتيمة الدهر للثعالبي بكثير من القصص التي تصف، إقبال الكبراء في مجالس لهوهم مع خواص أصحابهم على طرح الوقار والإقبال على حال من السخف يزري بما يظهرون به من الهيبة أمام الناس^٢.

وفي هذا ما يبرر استجابة الرّاغب لطلب من وصفه بالسيدّ الرئيس في أن يشتمل الكتاب على بعض ما وصفه الرّاغب نفسه بأنه "ظرف ملئ ظرفاً و وعاء حُشي جداً وسخفاً..." والذي يطالع الكتاب يجد يجد الواقع مطابقاً للوصف! على أنّ الجّد فيه هو الغالب.

خامساً: الأحوال الثقافية

كانت الظاهرة الثقافية في القرن الرابع الهجري حصيلة تمازج معطيات حضارية امتزج فيها تراث الشعوب التي وحدها الفتح الإسلامي في بوتقة تفاعل استمرّ على مدى ثلاثة قرون أعيدت فيها قراءة الأمم لتراثها، وانشغلت في تسجيله وعينها على مقاصد قد تختلف في بواعثها التفصيلية، إلا أنها في المجمل تصب باتجاه بناء مشروع حضاري كبير قد تختلف في تصوّر بعض قواعده والعلاقات البنوية القائمة داخله، ولكنها تتفق على أنه مشروع يشمل الأمة بأسرها، ويؤكد على ثوابتها، ويستقصي روافدها، ويمكن روابطها، فأنتجت من الثقافة الجادة ما يظل فخراً لذلك القرن والقرون الثلاثة قبله. فازدهرت العلوم اللغوية بفروعها المختلفة ونضجت وصنف فيها من المصنفات ما لم يصنف قبله ولا بعده مثله، كمصنفات أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني في اللغة والنحو، كما ازدهرت العلوم الشرعية كعلم الحديث، ونقده، وعلم التفسير، وعلم الكلام ومن بين الكتب التي ألّفت

١- منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، صفحة ٢٩٢.
٢- راجع التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ج ٢، ص ١٦٦ وما يليهما (مكتبة دار الحياة بيروت ١٩٩٩م.)، وراجع بيتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣٣٥ وما يليها، والمتفقون والسلطة جزء ٢، ص ١٦٦، ١٦٧.

لعضد الدولة أو بتشجيعه، ذكر ابن الأثير: " الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ " ^١.

على الرغم من الطابع العسكري لنظام الحكم في العصر البويهي وانتماء الجيل الأول من البويهيين الجغرافي إلى أطراف منغمسة بمظاهر البداوة وخشونة العيش، إلا أن هذا الوصف لم يعد ينطبق أبداً على الجيل الثاني منهم. فقد حفلت كتب الأدب العباسي بأشعار لعضد الدولة، و لعز الدولة، ولأبي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة و لتاج الدولة بن عضد الدولة الذي وصفه الثعالبي بأنه " أدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم، وكان يلي الأهواز فأدرسته حرفة الأدب " ^٢.

وقد أطل المؤرخون في وصف ما حوته مكتبات حكام الجيل الثاني من البويهيين ووزرائهم، ومن ذلك " خزنة حبشي بن معز الدولة، التي كان فيها خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء... " ^٣. أما خزنة عضد الدولة " لم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا حصله منها.

أما الصاحب بن عباد الوزير المشهور، تلميذ ابن العميد في السياسة والأدب فقد كان يحتاج إلى أربعمائة جمل لنقل كتبه فقط ^٤.

بل إنه " من الأكيد أن العديد من التجار وأصحاب الأموال الذين رقق الثراء طباعهم وأكسبهم الرفاه تقاليد مدنية وسلوكاً حضارياً رفيعاً كانوا ينفقون من أموالهم الكثير في اقتناء الكتب، وتشجيع سوقها وانتداب المعلمين لأبنائهم والإسهام في إقامة دور العلم والإنفاق عليها... " ^٥. فلا عجب أن يؤثر هذا الجو في إنتاج الرّاعب العلمي والأدبي كمّاً وكيفاً، لازدهار الاتجاه الموسوعيّ في التّصنيف، والحرص على شرف الإسهام فيها، وبخاصّة العلوم الشّرعية واللغوية الرّافدة لها.

التعريف بكتاب الرّاعب (مفردات ألفاظ القرآن):

اعتنى الرّاعب بمسألة التعريف بكتابه، ومقصده فيه عناية كافية -رغم ما عرف عنه من

عزوفٍ عن التعريف بنفسه أو ما يتعلق بسيرته الذاتية !

- ١- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ ج ٧ دار صادر بيروت ١٩٦٥ - ص ١١٤.
- ٢- يتيمة الدهر جزء ٢ ص ٢١٨.
- ٣- مسكويه تجارب الأمم، ص ٢٤٦.
- ٤- التواتي، مصطفى، المنقفون والسلطة في الحضارة العربية(الدولة البويهية نموذج)، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٣٤.
- ٥ - المرجع السابق، ص ١٣٢.

فهو يَنوّه إلى أنّ المقصد الرئيس لـ (كتاب المفردات) هو الكشف عن الوجوه الإعجازية للقرآن الكريم حيث جعل الله " هذا الكتاب [أي القرآن] أنه -مع قلة الحجم- متضمن للمعنى الجَمِّ، وبحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه " ^١.

ثم يبين الوسيلة التي قصد من تأليف هذا الكتاب أن يضعها بين يدي طالب العلم بأسرار القرآن - باعتبارها من الأولويات التي لا بدّ من التسلح بها للوصول إلى هذا المقصد حيث يقول: " وذكرت أنّ أوّل ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، ... وألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته وواسطة كرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفرّج حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها، وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها، والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطيب الثمرة... " ^٢

وفي عبارة الرّاغب ما يستدعي الانتباه إلى فرق دقيق يستنبطه القارئ بين مصطلح " معاني مفردات ألفاظ القرآن " ومصطلح " معاني القرآن " حيث اعتبر الأولى وسيلة إلى تحصيل الثانية، ومما يزيد المرء حاجة إلى التأمل في هذه العبارة أن جهد الرّاغب في هذا الكتاب لم يتوقف عند حدود المعنى المعجمي للمفردات القرآنية، فهو يصف منهجه بنفسه قائلاً: " وقد استخرتُ الله تعالى في إملاء كتاب مستوفٍ فيه مفردات ألفاظ القرآن، على حروف التهجي فنقدّم ما أوّله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات، حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب، وأحيل بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على (الرسالة) ^٣.

وهذه الإشارة من الرّاغب إلى مؤلف سابق للراغب نفسه، يشتمل على "القوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ " أمر يفهم منه أنّ الرّاغب- رحمه الله- كان منهمكاً في مشروع ضخم كان من حلقاته الرسالة المذكورة، كما كان من حلقاته بعدها كتاب المفردات الذي وعد أن يتبعه " بكتاب

١- "إِذَا كَانَ الْكَلِمَةُ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (القرآن الكريم، ١٠٠: ١)

٢- نفسه، تابع مقدّمة المصنّف.

٣- "وَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (القرآن الكريم، ١٠٠: ١)

ينبىء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة^١ وهو كتاب ذكر المحقق أنه لم يعثر عليه، مما يعني أنّ مشروع الرّاغب وجدت منه حلقة، وضاعت منه -على الأقلّ- حلقتان الأولى منها تأصيلية تحتوي على قواعد ذلك المشروع الضخم! والثانية تفصيلية تطبيقية وضياع الحلقة الأولى تركت الباحثين - رغم وجود التطبيق الفذ بين أيديهم- يواجهون العناء في استنباطها، ومطابقتها للمصنّف.

كما جعلت ذلك السخاء الذي قدّمه الرّاغب في التعريف بمشروعه لا يقدم ذلك الكشف المباشر المرجوّ في تحديد موقع إنجاز الرّاغب من ميدان التفسير اللغوي، كما أنه لا يقدم كشفاً واضحاً يشتمل على نظرية الرّاغب في تحقيق مفردات ألفاظ القرآن.

أما فيما يتعلق بموقعه من مجال التفسير اللغوي، فيلاحظ أنّ الإمام السيوطي عدّه من كتب الغريب بل إنه قال تحت عنوان: "النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه" أفردته بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبدة وأبو عمر الزاهد، وابن دريد. ومن أشهرها كتاب العزيزي،....ومن أحسنها (المفردات) للراغب^٢ ويلاحظ في هذا المقام أنّ الإمام السيوطي ذكر بعد ذلك مباشرة قول ابن الصلاح: "وحيث رأيت في كتب التفسير: "قال أهل المعاني" فالمراد به مصنّفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج، والقراء، والأخفش، وابن الأنباري"^٣. وترتيب الكلام بهذا التصرف يوهم عدم التفريق بين (الغريب)، والمعاني، إلا أنّ أصحاب المصنّفات التي ذكرها ابن الصلاح توحى بضبطه لمصطلح المعاني وأنّ السيوطي تبعه في ذلك، كما أنّه تبع الزركشي في عدّ كتاب المفردات من (الغريب)^٤.

ومن المحدثين الدكتور محمود نحلة^٤. وقد استدعى هذا التداخل سعياً من البعض إلى تحديد مفهوم الغريب لغة واصطلاحاً، وتمييزه عن مفهوم معاني القرآن، ومفهوم شرح مفردات ألفاظ

١- "الإيتان، جزء ٢، صفحة ٥.

٢- السيوطي، الإيتان، جزء ٢، صفحة ٥.

٣- الزركشي، بدر الدين محمد أبو عبد الله E fi ñi .

! ēñðè " ج ١، "ēñé"

٤- نحلة، أحمد محمود: "الإيتان، جزء ٢، صفحة ٥.

U ñē ١٢٤١ هـ - ١٩٩١ م، ص ١١٣-١١٩.

القرآن. فيذكر في تحديد الغريب لغة أنه يفيد " أحد معنيين أساسيين هما: البعد والغموض"^١. أما الغريب اصطلاحاً. فقد عرفه الخطابي بأنه " هو الغامض البعيد عن الفهم، والغرابية كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال"^٢.

وكذلك عرف الجرجاني الغرابية في اللفظة بأنها " كون الكلمة وحشية، غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة"^٣.

وكذلك عرف الدكتور صبحي الصالح علم غريب الحديث بأنه " يبحث عن بيان ما خفي على كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم بعد أن تطرق الفساد إلى اللسان العربي"^٤.

ويفرق الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، بين الغريب اصطلاحاً وهو: ما احتاج إلى البيان أو إلى مزيد منه من ألفاظ القرآن الكريم وغيره، وبين "الغرابية بالمعنى" لذي عدّه علماء البلاغة عيباً مخلاً بالفصاحة والبلاغة^٥ وقريباً من ذلك ما ورد في بحث للدكتور محمد كشاش بعنوان: " كتب الغريب (غريب القرآن)، (غريب الحديث)... (غريب اللغة بين حقيقة معنى الغريب وواقع التأليف)" حيث " يلاحظ أن اسم الغريب قد أطلق جزافاً على الألفاظ اللغوية في حقل من حقول المعرفة الموضوعية للشرح كالقرآن الكريم والحديث الشريف " و " أن الاسم الأدق والأصوب هو (شرح أو تفسير ألفاظ القرآن).

ويرى البعض أنّ كتاب الراغب " أشمل وأوسع وأعمق من مجال الغريب بمعناه الشائع، وهذا بحسب واقع الكتاب الناطق، وبحسب قصد كاتبه الذي نصّ عليه نصاً"^٦. و أنّ " هذه الكتب

- ١-1
- ٢- (ت ٣٨٨هـ) غريب الحديث، تحقيق إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.
- ٣- الشريف الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)
- ٤- علوم الحديث ومصطلحه، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م. ص ١١٢-١١٣.
- ٥- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ٦- مطبعة بولاق بالقاهرة، ١٢٧١هـ. #. "ðë_õì
- ٧-

[http:// www.dahsha.com/viewarticle.php?id=28448](http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=28448)

" èèèì

\hd ##kkk "hUg|f"bYh# V#hUg|föi í ñ# èèèè

تهتم بالجانب اللغوي، وتعنى بالغريب غاية العناية أكثر من أي شيء آخر في حين يجتمع عند الرّاعب اللغة العامة، ولغة القرآن خصوصاً والمصطلح أيضاً" وأنه " ينبغي التفريق بين كون المفردات متضمناً للغريب وهو ما لا يمكن إنكاره وبين كونه كتاباً في الغريب، وهما صنفان بينهما بون شاسع"^١.

وكذلك يستنتج من مقدمة الرّاعب " أنّ كتاب المفردات - في مداه الحقيقي الذي يتصوره المؤلف - أعمق وأوسع مما هو عليه الآن"^٢. انتهى النقل عن فو ضيل.

وبعد، فالخلاصة أنّ كتاب الرّاعب (مفردات ألفاظ القرآن) متميز على ما يسمى بكتب الغريب - حتى بعد التحفظ على هذه التسمية، واختيار تسمية أخرى هي شرح الألفاظ المفردة، مما يستدعي مزيداً من التدقيق في تحديد موقعه بين كتب التفسير اللغوي ولعلّ ما يتميز به هذا العمل من التحقيق في خصوصية الاستعمال القرآني للفظة يغري المرء باعتباره كتاباً في بيان خصوصية معاني مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وتحديد مصطلحاته.

ابن سيدة المرسي وكتابه المحكم والمحيط الأعظم

ترجمة ابن سيدة المرسي

أولاً: ضبط اسمه

- اختلف المترجمون في ضبط كنيته التي اشتهر بها ابن سيدة " فمن المؤرخين من جعلها (ابن سيده) بالهاء الساكنة ومنهم من جعلها منتهية بئاء التأنيث، فتكون على هذا (ابن سيدة) ممنوعة من الصرف "^٣

" ويلاحظ أنّ أحداً من المترجمين لم يضبط الاسم ضبطاً كاملاً سوى ابن خلّكان حيث قال في ضبطه: " بكسر السين المهملة، وسكون الياء...، وهو من جملة أسماء الدّنب سمي بها الرّجل "^٤ ويمكن استنتاج الشيء نفسه من أنّ الخوانساري (ت ١٣١٣هـ) قد نصّ على أنّ كنيته " ابن سيدة بصيغة التأنيث" إلا أنه لم يبين ضبط حرف الياء من الكلمة، وهل هو حرف مشدّد أم مفرد.^١

١-

٢- نفسه. وقد سبق كلام الباحثين هنا على سبيل الانتصار لقناعة برزت نتيجة هذه الدراسة لكتاب المفردات.

٣- النعيمي، عبد الكريم شديد، ابن سيدة. وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة دراسات (٣٦٨)، طبعة ١٩٨٩م.

٤- وفيات الأعيان. تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٤٨م. ١٨ / ٣

ويشير الدكتور النعيمي، إلى أن كتابة (سيدة) بالتاء المربوطة لا تعني بالضرورة كونها لفظة عربية.. وأن هذه الصيغة قد تكون تعريفا للفظ أعجمي، على أن ممن ورد ذكرهم من قادة النصارى في الأندلس الفارس القشتالي المغامر ردرجوبيبار " الملقب بالسيد الكمبادور أو السيد الكنيطور كما تسميه الرواية العربية وينص محمد عبد الله عنان^٢ على أنه " أما لقبه بالسيد ELCid فهو تحريف لكلمة " السيد" العربية وقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم، ويحارب معهم".

وتردد هذا الاسم بالصيغتين؛ التاء المربوطة، والهاء المهملة، يؤكد للمرء بأن الاسم عربي، وأنه كان شائعاً في بلاد المغرب والأندلس في ذلك الزمان، مما يدعم قول ابن خلكان في ضبط الاسم بأنه، بكسر السين المهملة وسكون الياء المخففة وفتح الدال بعدها هاء ساكنة وهو اختيار صاحب (إعجام الأعلام)^٣، علماً بأن تعقيب ابن خلكان على وصف الهاء المهملة متبوع بقوله: "وهو من جملة أسماء الذئب سمي بها الرجل" يفهم منها التاء المربوطة التي تتحول بالوقف إلى هاء.

- كما اختلفوا في تسمية والد ابن سيدة :

١. فقد ورد اسمه في نسخة من كتاب (طبقات الأمم) للقاضي صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة) "بصيغة" علي بن إسماعيل بن سيدة" وقد تبعه في هذه التسمية مؤرخون أندلسيون ومشاركة آخرون، كما ورد اسمه على هذه الصيغة في بعض الدراسات الحديثة^٤.
٢. وورد في كتاب (جنوة المقتبس) بصيغة: " علي بن أحمد بن سيدة" وهي رواية " لها نصيب من الذبوع والانتشار يضارع سابقتها، فقد أخذت بها مصادر أندلسية ومشرقية قديمة وحديثة^٥.
٣. ورد اسم ابن سيدة في كتاب بغية الملتبس للضبي بصيغة: " علي بن أحمد بن إسماعيل ابن سيده"^٦، ويرجح الدكتور عبد الكريم النعيمي أن هذه الرواية قد وقع فيها سقط؛ فيكون الصواب: (علي بن أحمد)، وقيل (إسماعيل بن سيده) أو وقع فيها زيادة (إسماعيل) من بعض النساخ^٧.
٤. أما الرواية الرابعة - وقد وقع فيها بعض الإشكال- فهي التي وردت في كتاب ياقوت الحموي، (معجم الأدباء) - ولم يأخذ بها، بل أثر عليها رواية الحميدي التي تذكر أنه علي بن أحمد- يقول

١- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. تحقيق أسد الله إسماعيليان، قم، ١٣٩٢هـ-١٩٩٥م.
 ٢- دول الطوائف منذ قيامها حتى العصر المرابطي. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
 ٣- محمود، مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
 ٤- راجع تفاصيل ذلك في: النعيمي، عبد الكريم، ابن سيدة، مرجع سابق، صفحة ١٩.
 ٥- الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٣١١.
 ٦- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩ هـ)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. باعتناء ف. كوديرا وج. ريبارا، مدريد، ١٨٨٤م، ١/ ص ٤٠٥.
 ٧- النعيمي، ابن سيدة، نفسه ص ٢١ / ٢٢.

ياقوت: " هكذا قال الحميديُّ عليّ بن أحمد، وفي كتاب ابن بشكوال علي بن إسماعيل، فاعتمدنا ما ذكره الحميدي لأنّ كتابه أشهر".

وقد أوقع وصف صاحب هذه الرواية بـ "الجياياني" بعض الباحثين في ترجمته بقدر من الوهم، ومن ذلك ما وقع في كتاب الدكتور محمد رشاد الحمزاوي^١ حيث انصرف ذهن الدكتور الحمزاوي إلى (أحمد بن محمد بن فرج الجياياني) صاحب كتاب الحدائق.

وبالرجوع إلى معجم الأدباء لياقوت تجد ياقوتا يصرّح باسم "صاعد" الجياياني، ويصفه بـ "القاضي فيقول: " وفي كتاب القاضي صاعد الجياياني: علي بن محمد في نسخة وفي نسخة علي بن إسماعيل، فاعتمدنا على ما ذكره الحميدي لأنّ كتابه أشهر " ^٢. انتهى

وهو القاضي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن، (المتوفى سنة اثنتين وستين وأربعمائة

للهجرة)، قال الزركلي في ترجمته: "التغليبي، أبو القاسم: مؤرخ، باحث، أصله من قرطبة ومولده في المريّة، ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي. من كتبه (جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم) و (صوان الحكم، في طبقات الحكماء) و (مقالات أهل الملل والنحل) و (إصلاح حركات النجوم) و (تاريخ الأندلس) و (وتاريخ الإسلام) و (طبقات الأمم) "

ويغلب على الظنّ أن كتاب (صوان الحكم)، في طبقات الحكماء للقاضي صاعد الجياياني، هو الذي قصده ياقوت في ترجمته لابن سيده. ومن الذين كان لهم السبق في التحذير من الخلط في ضبط اسم هذا العالم المستشرق الإسباني داريوكابانيلاس رود؛ حيث قال: " وبنبغي أن نلفت النظر لنتجنب الوقوع في خلط ممكن إلى بعض المترجمين الذين استقوا مادتهم من صاعد الطليطلي أوردوا اسمه على أكثر من صورة...^٣

يترجح للمرء من بين هذه الروايات أن اسم والد ابن سيده هو إسماعيل، ويساعد على ذلك من الأدلة أنّ أبا بكر محمد بن خير الإشبيلي (المتوفى سنة خمس وسبعين وخمسائة للهجرة) ذكر أنّ أبا الحسن بن سيده تلقى مختصر العين للزبيدي عن أبيه إسماعيل الذي سمعه من مؤلفه.^٤

١- المعجم العربي: إشكالات ومقاربات. إصدار وزارة الثقافة، الجمهورية التونسية، نشر المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات؛ بيت الحكمة، ١٩٩١.

٢- معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ص ١٦٤٨، ١٦٥٠.

٣- راجع تفاصيل ذلك في: كابانيلاس، داريو: ابن سيده المرسي: حياته وأثاره، ترجمة حسن الوراكلي، مدريد، ١٩٥٧م.، ص ٣٠ و الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات، تنسيق وفهرسة: د. محمود الشويحي، مصدر الكتاب: مكتبة الاسكندرية. الناشر: فرانز شتاينر بيفسبادن - ١٩٩١م.

٤- النعيمي، ابن سيده، ص ٢١، نقلا عن الإشبيلي، محمد بن خير، (ت ٥٧٥ هـ)، فهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر، تحقيق كوديرا، ط ٢، ١٩٦٣م. ص ٣٥٠.

شخصية ابن سيدة

ابتلي ابن سيدة بفقد البصر في طفولته المبكرة، بل إنه ليغلب على الظن أنه ولد فاقداً للبصر؛ حيث يذكر المترجمون له أنه "كان ضريباً، وأبوه ضريباً".

ومع ذلك فقد كان منذ نشأ عالي الهمة شديد الحافظة يروى في ترجمته عن أستاذه أبي عمر الظلمكي^١ أنه قال: "دخلت مرسية فنتشبت بي أهلها يسمعون عليّ "غريب المصنّف" فقلت لهم انظروا لي من يقرأ لكم وامسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيدة، فقرأ عليّ من أوله إلى آخره، فتعجبت من حفظه ووصفه الحميدي: ^٢ بأنه "إمام في اللغة، وفي العربية حافظٌ لهما".

وقد كان لهذا المزيج الجسماني النفساني في شخصية ابن سيدة أثر في بروز صفاتٍ أخرى، منها صفة التحدي التي مكّنه فيها ثقته بقدراته، وثناء الناس عليها، واختيارهم له في بعض المواقف التي لا يكاد غيره يسدُّ مكانه، وكذلك ما عُرف عن كثير ممن أصيبوا ببلوى فقد البصر من التبرُّم بالحال، وضعف الثقة حتى بأقرب المخالطين والحساسة الزائدة للنقد، والصلابة في الخصومة والحدة في الانتقاد.

على أن بيئة الأندلس نفسها كانت من الناحية العرقية، ومن نواح ترجع إلى فروقات اجتماعية واقتصادية وسياسية معقدة كانت أشدّ ما تكون خطراً ونفاعلاً في عهد ملوك الطوائف، هذه البيئة بحدّ ذاتها شكلت مزاج الأندلسيين بحيث يصفهم المؤرخون بأنهم يتميزون على سائر أهل القرون بأنهم "لا يسكتون على أذى، ولا يصبرون على ما لا يرضون وقتاً طويلاً... وفي كل هيئة أو جماعةٍ حرفيّةٍ نجد رؤساء يتحدّثون ويفقدون، ومن هنا كان التحدي للحكم مستمراً وكان نقد أعمال الحكام وتتبعها والتشهير بهم يتردد في كلّ مكان"^٣.

١- هو "الإمام المقرئ المحقق الحافظ الاثري، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الظلمكي، وكان من بحور العلم، وأول سماعه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، حدّث عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي، وأبي بكر الزبيدي... وخلق كثير، وحدّث عنه: أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وعبد الله بن سهل المقرئ. أدخل إلى الأندلس علماً جماً نافعاً، وكان عجباً في حفظ علوم القرآن: قراءاته، ولغته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، ومعانيه، صنف كتباً كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر.

قال أبو عمر الداني: "أخذ القراءة عن الأنطاكي، وابن غلبون، ومحمد بن الحسين النعمان. قال: وكان فاضلاً ضابطاً شديداً في السنّة. توفي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة، قلت (الذهبي): عاش تسعين عاماً سوى أشهر... عن سير أعلام النبلاء للذهبي، جزء ١٧، ص ٥٦٧ - ٥٦٩، ولترجمة بقيقة، خلاصتها انه اتهم بالحرورية، وبُريء منها وان له كتاباً في السنّة وصفه الذهبي بان عامته جيد، وألف كتاباً في الرد على الباطنية".

٢- جدوة المقتبس، تحقيق إبراهيم الأبياري القسم الثاني، دار الكتاب اللبناني، ط ١٩٨٣م، ص ٤٩٥.

٣- مؤنس، حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١٩٩٧م، جزء ١، ص ٩٨.

كان هذا إذن حال كل جماعة حرفية، فكيف إذا كانت المجموعة الحرفية حرفتها النقد ذاته؟! وكيف إذا كانت تتنافس على مواقع مقربة في بلاطات أمراء لا تهدأ رؤوسهم ولا تفرغ من هواجس المؤامرات؟! وسنجد لهذه الشدة في النقد أثراً في نقد ابن سيده للعلماء، الذي يصل إلى حد التجريح - مع أن بعضهم فصلت بينه وبينهم بلدان وقرون -!

والغريب أنه يخاطب قارئ المحكم على الإطلاق متوجساً منه الحسد: " وخطابي لك خداء بك إليه، فرّد بدائع زهره، وردّ مشارع نهره وتمشّى في بساتينه، وقلب طرفك في تهاويل رياحينه، ومِلْ إليه عينا وأدنا تأنّق به نعمة وحسناً، ولا يرميك الحسد بما يُكمدّ منه الروح والجسد، فإنه لا راحة لحسود، ولا نعمة دائمة لكنود".

ثقافة ابن سيده

كان لابن سيده تضلّع في علوم اللغة والنحو والصرف والأدب والمنطق وأيام العرب، وكان له علم بالقراءات ويؤكد ياقوت أنه "يتبين من المحكم أن صاحبه كان على جانب كبير من العلم بالقراءات. ولعله أخذ علمه بها من إقامته بمدينة دانية التي اشتهرت بأن أهلها أقرأ أهل الأندلس...".^١ ومن أبرز مصادر ثقافته ما يذكره هو عن نفسه في مقدمة المحكم -مثلاً-؛ حيث يقول: "وذلك أني أجد علم اللغة أقلّ بضاعتي وأيسر صناعتني، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفيّ القافية وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من العروض وخفيّ القافية وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من الإخبار بها نبوء طبايع أهل الوقت، وما هم عليه من رداءة الأوضاع والمقت".^٢

ومن مصادر التعرف على ثقافة ابن سيده، تلك الأرجوزة التي عثر عليها الأستاذ حبيب زيات في دمشق، ضمن مجلد مخطوط يتألف من ثلاث وثلاثين ورقة ويذكر أن وصفا لهذه الأرجوزة ورد في فهرست ابن خبير الإشبيلي المتوفى سنة (المتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمسائة للهجرة)^٣. ولعلّ من المناسب ذكر الأبيات دون كبير تعليق لوضوحها، وللحاجة للاختصار يقول في أرجوزته:

قرأت بالوحي وسني أربع وقبل ستّ تمّ عندي أجمع
حتى إذا حُلّيتُ بالتنزيل نظرتُ في حقائق التأويل

١- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دانية، مرجع سابق.

٢- المحكم، طبعة دار الكتب العلمية، مقدمة المؤلف، صفحة ٤٩.

٣- راجع تفاصيل الكلام عن هذه الأرجوزة في كتاب المستشرق داريو كابانيلاس: ابن سيده المرسي، حياته وأثاره، مرجع سابق، ص ٣١.

ولم أدع لعالم تحبيراً	إلا وقد ظلتُ بها خبيراً
فلا ابن عباس أضعت وضعه	ولا ابن سلام تركت جمعه
ولا كتابُ ابن حُميدٍ عبدٍ	إلا أدخرتُ كلَّ [ذاك] عندي ^١
حتى إذا استضلعت بالحجاج	قرأت كتب كلِّ حَبْرٍ ناج
كُتبَ أبي إسحاق ذي المعاني	أوضح به لمُشكِلِ القرآن ^٢

ثم يتحدث عن دراسته للحديث النبوي الشريف، فيذكر الفضل في كل ما يحمله من سند إلى الفقيه أحمد الطلمنكي^٣، يقول:

وكلُّ ما أحمله من سند	عن الفقيه الطلمنكي أحمد
ثم قرأت كتب الموطأ	عليه دون كسل مستبطاً
ثمت أشبعت من البخاري	رواية، فتمَّ لي فخاري

ثم يذكر بعد ذلك أنه قرأ كتاب سيبويه على شيخ سماه (أبو عثمان، نافع) وهو " سعيد بن محمد الهذلي القرطبي، من أهل مالقة، ونافع لقب له لكثرة قراءته بحرف نافع من رواية ورش وقالون، وهو نحويٌّ أيضاً أخذ كتاب الجُمَل عن شيخه أبي الحسن الأنطاكي وعن نافع هذا قرأ ابن سيدة كتاب سيبويه"^٤، والراجح أن ذلك كان " حين أقام أبو عثمان في دانية؛ إذ لم يعرف عن أبي عثمان انتقاله إلى مرسية لينتقي ابن سيدة هناك"^٥.

ثم يذكر ابن سيدة أنه فاوَه (أبا العلاء) - يعني صاعداً البغدادي- في كتب الأسماء والصفات وأنه بعد ذلك روى عليه الغريب المصنف، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وبعدها ترقى على يديه إلى رواية تهذيب الألفاظ لابن السكيت أيضاً وكتاب المجاز، (لعله مجاز القرآن لأبي عبيدة). ثم يقول:

ثم قرأت كتب الرماني	والفارسيّ وابنه عثمان
اعني ابن جني فإنه ابن له	وإن كان أباه الحسن

١- في الأصل- كما نقلها كابانيلاس- ذلك ولا يستقيم الوزن إلا بحذف اللام.
٢- انصرف ذهن المستشرق كابانيلاس في ترجمة ابن سيدة إلى أن المقصود أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، والصواب كما يدل عليه وصف ذو (المعاني)، الذي يوضح به مشكل القرآن هو الزجاج- صاحب (المعاني)- الذي استوعب تفسيره في كتاب المحكم واستقل عنه في مواقع تجتهد هذه الدراسة أن تعنتي بها.
٣- سبقت ترجمته في حواشي الحديث عن ابن سيدة.
٤- الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، الحضارة العربية "ابن سيدة"، ١٩٩٩م و النعيمي، عبد الكريم، ابن سيدة، مرجع سابق ص ٤٥، ٥٥، وترجمته في: الذيل والتكملة: ابن عبد الملك المراكشي تحقيق إحسان عباس ٤ / ٤٤، السيوطي، بغية الوعاة ١ / ٥٨٩. ابن بشكوال، الصلة ١ / ٢١٢، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء. مكتبة المنتبي، القاهرة، ١٩٣٣م ١ / ٣٠٦.
٥- النعيمي، عبد الكريم، ابن سيدة، صفحة ٥٦.

ثم تأملتُ حدود المنطق

ومن يرُم حقيقةً فلينطق

شيوخ ابن سيده

- ويظهر من هذه الأرجوزة أن شيوخه الذين أخذ عنهم أربعة؛ هم:
١. والده إسماعيل ابن سيده "لقي أبا بكر الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين، وقد عدّه المؤرخون من النحاة، وقال إنه من أهل المعرفة والذكاء، وكانت وفاته في مرسية بُعيد الأربعمئة".^١
 ٢. أبو العلاء صاعد البغدادي: ذكره ياقوت في معجم الأدباء، قال: "صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي، الموصلية الأصل البغدادي اللغوي الأديب أبو العلاء^٢، خرج أبو العلاء في أيام الفتنة من الأندلس، وقصد صقلية، فمات بها في سنة سبع عشرة وأربعمئة عن سنٍّ عالية".^٣
 ٣. أبو عثمان سعيد بن محمد الهذلي القرطبي (ت ٤٢١ هـ) بدانية^٤.
 ٤. أبو عمر الطلمنكي؛ أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري.^٥

تلاميذ ابن سيده

لم تعتمد كتب التراجم في حديثها عن ابن سيده إلى ذكر تلاميذ لابن سيده على أن بعض الأسماء وردت بطريق غير مباشر في تراجم بعض نحويي الأندلس ولغوييها، وقد جمع الدكتور النعيمي أسماء ثمانية أبرزهم الفقيه أبو سليمان علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. دُكر في فهرست ابن خير الإشبيلي.

عصر ابن سيده

الأحوال السياسية- ملوك الطوائف

- ١- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري (ت ٥٧٨ هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م، ج ١، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٥٠ والإشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٣٥٠ و ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة مصر، ١٣٥١ هـ-١٩٣٢ م. و النعيمي: ابن سيده، مرجع سابق، صفحة ٥١.
- ٢- ياقوت الحموي معجم الأدباء، مرجع سابق، ترجمة ٥٩٤، صفحة ١٤٤١.
- ٣- ابن بسام، أبو الحسن علي التغلي (ت ٥٤٢ هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، طبعة ٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩ م، قسم ٤، مجلد ١، صفحة ٢٦.
- ٤- سبقت ترجمته، وراجع النعيمي، صفحة ٥٦.
- ٥- سبقت ترجمته، وراجع النعيمي، صفحة ٥٦ / ٥٧.

يستنبط من ترجمة ابن سيدة أن مولده اقترن بنهاية حكم أسرة المنصور بن أبي عامر، وأن نشأته وبقية مراحل حياته كانت في ظلّ الفتيان العامريين، موالي المنصور بن أبي عامر من الصقالبة الذين احتفظوا لأنفسهم ببعض الولايات في الساحل الشرقي بالأندلس بعد سقوط الدولة الأموية فيها. وهم فتيان من أصول سلافية وألمانية تربوا في رعاية المنصور بن أبي عامر ذي الشخصية الفذة التي شقت طريقها إلى أعلى مناصب الدولة كحاجب للخليفة الحكم، ووصي على عرش ابنه الخليفة هشام، وقد استطاع بحنكته أن يحافظ على الأندلس قوية موحدة طيلة قرابة ثلاثة عقود حيث توفي في ٢٧ رمضان سنة ٣٩٢هـ.

دولة مجاهد العامري و ابنه إقبال الدولة في دانية

" لما وقعت الفتنة، وانتهت الدولة العامرية في جمادي الآخرة سنة ٣٩٩هـ ومقتل عبد الرحمن بن المنصور، غادر معظم الفتيان الصقالبة قرطبة... وقصدوا إلى شرق الأندلس، حيث كانت الأحوال أهدأ، وجوّ العمل والمغامرة أكثر انفساحاً " ^١ وكان من بين هؤلاء الفتيان مجاهد العامري، ومجاهد العامريّ هذا، وابنه إقبال الدولة هما أكثر ملوك الطوائف تعلقاً بترجمة ابن سيدة والكلام عن مؤلفاته، قال فيه ابن حيان: " كان مجاهد فتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره لمشاركته في علم اللسان ونفوذه في علم القرآن، عني بذلك في صباه وابتداء حاله إلى حين اكتهاله... حتى صار في المعرفة نسيج وحده، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة " ^٢. وقد كانت الصبغة العلمية هي الغالبة على بلاط مجاهد العامري، فاجتمع لديه من العلماء أبو عمرو الداني المقرئ، وابن عبد البرّ وابن معمر اللغوي وابن سيدة، فشاع العلم في حضرته " ^٣.

ويذكر أنّ مجاهداً كان يهتم اهتماماً خاصاً بنشر علم القراءات وتشجيع المقرئين واستجلابهم من الآفاق، حتى صارت دانية معدن القراءات بالغرب... وكان معنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافراً. وقد مكث الإمام أبو عمرو الداني في دانية ما بين سنة ٤١٧هـ إلى وفاته سنة ٤٤٤هـ وفيها ألف الكثير من الكتب أصبحت من أميز الكتب في القراءات والتجويد

١- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٥٩.

٢- ابن بسام، الذخيرة، القسم الثالث

٣- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر، عمّان، الأردن، ١٩٩٧م. ١ / ٧٢، ٧٣.

والرسم والضبط وعدّ الآي، ولما توفي حضر جنازته الأمير إقبال الدولة ومشى أمام نعشه. وهذا كله يشير إلى لقاء ابن سيدة به وغلبة الاحتمال أنه أخذ عنه.

ويذكر في ترجمة إقبال الدولة أنه سار على سيرة أبيه في الفضل ومحبة العلماء وتقريبهم واستجلابهم من الأفاق كما يقول عنه المراكشي في المعجم " لا أعلم في المتغلبين على جهات الأندلس أصون منه نفساً ولا أظهرَ عرضاً ولا أنقى ساحة، كان لا يشرب الخمر، ولا يقرب من يشربها، وكان مؤثراً للعلوم الشرعية مكرماً لأهلها" ^١

وكان مجاهد قبل افتداء علي (وهو إقبال الدولة) من أسر وقع فيه " قد اختار لولاية عهده ولده الأصغر حسناً الملقب بسعد الدولة، ولكنه عدل عن هذا الاختيار لما أنسه في ولده الأكبر من مخايل الشجاعة والذكاء والعزم، فقدمه على أخيه الأصغر، وعينه لولاية العهد، وعهد إليه بقيادة الجيش، وكان لذلك فيما بعد أثره في توتر العلاقة بين الأخوين التي اتسمت بملايسات لا بدّ أنها أشعلت فتناً وأحدثت انقساماً في صفوف العاملين في البلاط أو المقربين منه-ومنهم ابن سيدة... " ^٢

محنة ابن سيدة

في هذا الخضم من الأحداث يتحدث المترجمون لحياة ابن سيدة، عن جفوة أو نبوة وقعت بينه وبين إقبال الدولة بن مجاهد ومن أوائل من تحدث عنها الحميدي ^٣ قال: " كان منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، ثم حدثت نبوة بعد وفاته، في أيام إقبال الدولة بن الموفق خافه فيها فهرب إلى بعض الأعمال المجاورة لأعماله، وبقي بها مدة، ثم استعطفه بقصيدة ورد فيها:

ألا هلّ إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيلٌ فإنّ الأمن في ذاك واليمنى
تحيقني دهري وأقبلتُ شاكياً إليك أمأذونٌ لعبدك أم يُثنى

قال الحميدي: " وهي طويلة، ووقع عنه الرضا بوصولها ومات بعد خروجي من الأندلس قريباً من سنة ستين وأربعمائة."

وذكر هذه النبوة من المترجمين القدماء الفتح بن خاقان ^٤ حيث يقول في ذكر ابن سيدة: " ولما

١- كوري، أحمد، مقال: حكام يشجعون القراءات، ٣ - ٤: الموفق مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة،

استرجع في السابع عشر من آب ٢٠١١ من الموقع. <http://www.tafsir.net/vb/tafsir21051/>

٢- محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

٣- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م. صفحة ٣١١ - ٣١٢.

٤- في مطمح الأنفس ط القسطنطينية، ١٣٠٢هـ، صفحة ٦٠.

مات الموفق رائش جناحه، ومنبت عُمره، وأوضحه^١ خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروه بعض من كان حوله للطلب كحيات مسورة، ففرّ إلى بعض الأعمال المجاورة وكتب إليه مستعظفاً".
والذي ينفحص ما ورد في الترحمتين، لا يجد تحديداً كافياً للوقت الذي فرّ فيه ابن سيدة من بلاط إقبال الدولة فتوقيتها بـ (لما مات مجاهد العامري) أو (بعد) وفاته ليس فيها تحديداً كافياً.

والدلالات في القصيدة تتناقض في ظاهرها، ولكنها تنبئ عن شيء من التحديد؛ فقوله:

دم كوتته مكر ماتك والذي يكون لا عتب عليه إذا أفنى

لا يمكن إلا أن يحمل على محمل المجاملة، حيث ينسفه ذلك البيت المبطن الذي يأتي بعده بأبيات:

وما لي من دهري حياةً أذها فيعتدّها نعيّ عليّ وبمنا

وهو إن لم يدل على إنكار معروف- وخاصة أنه وارد في قصيدة استعطاف، فيدل حتماً على قصر مدة وجوده في القصر بعد تسلّم اقبال الدولة لعرش مملكته. مما يدل على أنّ نية ابن سيدة كانت مبيته للفرار لأمر خطير عارض، أو أمر سابق ذكر به هذا الأمر العارض. والأمر العارض المرشح لهذا الاعتبار هو محاولة اغتيال تعرض لها اقبال الدولة بتدبير من أخيه وصهره - لا على اعتبار أن ابن سيدة كان مشاركاً في خطته أو (في تنفيذه!) - ولكن على أنّ من يتعرض لمثل هذا الحادث، من الطبيعي أن يتخلص من كل من له تعاطف مع خصمه الشارع في قتله، خاصة إذا كان هذا الغادر أخاً شقيقاً أو ابن أب! ولو تفحص المحلل لهذه النبوة بيتاً آخر من قصيدة ابن سيدة هو الثاني مما ذكره الحميدي في (مطمح الأنفس)، وهو قوله:

وهل هي إلا ساعة ثم بعدها ستقرع ما عمّرت من ندم سنا

فالمسألة مسألة سوء ظنّ، والفارق بين المعقود عليه قلب الملك من الظنّ، وبين واقع الحال كما يصوّره ابن سيدة بكبريائه المنتحر لا يمكن أن يعبر عنها بهذه الصورة لو لم تتعلق - من أصلها - بمسألة حياة أو موت. أما أن يكون سبب النّعمة رسالة بعثها إقبال الدولة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ووزيره اليازوري، فهو أمر مستبعد - على وجاهته لسببين - على الأقل :-

١. أنّ القصة وقعت، على الراجح - مما يفهم من الألفاظ الواصفة لزمان الوقوع- في أوائل عهد

إقبال الدولة، عام ٤٣٦ هـ وأنّ قصة الرسالتين وقعت في عام يسميه المؤرخون عام الجوع

الكبير، الذي وقع بحسب الاشبيلي^١ سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

١- والعرة - فيما يذكر المعجم الوسيط مما يناسب السياق شحم السنام، واستخدامه مناسب للمجاز المستخدم قبله " رائش جناحه، والأوضح جمع الوضع وهو البرص وقد استخدمت هنا مجازاً مقصوداً بها التعم لما يتصوّر فيها من معنى البياض. وقد توهم الأستاذ الحمزاوي أن اللفظ مصحّف عن (غرر) والصواب هذا.

٢. أن النقد الوارد ذكره في قصة الرسالتين كان منصباً على مسائل لغوية، وليست سياسية، وأنها تمس مهنية الكاتب، وإن صدرت باسم إقبال الدولة، فالنقمة بسبب إنتقادها لا يعقل أن تصل إلى حدّ القتل".

فلم يبق إلا احتمال يتعلق بلسان ابن سيده - بلسانه فقط - ولكن في مسألة خطيرة يغلب على الظن أنها متعلقة بولاية العهد، وميل ابن سيده إلى الأمير الحسن بن مجاهد الذي تولى المؤامرة. وأن وقوع المؤامرة نكأ جراحاً سببها الكلمات، عادة ما يلجأ معها إلى عقاب على هذا المستوى من القسوة، ولكنه كثيراً ما ينتهي إلى الصفح إذا كان الخصم ضعيفاً مهالكا على رضى البلاط

الأحوال الثقافية والعلمية في عصر ابن سيده

يتسم القرن الرابع الهجريّ وبدايات القرن الخامس في الأندلس بما اتسم به في المشرق من كونه العصر الذهبي للثقافة والعلوم في تاريخ الأمة، وكما احتار المؤرخون للثقافة والأدب في المشرق في تميّز آداب هذه الفترة وعلومها وتفتق إبداعاتها وامتداد جذورها في تراث الأمة وأريجها وثمارها فيما تأخر عن عصرها من الزمان. فإن حيرتهم في ثقافة الأندلس وآدابها في القرن نفسه كانت أكبر بسبب تلك الفجوة بين تردّي الأحوال السياسية وازدهار الأحوال الثقافية وهو أمرٌ ليس له من تعليل يقبله العقل سوى أنّه طاقات موروثه نهضت بها همم الأوائل المستمدة من عقيدة التوحيد ظلت كامنة متجددة في الأمة - تقاوم نوازع الإطفاء أو الانطفاء- وبخاصة في القرن الذي هو أقرب إلى خير القرون. ومما يؤكد ذلك تلك العلاقة المتواصلة بين الشرق والأندلس التي ظلت محلّ فخر لدى الأندلسيين إلى أواخر عهد العرب بالأندلس، ولم يطفئها تطلع الأندلسيين في بعض فنونهم الأدبية إلى التميّز، بل مازجها امتزاج مقارنة ومناظرة مشدودة بالحنين إلى الأصل. " وهذا ابن حزم رغم تطاول الأزمان، وتمكن الاستقرار تبدو عاطفته نحو المشرق مستعرة قوية لم تنطفئ جذوة الحنين فيها " ممزوجة بشيء من الفخر وحبّ التميّز الذي لا يخلو منه مبدع يقول:

أنا الشمس في جوّ العلوم منيرة	ولكنّ عيبي أن مطلعني الغرب
ولو أنني من جانب الشمس طالع	لجدّ على ما ضاع من ذكري التّهب
ولي نحو أكناف العراق صباية	ولا غرو أن يستوحش الكلف الصبّ

١- ابن عبد الملك، محمد بن محمد المراكشي (ت٧٠٣هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ترجمة رقم ٧٢، ٥/٣٢، ٣٣. وابن الزبير، أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨هـ)، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، وسعيد أعراب، المغرب، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٣ ترجمة ٤٠٠، ص ٢٣٦.

وبالرغم من حرص حكام الممالك الشمالية الإسبان على معاملة العرب بطريقة مذلّة تهدف إلى تصفية وجودهم في الأندلس. إلا أنّ التاريخ يحدثنا عن قدر كبير من الإعجاب بحضارة الإسلام عند ملوك أوروبا.

ولقد بلغت درجة اندماج النصارى واليهود من سكان الأندلس والوافدين عليها بالثقافة العربية الإسلامية من مثقفي أوروبا مبلغاً أقلق المطران المتعصب (ألفاريو القرطبي) فتساءل مؤثماً أبناء طائفته: "من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين بديننا على دراسة الكتب المقدّسة، أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها ممن كتبوا في اللغة اللاتينية؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرّسل؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبّاً باللغة العربية، يبحثون عن كتبها ويقتنونها ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها، ويتحدّثون بها في طلاقة ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة. يا للحنن! مسيحيون يجهلون كتبهم وقانونهم ولا تينيّتهم، وينسون لغتهم نفسها؛ لأنّ الفصاحة العربية تسكرهم، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلماً عليه، وتستطيع أن تجد جمعاً لا يحصى يظهر تفوّقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية"^١

ولا يستطيع المرء أن يتكلم عن الحركة العلمية والأدبية في عصر الطوائف دون التنويه بالأساس المتين، و المنبع الثرّ الذي قامت عليه. وهو جهود الخليفة الحكم المستنصر الذي يوصف بأنه "كان بحراً زاخراً في الأدب، والتاريخ، وعالمًا كبيراً بالعلوم الدنيوية مشجعاً على دراستها مؤيداً للرأي الحرّ والتفكير الفلسفي.. وكان عالماً فقيهاً بالمذهب، إماماً في معرفة الأنساب، حافظاً للتاريخ، جامعاً للكتب، مميّزاً للرجال من كلّ عالم وجيل، وفي كل مصر وأوان". وأنه " نشر العلم في أمته حتى قلّ فيها الأميون، وكانت جامعة قرطبة في أيامه أعظم جامعات الأرض، تقرأ فيها العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والكيمائية، ويحتشد بين عقودها أكبر الأساتذة، وأنه نشر المكاتب في أنحاء قرطبة لتعليم الفقراء... وبلغ الاهتمام بدور الكتب في عهده مستوى ظل يباهي دور الكتب على مرّ الأيام بمحتوياته، وتنظيمه وخدماته، وقد كتب في وصف هذه المكتبة الكثير من المقالات"^٢

١- زغروت، أحمد إبراهيم، مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ١٧، صفحة ٣٣٥ - ٣٥٠.

٢- من ذلك: زغروت، أحمد إبراهيم، مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها في شعوب غرب أوروبا، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ١٧، ١٤٠٦هـ، ص ٢٣٥ - ٣٥٠.

وكذلك كان حاجبه، والحاكم الفعلي من بعده المنصور بن أبي عامر؛ فبالرغم من امتلاء وقته بأعباء القيادة السياسية والاقتصادية والعسكرية للبلاد، فإنه كان له أوقات يختلي فيها في مكتبته لدراسة الفقه والنحو، ومذاكرة مختلف العلوم.

وكذلك يوصف بأنه كان مفرطاً في إكرام العلماء والأدباء والشعراء، وكان يجتمع معهم في قاعة أعدها لذلك في قصر العامرية كل أسبوع للمناظرة.

ثم تولى ملوك الطوائف مهمة الإشراف على الحركة العلمية والثقافية والأدبية- كل في بلده- في أجواء من المنافسة تجلبت فيها فروسية العلم والأدب في أشخاص الملوك والوزراء وإن انحسرت في ساحة الجهاد فروسية السيف! والحديث عن تفاصيل ذلك يطول، وخلاصة القول فيه أن بلاط كل ملك من ملوك الطوائف لم يخل من علماء وأدباء ذوي شهرة تاريخية ظلت الأجيال تتربى عليها إلى وقتنا الحاضر.

آثار ابن سيده

يستنتج الدارس لترجمة أبي الحسن بن سيده أن اشتغاله بالعلم كان منصباً على التأليف أكثر من التدريس، ولعل في ما عرف عنه من صفات في شخصيته- عدا كونه ضريباً- ما يساعد على هذا الاستنتاج، فالذي يبدو من مقدمات مؤلفاته أنه كان شديد التبرم بالناس، ضعيف الثقة بهم، بل وحتى بأفهامهم. وأنه يرى نفسه- كما ذكر في مقدمة كتابه بأنه كان كمن يطيف الأنوار بالعميان!...^١

والذي يأخذ من أبناء وطنه وزمانه ذلك الموقف، وينشغل بمهام على هذا المستوى من الدقة والاستيعاب والتنوع والكثرة جدير بأن يقل اشتغاله بالتدريس. فكان ذلك سبباً في تفرغه للتأليف، فكان هذا الإنتاج الغزير الوفير، وبيان ذلك أن ابن سيده ألف عدداً كبيراً من الكتب في اللغة والنحو، والشروحات اللغوية والأدبية والدراسات في علم المنطق، وأن بعض هذه الكتب وصل إلينا باسمه ورسمه وبعضها وصل إلينا اسمه سالم النسبة ولم يصلنا رسمه، وبعضها اختلف في نسبه واسمه، ولم يصل رسمه، وبعضها إنما أضافه إلى القائمة وهم المحققين، وتفصيل ذلك على الترتيب الآتي:

كتب وصلت إلينا سالمة الرسم وثيقة النسبة إلى المؤلف؛ وهي:

١. المخصص، وهو معجم اعتمد المؤلف في تأليفه منهج معاجم المعاني، حيث قسم معجمه إلى عشرين كتاباً، يتناول في كل كتاب موضوعاً من الموضوعات، يجمع حوله المادة اللغوية المتعلقة به.^١

١- فاخر، أمين محمد، دراسات في المعاجم العربية، مطبعة حسان، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢. كتاب المحكم والمحيط الأعظم، وهو جزء من مجال دراستنا هذه التي تعنى بالمقارنة المنهجية بين ما اشتمل عليه من أقوال ابن سيدة في التفسير وما اشتمل عليه كتاب معاني القرآن للزجاج، وكتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب.
٣. شرح المشكل من شعر أبيات المتنبي.
٤. العويص في شرح إصلاح المنطق، الذي يترجم " أن ما ورد عند بعض المؤرخين وكتّاب التراجم باسم (شرح إصلاح المنطق) هو كتاب (العويص في شرح إصلاح المنطق) وهذا الكتاب لم يصل إلى هذا العصر كاملاً، غير أن أربعة عشر نصاً منه وصلت إلينا عن طريق أبي جعفر اللبلي في كتابه (بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال) ٢ .
- ومما صحت نسبته ولم يصل رسمه:
٥. الوافي في علم أحكام القوافي، وقد أشار إليه في المحكم وهذا الكتاب من آثار ابن سيدة المفقودة.
٦. الأنيق في شرح الحماسة في خمسة عشرة أسفار وفي ستة مجلدات ٣ .
٧. شرح أبيات الجمل للزجاجي، ثبتت نسبته إلى ابن سيدة من خلال ما ورد في عدة مصادر أندلسية. ٤
٨. شاذ اللغة، ذكره بهذا الاسم ياقوت في معجم الأدباء وذكر أنه في خمسة مجلدات، وذكره الحافظ الذهبي في أعلام النبلاء باسم شواذ اللغة في نسخة، وشوارد اللغة في نسخة. " ولعل التسمية الثانية تكون تصحيف للأولى، والكتاب من آثار ابن سيدة المفقودة".
٩. الإيضاح والإفصاح في شرح كتاب سيبويه ونسبته ثابتة لابن سيدة لورود اسمه في المحكم والراجح انه لم يستوف كتاب سيبويه ولكن شرح صدره فقط. ٥
١٠. تقريب غريب المصنف، ذكره أبو جعفر اللبلي كمصدر رجع إليه في تأليف كتابه (تحفة المجد الصريح).

١- راجع في وصف منهج المخصص، النعيمي، ابن سيدة، مرجع سابق، ص ٨٥-١٣٧ الربيعي، أحمد فرج ، مناهج معجمات المعاني، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠١م، دايو كابانيلاس، ابن سيدة المرسي: ، مرجع سابق، ص١٢٧ .

٢- النعيمي، مرجع سابق، صفحة ٦٨، وفيه وصف لمنهج الكتاب من خلال ما اجتمع من النصوص.

٣- ياقوت الحموي، معجم الأدباء: مرجع سابق، ، ١٢ / ٢٣٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ، ١٢ / ٩٥ .

٤- البطلوسي، عبد الله بن محمد (ت ٥٢١هـ)، المسائل والأجوبة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٤م. ٢ / ٦٧٩ وفهرست ابن خير الأشيبلي، ص ٣٥٦، ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق: محمد الأحمد أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ، بدون تاريخ. ، وخزانة الأدب للبغداد ٣ / ١٩١ .

٥- النعيمي، ابن سيدة، مرجع سابق، صفحة ٧٥ / ٧٦ .

١١. ولابن سيدة كتاب في المنطق لم يسمّه أحد من المترجمين، على أنّ صاعداً البغدادي ذكر أنه سلك فيه مذهب متى بن يونس^١.

ومما وصل رسمه متأخراً:

١٢. أرجوزة ابن سيدة (ما اسمك يا أبا العرب) وهي أرجوزة تعليمية، غرضها التعريف بمسيرته العلمية والشيوخ الذين درس عليهم والكتب والمباحث التي أتقنها، وعلاقته بأبناء زمانه، ذكرها ابن خير الأشبيلي في فهرست شيوخه، وكان الفضل في نشرها في العصر الحديث للباحث حبيب الزيات في مجلة المشرق^٢.

كتب نسبت لابن سيدة خطأ والصواب أنها لأحمد بن أبان بن السيد وهي:

١. في اللغة "وهو مرتب على الأجناس، بدأ بالفلك، وختم بالذرة" ولعلّ شبه فكرته بكتاب المخصص لابن سيدة كان كتاب العالم سبب الخلط بين الكتابين؛ حيث أطلق اسم (المخصص) عند البعض على (العالم) وأطلق اسم (ابن سيدة) بدل ابن السيد^٣.
٢. كتاب (العالم والمتعلم). شرح كتاب الأخفش، وقد وقع ياقوت في تناقض في نسبة هذه الكتب، نبه إليه ابن قاضي شهبة^٤.

أما ما أضيف إلى قائمة مؤلفاته وهما من المترجمين لسيرته فهي:

- كتاب (التذكير والتأنيث) وكتاب (المقصود والممدود) فالصواب أنهما على الأرجح البابان من كتاب المخصص اللذان يحملان هذا الاسم وليس كتابين منفصلين وهذا ما نبه إليه الدكتور النعيمي^٥.
- وممن وقع بهذا الوهم المستشرق كابانيلاس^٦ ومحققا (المحكم) د. مصطفى السقا، د. حسين نصار^٧.
- تعريف بكتاب المحكم**

يعدّ كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) الثاني لابن سيدة، والثالث في الأندلس، والخامس والأخير من المعاجم الكبرى التي التزمت طريقة الخليل^٨.

١- صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، مطبعة محمد محمد مطر، الإسكندرية، مصر، بدون تاريخ، صفحة ٨٨.

٢- المرجع السابق، صفحة ٧٨.

٣- المرجع السابق، صفحة ٨٠.

٤- الزبيدي، محمد بن الحسن الأشبيلي (ت ٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣م، وعنه المرجع السابق صفحة ٨١.

٥- مرجع سابق، صفحة ٨١، ٨٢.

٦- ابن سيدة حياته وأثاره، مرجع سابق، صفحة ٧١.

٧- انظر مقدمة المحققين، صفحة ٨.

وقد ذكر المؤلف في مقدّمته أنّه دوّنه إطاعةً لأمر الموفق، مجاهد العامري؛ أمير دانية، الذي عاقه عن التصنيف ما نيط به من علائق السياسة وأعباء الرئاسة، فالتمس من يؤهل لذلك... فوجد منهم فضلاء أحياناً، ونبلاء أحياناً، ولكني رأيت أطولهم يداً، وأبعدهم مدىً؛ فأمرني بالتأليف^٢ " منهجه العام: " ورغم ظهور (المجمل) لابن فارس الذي سار فيه على الأبجدية العادية -إلى حد ما- تاركاً الأبجدية الصوتية ونظام التقليلات، فإننا نجد ابن سيده قد التزم طريقة سلفيه في المغرب؛ القالي والزيدي، ولم يعدل إلى الأبجدية العادية؛ باعتبار ترتيب الخليل أليق بالتأليف لمن هم بمستوى التضلع باللغة"^٣.

اتبع ابن سيده في ترتيب معجمه ترتيب الحروف على المخارج الصوتية، كما ابتكره الخليل في معجم العين، مع اختلاف يسير في جزئيات الترتيب؛ فقد رتب الخليل الحروف على النحو الآتي: ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي / الهمزة. وقد استفاد ابن سيده من خبرات العلماء من بعد الخليل -ممن اتبع ترتيبه- وما أجروه من تعديلات؛ فبعد أن قسم معجمه إلى كتب وفق حروف الخليل قسم كل كتاب إلى الأبواب الآتية: الثنائي المضاعف الصحيح، ثم الثلاثي الصحيح، ثم الثنائي المضعف المعتل، ثم الثلاثي المعتل، ثم الثلاثي اللفيف، ثم الرباعي، ثم الخماسي، متبعا أسلوب الزيدي في (مختصر العين) ثم زاد عليه باباً ذكره في مواضع قليلة نادرة، دعاه مرّة السداسي، وأخرى الملحق بالسداسي.^٤

وكذلك خالف (المحكم) نظام الخليل بتعامله مع الألف الممدودة على أساس أنها منقلبة عن الواو أو الياء - وهو تجديد كان شائعاً في عصره -. ومما تميز به هذا الكتاب، جمع الأقوال في تفسير اللفظ الواحد ومن أمثلة ذلك: " الحقل: مراحٌ طيبٌ يزرع فيه، والحقل: الزرع إذا استجمع خروج نباته، وقيل هو إذا ظهر ورقه واخضر، وقيل هو إذا كثر ورقه من قبل أن تغلظ سوقه^٥. ومما تميز به منهجه: حذف بعض الأمور -إختصاراً؛ كالمشتقات القياسية؛ لاطرادها، والتنبيه على أمور؛ كالتنبيه على الشاذ، أو التنبيه على صيغة مفعول لا فعل له؛ نحو مُدرهم، ومفئود... والتمييز بين الأمور المتشابهة؛ مثل تمييز أسماء الجموع من الجموع والتمييز بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي - وهو نوع من تخفيف الهمز -؛ فمثال الأول: أخطيتُ، ومثال الثاني: كاس...ويقوم هذا المنهج أيضاً

١- درويش، عبد الله، المعاجم العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، بلاتاريخ، ص ٤٢.
٢- ابن سيده، المحكم، طبعة الباب الحلبي، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، مقدمة المحققين، صفحة ١٥.
٣- فاخر، المعاجم العربية، مرجع سابق، ص ٤٢.
٤- المحكم، مقدمة المحققين، ص ١٦.
٥- صوفي، عبد الله، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٦م، ص ١١٢.

على تقسيم المفردات داخل كل حرف على الأبنية وعلى ذكر تقلبيات الكلمة، والنص على المستعمل منها والمهملة؛ فإذا ورد في الحرف الأول من الكتاب - وهو حرف العين- تركيب العين والسين والميم: أي "عسم" وردت معه تقلبيات تلك الكلمة "عمس" و "سمع"، "سعم" و "معس" و "مسع"، فيشرح المستعمل منها...

أما طريقة استخراج الكلمة من المعجم، فتكون بترتيب تقاليبيها المفترضة بحسب مخارج الحروف، بعد تجريدها من الزوائد، والبحث عنها في الباب وفقاً للحرف الذي تبدأ به الكلمة بدءاً بالأقرب مخرجاً في حرفها الأول مع مراعاة قرب المخرج في باقي حروف الكلمة؛ فلو أردنا أن نبحث عن كلمة (اجتمع)، فإننا نجردها من زوائدها؛ لتصبح: (عجم)، (عمج)، (جعم)، (جمع)، (معج)، (مجمع). فنبحث عنها في باب العين، وهو الحرف الأقرب مخرجاً من الحروف الأولى في تقاليب الكلمة ونتابع بحسب ترتيب حروف الكلمات على المخارج الصوتية فنجدها في مجموعة عجم باب الثلاثي من كتاب العين.

وقد زودت الطبعة الحديثة التي أصدرتها دار الكتب العلمية بفهارس أبجدية في المجلد الأخير تعين الطالب على استخراج اللفظة المطلوبة دون الحاجة إلى حفظ ترتيب الخليل.

مأخذ على المحكم: سجّل بعض الباحثين قدراً يسيراً من المأخذ على المحكم منهم د. يوسف عيد^١، ولم يقدّم على انتقاداته أمثلة، أو أرقاماً تدعم الأحكام التي تؤخذ بمعياري إحصائي كقوله: " لم يهتم ابن سيده بذكر المصادر، ولا بردّ الآراء إلى أصحابها إلا نادراً، ويكتفي بلفظ قيل أو ما شابهها، لكنه كان يسجل اسم صاحب الرأي إذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير ".
وقريباً منه- وقبله، الدكتور عبد الكريم صوفي حيث سجّل عليه هذه الملاحظة إضافة على ملاحظة عدم التزامه بالخطأ وأنه " كثيراً ما يخرج عنها عندما يدون الألفاظ عفو الخاطر "
ويأخذ عليه الدكتور عبد الكريم النعيمي^٢، ثلاثة مأخذ رئيسة، هي:

١. **غموض التفسير:** كأن يفسر اللفظ بمرادف غامض مثل تفسير عبارة (بذخ الرجل) بـ (طرمز)
٢. **قصور التفسير، أحياناً، وقد أرجعه إلى:** اكتفاء ابن سيده ببيان الجنس أو النوع فيقول - مثلاً - إن الذات المفسره شجر، أو طائر ولا يزيد ذلك إيضاحاً^٣.

١- عيد، يوسف، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٥١.

٢- ابن سيده، مرجع سابق، ص ١٦٥ - ١٦٩

٣- نفسه ص ١٦٨، وقد أورد بعض الإحالات إلى مواقع من المحكم.

٣. احتواء التفسير على فضول القول: "... ومن هذا القبيل قوله في تفسير (القطرب) أنه " دويبة كانت في الجاهلية يزعمون أنها ليس لها قرار البتة "، " فليس ثمّة مسوّغ لهذا التحديد الزمني "١ ومن أوجز وأشيع وأذع ما قيل في نقده قول الصفديّ في نكت الهميان: " كان ابن سيدة ثقة في اللغة، حجّة، لكنه عثر في المحكم عثرات... وكان يهتم في النسب "٢.

ولكنّ هذه المآخذ- وإن بلغت درجة موثوقة من الاعتبار سواء بالأدلة التي قدمتها، أو بمكانة بعض العلماء التي صدرت عنهم، إلا أنها بالنسبة لضخامة هذا العمل، وما حاز عليه من أوسمة إعجاب العلماء منذ عهد تأليفه يبقى " أحسن المعاجم التي التزمت منهج الخليل في العين، ترتيباً للأبواب والمواد، وأوجزها تعبيراً، وأحفلها بالتعديلات والتخرجات النحويّة والصرفية، ومن أجمعها للصيغ والألفاظ والتفسيرات "٣.

ومن اللافت للنظر أنّ العلماء الثلاثة على مدى كتبهم لم يبدوا عناية تذكر ببيان مصادرهم من كتب التفسير، أما مصادرهم اللغوية فقد كان هناك قدر واضح من العناية بها. على أنّ الثلاثة لجأوا إلى أسلوبيين في العزو إلى ما أخذوه عن المفسرين. وذلك بالتنصيص على اسم صاحب القول، أو بالعزو إلى المفسرين-على التعميم-وذلك للتمييز بين ما صدره أقوال المفسرين، وما صدره أقوال اللغويين.

١- المرجع السابق، صفحة ١٦٩.

٢- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ)، نكت الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٢٠٤.

٣- المحكم، طبعة البابي الحلبي، ١٩٥٨ م، مقدمة المحققين، صفحة ٢٣.

الفصل الأول

التفسير الغوي

تعريفه وعلاقته بالتفسير التحليلي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول: تعريف التفسير اللغوي في اللغة والاصطلاح

تعريف التفسير اللغوي في كتب اللغة

يمكن استخلاص تعريف التفسير اللغوي في إطار الدلالة اللغوية من خلال تتبع الأقوال في شقيّ المعرف وما حصل عليها من تغيرّ بمرور الزمن.

جاء في معجم تهذيب اللغة تحت مادة ل غ و ما يأتي:

" قال الليث: "اللغة واللغات واللغين: اختلاف الكلام في معنى واحد، ويقال: لغا يلغوا لغواً، وهو اختلاط الكلام، ولغا يلغا لغة [فيه]... وقال الله [تعالى]: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢] أي بالباطل، وقال تعالى {لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ} [الغاشية: ٢١] أي قبيحة أو فاحشة". قال قتاده: أي باطلاً... وقال مجاهد: شتماً.

قال الفراء: " كأنّ قول عائشة أنّ اللغو ما يجري في الكلام على غير عقد". وقال ابن السكيت: لغوى الطير، أصواتها...، وقال أبو سعيد [لعله السيرافي] إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم: أي اسمع من لغاتهم، من غير مسألة".

وقال ابن فارس: " اللام والغين والحرف المعتلّ أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على الشيء لا يعتدُّ به، والآخرُ على اللهج بالشيء، فالأول اللغو: ما لا يعتدُّ به من أولاد الإبل في الدية

أو مائة تُجعلُ أولادها لغواً وعض المائة الجلمد

... والثاني قولهم: لغى بالأمر، إذا لهج به، ويقال إنّ اشتقاق اللغة منه أي يلهج صاحبها بها" "١، ٢.

التعريف الاصطلاحي للغة، مناقشة واقتراح

تتناقل المعاجم العربية بعد أبي الفتح عثمان بن جني تعريفه الاصطلاحي للغة وهو ينصّ على أن: " اللغة اللّسن، وحدّها أنها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم" حيث تبعه في ذلك ابن

١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. جزء ٥، صفحة ٢٥٤.

٢- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، معجم تهذيب اللغة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

٣- المحكم والمحيط الأعظم، جزء، صفحة ٦٠، ٦١.

منظور في لسان العرب^١؛ فقال: " واللغة اللّسن وحدّها أنها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم" وكذلك تابعه الفيروزآبادي في القاموس المحيط^٢.

ومن التعريفات التي قدّمها علماء اللغة والأصول للغة سوى تعريف ابن جنّي، تعريف أبي محمد بن حزم الظاهري (المتوفى سنة ست وخمسين وأربعمائة للهجرة) بأنها " ألفاظ يُعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها، ولكلّ أمة لغة ". ومنها التعريف الذي ذكره صاحب معجم تاج العروس، حيث يقول: " هي الكلام المصطلح عليه بين كلّ قبيل "٣ وهو - كما يبدو - مبالغ في اقتضابه، مختصر عن تعريف ابن جنّي. وعرّفها ابن خلدون بأنها " هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني... "٤

ويلاحظ على هذه التعريفات اقتصارها على الجانب السماعي في اللغة باعتباره الأساس الذي قام عليه النشاط اللغوي مما يستدعي التنويه بعناية الإسلام ببقية جوانب النشاط اللغوي وحثه على استخدام كل الطاقات اللغوية في خدمة الدعوة الإسلامية؛ حيث كانت العناية بالكتابة والدعوة إلى الاهتمام بها متضمّنة بالأوامر الأولى الصادرة بالوحي إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم تحثه على القيام بمهمات الرّسالة؛ حيث الأمر بالقراءة في سورة العلق يتضمّن معنى العناية بالكتابة، وخطاب الوحي للرّسول صلى الله عليه وسلم بعبارة {اقرأ} تتضمّن حث الأمة على النظر في المكتوب وهو ما يؤكده قول الرسول صلى الله عليه وسلم جواباً لهذا الأمر: ما أنا بقاريء. ° وقد وردت الإشارة إلى الكتابة في القرآن الكريم تحت مواد كثيرة منها الآتية: كتب، سطر، سجل، زبر، خط، أملى، كما تضمنت وصف درجاتٍ وأحوال لاستخدام اللغة المسموعة مثل: أوحى، أسرّ، ناجى، نادى، صرّخ، وكذلك اشتملت آياته على الأساليب اللغوية التي عرفها اللسان العربي، من سؤال، ونداء، وإخبار، وتعجّب، وأساليب يخرج بها الكلام عن معناه الظاهر لمعان تدلُّ عليها القرينة، كالتقرير والإنكار.. الخ.

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

- ١- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حميد، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٣م، جزء ١٥، صفحة ٢٩١
- ٢- دار الجيل، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، الجزء الرابع، صفحة ٢٨٨، و مصطفى، إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مصر، دار الدعوة، طبعة ١٩٨٠م.
- ٣- الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، معجم تاج العروس، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٥م.
- ٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمّة، مكتبة المثنى، بغداد، بدون رقم ولا تاريخ، ص ٥٤٦.
- ٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م كتاب الإيمان باب بدء الوحي، حديث ٣.

تعريف التفسير لغة:

قال الأزهرى: "ثعلب عن ابن الأعرابي: الفسرُ كشفُ ما غطي، وقال الليث: الفسرُ التفسيرُ وهو بيانٌ وتفصيلٌ للكتاب وأخبرني المنذريُّ عن ابن الأعرابي، قال: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقال الليث: التفسرة: اسمٌ للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وكلُّ شيء يُعرفُ به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته.

وقوله عزّ وجل: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: ٣٣]، الفسرُ كشفُ المغطى"¹.

وقال الجوهرى: "الفسر: البيانُ وقد فسرتُ الشيء أفسرُهُ بالكسر فسراً. والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي: سألته أن يفسره لي.

وقال ابن سيدة في (المحكم) فسّر الشيء يفسره ويفسره فسراً، وفسره: أبانه"².

ويتضح من التعريفات السابقة أنها تتفق على أن في التفسير معنى الكشف والبيان، ويستخدم البعض اللفظين المتضايين "كشف المغطى".

ويتكرر لديهم التشبيه بالآلية التي يستعملها الطبيب لتشخيص حال المريض وفي ذلك إشارة واضحة إلى اعتماد التفسير على آلية موجودة بين يدي المفسر ومطلوب منها البحث في معطيات موجودة داخل النصّ القرآني، لا خارجه، فإذا صبّ الطبيب على العينة ما يساعد على كشف المعطيات وتحليل خفاياها، فإته لا يضيف عليها ما يغير خصائصها فيحولها إلى غير الشيء محلّ الكشف والدراسة، وكذلك المفسر فإنه قد يصب على المادة المطلوب دراستها موادّ من خبراته السابقة في اللغة والمنطق والتاريخ تكشف عناصر هذه المادة ولا تغيرها.

تعريف التفسير في الاصطلاح:

١. وعرفه أبو حيان (المتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة) بأنه: "التفسير علمٌ يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها في حالة التركيب وتتمات لذلك".

قال: "فقولنا "علم" جنس، وقولنا " يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءة، وقولنا: " ومدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا

١- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، ٢٨٢هـ - ٣٧٠هـ معجم " تهذيب اللغة"، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م، جزء ١٥، صفحة ٤٠٦، ٤٠٧.

٢- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٣هـ)، ، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع يعقوب و الطريفي، محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. جزء ٤، صفحة ٤٩٨.

العلم، وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف والبيان والبدیع. وقولنا "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالاته بالحقیقة وما دلالاته بالمجاز. فإنّ التركيب قد يقتضي شيئاً ويصدّ عن الحمل عليه صادّاً فيحمل على غيره وهو المجاز وقولنا" وتتمت ذلك " هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك".^١

وقد يؤخذ على تفسير أبي حيان، كما يؤخذ على شرحه لهذا التعريف أنّه يدخل قي حدّه ما ليس منه، كعلم التجويد، وأنّه صبّ عنايته على بيان العلوم الرافدة للتفسير أكثر من عنايته بحدّ التفسير.

٢. عرفه ابن جزي (المتوفى سنة إحدى وأربعين وسبعمئة للهجرة) بأنّه: شرح القرآن، وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصّه، أو بإشارته أو نحوهما.^٢

٣. وعرفه الزركشي (المتوفى سنة أربع وتسعين وسبعمئة للهجرة) في البرهان بأنّه: علم يفهم به كلام الله تعالى المنزل على نبيّه محمد، وبيان معانيه واستخراج أحكامه، وحكمه.

٤. وعرفه الجرجاني (المتوفى سنة ست عشرة وثمانمئة للهجرة) في كتابه التعريفات بقوله: " توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة.

٥. وعرفه الجمل في مقدمة حاشيته على تفسير الجلالين بقوله: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"، ولعلّ في تعريف الجمل ما يستحقّ اختياره على غيره من التعريفات؛ حيث يفهم من لفظ العلم أنّه خبرات تؤهّل صاحبها لـ"إدراك الشيء على حقيقته" كما ذكر الراغب في المفردات ص ٥٨٠، ويفهم من عبارة أحوال القرآن: أحواله الإفرادية والتركيبية، ويفهم من عبارة "دلالاته على مراد الله" اشتراط تحرّي مراد الله، واشتراط التقوى في المفسّر. أمّا الاحتراز له - بقدر الطاقة البشرية فيفهم منها بذل أقصى الجهد بمن تتوقّر فيهم الأهلية لذلك.

تعريف التفسير اللغوي اصطلاحاً :

عرّف الطيّار التفسير اللغوي بأنّه: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب".^١

١- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. مقدمة المحقق.
٢- ابن جزي، القاسم محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. ، ٦/١.

. ويمكن أن يؤخذ على هذا التعريف أنه جاء مقتضبا، في عبارته. وأنه يوهم أنّ المعرفة بلغة العرب كافية وحدها لبيان معاني القرآن، مما يستدعي قدراً من الاحتراز.

تعريف اصطلاحى مقترح للتفسير اللغوي:

وعلى ضوء ما يستدعيه ذلك الاحتراز يمكن تعريف التفسير اللغوي بأنه: "ذلك التفسير الذي تنصّر وسائله العلم بلغة العرب وأساليب كلامها".

علاقة التفسير اللغوي بالتفسير التحليلي

١. على مستوى الأصول:

يعرّف التفسير التحليلي بأنه " تفسير الآيات حسب ترتيبها في سورها تفسيراً للآية إفراداً وتركيباً والكشف عما فيها من قيم متعدّدة، وأحكام عقديّة أو تشريعية أو اجتماعيّة"^٢. ويستطيع المرء ملاحظة نوعين من الارتباط، بين التفسير اللغوي والتفسير التحليلي؛ ارتباط يندرج في أصول التفسير^٣ وقواعده، وارتباط آخر يعبر عما يوقره التفسير اللغوي من وسائل، وما يندرج في ميدان التفسير التحليلي من مقاصد ومسائل؛ وهي العناصر المكوّنة لتعريفه. فقد حفلت كتب أصول التفسير بالحديث عن الأصول اللغوية، والقواعد التفسيرية ذات السمات اللغوية، واشتملت كذلك على شروط أصولية لغوية مما يجب أن يتوقّر لدى المُفسّر. فمن هذا السبيل ما ذكره الإمام الشافعي- رضي الله عنه- في رسالته الشهيرة في أصول الفقه " وإنما بدأت بما وصفت من أنّ القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنّه لا يعلم من إيضاح جمل الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أنّ القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه وإدراك نافلة خير لا

١- الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، صفحة ٢٦، ٢٧.

٢- عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمان، ط١، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م.

٣- علم أصول التفسير، علم يقوم على ضبط التفسير، ووضع قواعد مهمة ضرورية لسلامة السير في هذا العلم، واشتراط لمعناه. شروط للمفسر يعمل على تحقيقها قبل البدء بالتفسير، وذلك لكي لا يكون هناك غلط في التفسير أو تحريف لكلام الله أو تحريف، راجع: الصباغ، محمد لطفي، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١١.

يدعها إلا من سفه نفسه، وترك موضع حظه وكان يجمع مع النصيحة لهم قيام بإيضاح حق، وكان القيام بالحقّ ونصيحة المسلمين من طاعة الله، وطاعة الله جامعة للخير" ^١.

ومن ذلك ما أورده أئمة التفسير من مقدمات في أصول علم التفسير، منها ما يتعلق بضرورة إتقان المفسر للغة، ومن ذلك قول الإمام ابن جرير الطبري: " وأول ما نبدأ به من القليل في ذلك: الإبانة عن الأسباب التي البداية بها أولى وتقديمها قبل ما عداها أخرى، وذلك: البيان عما في أي القرآن من المعاني، التي من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية، ولم يستحكم معرفته بتصاريه وجوه منطلق الألسن السليقية الطبيعية" ^٢، ومن ذلك قول أبي حيان: " فلنذكر ما يحتاج إليه علم التفسير من العلوم على الاختصار... فنقول: النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه: الأول علم اللغة، اسماً وفعلاً وحرفاً، الحروف على قلتها تكلم على معانيها النحاة؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال، فيؤخذ ذلك من كتب اللغة. الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية، من جهة أفرادها ومن جهة تركيبها. ويؤخذ ذلك من علم النحو.

ومن هذه الأصول ما اشتملت عليه كتب علوم القرآن؛ فمن ذلك قانون الترجيح عند الاحتمال:

قال السيوطي في الإتقان ما نصّه: " كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه... وعليهم اعتماد الدلائل دون مجرد الرأي؛ فإن كان أحد المعنيين أوضح وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم الدليل على إرادة غيره، وإن تساوى، والاستعمال فيهما حقيقة، لكن في أحدهما لغوية، أو عرفية، وفي الآخر شرعية، فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدلّ الدليل على إرادة اللغوية، كما في قوله تعالى: { وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة: ١٠٣]، وإن اتفقا في ذلك أيضاً، فإن تنافى اجتماعهما، ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد" ^٣.

١- الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٥٠.
٢- الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ، مقدمة المصنف فقرة ١٠.
٣- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أحمد القيسية و محمد أشرف الأناسي، مؤسسة النداء، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٣٦٩

وقال صاحب المنار: " التفسير مراتب: أدناها أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله، وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور:

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان فإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد، فعلى المحقق المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه فربما استعمل بمعان مختلفة، كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة من الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه.

ثانيها: الأساليب؛ فينبغي أن يكون عنده من عملها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التفطن لنكته ومحاسنه والوقوف على مراد المتكلم منه....^١ ومن القواعد المتفرعة من ذلك النهي عن النظر في المعنى اللغوي للفظ مع التغاضي عن النظر في سبب النزول؛ ف " للجملة دلالة، لكن هذه الدلالة تأخذ ألواناً وأشكالاً تختلف باختلاف الظرف الذي قيلت فيه، وربما كان الفرق كبيراً بين دلالتها مقطوعة عن المناسبة، ودلالاتها موصولة بالمناسبة ومنها النهي عن تفسير بعض الألفاظ بما تحيله العقول أخذاً عن الإسرائيليات. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ} [ق: ١]: "روي عن بعض السلف أنهم قالوا: {ق} جبل محيط بجميع الأرض،... وكأنّ هذا- والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الأخذ عنهم فيما لا يصدّق ولا يكذب".

ومن القواعد المهمة المقررة في أصول التفسير، أن يراعي المفسر المرامي البعيدة للألفاظ والعبارات، وما تدلّ عليه ضمناً، وما تلمح إليه، وما يترتب عليها من إلزامات "والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم ما دلّ عليه هذا اللفظ من المعاني؛ فإذا فهمتها فهما جيداً، ففكر في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها، وكذلك فكر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه، حتى يصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة، فإنّ القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع على الحق حق، ذلك حق كله ولا بدّ، فمن وقف إلى هذه الطريقة، وأعطاه الله توفيقاً ونوراً انفتحت له في القرآن

١- مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، جزء ٢، صفحة ٤٤.

العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية، وهذا الكلام مبني على ما حدده الأصوليون من أقسام للدلالة؛ حيث إنَّ " اللفظ تكون له دلالة مركزية؛ هي المعنى المباشر، ويعبر عنها المناطق بدلالة المطابقة ودلالة هامشية، وهي ظلال المعنى الناتجة عما يثيره اللفظ أو تركيبه اللغوي من مشاعر وانفعالات وأفكار، ويعبر عنها المناطق- بدلالة التضمّن- إن دلت على جزء معناها - أو دلالة الالتزام - إن دلت على لازم معناها.^٢

٢. على مستوى المباحث الفرعية.

ومما يتعلق بأصول تفسير القرآن الكريم كذلك - وهو ذو مرجعية لغوية دقيقة، وذات خصوصية، ما يلزم المفسر من فهم القواعد الأصول فقهية المتبعة في استنباط الأحكام، حيث يساعده ذلك في فهم أغراض الخطاب التشريعي ودرجاته، وخصوصه، وعمومه، وكونه لمرة واحدة أم يفيد التكرار... الخ.

ومن ذلك صيغ الأمر والنهي؛ فعلى سبيل المثال يأتي الأمر في اللغة على إحدى الصيغ الآتية:

١. صيغة "أفعل" كقوله تعالى: { أقيم الصلاة لذئوك الشمس إلى غسق الليل } [الإسراء: ٧٨]
٢. صيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، كقوله سبحانه: { لينفق ذو سعة من سعته } [الطلاق: ٧]
٣. المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى { فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب } [محمد: ٤]
٤. اسم فعل الأمر مثل: { هيت لك } [يوسف: ٢٣]
٥. الجملة الخبرية المراد بها الطلب مثل قوله تعالى: { يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ننجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يعفر لكم ذنوبكم } [الصف: ١٠-١٢]^٣

وتلقى قضية الحقيقة والمجاز ظلالاً ثقيلة على دلالة صيغة الأمر؛ حيث تلزم الإجابة على السؤال الجوهري. هل الأمر حقيقة في الوجوب مجاز في غيره، أم أنه حقيقة في الندب مجاز في غيره؟ أم أنه يفيد مجرد طلب وقوع الفعل، والقرائن هي التي تدلُّ على درجة ذلك الطلب - وهو

١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان في تفسير القرآن، مطبعة أنصار السنة المحمدية في مصر، ١٣٦٦هـ. دار الرشد: بيروت، ١٩٩٩م.

٢- الطويل، علي حسن، الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ م

٣- نفسه، ص ٢٠١.

الراجح والله أعلم -؛ حيث إنّ اختلاف صيغ الطلب لم يأتِ إلا لمقصد، والمقاصد في الأمر تتدرّج بين الفرض والإباحة.

وما قيل في صيغ الأمر يقال في صيغ النهي، وما ترجح في الأمر يترجح في النهي أيضاً. ومن لطيف ما يرتبط بأغراض صيغ الأمر أنّ من أغراضه التي قد يخرج فيها عن مقتضى الظاهر الدعاء. والكلام في أسلوب الدعاء في القرآن يرتبط بفهم عادات القرآن في الخطاب، حيث يستنبط البعض قاعدة مهمّة وهي: " أنّ الدعاء لا يدخله مجاز ولا كناية لأنه توجّه إلى الله تعالى، ورغبة إليه، والمتوجّه الرّاعب أشغل من أن يلاحظ العلاقة المصححة للمجاز، والقرينة المانعة من الحقيقة، أو يطلق اللفظ ويريد معناه، أو ينوي مضافاً محذوفاً. إلى غير ذلك، مما يحسن استعماله في مقالاتٍ أخرى كالخطب مثلاً.

وارتباط التفسير اللغوي بالتفسير التحليلي يمكن أن ينظر إليه باعتبار الأوّل وسيلة للبحث في مقاصد الثاني والمباحث القائمة عليها.

وهنا من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أن مصادر التفسير التحليلي، من علوم اللغة، وعلوم القرآن والسنة، وما سوى ذلك لا بدّ أن تتعاضد، في سبيل الوصول إلى المقصد الأسمى للتفسير، وهو بيان مراد الله- سبحانه وتعالى - وإن قيّد ذلك في حدود الطاقة البشرية -؛ فإنّ تعاضد هذه المصادر والوسائل يضع هذه الطاقة البشرية في أعلى درجات الجاهزية والاستنفار لتلبية نداء الله للعلماء لتبيين رسالته للناس كافة. بأدلة تسعى - في حدود الطاقة البشريّة المؤمنة، المخلصة - أن تكون قطعية الدلالة، قطعية الثبوت، وهذه العناصر، من خلال قيام كلّ منها بدوره، يخدم كلّ فرع منها المصدر الذي ينتمي إليه، فيتعاضد الاشتقاق والصرف في خدمة النحو، ويتعاضد الجميع في خدمة المعنى، كما تتعاضد المصادر الرئيسة للتفسير فيما بينها، فتخدم اللغة علوم القرآن؛ كأن يكون المعنى اللغوي سبيلاً للوصول إلى تحقيق سبب النزول، أو تحقيق كون الآية مكّيّة أو مدنيّة، وكلّ ذلك يصب في مقاصد التفسير التحليلي العقديّة، والتشريعية.

ومن أهم المعايير المرتبطة بالمصدر اللغوي، معيار السياق، وإليه يُحتكم في تحقيق بعض مباحث علوم القرآن، ومثال ذلك ما ورد في سبب نزول الآية الكريمة {أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يثلى عليهم} [العنكبوت: ٥١]؛ حيث ذكر الألوسي في سبب نزولها أن بعض المسلمين

١- الغماري، بدع التفاسير، مرجع سابق، ص ٣٥.

أعجبوا بما عند يهود وقد جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم بكتف كتبوا فيه بعض ما سمعوه من اليهود".

وفي رواية أنهم أعجبهم ترتيل اليهود في بعض طقوسهم الدينية، فتمنّوا أن يكون لهم مثل ذلك، فنزلت هذه الآية، وقد أخرج هاتين الروايتين الفريابي، والدارمي وأبو داود في مراسيله، وابن جرير، وابن المنذر وردّه بأنّ السياق والسباق مع الكفرة، "وأنّ جعل سبب النزول ما ذكر خروج عن ذلك".^١

وكذلك فإنّ المعايير اللغوية يحتكم إليها في دراسة المكي والمدني ويلجأ فيها إلى دراسة المفردات، فبعض المفردات يُعتبر ورودها في الآي القرآني دليل على انه من القرآن المكي، وبعضها دليل على أنه من القرآن المدني، كالألفاظ المستعملة في النداء، حيث يغلب في العصر المكي النداء بيا أيها الناس، ويغلب على القرآن المدني النداء بيا أيها الذين آمنوا.

ومن أمثلة الاحتكام إلى المفردات في تقرير المكي والمدني ذلك الخلاف حول سورة الأعلى هي مكية أم مدنية، فقال البعض بمدنيتها حملاً للفظين {تَزَكَّى} و {صَلَّى} على زكاة الفطر وصلاة العيد، ويرى البعض أن " التزكي في الآية الكريمة ليس إعطاء الزكاة، بل هو تطهير النفس وتزكيتها، ويحكم في ضوء ذلك أن السورة كلها مكية".^٢

على أنّ اقتران الزكاة بالصلاة، من خصائص الآي المدني، كما أن التذكير بما في صحف إبراهيم وموسى يوحى بأن من مقاصد الآية جدال أهل الكتاب - وربما خصّ بذلك اليهود-، والأمر محتمل ما لم ترد بذلك رواية صحيحة.

أما من حيث الأسلوب: فيتميز الآي المكيّ بقصر آياته وسوره - في الغالب- وتركيزها على الأسلوب ذي النبرة الخطابية المحرّكة للعواطف والتي تشتد في آيات الترهيب، وتلين في آيات الترغيب. في حين تطول الآيات والسور في العهد المدني، وتخفت النبرة الخطابية وتحلّ محلها نبرة الحوار مع أهل الكتاب الذي تتفاوت درجته بحسب نوع الخصم ودرجة عناده، والقضية محلّ الخصومة.

وممّا تكشف عنه الأبحاث العلمية من حقائق ثابتة تتدخل في بيان المعنى بشكل قطعي، ويتصلّ بخدمة علوم التفسير اتصالاً جوهرياً ما تطرحه الوقائع المعاصرة على ميدان التفسير من

١- الألوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا رقم ولا تاريخ.

٢- عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، عمّان، الأردن، ط ١، ١٩٩٧م ط ١، ٧ جزء ١، ص ٣٩٨.

قضايا منبتها حقول علمية مختلفة، إلا أنّ بذارها تطير إلى حقل التفسير، فتنبت فيه نوابتها، وتتلبس بمباحثه تلبساً يحتاج حلّ إشكالاته إلى أصحاب التقوى والخبرة في المجال العلمي الذي تطرح فيه القضية، ومن أمثلة ذلك محاولة الربط بين آيات النشأة ونظرية داروين في النشوء والارتقاء، كما يتصل بذلك بشكل جوهري متابعة ما يصدر من مساهمات لها صلة بتفسير القرآن الكريم، وعلومه، باللغات المختلفة، وبخاصة ترجمات معاني القرآن.

فإذا قصر المرء اهتمامه على ترابط المباحث اللغوية بالمباحث الرئيسية للتفسير التحليلي فإنه ولا بدّ باديءً بالمباحث العقديّة ذات المعالجة اللغوية، وهناك لا بدّ أن يجد كلّ مبحث من المبحثين وإن حمل مصباحه ليكشف ملامح صورة الآخر إلا أنه لا يجد محيصاً من أن يترك- من زاوية أخرى- ظلّ السراج الذي يحمله وقد تداخل إلى حدّ ما في قسّمات الصورة، ولعلّ في ذلك داعياً مدخراً في طبيعة العلم، يجعله يستزيد الباحثين للمزيد من الكشف فتتجلي لهم بعض قسّماته، ويتركون على صفحته المزيد من بصماتهم.

ومن أمثلة ارتباط النحو بالعقيدة ما ذكره ابن هشام في (مغني اللبيب)^١ من أحكام همزة الاستفهام أنه يجوز حذفها، سواء تقدّمت على أم، أم لم تتقدّمها؛ قال: والأخفش يقيس ذلك في الاختيار عند أمن اللبس، وحمل عليه قوله تعالى: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ} [الشعراء: ٢٢]، وقوله تعالى: {هَذَا رَبِّي} في المواضع الثلاثة [الأنعام: ٧٦-٧٨].

ثم علق ابن هشام على ذلك قائلاً: والمحققون على أنّه خبر، وأنّ مثل ذلك يقوله من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي كلامه ثم يكرّ عليه بالإبطال بالحجّة" وفي ذلك إشارة إلى مسألة خفيّة من مسائل العقيدة، وهي عصمة الأنبياء؛ فأعراب العبارة على أنها جملة خبريّة، جاءت على أسلوب التنزل للخصم يناسب عقيدة أهل السنّة في عصمة الأنبياء، في حين إن تقدير همزة استفهام محذوفة- كما قدر الأخفش- يتنافى مع هذا الاعتقاد، ولعلّ الأخفش أتى في ذلك من باب التمسك بالمذهب النحوي، فسعى إلى توجيه الآية بما يناسبه، أو أنه يعتقد بأنّ عصمة الأنبياء إنما تكون بعد البعثة لا قبلها!

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره ابن هشام من أنّ (إلا) بالكسر والتشديد تكون على أربعة أوجه أحدها أن تكون صفة بمنزلة غير، فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه قال " فمثال الجمع المنكر {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢]، فلا يجوز في (إلا) هذه أن تكون للاستثناء، من

١- طبعة دار الفكر، بيروت، الثالثة، ١٩٩٢م، تحقيق مازن المبارك ورفيقه، مراجعة سعيد الأفغاني، ص ٢٠ / ٢١.

جهة المعنى؛ إذ التقدير حينئذٍ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدنا، وذلك يقتضي بمفهومه أن لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدنا، وليس ذلك المراد ولا من جهة اللفظ، لأن آلهة جمع منكر في الإثبات فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء.

ومن المسائل النحوية العقدية ما اشتهر باسم (لن الزمخشري) - كما نسبها ابن مالك- في "شرح الكافية الشافية" للزمخشري، وتبعه على هذه النسبة عدد كبير من النحويين - حيث ينسب للزمخشري- حمل (لن) على التأييد في مثل الآية: {... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ} [الأعراف: ١٤٣] ليتوافق مع رأي المعتزلة في نفي الرؤية على وجه التأييد، قال الزمخشري في الكشاف: "فإن قلت ما معنى {لن} قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن (لا) تنفي المستقبل: تقول: لا أفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً والمعنى: أن فعله ينافي حالي كقوله [تعالى]: {لَنْ يَخْفَوْا دُباباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ} [الحج: ٧٣]، فقوله [تعالى]: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيما يستقبل، و{لَنْ نَرَاكَ} تأكيد وبيان؛ لأن المنفي مناف لصفاته. ولعله خفي على البعض ما في عبارة الزمخشري "أن فعله ينافي حالي" و "أن المنفي مناف لصفاته" فردوا نسبة ذلك إلى الزمخشري مع أنه واضح أن مفهوم عبارته التي تكررت- بمعناها لا بحروفها- يفيد قصد التأييد، كل ما هناك أنه يدعو إلى مذهبه هنا بلطف، في حين أنه في بعض المسائل قد يتلقف الشاردة فيدعو إلى مذهبه بعنف، كما في تفسير الآية من سورة الزخرف [٨١] {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}، حيث لم يختلف مع العلماء في حمل الآية على تنزيه الله تعالى عن الولد، ومع ذلك لم يرق له أن يظل بريء الساحة من مخالفتهم؛ فجاء للتمثيل للمسألة بمثال شنيع ليدعو إلى مبدأ آخر من مبادئ المعتزلة بعيد عن باب هذه المسألة قال: "ونظيره أن يقول العدلي [أي المعتزلي] للمجبر [يقصد السنّي]: إن كان الله خالفاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بآله...!" ولعل هذه العبارة أفضع ما ورد في تفسير الزمخشري، ولذلك فهي لا تزال تثير نقمة المفسرين كلما عرّجوا عليها في أبحاثهم ابتداءً بابن المنير في (الإنصاف)، وانتهاءً بالشنقيطي في أضواء البيان.^٢

١- تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريري، جامعة أم القرى، مكة، طبعة ١٤٠٢هـ.

٢- راجع تفاصيل هذه المسألة السابقة: السيف، محمد بن عبد العزيز، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم، جزء ٣، مرجع سابق، المسألة ٨١، صفحة ١١٥١، والمسألة ٨٣، صفحة ١١٧٢-١١٨٨.

أما ارتباط التفسير اللغوي بالمباحث السياسية والعقدية للتفسير، فرأس ما يدور حوله الخلاف، ذلك الجدل حول مسألة (الولاية) وتفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: ٥٥].

حيث فسّر الشيعة الجعفرية الولاية بأنها الولاية على الخلق، والقيام بأمرهم ووجوب طاعته عليهم وفسّروا الركوع على ظاهر اللفظ، واعتبروا هذه الآية من أوضح الدلائل على أحقية علي - رضي الله عنه - بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - بلا فصل - مستدلين باللغة؛ على أساس دلالة (إنما) على التخصيص ونفي الحكم عن سوا المذكور، ويضيفون إلى ذلك ما ورد من رواياتٍ من أنّها نزلت في حق علي - كرم الله وجهه -؛ حيث تذكر الروايات أنه تصدّق وهو راكع. "وقد فسّر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - الآية بنفي الولاية عن اليهود، وحصر الولاء للمؤمنين، وبيّن أنّ الروايات القائلة بأنها نزلت في عليّ - رضي الله عنه - لا يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها، وأثبت أنها نزلت بحق عبد الله بن أبي، إذ تمسك بحلفه مع بني قينقاع وفي عبادة ابن الصامت إذ تبرأ من حلفهم وقال: "يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين"^٢.

... وفسر قوله تعالى: {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [المائدة: ٥٥] منبهاً إلى نفي ما توهمه بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال في قوله تعالى: {وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: ٥٥]؛ أي في حال ركوعهم، وأنه لو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد العلماء، ممن نعلمه من أهل الفتوى.

واعترض علماء السنة على تفسيرهم الركوع على ظاهره - ومن ذلك احتجاج الراغب الأصفهاني - رحمه الله - بأن العرب في الجاهلية كانت تسمى الحنيف راكعاً إذا لم يعبد الأوثان: ركع إلى الله تعالى، قال الزمخشري: "أي اطمان، قال النابغة الذبياني:

سيلغ عذراً أو نجاحاً من امريء
إلى ربه ربّ البرية راكعاً^٣

ومنه كذلك:

- ١- السالوس، علي أحمد، مع الأثني عشرية في الأصول والفروع، دار الفضيلة، الرياض، طبعة ٧، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ٥٤، ٥٥.
- ٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، جزء ٢، صفحة ٧٢.
- ٣- البيت الأول منسوب إلى النابغة الذبياني وهو غير موجود في ديوانه، انظر الزمخشري، أساس البلاغة، كتاب الرأء شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.

لا تهيننّ الفقير عليك أن ترقع يوماً والدهر قد رفعه^١

ومن مقاصد التفسير اللغوي التصدي للفسيرات المنحرفة والإحادية التي تتعارض مع أصوله ومقاصده، كتحريف المصطلحات القرآنية واختراع معان لا يعرفها العرب للألفاظ العربية، أو اشتراط شروط مخترعة من عندهم لإفادة اللفظ المعنى. ومن أمثلة ذلك تفسير محمد شحرور للجيوب في آية الحجاب: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] قائلاً: " الجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة، وهو الخرق في الشيء... فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق، وهي ما بين الثديين وما تحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين هذه كلها جيوب، فهذه على المرأة المؤمنة أن تغطيها فما يسميه الفقه الإسلامي بالعمرة المغلظة، يسميه الدكتور المهندس بالزينة الخفية ويرى أن هذه [الزينة المخفية]!!! هي المقصود التصريح بإظهارها بقوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِيُغُولِتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بُنَيَّ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بُنَيَّ أَخَوَاتِهِنَّ...} [النور: ٣١] وأنه يجوز إظهارها للأشخاص المذكورين في الآية، فإذا تحرّجوا من ذلك فهو من باب العيب والحياء، لا من باب الحلال والحرام!^٢

وكذلك فإن تحريف المصطلحات الشرعية وتوهينها اتخذ حركة دائبة وحملات داهمة استهدفت الحدود الشرعية الرئيسية كالزنا، والسرقه، وميّعت مفهوم الربا وشجّعت عليه.^٣

ومن مقاصد التفسير اللغوي كذلك الكشف عن وجوه إعجازه، والكلام عن الإعجاز البياني والتشريعي، والغيبى والعلمي، والتاريخي، أمر كثرت فيه إبداعات العلماء منذ بدايات القرن الثالث الهجري. ومن لطيف ما يدلُّ على الارتباط الوثيق بين التفسير اللغوي، والإعجاز العلمي -كمقصد من مقاصد التفسير التحليلي - ما ورد في تفسير ابن قيم الجوزيه - رحمه الله، من تفسير لقوله تعالى: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا*رَفَعَ سَمَكَهَا*فَسَوَّاهَا*وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [النازعات: ٢٧- ٢٩] " فالمفسرون جميعاً القدامى والمحدثون أغفلوا دلالة مرجع الضمير المضاف إليه (الليل)، وصرفوه إلى ليل الأرض، مع رجوعه صراحة إلى السماء، فلو أنهم أخذوا بظاهر الآية كما ينبغي لقالوا إن للسماء ليلاً غير ليل الأرض، وإذا لم يعرفوه.^٤

١- البيت الثاني للأضبط بن قريع السعدي، انظر: البغدادي، خزنة الأدب، ٤٧٩/١١.
٢- الرومي، فهد، تحريف المصطلحات القرآنية، وأثره في انحراف التفسير، نشر المؤلف، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣- راجع الرومي، فهد، المرجع السابق، ص ٥٨.
٤- السنباطي، محمد أحمد، منهج ابن القيم في التفسير، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٢٣.

الفصل الثاني

التفسير اللغوي

في

كتاب " معاني القرآن الكريم وإعرابه " للزجاج، وبيان منهجه فيه

عناصر التفسير اللغوي عند الزجاج

أولاً: عنايته بدراسة الظواهر الدلالية

(الترادف) والفروق اللغوية.

يعرّف الترادف لغة بأنه: " أن تكون أسماء لشيء واحد"، وقد ورد تحت هذه المادة: "الرّدْف بالكسر، الراكب خلف الراكب كالمرتدّف، والرّدْف والرّدْفاني كحباري، وكلُّ ما تبع شيئاً... وتبعه الأمر، والليل والنهار،... وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده، ويخلفه إذا غزا، وفي الشعر حرف ساكن من حروف المدّ يقع قبل حرف الروي ليس بينهما شيء... والرّدافة- بهاء- فعلٌ ردفِ الملك، كالخلافة، والروادف رواكيب النخل وطرائق الشحم... وترادفا تعاوننا وتناكحا وتتابعان..."^٢

وقد وردت ألفاظ من مادة (ردف) في ثلاث آيات من القرآن الكريم هي:

- ١- [النازعات : ٧]، وفيها: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}.
- ٢- [النمل: ٧٢]، وفيها: {قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ}.
- ٣- [الأنفال: ٩]، وفيها: {إِذْ تَسْتَعْجِلُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ}. وجاء في (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني: ٣ "الرّدْفُ: التابع، ... والترادف التتابع، والرّدْف المتأخّر والمُرْدِف المتقدم الذي أردف غيره... قال أبو عبيدة: "مردفين: جاثين بعد" وقال غيره: "معنى مردفين ملائكة أخرى، وعلى هذا يكونون مُمدّين بألفين من الملائكة، وقيل عنى بالمردفين المتقدمين للعسكر يلقون في قلوب العدا الرعب، وقيل: (مردفين): أي أردف كلُّ إنسان ملكاً، ... وأرداف الملوك الذين يخلفونهم".

وقد فسّر الزجاج قوله تعالى {بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ} بمعنى: يأتون فرقة بعد فرقة. وقد بين الجرجاني في التعريفات العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للترادف فقال: "... كأنّ المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، ومثل له بالليث والأسد"^٤

١- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، طبعة دار الجيل، مرجع سابق، ٣/ ١٤٧

٢- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٣- تحقيق صفوان الداودي، مرجع سابق، صفحة ٣٤٩.

٤- المقصود أنّ اللفظين يشبهان راكبين يركبان على دابة الواحد في إثر الآخر، فيسيران في نفس الطريق، ويبلغان نفس الهدف. ومثل للترادف بلفظي الليث والأسد. انظر: الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦ هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩ م.

تعريف الترادف في الاصطلاح:

مرّ مفهوم الترادف لدى العلماء بشيء من التطور عبر العصور، فقد كان المفهوم القديم للترادف بأنه " اختلاف اللفظين والمعنى واحد" أو "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه" أو بـ " الأسماء المختلفة للشيء الواحد، ويؤخذ على هذه التسميات : توسعها في الدلالة وافتقارها إلى الدقة ؛"وما اقترن بها من التطبيقات فمنها ما هو من باب اختلاف اللغات، ومنها ما هو من باب الكناية ، أو المجاز؛ ومنها ما هو من باب تغيير اسم الشيء بتغيير أطواره .

ولعلّ في تعريف التهانوي للترادف"الذي نقله عنهم" وهو:"عند أهل العربية والأصول والميزان: وهو في توارد لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة..." ما يمثل نقلة أكثر دقة في تعريف الترادف؛ حيث قيّدته في أصل الوضع.

في حين " إنّ المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في المعنى فحسب، إنما يرون أيضاً أنّ مقياس الترادف في ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النصّ اللغوي دون أي تغيير في المعنى، وقد جعلوا من هذا مقياساً للتحقق من الترادف في الألفاظ ، ... ولو وازنا بين النظرتين لظهر لنا بوضوح إسراف معظم القدامى وغلوهم في القول بترادف الكثير من الألفاظ، بسبب إغفالهم هذه الضوابط اللغوية التي قيد بها المحدثون فكرة الترادف"^٢ وكما أنه يؤخذ على القائلين بالترادف توسيعهم لدائرته بحيث تشمل ألفاظاً ليست منه، فذلك يأخذ البعض على القائلين بالفروق أنهم يتعاملون مع الألفاظ التي يضمونها إلى ظاهرة الفروق اللغوية بشيء غير يسير من التعسف والتكلف "وعدم اتفاهم على فرق بعينه، وإغفالهم مسألة تطور دلالة الألفاظ"^٣ على أنّ بعض الأحكام التي يصدرها الباحثون في وصف تعامل المنكرين للترادف مع بعض الألفاظ على أنها تؤدي معنى واحداً ، واعتبارهم ذلك مثلاً للعجب ودليلاً على التناقض. هو أمر جدير بحدّ ذاته أن يدعو إلى التأمل والتأني.

فهناك أثر واضح للطابع التلخيصي في دراسة مناهج العلماء يخرج بنتائج غير دقيقة، فليس بالضرورة أن يكون كلُّ من قال بالفروق اللغوية منكرًا للترادف بشكل مطلق، والعكس أيضاً صحيح، وما يعده البعض "تناقضاً يبعث على العجب من تعامل بعض منكري الترادف مع بعض الألفاظ

١- اللعبيبي، حاكم مالك، الترادف، صفحة ٤٩

٢- نفسه، ص ٤٩.

٣- السابق، صفحة ٩٨.

على أنّها ألفاظ مترادفة^١، يمكن أن ينظر إليه من زاوية أخرى على أنه تصرف إجرائي يتمشى مع تطور اللغة في ميدان التداول، وهو وإن كان يصدق عليه وصف ذلك الباحث بأنه "تسليم بالواقع اللغوي"^٢ إلا أنه ليس بالضرورة أن يعتبر "مما يعزز مذهب القائلين بالترادف"^٣ ومن نتائج المنهج التلخيصي في الحكم على تعامل العلماء مع هذه الظاهرة - عند بعض الباحثين - ذلك التناقض العجيب في تصنيف ابن سيده (المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة) عند بعض الباحثين على أنه من القائلين بالترادف^٤ في حين يؤكد باحث آخر سابق عليه، أنّ عملاً من أعماله يعتبر قمةً في منهج الفروق فيقول: "تعتبر كتب معاجم المعاني من مصادر الفروق"، "ويعدُّ كتاب أبي الحسن بن سيده المخصَّص قمةً هذه المعجمات، والحلقة الكاملة في سلسلة هذا النمط منها"^٥.

ولعلَّ استقراء أكثر تأنيباً أن يكشف للباحث بعض الحقائق التفصيلية التي تؤهل هذه المعطيات المتناقضة ظاهرياً إلى التوافق فيما بينها في إخراج الصورة السليمة، وهو ما تحاول هذه الدراسة إبرازه في محله المناسب - إن شاء الله - .

ولم يزل الخلاف حول الإقرار بالترادف أو إنكاره محل جدلٍ، ولم يزل هذا الجدلُ مثيراً للتأمل، مما يؤكد خطورة المسألة وحساسيتها، ومن غريب ما يذكر في هذا السياق ذلك التناقض بين موقف بطرس البستاني وموقف أحمد فارس الشدياق من الفروق اللغوية، "حيث اقترح الأول حذف مادة الفروق - فيما اقترح حذفه من المعاجم فكلماً رأى الناس يشكون شيئاً من اللغة رأى بتره، أما فحص هذه الشكوى وتتبع موطن الألم، ومحاولة علاجه أولاً، فلم يرها أموراً ضرورية، إذ البتر أحسم في العلاج، ونسي أنّه قد يميّت.

وفي حين يذهب البستاني هذا المذهب، يرى أحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٥هـ) أنّ أصحاب المعجمات قصّروا في تعريفهم لفظة بلفظة أخرى دون ذكر الفرق بينهما بالنظر إلى تعديتها بحرف كقول الجوهري مثلاً: الوجل: الخوف، ومثل لها بعبارة القاموس والمصباح أنّ وجل يتعدى بمن، وخاف يتعدى بنفسه"^٦.

١- الزبيدي، الترادف في اللغة، مرجع سابق، صفحة ٢٠٨.

٢- السابق، الصفحة نفسها.

٣- السابق، الصفحة نفسها.

٤- انظر، الترادف في اللغة ص ٢٢٠ واعتباره ابن سيده من القائلين بالترادف.

٥- المشري، علي كاظم، الفروق اللغوية في العربية، دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠١٠م، ص ١٠٢.

٦- المشري، علي كاظم، الفروق اللغوية في العربية، مرجع سابق، ص ١٤٨، ١٤٩.

موقف الزجّاج من الترادف

لا يجدُّ الدارس لكتاب (معاني القرآن الكريم وإعرابه) للزجّاج إلحاحاً في التعبير عن موقفه من ظاهرة الترادف، أو حتى مجرد رغبة في إبرازها كظاهرة لغوية ، مما يدعوّه إلى التأمل المتأنّي في جمع عناصر هذا الموقف.

فمن العناصر التي يفترض أن ينظر فيها الدارس كون الزجّاج بصرياً وأنه تلميذ المبرّد، وزميل ابن درستويه، وهما علمان من أعلام القائلين بإثبات الترادف، ولكن هذا كله- في حدّ ذاته- لا يكفي للحكم بأنّ الزجّاج من مثبتي الترادف، ولكنّ عنصراً آخر يظهر لنا من استعراض مؤلفاته وهو أنّه ألف كتاباً في الأضداد؛ وهذا يعني لمن يقرأ الاسم هكذا؛ مجرداً إثباته (لظاهرة) لغويّة يعد الإقرار بوجودها محلّ خلاف لدى العلماء، وهي وإن كانت في تعريفها بعكس (ظاهرة الترادف) ؛ من حيث إنّ التضاد يعني وجود لفظ واحد بمعنيين متضادين في حين إنّ الترادف يعني وجود لفظين أو أكثر يؤدیان نفس المعنى . إلا أنّ الظاهر من تعامل العلماء أنّ القول بالترادف صنو للقول بالتضاد.

ثمّ يفاجأ القارئ بتعبير الزجّاج وقد عبّر الزجّاج عن العلاقة الدلالية بين لفظي الخوف والرجاء في قوله تعالى: {أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان: ٤٠] بأنّه مذهب من يرفع الأضداد ؛ قال: "والذي عند أهل اللغة أنّ الرجاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الأضداد، وهو عندي الحق" يقصد أنه الحق في النظر إلى هذين اللفظين^١.

ثم يفاجأ من قوله في تفسير قوله تعالى : {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ} [العنكبوت: ٥] : "معناه والله أعلم من كان يرجو ثواب لقاء الله، فأما من قال : إنّ معناه " الخوف، ضدّ الرجاء" [ف-] ليس في الكلام ضدّ، وقد بينا ذلك في كتاب الأضداد"، لكنّه يفهم المسألة من غير إشكال إذا عرف أنّ اسم كتاب الزجّاج هو (إفساد الأضداد)^٢!

أما على المستوى التطبيقي، فقد يشير الزجّاج إلى أن لفظين معنيين هما بمعنى واحد؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...} [البقرة: ٧] قال: {خَتَمَ} في اللغة و (طبع) معنى واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء".

وقد يصرّح بأن اللفظين بمعنى واحد، ثمّ ينبه إلى قول البعض بالفرق، ويبينه كقوله: إنّ الرأفة والرحمة واحدة، وقد فرقوا بينهما أيضاً ، وذلك أنّ الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان

١- معاني القرآن وإعرابه، والمقصود برفع الأضداد إنكارها أو إفسادها.

٢- ذكره الزركشي بهذا اللفظ في البحر المحيط، في حين وقع مختصراً في كتب التراجم، طبع الكويت، تحقيق: عبد العزيز مطر، ١٩٧٠م.

رحيم، فإذا اشتدَّت رحمته فهو رؤوف ويقول في موقع آخر في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣]: "ومعنى الرأفة كمعنى الرحمة".

وقد يتصرف على طريقة أصحاب المعاجم: بجعل أحد اللفظين معنى للآخر، مع اقتران كلٍّ منها بال التعريف، وتوسط النقطتين بينهما كقوله في تفسير الآية: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: ١٤٤] قال: "والسلطان في اللغة الحجة ..."

وفي تفسير قوله تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} [إبراهيم: ٤٩] قال: "والأصفاة: الأغلال".

ومع ذلك فلا بدَّ من التنبيه إلى أن مثل هذه الملحوظات حول الترادف لم تكن من الكثرة بحيث يستنتج منها إصرار الزجاج على نفي الفروق. ولعله لأجل ذلك لم يرد اسم الزجاج كواحد من المتحمسين لفكرة الترادف ونفي الفروق.

موقفه من الفروق اللغوية: ١

وبالمقابل نجد في كتاب المعاني مواطن كثيرة، حرص فيها الزجاج على بيان الفروق في معاني الألفاظ الواردة في الآيات محلّ التفسير، فهل يعني ذلك تردُّد الزجاج بين مذهبين؟ لابدّ للجواب على ذلك من تصنيف الفروق التي اعتنى الزجاج ببيانها بين الألفاظ وفق ورودها في المعاني؛ وهي كما يأتي:

١. ما يطرأ على المعنى من فروق بسبب اختلاف صيغ الفعل.

ففي تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا} [البقرة: ٧٢] قال: معناه: فتدارأتم فيها؛ أي تدافعتم، يقال: "درأْتُ فلانا إذا دافعته، و"داريته" إذا لا ينته، و"دريته" إذا ختلته.

٢. الفروق في المعنى بسبب زيادات الفعل:

ففي تفسيره لقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [المائدة: ٩] قال: هذا تمام الكلام: يقال: "وعدت الرجل" تريد وعدته خيراً" و"أعدت الرجل" تريد أوعدته شراً، وإذا ذكرت الموعود قلت فيهما جميعاً "واعدته" وإذا لم تذكر الموعود قلت في الخير: "وعدته" وفي الشرِّ "أوعدته" فقال عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فدلَّ على الخير ثم بيّن ذلك الخير فقال: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} أي تغطية على ذنوبهم.

١- راجع الأسماء في مصادرها.

٢- الزجاج، المعاني، ٩٣/٢

٣. الفروق الناشئة عن اختلاف صيغ المصادر:

ففي قوله تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [البقرة: ٨٥] قال: ^١ "خزي" يقال في الشرِّ والسوء: "خزي الرَّجُلُ خِزْيًا، ويقال في الحياء: "خزي يخزي خزياة".

٤. الفروق الناشئة عن اختلاف الاعتبار:

في تفسير قوله تعالى: {غَيْرَ مُسْفِحِينَ} [النساء: ٢٤]

قال: "أي عاقدين التزويج، غير مسافحين، أي غير زناة، والمسافح والمسافحة الزواني غير [الممتنعين] من الزنا، فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن، فحرّم الله الزنا على الجهات كلها، على السفاح، وعلى اتخاذ الصديق.

٥. فروق لغوية ناتجة عن اختلاف ضبط اللفظ:

في قوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} قال: "جذاذا" تقرأ بالضم والكسر؛ فمن قرأ: "جذاذا" فإنه بنية كل ما كسر وقطع على فُعال؛ نحو الجُذاذ، والحُطام، والرُّفات، ومن قال "جذاذا" فهو جمع جذيذ، وجذاذ، نحو ثقيل وخفيف، وخفاف، ويجوز جُذاذا، على معنى القطاع والحصاد ويجوز (جُذذ) على معنى جذيذ، وجُذذ مثل جديد وجُدد^٢

ومن ذلك قوله تعالى: {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} قال: "يقال: "عرج يعرُج" إذا صار ذا عرج، وعرج يعرُج إذا غمز من شيء أصابه.

٦. ومن الفروق ما كان سببه اختلاف زمن وقوع الحدث:

قال: "الحرور استيقاد الحرّ ولفحه بالنهار والليل، والسموم لا يكون إلا بالنهار".

٧. ومن الفروق ما كان ناشئاً عن تغير حال الشيء:

قال: "والكأس في اللغة الاناء المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس" وقال: ^٣ "ما كان عليه من الأخونة طعام فهو مائدة"^٤

٨. الفروق بسبب تغير طبيعة الشيء:

قال: "والضرب الشبرق، وهو جنس من الشوك، إذا كان رطباً فهو شبرق، وإذا يبس فهو الضريع"^٥

١- الزجاج، المعاني، ١/ ١٣٤

٢- الزجاج، المعاني، ٢/ ٢٠٢

٣- الزجاج، المعاني، ٤/ ٣٠٧

٤- الزجاج، المعاني، ٤/ ١٦٩

٥- الزجاج، المعاني، ٤/ ٣٣٣

فيتبين من أضاف هذه الفروق أن إدخال أكثرها في دائرة جدلية (الترادف) (والفروق) إنما يكون من باب التوسع، فإذا قصدنا الفروق بين المفردت في أصل وجودها- بغض النظر عن القول بالتوقيف أو الوضع في مسألة نشأة اللغة - فلا نجد من الزجّاج أية جولة في هذا الميدان.

المشترك اللفظي

تعريف المشترك اللفظي:

ورد التعريف بالمشترك اللفظي في مصنفات العرب القديمة، ومن ذلك ما ذكره ابن سيده^١ أن سيويه قد ذكر في أول كتابه؛ حيث قال: اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد؟، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... " ثم تصدى ابن سيده لشرح هذه الأقسام ، وقال في شرحه للقسم الثالث : " واما القسم الثالث، وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغاتٍ تداخلت ، أو تكون كلُّ لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل "

كما عنون (ابن فارس) (المتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة للهجرة) باباً من أبواب كتابه: (الصاحبي) بعنوان المشترك وقال في تعريفه : " أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر " ^٢ وقال تحت عنوان : " باب الأسماء كيف تقع على المسميات؟" وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو "عين الماء" و "عين المال" و "عين السحاب" ^٣ وعرفه من المحدثين الدكتور عبد الواحد وافي: " أن يكون للكلمة الواحدة عدّة معانٍ تطلق كلُّ منها على طريق الحقيقة لا المجاز " ^٤.

كما أسهم الأصوليون في تعريف المشترك ووظفوه كوسيلة لاستنباط الأحكام ، قال البزدوي في كشف الأسرار ^٥ : " المشترك كلُّ لفظٍ احتمل معنى من المعاني المختلفة، أو اسماً من الأسماء على اختلاف المعاني ، على وجه لا يثبت إلا واحداً من الجملة مراداً به وقال القاضي أحمد التكري

١- المخصّص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ٢٥٨/١٣.

٢- الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، طبعة ١٩٧٧، صفحة ٢١١

٣- نفسه، ص ١١٤

٤- فقه اللغة، دار نهضة مصر، الطبعة السادسة، صفحة ١٨٣.

٥- شرح المنار، ج ١، ص ٣٧، ٣٨ ط ١، الأميرية مصر.

في (دستور العلماء)^١. أما الاشتراك اللفظي، فهو أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنيين، أو لمعان بأوضاع متعددة، كلفظة العين للباصرة، والجارية، والذهب، وغير ذلك ملاحظات على التعريفات السابقة للمشترك اللفظي:

يلاحظ فيما نقل من كلام سيبويه في تعريفه للمشترك اللفظي أنه استخدم الوصف : " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " ؛ مما يترك فسحة يتحرك فيها من يرون في اشتراط أن يكون اللفظ واحداً، أو له معنى واحد في أصل الوضع - وهو ما يستدعي وحدة أصل الاشتقاق، ووحدة أصل حروف الكلمة، ووحدة ضبطها- قدرأ من التشدد في الشروط لا يتماشى مع الواقع اللغوي: فسيبويه يتحدث عن اتفاق لفظين، واستخدام الوصف : "اتفاق" أصلاً يعني- ضمناً- غرض الطرف عما قد يحتويه اللفظان من المادة الواحدة، المتقاربان في النطق، مع فروق قد توجد في أصل المصدر، أو أصل حروف العلة، أو ضبط عين الفعل أو فائه . ويزيد من صحة هذا الاستنتاج استخدام سيبويه لكلمة (اللفظين) ؛ فهي إذاً (اتفاق اللفظين) وافتراق المعاني . ويلاحظ أيضاً أن الزيادة في التقييد وتضييق الشروط في التحديد جاءت متأخرة على سيبويه، وقد اتضح ذلك فيما نقله ابن سيده من كلام أبي علي الفارسي في المخصص، حيث قال : "وأنا أشرح ذلك كله ، فصلاً فصلاً - إن شاء الله تعالى- وأتحرى فيه أشفى ما سقط إليّ من قول أبي علي الفارسي".

مواقف العلماء من المشترك اللفظي

ينكر بعض العلماء وجود المشترك اللفظي في اللغة، ومن أبرز من قال بذلك من القدامى ابن درستويه، في كتابه (إبطال الأضداد) وفي كتابه (تصحيح الفصيح) ، في حين "توسع الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيدة في إيراد الأمثلة على المشترك اللفظي في شواهد عربية لا سبيل إلى الشكّ فيها"^٢

وممن أنكر المشترك من المعاصرين: الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (اللهجات) وكتابه (دلالة الألفاظ) الذي يقول فيه: "إذا ثبت من نصوص أنّ اللفظ الواحد قد يعبر عن معنيين متباينين كلّ التباين، سمينا هذا بالمشترك اللفظي، أما إذا اتضح أنّ أحد المعنيين كان هو الأصل ، وأنّ الآخر مجازٌ له ، فلا يصحُّ أن يعدّ هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره".

١- طبعة حيدر آباد، الهند ج١، صفحة ١١٨.

٢- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٧٦م.

وممن ناقشه في هذا القول: الدكتور توفيق شاهين^١ وبالغ في المخالفة، ومن ذلك : العنوان البارز: "اختلاف الأبنية لا ينفي المشترك"^٢، وفي عنوان قبله: "النقل والمجاز لا ينفيان المشترك"^٣. وكذلك ردّ عليه الدكتور عبد العال سالم مكرم قائلاً : إنّ ما ذكره أستاذنا يختلف كلّ الاختلاف عما ذكره الأقدمون والمتأخرون في أنّ المشترك اللفظي وقع في القرآن الكريم بكثرة، سواء كانت المعاني الدلالية للفظ الواحد متقاربة أو متباعدة" ، كما احتجّ الدكتور مكرم بحديث أورده مقاتل بن سليمان في كتابه الأشباه والنظائر مرفوعاً : "لا يكون الرّجل فقيها كلّ الفقه حتى يرى للقراءة وجوهاً كثيرة "

وكذلك ممّن ردّ عليه الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة^٤.

وقد يدرس المشترك اللفظي تحت اسم الوجوه والنظائر، والأشباه والنظائر.

وقد عرفّ الدكتور عبد العال سالم مكرم ببعض الكتب البارزة في حقل المشترك اللفظي بعضها يحمل اسم " الأشباه والنظائر، وبعضها يحمل اسم الوجوه والنظائر، ومنها " ما اتفق لفظه واختلف معناه"^٥.

و " يلاحظ أنّ كتب الوجوه والنظائر لا تعتمد في معاني الوجوه على شواهد عربية من شعر أو نثر، بل يعتمد أصحابها إلى النصّ مباشرة لاستنباط المعنى من سياقه. ولذا كثرت الوجوه التي يذكرونها ؛ لأنهم يريدون تفسير معنى اللفظة في هذا السياق الذي يفسّرونه دون النظر منهم إلى الأصل اللغوي للفظة"^٦

أهمية ظاهرة المشترك اللفظي

تتجلى أهمية دراسة هذه الظاهرة في أمور منها :

- أنّها تجعل الباحث أكثر تبصراً في فهم اللفظ القرآني من مواقع نظر متغيرة، يرى لها خطوطاً، وزوايا، وظلالاً وألواناً توسع مجال الشعور بالإعجاز القرآني.

١- المشترك اللفظي نظرية وتطبيقاً، مكتبة وهبه، طبعة ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م، حيث عقد فصولاً من كتابه يتوسع فيها في مفهوم المشترك.

٢- السابق ص ٨١.

٣- نفسه ص ٧٣.

٤- نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، ص ١٧٩.

٥- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، طبعة ١، ١٩٩٦، وقد خصص الصفحات ٤٨ - ٢٣٢ للتعريف بأبرز ثمانية كتب من وجهة نظره.

٦- الطيّار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ص ١٧٤.

- أنها توسع فضاء الفهم للفظ القرآني بحيث تظهر اللفظة كسيّدة شريفة محاطة بعلاقات النسب والمصاهرة.
- أنها بهذا التوسيع لفضاء الفهم للفظ القرآني ودراسته في مواقعته تساهم في تتبع بوابات التفسير الموضوعي، الذي أصبح في عصر التحديّات مطلباً لا يستغنى عنه في تقدير معاني الألفاظ المشتركة.
- وهي مع ذلك كله تزيد من مسؤوليّة المفسّر في الاحتياط لتقدير مراد الله سبحانه وتعالى من خطابه للثقلين.

موقف الزجاج من المشترك اللفظي في كتابه (معاني القرآن الكريم وإعرابه)

يتبين للمتبع لموقف الزّجاج من موضوع المشترك اللفظي في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" ما يأتي:

١. لم يرد ذكر (المشترك اللفظي) بهذا الاسم أو بغيره من الأسماء بشكل مباشر على مدى الكتاب. وكل ما ورد بشأنه هو تطبيقات تطبّقها التفسير، فانسأقت في مجراه عرضاً^١.
٢. تضييق القول بالاشترك اللفظي في تطبيقاته، وحصر هذه التطبيقات في حدود ما يتطلبه المقام؛ حيث تظهر أكثر ما تظهر في توضيح آيات تتعلق بالعقيدة والأحكام، ومن ذلك: أنه في تفسيره لقوله تعالى: {مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ} اكتفى بذكر وجهين من الوجوه التي يأتي عليها المعنى، فقال: "الدين" في اللغة الجزاء، يقال: "كما تدين تدان" المعنى: كما تعمل تعط وتجاز، قال الشاعر:

واعلم وأيقن أنّ ملكك زائل واعلم بأنّ كما تدين تدان^٢

أي تجازى كما تفعل و "الدين" أيضاً - في اللغة - : العادة، تقول العرب: "ما زال ذلك ديني: أي عادتي." قال الشاعر:

تقولُ وقد درأتُ لها وضيعن أهذا دينه أبدأً وديني^٣

١- الزّجاج، معاني القرآن، ٤٣/١

٢- البيت لخويلد بن نوفل الكلابي، في قصيدة قالها للحارث بن أبي شمر الغساني، وكان قد اغتصب منه ابنته، انظر لسان العرب، مادة دين.

٣- البيت للمتقّب العبدى العانذ بن محصن (جاهلي، ٣٦-٧١ ق.هـ) يصف ناقته، انظر ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: "والدين بالكسر الجزاء، وقد دنته بالكسر ديناً ويكسر، والإسلام، وقد دنتُ به بالكسر- والعبادة، والمواظب من الأمطار أو اللين منها، والطاعة... والذل، والداء، والحساب، والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد، واسم لجميع ما يتعبّد الله عزّ وجل، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه، ومن الأمطار ما يعاهد موضعاً فصار ذلك له عادة والحال والقضاء..."^١

وقال الراغب: "يقال دنت الرجل: أخذت منه ديناً، و... ودنته أقرضته، ودنته استقرضته، والذين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشيعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشيعة... وقوله تعالى: {فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} أي غير مجزيين"^٢

٣. ومن مظاهر التضييق في باب المشترك اللفظي عند الزجاج تعامله مع اللفظ القرآني (أمة) الذي لا يكاد يخلو منه كتاب تطرّق إلى هذا المبحث؛ حيث يقتضب القول فيه بشكل ملحوظ، ويغضّ الطرف عن كثير من الوجوه التي ذكرها العلماء لهذه الكلمة.

فعند إبراهيم الأبيّة: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥] قال: "أي بعد حين"، وقرأ ابن عباس: "وادكر بعد أمه والأمة النسيان، يقال: أمه يأمه أمها، هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: (أمه) بسكون الميم، وذلك ليس بصحيح عنه، لأنّ المصدر أمه يأمه أمها لا غير". في حين أفرد الراغب صفحة من كتابه لهذه اللفظة^٤

وإذا استعرضنا ما ورد من أمثلة المشترك اللفظي في كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج على سبيل الاستقراء، نجد أن تضييق القول بالاشتراك هي سمة منهجية تطبّق على المعنيين الوصف بأنهما مختلفين، فيضيّق مجال الاشتراك، ومن ذلك:

- قوله في تفسير لفظ {فاطر} في قوله تعالى: {قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام: ١٤]، قال: "أي خالق السموات والأرض، فإن قال قائل فقوله: {إِذَا السَّمَاءُ

١- دار الجيل، بيروت، طباعة البابي الحلبي، ١٩٥٢، جزء ٤، صفحة ٢٢٧، فصل الدال، باب النون.

٢- مفردات ألفاظ القرآن، صفحة ٣٢٣.

٣- نفسه، مجلد ٣، صفحة ١٨

٤- نفسه، صفحة ٨٦

أَنفَطَرَتْ} [الانفطار: ١] معناه انشقت، فكيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق؟ فإنهما يرجعان إلى شيء واحد؛ لأنَّ معنى فطرهما خلقهما خلقاً قاطعاً، والانفطار والفطور تقطع وتشقق". ويلاحظ - هنا- عنايته بحل إشكال قد يتوهم^١.

وقد يسمي المعنى المشترك بالوجه، ويستشهد له من القرآن ومن الشعر كما في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْصُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ} [الأنعام: ٥٧]، حيث ذكر قراءة ابن عباس- رضي الله عنه - "يقضي بالحق" فعلق عليها بأنها لا يُقرأ بها لمخالفة المصحف، وقال: "ويقضي بالحق" فيه وجهان: جاز أن يكون {الْحَقَّ} صفة للمصدر؛ المعنى تقضي القضاء الحق، ويجوز أن يكون "يقضي بالحق" يصنع الحق، أي كل ما صنعه - عزّ وجل- فهو حقّ وحكمة. إلا أن {وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ} يدلُّ على معنى القضاء الذي هو الحكم، فأما قضى بمعنى صنع فمثله قول الهندي:

وعليها مسرودتان قضاهما داوُدُ أو صنع السوابغ تَعُ

أي صنعها داود...^٢

- وقد يذكر المعنيين دون أن يرجعهما إلى أصلٍ يوحدهما- كما في تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام: {وَلْيَقْتَرُوا مَا هُمْ مُقْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٣]- ولعله المثال الوحيد الذي سلك فيه هذا المسلك؛- حيث اكتفى بالقول: "جائز أن يكون وليعملوا ما هم عاملون من الذنوب، يقال: "قد اقتترف فلان ذنباً" أي: قد عمل ذنباً. ويجوز: "وليقترفوا" أي ليختلفوا وليكذبوا"^٣
- وربما اكتفى بالتلميح إلى ردّ المشترك إلى الأصل؛ كما في تفسير قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ} [الأنبياء: ٨٥]؛ حيث يقول: "ويقال إنّ ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم وفيه، ويقال إنه تكفل بعمل رجل صالح فقام به والكفل في اللغة: الكساء الذي وراء الرجل على عجز البعير، وقيل الكفل أيضاً النصيب، قال الله عزّ

١- الزّجّاج، المعاني، ٢/ ١٤٣.

٢- البيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة يرثي بها أبناءه مطلعها أمن المنون وربيبها تتوجّع، بعناية سوهام المصري، ١٤٢٧هـ، والمسردتان الدرعان، ومما يقتضي التنويه أن هذا البيت ضبط فيه اللفظ "داود" بالتثنية، والفعل صنع بضمّ العين، وهو من الأخطاء المطبعية التي ابتليت به هذه النسخة من الكتاب معاني القرآن، ٢/ ١٥٨.

٣- الزّجّاج، المعاني، ٢/ ١٧٦.

وجل {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الحديد: ٢٨] حيث يلمح في (الكساء) و(النصيب من الرحمة) معنى الوقاية والحماية "١.

ومن توظيف الزجاج للمشترك اللفظي في تفسير آيات العقيدة قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ} [الأنعام: ٨]: "يعني والله أعلم أن الآيات مما لا يقع معه إنظار، ومعنى {لَقُضِيَ الْأَمْرُ} أي لتمّ بإهلاكهم.

"وقضي" في اللغة على ضروب: كلها يرجع إلى انقطاع الشيء وتمامه، فمنه قوله تعالى:

{ثُمَّ قُضِيَ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} [الأنعام: ٢]، معناه: ثم حتم بعد ذلك فأتته، ومنه "الأمر" وهو قوله تعالى {وَقُضِيَ رُبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣] معناه: أمر إلا أنه أمر قاطع حتم، ومنه "الإعلام" وقوله تعالى {وَقُضِينَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ} [الإسراء: ٤] أي أعلمناهم إعلاماً قاطعاً "ومنه القضاء الفصل في الحكم" وهو قوله تعالى: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ} [الشورى: ١٤] ومثل ذلك قولك: "قد قضي بين الخصوم" أي قد قطع بينهم في الحكم، من ذلك؛ "قد قضي فلان بدينه" تأويله قطع ما لغريمه عليه فأذاه إليه، وقطع ما بينه. وكل ما أحكم فقد قضي، تقول: "قد قضيت هذا الثوب، وقد قضيت هذه الدار" إذا عملتها، وأحكمت عملها، قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعليها مسرودتان قضاها
داودُ أو صنَعَ السَّوَابِغَ تَبَعُ ٢

التضاد اللفظي

للزجاج كتاب ألفه في (إفساد الأضداد) ٣ ذكره في تفسير قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} [العنكبوت: ٥] ٤.

وهذا ما يفسر لنا أنه لم يرد ذكر للأضداد في كتاب (المعاني) في مواضع ينقص عددها عن أصابع اليد الواحدة! منها الموضع المذكور أعلاه، وفيها ينفي أن يكون (الخوف) ضدّ (الرجاء)؛

١- المعاني، ٢/ ٢٨٩، ٣/ ٢٠٥ ذو الكفل: رجح ابن كثير أنه من الأنبياء: انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، دار القلم، بيروت، ص ٢٧٥، وفيها روايات تسميته ذي الكفل، ساق أسانيدھا وسكت عنها، لعلها من الإسرائيليات.
٢- معاني القرآن وإعرابه، مجلد ٢، ص ١٤١، ١٤٢ والبيت سبق توثيقه.
٣- المقصود بالأضداد الألفاظ التي يأتي الواحد منها على معنيين متعاكسين، ذكره الزركشي في البحر المحيط، وانظر الزجاج، كتاب العروض، دار ابن رشد، ط ١، ٢٠٠٤م، مقدمة المحقق: سليمان أبو ستة، الكويت، ٩٧١م.
٤- المعاني، جزء ٣ / صفحة ٣٣٥.

حيث يقول: فأما من قال: إن معناه "الخوف ضد الرجاء"، وليس في الكلام ضدّ، وقد بينا ذلك في كتاب الأضداد.

ويؤكد ذلك في تفسيره لقوله تعالى: {أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان، ١٦]؛ حيث يقول: "قيل: لا يخافون ما وعد به من العذاب بعد البعث، والذي عند أهل اللغة أنّ الرجاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الأضداد، وهو عندي الحق".^١

وتجده أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: {مَنْ رَأَاهُ جَهَنَّمَ} [إبراهيم: ١٦] يقول: أي جهنم بين يديه و"وراء" يكون لخلفٍ وقَدَامٍ، وإنما معناه ما توارى عنك، أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
أي ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب.^٢

موقف الزجاج من "المعرب والدخيل" في القرآن الكريم

يعتبر هذا المبحث من المباحث المهمة في دراسة لغة القرآن الكريم، وقد ثار حولها نقاشٌ قديم بين علماء المسلمين قديماً، وتمسك به أصحاب الشبهات متعلّقاً للطعن في أصل القرآن ولغته، وتفسيره؛ وهي دعوى ذات صلةٍ جليّةٍ أو خفيّةٍ بتلك الدّعواتِ إلى إحياء اللغاتِ القديمة، كالسريانية، والآرامية، بدعوى أنها مصادر رئيسة لفهم التراث، بل وسيلة لتصويب بعض ما استقر في الكتب أو في الأذهان من وجوه التفسير المنقول والمعقول. لعلّ آخر هذه الدعوات وأكثرها انتشاراً - وتهافتاً إلى جانب ذلك - دعوى رجلٍ سمى نفسه باسم مستعار هو: (لوكسنبرغ) وذاع صيته على أنه عالم باللغات السامية القديمة، وقد أكد المستشرق فرانسوا دي بلوا في عرضه لهذا الكتاب في مجلة الدراسات القرآنية^٣

بحسب ما ذكره موقع "ملتقى أهل التفسير"، القسم العام ملتقى الانتصار للقرآن الكريم، مؤلفات حديثة ضدّ القرآن " أن صاحب هذا الكتاب مسيحي لبناني، وليس ألمانيا .

١- المعاني، ٣ / ٤٩ .

٢- الزّجّاج، المعاني، ٣ / ٥٩، النابغة الذبياني: زياد بن عمرو بن غيظ بن مرّة، أحد شعراء الجاهلية، والبيت من معلقته التي يعتدّ فيها للنعمان بن المنذر، وانظر ديوانه، طبع مطبعة الهلال ١٩١١م، ص ٢١. ويلاحظ هنا استبعاد القول بالأضداد؛ حيث (وراء) في الشاهد تكون بمعنى بعد لا بمعنى قدام.

٣- ٩٧ - ٩٢ page ٢٠٠٣، Journal of Qur'anic studies vol . Issue,

"ويتلخص منهج (لوكسنبرغ) في التعامل مع الألفاظ القرآنية التي يراها غامضة في أن يعيد إجماع الرسم المهمل بإعادة وضع التقط على اللفظ بجعل الخاء جيماً والراي زايًا ، والباء تاءً وهكذا، حتى يقع على لفظ سرياني ملائم ينضبط به المعنى القرآني على حدّ زعمه!"
ومن النتائج الغربية التي توصل إليها تفسيره قوله تعالى: {وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ} [البقرة: ٢٥٩] بتحويلها إلى (جمارك) فيصبح معناها في السريانية كمالك .

وبالطريقة نفسها يفسّر الحور العين بـ (العنب الأبيض) ويفسّر لفظ زوجناهم بأنها (روحناهم) وأنّ المقصود من الأزواج : الأنواع؛ "أي لهم فيها أنواع من الثمار" ... ويذكر أنّ أبحاثا جادة قد اهتمت بالردّ على رسالة (لوكسنبرغ) ومنها رد الدكتور نهاد موسى في كتابه: اسئلة اللغة العربية في عصر العولمة، دار الشروق، عمان، وكذلك بحث شارك فيه ثلاثة من الباحثين هم: م.سيف الله، و محمد غنيم وشلبي زمان^١

ولا يخفى ما في هذه الدعوات أيضاً من أثر في ربط كل قطر من الأقطار العربية بتراث اللغة التي يسعى إلى إحيائها على أنها لغة قومية لذلك القطر! وما في ذلك من تقطيع للأواصر الإسلامية والعربية.

أما علماء الإسلام فقد ناقشوا الأمر نقاشاً موضوعياً، "فالأكثرين، ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير، وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر، وابن فارس على عدم وقوعه فيه ... وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك... " ^٢
"وذهب آخرون إلى وقوعه فيه" ^٣

ومما يستوقف المرء وهو ينظر في أقوال العلماء في المسألة، احتجاج السيوطي لوقوع (الدخيل) في القرآن بحديث "أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان" ^٤ حيث لم يلتفت ابن جرير نفسه إلى صحة السند ، وتمسك بنفي وقوع (الدخيل)

١- وهو منشور تحت عنوان: (From Alphonse Mingana To Christop luxenberg.

Arabic Script And The Alleged Syrrac orginis of the Qur'an)

استرجع في الثامن من نيسان عام ٢٠١١م من الموقع: Islamic-awareness.org

٢- السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ص ١٥٤.
٣- المرجع نفسه، ص ١٥٥، وانظر السيوطي، جلال الدين، المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، مقدمة المصنف.
٤- الإتيقان، جزء ٢، صفحة ١٥٦.

في القرآن، مستدلاً بقوله تعالى "إنا أنزلناه قرآناً عربياً" ولعله فهم عبارة الحديث على أساس اشتراك اللغات في بعض مفرداتها مما لا يشترط فيه تحديد أيهما أخذت عن الأخرى!

وعلى أية حال، فوجود ألفاظ من لغاتٍ أخرى في القرآن، لا يمكن أن يؤثر سلباً في التفسير المستند إلى أصل القرآن المحفوظ على مرّ الأجيال بالسُّطور والصُّدور، ولذلك؛ فليس من الغريب أن يصرّح ابن النقيب - كما أورد السيوطي في الإِتقان -^١ بأنّ "من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير" على أنّ في المسألة قولاً آخر أقرب إلى طبيعة التواصل اللغوي من حيث المبدأ تبناه أبو عبيد القاسم بن سلام، ومال إليه الجواليقي، وآخرون وهو القول بأنّ "هذه الأحرف أصولها أجميّة كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية" ولكنّ مجرد الإقرار بالمبدأ لا يعفي من الاعتراف بأنّ الجزم يظلّ محفوظاً بالمجازفة في كثير من أمثله.

منهج الزجاج في التعامل مع (الدّخيل) و(المعرب) في القرآن الكريم

والناظر في كتاب معاني القرآن الكريم وإعرابه للزجاج يجد أنّ الزجاج يتعامل مع مسألة (الدّخيل والمعرب) في القرآن الكريم بمنهج يتسم بما يأتي:

١. تضيق القول بهذه الظاهرة، ومن أبرز دلائل ذلك:
- قلة الكلمات المذكورة في كتابه مما بحثه العلماء تحت هذا العنوان؛ فهي لا تزيد - بعد استقراءها في الكتاب على قرابة اثني عشر لفظاً.
- إغفال وصف بعض العلماء لكلمات مما فسّره في الكتاب بالدّخيل أو المعرب، مع التلميح أو التصريح بأنه جار على قياس العربية أو مجراها؛ فمما لمّح إلى جريانه مجرى العربية {رَبِّيُونَ} [آل عمران، ١٤٦] قال: {رَبِّيُونَ} بكسر الراء وبعضهم يقرأ بضمّ الراء، وقيل في التفسير {رَبِّيُونَ كثيرٌ}؛ إنهم الجماعات الكثيرة، وقال بعضهم "الربوة" عشرة آلاف، وقيل الرّبيون العلماء الأتقياء الصّبر على ما يصيبهم في الله - عزّ وجلّ - ، وكلا القولين حسن جميل".

ومما صرّح بجريانه مجرى العربية :

١- الإِتقان، جزء ٢، صفحة ١٥٧.

٢- المعاني : ٣٦٧ / ٣٦٨.

- لفظ {قنطار} و{قناطر} ' قال فيه: "ومعنى {القناطر} عند العرب الشيء الكثير من المال، وهو جمع قنطار، فأما أهل التفسير فقالوا أقوالا غير خارجة عن مذهب العرب... والذي يخرج في اللغة أن القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة مأخوذة من ذلك، فكأنما القنطار هو الجملة من المال التي تكوّن عقدة وثيقة منه..."
- ألفظ {رَبِّيَّيْنَ} [آل عمران: ٧٩] ؛ قال: "والرَبَّانِيون أرباب العلم والبيان، أي كونوا أصحاب علم وإنما زِيدت الألف والنون للمبالغة في التَّسب؛ كما قالوا للكبير للحيّة لحياني، ولذي الجمّة الوافرة جُماني".
- ومما علّلّ اعتباره من باب الأعجمي أو الجاري مجرى العربية لفظ {قارون} [القصص: ٧٦] قال فيه: "قارون" اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان "فاعولاً" من العربية من "قرنت الشيء" لانصرف؛ فلذلك لم ينون.
- ومما يدلُّ على توخيه الحذر في التوسع في باب (المعربّ والدّخيل) ما تحمله بعض عباراته من معنى إمضاء الأمر بصعوبة قوله في تفسير لفظ {سَجِيلٌ} [هود: ٨٢] "وقال أهل اللغة: هو فارسيّ معربّ، والعرب لا تعرف هذا . والذي عندي أنّه إذا كان هذا التفسير صحيحاً فهو فارسيٌّ أعرب... ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب... فلا أنكر أنّ هذا مما أعرب".
- تدرّجه في وصف الظاهرة؛ فحينما يكتفي برواية القول في اللفظة أنّها من لغة أعجمية؛ كان يقول: "ويروى أن "الأواه المؤمن بلغة الحبشة" ، وقوله في لفظ {طوبى} [الرعد: ٢٩] : "وقيل : (طوبى) اسم الجنة بالهندية".
- ويلاحظ أنّه يستخدم ثلاثة أساليب في وصف اللفظ باعتبار هذه الظاهرة، فقد يذكر أنّ أصل الكلمة من لغة كذا الأعجمية، وقد يستخدم وصف "أته مما عرب" وقد يستخدم وصف المعدول عن الأعجمية كقوله: "فأمّا عيسى-عليه السلام-فمعدول من يشوع، كذا يقول أهل السريانية".

١- وردت مشتقات هذا اللفظ في: آل عمران، ١٤، ٧٥ والنساء: ٢٠.

٢- الزّجاج، معاني القرآن، ١/ ٣٣٧. وجماني نسبة إلى الجمّة وهي مقدمة شعر الرأس.

٣- الزّجاج، معاني القرآن، ٣/ ٣٣٠.

٤- الزّجاج، معاني القرآن، ٢/ ١٦٣.

٥- الزّجاج، معاني القرآن، ١/ ٣٢٦.

النادر اللغوي

تتردد في كتاب (معاني القرآن) للزجاج، تنبيهات إلى النادر اللغوي، منها:

في الصرف:

- قوله في تفسير قوله تعالى: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ٣] "الهمزة زائدة كما زيدت في "شمال، وغرقىء البيضة" ولا نعلم أنها زيدت غير أول^١ إلا في هذه الأشياء، ويجوز أن تكون فِعِيلٌ وإن كانت [بيئة]^٢ ليس لها في الكلام نظير؛ فإننا قد نعرف كثيراً مما لا ثاني له^٣، ومن ذلك قولهم "كَنَهَبَل" وهو الشجر العظام، وتقديره فَنَعَلٌ، وكذلك "قرنفل" ولا نظير له وتقديره "فعلنل، وقيل إبل لا نظير له وإن قد جاء (إطل) وهو الحضر، وقالوا: "إبطل" ثم حذفوا فقالوا: "إطل"."

- قوله في قوله تعالى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [التوبة: ٨٧] "... والخالف الذي هو غير منجب، ولم يأت في فاعل فواعل إلا في حرفين: "فارس وفوارس، وهالك وهو الك"."

العناية بكليات القرآن

يلحظ الناظر في كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج، بعض التعميمات، والقواعد الكليّة. المبدوءة - غالباً - بكلمة كلّ، والمشفوعة بذكر بعض التعميمات، وهي موزعة على موضوعات اللغة، والصرف، والأحكام الشرعية، وبعضها يتعلق بعلم القرآن:

١. فمن الكليات في موضوع اللغة:

- قوله في تفسير قوله تعالى: {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا} [آل عمران: ٢٨٦] قال: "كلُّ عَقْدٍ من قرابةٍ أو عهدٍ فهو إصر..."^٤
- قوله في تفسير قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا...} [الأعراف: ٤٨] "... ويقال لكل عالٍ عرف، وجمعه أعراف"^٥.

١- أي أن تكون الزيادة في غير أول اللفظ.

٢- كذا، ويبدو أن الصواب بنية.

٣- أي لا مثيل له على وزنه.

٤- الزّجّاج، المعاني، ١/ ٢٩٠، ٩١.

٥- الزّجّاج، المعاني، ٢/ ٢١٤.

- قوله في تفسير الآية الكريمة: {وَأَنْبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ} [الصفافات: ١٤٦] "كلُّ شجرةٍ لا تثبت على ساق، وإنما تمتدُّ على وجه الأرض نحو: القرع والبطيخ والحنظل، فهو: يقطين، وأحسب اشتقاقها من "قطن بالمكان" إذا أقام به؛ فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فذلك قيل يقطين." ١

٢. ومن كليات علم الصرف:

قوله في تفسير الآية الكريمة {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...} [المائدة: ٣٨] "... وحقيقة هذا الباب أن كل ما كان في الشيء منه واحد لم يثن، ولفظ به على لفظ الجمع، لأنَّ الإضافة تبيِّنُهُ، فإذا قلت: "أشبع بطنهما" علم أنَّ لِإِثْنَيْنِ بَطْنَيْنِ فقط، وأصل التثنية الجمع؛ لأنك إذا تثبت الواحد فقد جمعت واحداً إلى واحد، وكان الأصل أن يقال: اثنا رجال، ولكن: "رجلان" يدلُّ على جنس الشيء وعدده، فالتثنية يُحتاج إليها للاختصار فإذا لم يكن اختصار رُدَّ الشيء إلى أصله، وأصله الجمع" ٢

ومنه قوله في تفسير الآية الكريمة: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ} [المؤمنون: ١٢]؛ حيث يقول: "سلالة: القليل مما يُنسل، وكل مبني على فعالة، يراد به القليل، فمن ذلك: "الفضالة، والنخالة، والقلامة" فعلى هذا قياسه."

٣. ومن الكليات المتعلقة بالأحكام الشرعية:

- قوله في تفسير قوله تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً} [النور: ٣] "وتأويل {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً} على معنى أن لا يتزوج، وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان. وقال قوم: إن معنى النكاح ههنا الوطء، فالمعنى عندهم: الزاني لا يطأ إلا زانية، والزانية لا يطؤها إلا زان. وهذا القول يبعد، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزوُّج. قال الله سبحانه: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور: ٣٢]، فهذا تزوُّج لا شكَّ فيه، وقال الله عزَّ وجل: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ} [الاحزاب: ٤٩] فأعلم - عزَّ وجل - أنَّ عقد التزوُّج يسمى النكاح. ٣

٤. ومن الكليات المتعلقة بعلم القرآن:

١- الزَّجَاجُ، المعاني، ٤/ ٤٧، ولعل في هذا الاشتقاق ملح مما وجه للزجاج من الولع الزائد في الاشتقاق - إلا أن يحمل الكلام على معنى الافتراض والامتداد والاتصاق بالأرض الذي تتميز به هذه النباتات!
٢- الزَّجَاجُ، المعاني، ٢/ ١٠٤.
٣- الزَّجَاجُ، المعاني، ٣/ ٢٤٩.

- قوله في تفسير الآية الكريمة: {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ} [الفيل: ٤]: "وصف الله كلَّ من عذبه بالحجارة أنها {سجِّيلٌ} فقال في قوم لوط: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ} [هود: ٨٢] فالمعنى: وأرسل عليهم ما يرميهم بحجارة من سجيل، أي: من شديد عذابه، والعرب إذا وصفت المكروه بسجيل كأنها تعني به الشدَّة، ولا يوصف به غير المكروه، قال الشاعر:

ورُجْلَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ضرباً توأمت به الأبطالُ سَجِيلاً^١

- ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} [النساء: ١٤٤] "والسلطان في اللغة: الحجَّة، وإنما قيل للخليفة والأمير: "سلطان" لأنَّ معناه: أنه ذو سلطان، والعرب تؤنث السلطان وتذكره، فنقول: "قضت عليك بهذا السلطان" و"أمرك به السلطان"، وزعم قوم من الرواة أنَّ التأنيث فيه أكثر، ولم يختلف في التذكير، وأحسبُ الذين رَووا لم يضبطوا معنى الكثرة من القلة. والتذكير فيه أكثر، فأما القرآن فلم يأت فيه ذكر السلطان إلا مُذْكَراً...".

وسائل تقرير المعنى اللغوي

أثر الاستعمال (التطور الدلالي) كوسيلة لتقرير المعنى

يتردد في مواقع كثيرة من كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج التنبيه على أثر الاستعمال، وبيان أصل الاستعمال وهو ما يسمى في "علم الدلالة" بالتطور الدلالي، ويشمل ثلاثة مستويات من الدلالة:

١. المستوى الصوتي.
٢. المستوى الصرفي.
٣. مستوى المعنى: ويتفرَّع مستوى المعنى إلى ثلاثة فروع:

- تعميم الدلالة؛ توسيع المعنى
- تخصيص الدلالة؛ تضيق المعنى،
- تغيير مجال الدلالة؛ انتقال المعنى.

المستوى الصوتي: ومن أمثلته:

١- الزَّجَاجُ، المعاني ٤/ ٣٥٩، ٣٦٠. واللفظ لم يرد في القرآن إلا في آيات ثلاث هي هود: ٨٢، والحجر: ٧٤، والفيل: ٤، كلها بهذا المعنى. والبيت منسوب لتميم بن مقبل، انظر: فتح الباري كتب تفسير القرآن، سورة هود، حديث رقم ٤٤٥٧، والرُّجْلَةُ بضمِّ الراء: القوَّة والرجولة، والبيضُ السيفُ أو غطاء الرأس من الحديد في الحرب، وضاحية: وقت الضحى. انظر في نسب الشاعر وشرح البيت: العيني، بدر اللين عمدة القاري، ج ١٨، ص ٢٩٠.

- ما ورد في تفسير قوله تعالى : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} [البقرة: ٨٤] قال: وواحد "الدماء" "دم" - يا هذا- مخفف، وأصله: "دمي" في قول أكثر النحويين، ودليل أن أصله دمي ، قول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا جري الدميان بالخبر اليقين

وقال قوم: أصله "دمي" إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه حرّكت الميم لتدلّ الحركة على أنه استعمل محذوفاً^١.

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام : {وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ} [آل عمران : ٤٩] "... وإنما قيل {تَدَّخِرُونَ} وأصله: تَذَخِرُونَ . أي يفتعلون من الذخر، لأنّ الذال حرف مجهور لا يمكن النَّفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه، والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها، وهو "الذال" فصار: "تذخرون" ثم أدغمت الذال في الدال، وهذا أصل الإدغامان تدغم الأول في الثاني، و "تذخرون جائز" .

المستوى الصرفي، ومن أمثله:

- ما جاء في تفسير قوله تعالى: {خُذُوا مَاءَ أَنْيُنْكُمْ بِقُوَّةٍ} [البقرة: ٦٣]: " وجاز في اللغة أن تقول : "خذ وخذاً" وأصله "أوخذ" وكذلك "كل" أصله "أوكل" ولكن "خذ وكل" اجتمع فيها كثرة الاستعمال والتقاء همزتين وضمة فحذفت فاء الفعل - وهي الهمزة - التي كانت في "أخذ وأكل" فحذفت لما وصفنا من كثرة الاستعمال واجتماع ما يستقلون^٢.

- ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي} [البقرة: ٧٨] "... وفي لفظ أمانى وجهان: العرب تقول: "هذه أمان وأمانى- يا هذا- بالتشديد والتخفيف، فمن قال أمانى بالتشديد فهو مثل : "أحدوثه وأحاديث، وقرقورة وقراقير" ومن قال : "أمان" بالتخفيف فهو مما اجتمعت فيه الباءان [والتخفيف فيه] أكثر لثقل الباء، والعرب تقول في "أثفية" : "أثافي وأثاف" والتخفيف أكثر لكثرة استعمالهم "أثاف"..."

أما على مستوى المعنى:

١- المعاني، ١٧٢/١ . البيت مختلف في نسبه ، "فهو في الحماسة البصرية ١/٤ للمتعب العبدى وفي الوحشيات للأبي تمام ص٨٤ إلى مرداس بن عمرو، ونسب إلى دريد في جمهرة اللغة ٣٠٢/٢ لعلّي بن بّال منبني سليم" انظر: معني، عبد الحميد محمود، شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، ص١٥ .
٢- الزّجاج، المعاني ١ / ١٢٠

فما يتعلق بتضييق مجال الدلالة ، (تخصيص المعنى) :

- ما ذكره في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة على لسان موسى عليه السلام : {يَقَوْمٌ إِكْتُمُ ظَلْمَهُمْ أَنفُسَكُمْ بَاتِّخَاذِكُمْ الْعَجَلِ} [البقرة: ٥٤] قال: وأصل الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، والعرب تقول: "ومن أشبه أباه فما ظلم"، معناه: لم يقع له الشبه غير موقعه، ويقال "ظلم الرجل سقاه من اللبن" إذا شرب منه قبل إدراكه "وأرض مظلومة" إذا حفر فيها ولم يكن حفر فيها قبل، أو جاء المطر بقربها وتخطاها، قال النابغة:

إلا الأواريَ لأياما أبينها والنوَي كالحوض بالمظلومة الجلد^١

ويستخلص من هذا المثال تخصيص الظلم-هنا- بالمعصية.

- ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْنًا} [ص: ١٦] "القط" النصيب، وأصله الصحيفة يكتب للإنسان فيها شيء يصل إليه ، قال الأعشى:

ولا الملكُ النعمان يوم لقينه بإمته يعطي القطوط ويأفق^٢

- ومن ذلك: ما قال في تفسير الآية الكريمة من سورة الحج {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} [الحج: ٣] "ومريد وما رد معناه: أنه قد مرد في الشر. وتأويل المرود: أن تبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وجائز أن يستعمل ذلك في غير الشيطان، فتقول: قد تمرّد هذا السيء: أي قد جاوز حدّ مثله، وأصله في اللغة: املساسُ الشيء، ومن ذلك قولك للإنسان: أمرّد إذا لم يكن في وجهه شعر، ويقال للصخرة مرداء إذا كانت ملساء"^٣

أما ما ورد من تعميم الدلالة فمن أمثلته :

- ما قاله في تفسير قوله تعالى : {فَلَا تَعْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أزْوَاجَهُنَّ} [البقرة: ٢٣٢] : "وأصل العضل" من قولهم: "عضلتُ الدجاجة فهي معضل" إذا احتبس ببيضها ونشب فلم يخرج، يقال: "عضلت الناقة" أيضا فهي [معضل] إذا احتبس ما في بطنها"^٤

١- المعاني مجلد ١، صفحة ١١٠ / ١١١.

٢- المعاني، مجلد ٤، صفحة ٥٢، البيت للأعشى ميمون بن قيس في ديوانه، تحقيق محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، بدون رقم ولا تاريخ، ص ٢٥٥. قال المحقق: القطوط جمع قط وهو الصلْكُ بالجائزة.

٣- المعاني، مجلد ٣، صفحة ٢١١، وملحظ التطور أن لفظ مرّد كان في أصل استعماله يعني الاملساس، ثم تحوّل إلى معنى الخروج عن طبيعة صنفه. وكلُّ كلامٍ من هذا القبيل إمّا هو من اجتهادات العلماء وهو قول له وجاهته إذا قيس بما اعتاده الناس من طلب الحقّة ولكنه ليس مبنياً على استقصاء تاريخي لتطور اللغة.

٤- المعاني، مجلد ١، صفحة ٢٤٥.

ما ذكره في تفسير قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٩٠]: "...والميسر القمار كله، وأصله أنه كان قماراً في الجزور وكانوا يقسمون الجزور في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً، وفي قول أبي عمرو الشيباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة لا أعرف عدد الأجزاء، وكانوا يضرّبون عليها بالقداح، وهي سهام خشب. لها أسماء نبيها على حقيقتها في كتابنا- إن شاء الله - فيحصل كل رجل من ذلك القمار على قدر إمكانه فهذا أصل الميسر، القمار كله كالميسر ..."^١

الاشتقاق كوسيلة لتقرير المعنى عند الزّجاج

يرى بعض الباحثين أن اعتناء الزّجاج بالاشتقاق في هذا الكتاب يظهر في النصف الأول من الكتاب تقريباً، وأمّا النصف الآخر فإنه تخبو فيه هذه الظاهرة وتقلُّ إلى أن تصل إلى حدِّ الندرة"^٢. وهي مقولة لا تثبت أيضاً أمام الاستقصاء، حيث يجد الباحث في النسخة التي بين يدي هذه الدراسة من كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج في النصف الثاني من هذا الكتاب، أي المجلدين الثالث والرابع من مسائل الاشتقاق ما يزيد على اثنتين وثلاثين مسألة^٣. في حين يجد في الجزأين الأول والثاني أقلّ من هذا العدد؛ فهي قريب من تسع وعشرين مسألة،^٤ ويمكن تصنيف هذه المسائل بحسب وصفها، أو بحسب توظيفها على النحو التالي:

١. ما كان الاشتقاق فيه من اسم ذات، ومن أمثله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {الآن حَصَّصَ الْحَقُّ} [يوسف: ٥١] "أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من الحصّة، أي بانث حصّة الحق وجهته من جهة الباطل"^٥.

٢. ما كان الاشتقاق فيه من اسم معنى، مثل قوله: {نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]: "نستعون؛ لأنه إما معناه من المعونة أو العون..."^٦

١- المعاني، مجلد ٢، صفحة ١٢٣.

٢- الخزامي، رقيّة محمد صالح، القراءات واللغويات في (معاني القرآن للزجاج)، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، صفحة ١٦٨.

٣- وهي موزعة على الصفحات بالشكل الآتي: ٣/ ٥، ١٤، ٢٠، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٦٧، ٦٨، ٧١، ١٠٩، ١١٦، ١٣٠، ١٥٠، ١٤١، ١٣٨، ١٩٦، ٢٠٧، ٤٤، ٤٨/٣٢٤، ٥٢، ٥٣، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٢، ٢٧٣، ٢٦٣، ٢٣٦، ٢٠٠، ٦١، ٣٥٢.

٤- وهي موزعة على الصفحات بالشكل الآتي: ١/ ١٣٦، ١١٨، ٣٤٥، ٣١١، ٢٨١، ٢٧١، ٢١٧، ١٦٨، ١٥٩، ٣٤٩، ٢/ ٢٣٧، ٢٨٠، ٢٧٨، ٢٥٣، ٢٢٤، ٢٠٩، ١٩٨، ١٥٠، ١٤٩، ١٣٥، ١٠٢، ٩٤، ٩٦، ٧١، ٦٩، ٦٦، ٥٧.

٥- معاني القرآن وإعرابه ٢٠/ ٣.

٦- معاني القرآن، ٤٥/ ١.

٣. ما كان الاشتقاق فيه من اسم ذات مثل قوله: " {فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} [المائدة: ١٤] ... يقال: "غريت بالرجل غرياً" مقصور، إذا لصقت به، وهذا قول الأصمعي، وقال غير الأصمعي: غريت به غراءً، وهو الغراء الذي يغري، إنما تلتصق به الأشياء"^١
٤. ما كان الاشتقاق فيه من صفة: كقوله في تفسير قوله: {أَيَّبِنُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} [النساء: ١٣٩]: "وهو مأخوذ من قولهم "أرض عزاز" قال الاصمعي: "العزاز" النقل من الأرض والصلب من الحجارة الذي يسرع منه جري الماء والسييل، هذا لفظ الأصمعي، فتأويل العزّة: الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال..."^٢.
٥. ما كان فيه نصٌّ على الاشتقاق من الفعل: كقوله في تفسير قوله تعالى: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ} [آل عمران: ٢١] "... واشتقاقه من "نباً وانباً" أي أخبر، والأجود ترك الهمزة ... فيجوز أن يكون نبي من أنبات مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أن يكون من "نباً ينبؤ" إذا ارتفع فيكون فعلاً من الرفعة"^٣.
٦. ما قصد فيه إلى بيان الفروق الواردة في الأصل: ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا} [المائدة: ٣٣] "يقال: خزي الرجل يخزي خزياً إذا افتضح وتحير فضيحة وقد خزي يخزي خزاية، إذا استحا كأنه يتحير أن يفعل قبيحاً"^٤
٧. بيان ما يلتقي من المشتقات على معنى جامع، مثل قوله في تفسير قوله تعالى: {وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً} [المائدة: ١٢] "النقيب في اللغة: كالأمير والكفيل، ونحن نبين حقيقته - إن شاء الله. يقال: "نقب الرجل على القوم ينقب" إذا صار نقيباً عليهم، "وما كان الرجل نقيباً ولقد نقب"، "وصناعته النقابة" وهذا الباب يجمعه التأثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك "نقبت الحائط" أي بلغت في النقب آخره، ومن ذلك النقبة في الجرب لأنه شديد الدخول، والدليل على ذلك أن البعير يطل بالهناء، فيوجد طعم القطران في لحمه و "النقبة" هذه السراويل التي لا رجلين لها، قد بولغ في فتحها ونقبتها و "نقاب المرأة" وهو ما ظهر من ثلثها من العينين والمحاجر، و "النقب" والنقب" وهو الطريق إلى معرفة أمورهم"^٥.
٨. ما جمع فيه الأقوال ورجح أحدها، ومن أمثلته:

١- معاني القرآن وإعرابه، جزء ٢، صفحة ٩٦.

٢- المعاني، ٧١ / ٢.

٣- المعاني، ١١٨ / ١.

٤- المعاني ١٠٢ / ٢.

٥- المعاني، ٩٤ / ٢، ٩٥.

قوله في تفسير قوله تعالى : {ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران : ٣٤] : "و {ذُرِّيَّةٌ} قال النحويون: هي فعلية من الذر؛ لأنَّ الله أخرج من صلب آدم كالذرِّ {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ} [الأعراف: ١٧٢] وقال بعض النحويين {ذُرِّيَّةٌ} أصلها ذرورة على وزن "فَعُولَة" ولكن التضعيف لما كثر أبدل من الرءاء الأخيرة فصارت "ذرورية" ثم أدغمت الواو في الياء فصارت "ذرية" والقول الأوّل أقيس وأجود عند النحويين"^١.

٩. ما لجأ فيه إلى بيان ما يوافق الاشتقاق العربي إذا كانت الكلمة أعجمية، ومثاله ما ورد في تفسير قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ} [الأنبياء: ٩٦] قال: "يروى أنّ الناس عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أججت النار، [ومنه] ^٢ الأجاج، وهو أشدُّ، وهو الشديد الملوحة المحرق من ملوحته"^٣.

١٠. وقد يحتكم إلى الاشتقاق كتلميح إلى نفي كون الكلمة من الذخيل؛ ومثاله: ما ورد في قوله تعالى : {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين: ٧] ، قال: "زعم أهل اللغة أنّ {سجّين} فعيل من السجن؛ المعنى : كتابهم في حبس، جعل ذلك دلالة على خساسة منزلتهم، وقيل {لفي سجّين} في حساب، وفي سجّين: في حجر من الأرض السابعة"^٤.

١١. وقد يقوم بتغذية المعنى بمزيد من المشتقات ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [البروج: ١٠] : "أي أحرقوا المؤمنين والمؤمنات، يقال: "فتنت الشيء" أحرقته، والفتين حجارة سود كأنها محرقة"^٥.

ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق: ١] : "والطارق النجم ... وإنما قيل للنجم طارق لأنه طلوع بالليل، وكل ما أتى ليلاً فهو طارق لأنّ الليل يسكن فيه ومن هذا قيل: "أطرق فلان" إذا أمسك عن الكلام وسكن".

١٢. ما ذكرت فيه قاعدة الاشتقاق: ومثاله ما قاله في تفسير قوله تعالى : {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠] "ومعنى ملتهم في اللغة: سنتهم وطريقتهم، ومن هذا الملة أي الموضع الذي يختبر فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق. وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتقٌ بعضه من بعض وأخذ بعضه بـرقاب بعض"^١.

١ / ١١ / ٣١١.

٢ في النسخة التي بين يدي هذه الدراسة: "ومن النار" ويبدو أنه مخالف للصواب .

٣ المعاني ٣ / ٢٠٧.

٤ ٤ / ٣٢٢.

٥ المعاني ، ٤ / ٣٢٨.

العناية بمباحث علم الصرف في (معاني القرآن للزجاج)

يشهد لأهمية البحث التصريفي في التفسير اللغوي ما حفلت به كتب التفسير وكتب اللغة من قضايا قد تراكب فيها البحث العقدي أو التشريعي مع البحث التصريفي وارتبط ارتباطاً لا تنفصم عراه وبسط هذه المسائل مما يضيق به المقام ، بل قد يضيق بجزئياته ما لم يحسن المرء تلخيصها، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك في مثل قوله (فَعِيلٌ مِنَ السُّجُنِ) احتكام لقانون في الاشتقاق يعتني بإرجاع المشتقات إلى أصولها ويسمى الاشتقاق الأوسط .

ومن أمثلة ما يترتب على اختلاف الصيغ التصريفية من اختلاف في المعنى ، وما قد يترتب على ذلك في باب العقيدة أو باب الأحكام ، الخلاف المشهور بين فقهاء المذاهب في تفسير قوله تعالى {أَوْ لِمَسْتُمْ النَّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء : ٤٣]^٢ .

ومما أشكل تأويله مما يتعلق بهذا الموضوع ورود صيغة التفضيل في بعض آي القرآن في شيئين ليسا محلّاً اشتراك في صفه حتى يكون بينهما تفاضل، ومن ذلك تفسير صيغة التفضيل في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧] حيث اختلف العلماء في دلالة اسم التفضيل على مذهبين :

الأول : أن اسم التفضيل قد يأتي مجرداً من معنى التفضيل .

ويؤول باسم الفاعل ، أو بالصفة المشبهة وهو قول أبي عبيدة والمبرد وغيرهما .

فيكون معنى (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أي هين عليه ،

الثاني : أن أفعال التفضيل لا يخلو من معنى التفضيل مطلقاً وعليه وُجِّهت الآية توجيهين :

الأول أن ذلك من باب التنزُّل لفهم المخاطبين، وأنه محمول على ما يفعل الناس؛ فهو من باب المثل.

والثاني: أن الضمير في عليه راجع إلى المخلوق أي إعادة أهون على المخلوق من النشأة أي أسرع لأنه في النشأة ينتقل من طور إلى طور ، وضعف ابن عطية هذا الوجه بناءً على أن الضمير في قوله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} بعده مباشرة راجع إلى الله تعالى تناسب أن يكون مرجع الضمير واحداً^٣ .

ويمكن تقسيم جهود الزجاج في التصريف إلى قسمين رئيسيين :

١- المعاني ، ١ / ١٥٩ .

٢- Ü éēî

٣- "ēññ

ما يتعلق بالصوتيات ، وهو ما يدور الكلام فيه حول قضايا من مثل :

١. **تغير المعنى بين الهمزة والألف** : ومنه قوله في تفسير قوله تعالى : {أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} [البقرة : ٦١] " ... أما {أدنى} غير مهموزة فمعناه : الذي هو أقرب وأقل قيمة ، كما تقول : هذا ثوب مقارب ، فأما الخسيس فاللغة فيه أنه مهموز ، يقال : " دنوء دناءة وهو دنيء " ويقال هذا (أدنا) بالهمزة
٢. **أثر التنوين وتركه في تغير المعنى** :

- قال : " وقوله -عز وجل- {مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة : ٧٢] : الأجود في {مُخْرَجٌ} التنوين لأنه إنما هو لما يستقبل أو للحال ، ويجوز حذف التنوين استخفافاً فيقرأ : مخرج ما كنتم تكتمون " فإن كان قرئ به ، وإلا فلا يخالف القرآن كما شرحنا "١
- ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: ٣٠] " قرئت {عزير} بالتنوين وبغير التنوين والوجه إثبات التنوين لأن ابناً خير، وإنما يحذف التنوين في الصفة نحو قولك : " جاءني زيد بن عمرو " فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين و (أن) مضاف وأنّ النعت والمنعوت كالشيء الواحد ، فإذا كان خبراً بالتنوين ، وقد يجوز حذف التنوين على ضعف لالتقاء الساكنين "٢

٣. **أثر المدّ والقصر في المعنى**: ومثاله قوله في تفسير قوله تعالى: {فَقَبَدْنَا بِالْعَرَاءِ} [الصافات: ١٤٥] " والعراء على وجهين مقصور وممدود ، فالمقصور الناحية ، والعراء ممدود المكان الخالي ، قال أبو عبيدة وغيره : إنما قيل له العراء لأنه لا شجر فيه ، ولا شيء يغطيه، وقيل : إنّ العراء وجه الأرض ، ومعناه وجه الأرض الخالي ، وأنشدوا :
رفعتُ رجلاً لا أخافُ عتارها
ونبذت بالبلد العراء ثيابي^٣

ما يتعلق بقضايا صرفية أخرى :

٤. **معاني صيغ المصادر وما بينها من فروق**:

- مثل قوله في تفسير قوله تعالى: {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزْيٌ...} [البقرة: ١١٤] {خزْيٌ} يقال في الشر والسوء : خزي الرجلُ خزياً، ويقال في الحياء خزي يخزي خزياً^١.

١- نفسه، ١/١٢٤ .

٢- نفسه، ٢/٢٧٧ .

٣- البيت نسبة الطبري ، لقيس بن جعدة، في تفسيره، سورة القلم، ج١٦، ص٦٦٢، وذكر القرطبي رواية أبي عبيدة أنه لرجل من خزاعة، الجامع، ج١٥، ص١١٦ .

- ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور: ٢] "وتقرأ" رآفة في دين الله" على وزن فعالة ... ومثله كآبه، ف (فعالة) من أسماء المصادر وسامة على قياس (كلالة) وفعالة في الخصال مثل القباحة والملاحاة والفقامة وهذا يكثر جداً^٢
- ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} [النساء: ٣٤]. "يقال هجرت الإنسان والشيء أهجره هجراً وهجراناً وأهجر فلان منصبه يُهجره إهجاراً" إذا تكلم بالقبيح، و"هجر الرجل هجراً" إذا هذى و"هجرت البعير أهجره هجراً" إذا جعلت له هجاراً، و"الهجار" حبلاً يُشد في حقوقي رسغه، و"هجرت تهجيراً" إذا قمت وقت الهاجرة، وهو انتصاف النهار" ٣ .

٥. بيان صيغ الأفعال وأثرها في المعنى ، ومنه :

قوله في تفسير قوله تعالى : { وَهَزَىٰ إِلَيْكَ الْجُدْعَ الْأَخْضَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا } [مریم: ٢٥] " ويجوز تُسَاقِط عليك، ويجوز تُسَاقِطُ عليك، بالتون ويجوز: يسَاقِطُ بالياء، ويجوز يتساقط عليك، ويجوز تُسَاقِط عليك ونساقط ويُسَاقِط بالرفع، ويروى عن البراء بن عازب. فمن قرأ يسَاقِطُ عليك فالمعنى يتساقط فأدغمت التاء في السين، ومن قرأ تُسَاقِطُ فالمعنى: تتساقط أيضاً. فأدغمت الياء في السين وأنت لأن لفظ النخلة مؤنث. ومن قرأ: تُسَاقِطُ بالتاء والتخفيف فإنه حذف التاء من تتساقط لاجتماع التاءين، ومن قرأ: يُسَاقِطُ إلى معنى يساقط الجذع عليك، ومن قرأ تُسَاقِطُ النخلة بالتون، فالمعنى: إنا نحن نساقط عليك فنجعل لك بذلك آية"^٤ .

٦. ضبط عين الفعل وأثر ذلك في المعنى: ومن ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة {وَلَا تَطَّعُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ} [طه: ٨١] "ويقرأ "فيحلُّ عليكم غضبي ومن يحلُّ عليه غضبي" فمن قرأ (فيحلُّ عليكم) فمعناه: فيجب عليكم، ومن قرأ (فيحلُّ عليكم) فمعناه: فينزل عليكم"^٥ .

٩. ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصفافات: ٤٧]: {يُنْزَفُونَ} بفتح الزاي وكسرهما فمن قرأ ينزفون فالمعنى : لا تذهب عقولهم بشربها؛ يقال للسكران نزيف ومُنزَف، ومن قرأ

١- معاني القرآن وإعرابه، ١/ ١٣٤
٢- نفسه، ٣/ ٢٤٨ .
٣- المعاني ٢/ ٢٨، ٢٩ .
٤- معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ .
٥- نفسه، ٣/ ١٨٦

(يُنزفون) فمعناه: لا يُفقدون شرابهم ، أي هو دائم أبداً لهم...^١.

٧. معاني زيادات الأفعال:

ومن ذلك: قوله في تفسير قوله تعالى: {فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ} [الشعراء: ٦٠]: أي في وقت شروق الشمس يقال: "أشرقنا" أي دخلنا في وقت طلوع الشمس، ويقال: "شرقفت الشمس" إذا طلعت و"أشرقفت" إذا أضاءت وصدت، و"أشرقنا نحن" دخلنا في الشروق^٢.

٨. العناية بصيغ الأفراد والتنثية والجمع:

من ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة {مَا كَانَ لِغَيْبِي أَنْ يَكُونَ لِي أُسْرَى} [الأنفال: ٦٧] ، ويقرأ "أسارى" فمن قرأ: {أسرى} فهو جمع أسير [وأسرى] وفعلى جمع لكل ما أصيبوا به في أبدانهم وعقولهم، يقال: "هالك وهلكى، ومرضى ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى" ومن قرأ "أسارى" فهو جمع الجمع، تقول: أسير وأسارى... ولا أعلم أحداً قرأها "أسارى، وهي جائزة ولا تقرأ بها إلا أن تثبت رواية صحيحة"^٣

٩. العناية بتناوب معاني الأبنية الصرفية: يقصد بالتناوب الصرفي اتفاق المبنى الصرفي المستخدم

مع مبنى صرفي آخر في المعنى^٤ ويذكر "أنّ [القول بـ] تحويل مبنى صرفي إلى مبنى صرفي آخر يدخل في باب التفسير بالرأي، لا بالمأثور؛ إذ هو اجتهاد اتى على كثير منه متقدمة المفسرين... وإنما يؤخذ به إذا كان السياق يتيح، والبناء اللغوي يحتمله"^٥

ومما ذكره الزجاج بصيغة تطبيقية لا يخالطها التقعيد قوله في تفسير قوله تعالى: {وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥] الخليل: المحبُّ الذي ليسَ في محبته خلل... والخليل الحبيب، والخليل الصادق، والخليل: الناصح، والخليل الرفيق...^٦

ومنه ما قاله في تفسير قوله تعالى: {أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ} [المائدة: ١]: "وسمي بهيمة لعدم تمييزه وإبهام الأمر عليه"؛ ففي قوله "العدم تمييزه اعتبار الفاعلية، وفي قوله "إبهام الأمر" اعتبار المفعولية.

١- نفسه، ٤/ ٤١

٢- معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٩٠

٣- كذا، ولعلها زيادة من الناسخ!

٤- نفسه، ٢/ ٢٦٥ .

٥- العتوم، أيمن علي، تناوب معاني الأبنية الصرفية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، صفحة ٥.

٦- نفسه، الصفحة نفسها.

٧- تناوب معاني الأبنية الصرفية، ص ٢٥٠

السياق القرآني كوسيلة لتقرير المعنى

اعتمد الإمام الزجاج- رحمه الله- معيار السياق وسيلة لتقرير المعنى في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) ، وقد اتخذ في ذلك الأساليب الآتية :

١. أن يذكر أن اللفظ الفلاني "معناه هنا" كذا. وقد كان هذا الأسلوب الأكثر تكراراً^١.
٢. أن يورد ذلك على سبيل الحجّة والاستدلال، ومن أمثله:
 - قوله في القنطار : "فأما من قال من أهل التفسير إنه شيء من الذهب موفٍ فأقوى منه عندي ما ذكر من أنه من الذهب والفضة لأنّ الله -عزّ وجلّ - ذكر القناطر فيهما؛ فلا يستقيم أن يكون القنطار في إحداهما دون الأخرى."^٢
 - قوله في تفسير اللفظ {الصَّابِئُونَ} [المائدة: ٦٩] : " وقال الكسائي : {الصَّابِئُونَ} نسق على ما في {هَادُوا} كأنه قال: "هادوا هم والصابئون" وهذا القول خطأ من جهتين؛ إحداهما: أنّ الصابيء يشارك في اليهودية. وإن ذكر أنّ هادوا في معنى تابوا فهذا خطأ في هذا الموضع أيضاً لأنّ معنى الذين آمنوا - هنا - إنما هو إيمان بأفواههم، لأنه يعني به المنافقون، ألا ترى أنه قال: من آمن بالله، فلو كانوا مؤمنين لم يجنح أن يقال: إن آمنوا فلهم أجرهم."^٣

العناية بالقراءات والنحو

أولاً: القراءات

"احتلت القراءات من (معاني القرآن وإعرابه) موقعاً مهماً ونالت من عناية الزّجاج ما نالت معاني الآي؛ إذ ارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً، على الرّغم من أنه توخّى في منهج تأليف هذا الكتاب الاختصار... كما ارتبطت القراءات بوجوه الإعراب، وباللغة وبالصرّف، وهذا مسوّغ آخر لوقوف الزّجاج عندها وبيان وجوهها والترجيح بينها وتوجيهها"^٤

١- انظر مجلد ١ ص ٨٧، ٨٨، ٩٨، ١٠٣، ١١٩ ومجلد ٢/ ص ٢١١، ٢٥٤، ومجلد ٣/ ص ١٣٢، ومجلد ٤ صفحة ١٨، ١٩، ٨٤، ٨٦، ٩٨، ١٠٦، ١١٨.

٢- المعاني، مجلد ١، ص ٣٠٠.

٣- المعاني، ١١٨/٢.

٤- الزبيدي، كاصد، القراءات القرآنية عند الزّجاج، دار الفرقان، عمان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، صفحة ٢.

ومن الطبيعي جداً أن تقوم بعض الدراسات على أساس مقارنة جهود الزّجاج بجهود غيره من أئمة اللغة أو النحو أو القراءات أو التفسير؛ كما أنه من السهل تفهم من يرجح كفة أحد العلماء على الزّجاج في مجال القراءات- حيث يرى البعض - إنّ الزّجاج وإن كان اهتمّ بالقراءات القرآنية، غير أنّه لم يصل إلى حدّ اهتمام الفراء بها^١، إلا أنّه من الصعب المجازفة بقبول مقولة أنّ الزّجاج " لم يدرس قراءات القرآن ورواياتها ولكنه ألمّ بقراءات اللغويين ومعظمها من الشواذ"، وكذلك من المجازفة الاستدلال في ضوء هذه المقولة بأنّ الزّجاج "يتردد في غير موضع فيقول: "يجوز في الآية كذا وكذا- قرئ به" ^٢ بل إنه من الإنصاف القول بـ "أنّ الزّجاج كان على اطلاع واسع على علم القراءات؛ فهو يذكر ما ورد في كلمة ما من أحرف، مبيناً ما هو "صحيح جيّد بالغ، وما هو "مماثل في الجودة"، وما هي "اللغة رديئة.." ^٣

على أنّ من الجدير بالاعتبار أنّ المقصد الذي وضع الزّجاج كتابه لأجله هو الذي صرفه عن التوسع في ذكر القراء ورواتهم"

ويلحظ أنّ الزّجاج -على الرغم من تقيّده بذلك المقصد، قد روى عن عدد من القراء غير قليل، منهم أصحاب القراءات السبعة وهم:

- ابن كثير المكي (٤٥ - ١٢٠) ^٤.
- عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٢٧) ^٥.
- أبو عمرو بن العلاء البصري (٦٨ - ١٥٤) ^٦.
- حمزه بن حبيب الزيات الكوفي (٨٠ - ١٥٦) ^٧.
- نافع المدني (٧٠ - ١٦٩هـ) ^٨.
- الكسائي الكوفي (١١٩ - ١٨٩).

١- الجبالي، زياد معاني القرآن بين القراء والزّجاج، دراسة نحوية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م.
٢- هذه مقولة شلبي، عبد الجليل في مقدّمة تحقيقه لكتاب معاني القرآن للزّجاج، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٩.
٣- الدالاتي، خديجة، الجهود اللغوية والنحوية للزّجاج في كتاب معاني القرآن وإعرابه، رسالة ماجستير، جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات اللغوية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٢٦٨.
٤- نفسه، ١/ ٩٨.
٥- نفسه، ٢/ ٢٨٩، ٣١٠، ٣١٩، ٣١٠/٣، ٢٨٠، ٢٧٢/٤، ٢٨١.
٦- نفسه، ٢/ ٢٨٩، ٣١٠، ٣٣٤، ٣٧٠، ٣٧٠/٣، ١٠٤، ١٨٠، ١٨٢، ٣١٣، ٣٤٥، ٣٤٥/٤، ١٢٨، ١٤٢، ٢٣٧، ٢٤٣..
٧- نفسه ٣/ ٥٠، ٤/ ٢٤.
٨- المعاني، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، جزء ٣، صفحة ٦٥.

- أما ابن عامر الشامي (٨ - ١١٨) فلم يذكر اسمه في "المعاني" ومع ذلك تطرق إلى بعض حروف منها في تفسيره للآية: { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }؛ حيث قال الزّجاج: "وقرئت بالغدوة والعشي" و {بالغداة والعشي} أجود في قول جمع العلماء؛ لأنّ "غدوة" معرفة لا تدخلها الألف واللام، والذين أدخلوا الألف واللام جعلوها نكرة.^١

وتبع الزّجاج في ذلك ابن منظور - صاحب لسان العرب - الذي "تبنى رأي الزّجاج بشأن قراءة ابن عامر المذكورة، ونسبها إلى الشذوذ"^٢، وبهذه الملحوظة يمكن تصويب ما قالته الباحثة رقية الخزامي: "أما ابن كثير فلم يرو عنه، وكذلك ابن عامر"^٣.

ومن القراء العشرة تجد أبا جعفر المدني (ت ١٣٠هـ)^٤ ومن القراءات المنسوبة للصحابة - وهي قراءات نقص فيها شرط من شروط القراءة المعتمدة؛ من الرواية المتواتره أو قوة العربية أو موافقة رسم المصحف - قراءة ابن عباس^٥، وقراءة ابن مسعود^٦، وقراءة أبي هريرة^٧، وقراءة ابن عمر^٨. ومن التابعين الحسن البصري^٩، والشعبي^{١٠}.

ومن قراءات اللغويين قراءة عيسى بن عمر^{١١}، وأبو عبيدة معمر بن المثنى^{١٢}، وابن أبي اسحق^{١٣}، ومن أصحاب الأربع عشرة الزبيدي صاحب أبي عمرو^{١٤}، ومن أصحاب القراءات الزائدة على الأربع عشرة يحيى ابن وثاب^{١٥}.

ويظهر لمن يتتبع كلام الزّجاج أنه كان مهتماً بتلقي القراءات بإقراء علمائها؛ فهو يصرح في قراءة قوله تعالى: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: ١٥٤] أنه قرأها بإقراء أبي عمرو عن

-
- ١ - المعاني ٣ / ١٢٩.
 - ٢ - الدالاتي، خديجة، الجهود النحوية واللغوية للزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق.
 - ٣ - الخزامي، رقية محمد صالح، القراءات واللغويات في معاني القرآن للزجاج، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
 - ٤ - المعاني ٣ / ٢٦٢، ٢٦٩.
 - ٥ - انظر الزّجاج، المعاني ١ / ٣٤٦، ٣٢١ / ٢، ٣١٧ / ٣.
 - ٦ - الزّجاج، المعاني ٤ / ٢٧.
 - ٧ - الزّجاج، المعاني ٣ / ٢٣.
 - ٨ - الزّجاج، المعاني ٣ / ٣٥٥.
 - ٩ - الزّجاج، المعاني ٣ / ٢٠، ٣ / ٢٢١، ٣ / ٢٨٠.
 - ١٠ - الزّجاج، المعاني ٣ / ٢٨٦.
 - ١١ - الزّجاج، المعاني ١ / ٥٧، ٤ / ١٨٥، ٣ / ١٨٢، ٣ / ٢٤٩.
 - ١٢ - الزّجاج، المعاني ١ / ٧٠.
 - ١٣ - المعاني ٣ / ٣٦٨.
 - ١٤ - الزّجاج، المعاني ٤ / ١٩٩.
 - ١٥ - الزّجاج، المعاني، ٣ / ٧.

عاصم {بُيُوتَكُم} بضمّ الباء، والضمُّ أكثر وأجود^١، ويذكر أنه أفاد في القراءات عن شيخه المازني^١.
ومما يجب أخذه بالاعتبار عند مناقشة جهود الزّجاج في القراءات ومواقفه منها أمران:
الأمر الأول: طبيعة المرحلة التاريخية التي يعيشها الزّجاج من مراحل تطوّر علم القراءات؛ حيث
واكب الزّجاج -رحمه الله- مرحلة يعدّها مؤرخو القراءات المرحلة الحادية عشرة في تاريخ
القراءات؛ "وهي مرحلة بدء التأليف في القراءات وتدوينها، ويختلف المؤرخون في أوّل من ألف
فيها، فذهب الأكثر إلى أنّه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) "^٢
وسبقت هذه المرحلة مرحلة "تجرّد [فيها] قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءات أتمّ
عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليهم "^٣.

ثمّ تبعها "مرحلة كان فيها تسبيح القراءات، وجمعها في مؤلف خاص، على يد أبي بكر بن
مجاهد التميمي البغدادي سنة ٣٢٤هـ"^٤
فالمرحلة التي ألف الزّجاج فيها كتابه - وقد ذكر أنه انتهى من تأليفه قبل وفاته بعشرة أعوام-
واستغرق في تأليفه ستة عشر عاماً^٥ كانت مرحلة انشغل فيها العلماء بتتقيح القراءات، وظهر فيها
علماء متخصصّون لهم اختياراتهم مما ثبت لديهم من الروايات، على اختلاف بينهم أو بين الرواة
عنهم في بعض الحروف -على أنها اختلافات تنوّع وليست اختلافات تضاد - خاصة وأنها ثابتة
بالروايات المتواترة ينقلها العدول الضابطون عن أمثالهم؛ فهي مرحلة شاعت فيها الروح النقدية التي
كان لها أثر عظيم فيما حازته العلوم الإسلامية من الموثوقية - وإن اعتبرت جرأتهم في النقد-
وبخاصة في مجال القراءات مأخذاً عليهم .

أما الأمر الثاني، فهو وجود توجّه قديم لدى بعض العلماء، لم يزل له من يناصره، وهو
التفريق بين (القرآن) و (القراءات)، حيث يتناقل المؤلفون في القراءات - على سبيل المثال- قول
الإمام الزركشي^٦:

" واعلم أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على سيدنا

١- الزبيدي، كاصد، القراءات القرآنية عند الزّجاج، مرجع سابق، صفحة ٣.
٢- الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف، دار المجمع العلمي بجدّة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٨
ويرجع المؤلف أن أوّل من ألف في القراءات هو يحيى بن يعمر ت ٩هـ.
٣- نفسه، ص ٢٧.
٤- نفسه صفحة ٣٦.
٥- الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ، ص ٢٨ / ١.
٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جزء ١، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفيّتها، من تخفيف وتسهيل وغيرها^١.

وقد بنى الزركشي على هذه النظرة - مقولته في القراءات السبع؛ حيث قال: "والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر، فإنّ إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد"^٢.

ونقل السيوطي عن بعض العلماء القول بالتواتر في هذه القراءات مع استثناءات نصوا عليها: فاستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء كالمَدّ والإمالة وتخفيف الهمزة، واعترض عليه ابن الجزري وكذلك عدّ السيوطي القول بالتواتر- من غير الاستثناء المذكور- مما نصّ عليه أئمة الأصول^٣.

وممن نسب إليه الأخذ بمقولة الزركشي الإمام السيوطي^٤، وحقيقة موقف السيوطي من المسألة أنّه قال: "قلتُ في ذلك نظراً لما سيأتي" وأورد بعد ذلك ما ذكره أصحاب الاستثناءات المذكورة آنفاً^٥.

ثمّ ختم السيوطي البحث في هذه المسألة بما يفهم منه تبيينه للتواتر؛ حيث نقل عن ابن الجزري قوله: "وقد نصّ على تواتر ذلك كله أئمة الأصول، كالقاضي أبي بكر وغيره وهو الصواب". انتهى، والقول بالتواتر في نقل القراءات وعدم التفريق بينها وبين القرآن هو أولى بالترجيح لما عُرف من غيرة الجيل الأوّل على صحّة القراءات، وهو ما استفاضت أخباره في مباحث الأحرف السبعة.

كما ورد القول نفسه عن "القسطلاني في لطائف الإشارات، (١ / ١٧١) والدمياطي في إتحاف فضلاء البشر، (١ / ٦٨، ٦٩) وصبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن"^٦

ويرتبط الكلام في هذه المسألة بما يسميه البعض بـ "المقياس القرآني؛ حيث يذكر "أنّ القراء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة يميزون بها المتواتر من الشاذ" وأنّ هذه المقاييس "مرّت بمراحل مختلفة تطوّرت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته" فـ "أقدم مقياس وقفنا عليه هو مقياس

١- البرهان في علوم القرآن، جزء ١، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

٢- البرهان ١ / ٤٦٥ - ٤٦٦.

٣- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن جزء ١، ص ٣٧٦.

٤- عباس، فضل، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، دار النفائس، عمان، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٨٢.

٥- السيوطي، الإتيان، مرجع سابق، ١ / ٣٧٦.

٦- انظر عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها، مرجع سابق، ص ٨٣.

ابن مجاهد، ثم تلاه مقياس ابن خالويه، فمقياس مكي بن أبي طالب، ثم مقياس الكواشي، وأخيراً مقياس ابن الجزري الذي استقرّ عليه العرف القرائي حتى اليوم^١. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ التطور في مقاييس القراءة لا يغير في جوهر ما اتفق عليه العلماء من أسس قبول القراءة - وهي نفسها التي أكثر الزّجاج من التأكيد عليها والنصّ عليها نظرياً - وإنما يتعلق الأمر بالتوسع أو التضيق في بعض الشروط.

فعلى سبيل المثال تجد "اختلافاً يسيراً بين مكي بن أبي طالب، حيث اشترط قوّة الوجه في العربية، وبين ابن الجزري؛ حيث وسّع في شرط موافقة العربية إلى ما يشمل كلّ الوجوه في العربية قوية كانت أو سواها، وللظروف التي أحاطت بالقراءات أثر في هذا التطور من التضيق في دائرة شرط موافقة العربية عند مكي، إلى التوسعة عند ابن الجزري"^٢.

كان الزّجاج من السابقين إلى اعتماد مقياس لا يملأ من تأكيده على مدى الكتاب؛ حيث "أقام القراءة الصحيحة المقبولة على أسس ثلاثة رئيسة هي:

١. الرواية الصحيحة المشهورة.

٢. موافقة خط المصحف.

٣. موافقة المشهور من العربية.

وهو بهذا سابق لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) صاحب كتاب السبعة في القراءات، وعلى أساس هذه المحاور الثلاثة قام منهج الزّجاج:

١. فعلى محور الرواية:

- تجده يصرّح بأنّ أكثر ما يرويه من القراءة، فهو عن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)؛ حيث يقول: "وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا، فهو عن أبي عبيد، مما رواه إسماعيل بن إسحق عن أبي عبد الرّحمن عن أبي عبيدة"^٣ وهو يردّد التمسك بأنّ الرواية سنة متبعة، وانها مقدمة على القياس، ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى {الزّانية والزّاني فأجلّدوا كلّ واحدٍ منهما مئةً جلدةً} [النور: ٢]... وقرأ عيسى بن عمر "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، وهذه القراءة - وإن كان القارئ بها مقدّماً لا

١- الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، مرجع سابق، صفحة ١٢٣.

٢- المرجع السابق، ص ١٢٥.

٣- الزّجاج، المعاني، جزء ١، صفحة ١٨٠.

أحب أن يقرأ بها، لأن الجماعة أولى بالإتباع، إذ كانت القراءة سنة^١.

- قوله في تفسير قوله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...} [المائدة: ٥٤] "فيها في العربية ثلاثة أوجه: "من يرتدد" "ومن يرتد" بفتح الدال، "ومن يرتد منكم" بكسر الدال. ولا يجوز في القراءة الكسر لأنه لم يُرو أنه قرئ به، وأما "من يرتدد" فهو الأصل؛ لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضعفين ظهر التضعيف نحو قوله تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} [المائدة: ٥٤]، ولو قرئت "إن يمسمكم قرح كان صواباً ولكن لا تفران به لمخالفته المصحف، ولأن القراءة سنة.
- وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَرُهْنٌ مَقْبُوضَةٌ} [البقرة: ٢٨٣] "... والقراءة على رهن أعجب إلي لأنها موافقة للمصحف، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المختار، و (فرهان) جيد بالغا"

ويلاحظ أن الزجاج لم يأخذ هنا بمعيار الكثرة في الرواية، وأخذ بالأكثر في اللغة، فأخذ بالقراءة الأقل شيوعاً، ولم ينف عن القراءة الشائعة موافقتها للعربية، ولم يصفها بمخالفة المصحف وإن كانت عبارته توهم بذلك - وهي مكتوبة في الموافق لقراءة حفص بعلامة مدّ متعامدة مع حرف الهاء، وبذلك فهي لا تخرج عن رسم المصحف^٢، وعبارته اقرأ الناس: "فرهن مقبوضة" و "رهان" توهم أيضاً أن القراءة الأولى أكثر والصواب أن القراءة بكسر الراء والألف المحافظة على رسم المصحف هي الأكثر شيوعاً؛ حيث قرأ بها خمسة من القراء السبعة هم: نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر.

وقد يستشهد للقراءة بحديث نبوي شريف يرجح فيه ما يعده أجود اللغات؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة: ٩٧] قال: "جبريل" في اسمه لغات قرئ ببعضها، ومنها ما لم يقرأ به، فأجود اللغات جبرئيل - بفتح الجيم والهمزة؛ لأن الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب الصور "جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره" وهذا الذي ضبطه أصحاب الحديث...^٣

١- الزجاج، المعاني، جزء ٢، صفحة ١٠٣.

٢- انظر مصحف المدينة المنورة، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٠٥ هـ.

٣- نسبة ضبط لفظ (جبرئيل) إلى أصحاب الحديث فيها نظر؛ إلا أن يكون قصد رواة اللغة ممن لهم عناية بالحديث الشريف. فقد وردت اللفظة برسم جبريل في أحاديث صحيحة مستفيضة، منها حديث أركان الإيمان، المسمى حديث جبريل، انظر مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مكتبة الإيمان، المنصورة، كتاب الإيمان، حديث الباب، متسلسل (١)، ص ٢٩ وحديث "من قتل في سبيل الله كفرت خطياه، كتاب الإمارة، حديث الباب، " من قتل في

=

ومن أمثلة هذه الظاهرة ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} [الروم: ٥٤]، حيث يقول الزجاج: "...فالذي روى عطية عن ابن عمر عن النبي-عليه السلام- من ضَعْفٍ بِالضَّمِّ، وقد قرئت بفتح الضاد والاختيار الضمُّ للرواية"^١ على أن القياس في هذا المثال مع الفارق؛ فهذا - في هذا المثال- "قرأ عاصم وحمزة: (من ضَعْفٍ) و(من بعد ضَعْفٍ) و (ضَعْفًا) بفتح الضاد فيهنَّ كلهن. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: بضم الضاد فيهنَّ كلهن. وقرأ حفص عن نفسه بضم الضاد"^٢ فالحديث هنا ينتصر للرواية الأكثر في حين ينتصر الحديث في المثال قبله للرواية الأقل، ولا علاقة للترجيح-هنا- بموافقة أو مخالفة خط المصحف خلافا لما ذكرته الباحثة خديجة الدالاتي تعقيباً على هذا المثال.^٣

وهكذا يعتني ببيان إجماع القراء كوسيلة للترجيح بين القراءات، ومن ذلك: ما قاله في تفسير قوله تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ} [الروم: ٤]: "القراءةُ بالضمِّ، وعليه أهلُ العربية، والقراء كلهم مجمعون عليه ثم يذكر ما يجيزه النحويون من وجوه خارج القراءة"^٤ "وقريب من الإجماع اتباع الأكثر: "وهو كتاب الله عزَّ وجل -الذي ينبغي أن يحال فيه إلى ما عليه الأكثر لأنَّ القراءة سنة فالأولى فيها الاتباع، والأولى اتباع الأكثر"^٥ ولإجماع قراء البصرة مكانة متميزة من حيث اعتمادها في الترجيح ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير الآية: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥]، واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة، إلا أنه الاختيار فتح الرء لإجماع المدنيين والبصريين عليها، وأن أحداً من المحدثين ما رواها إلا الدرك بفتح الرء، فلذلك اخترنا الدرك.^٦

ومن ضمن عنايته بقراءات الأمصار، وعنايته بالإجماع كذلك، اهتمامه بما أجمع عليه أحد الأمصار كوسيلة للترجيح -ويذكر أنه كان أكثر عناية بإجماع أهل المدينة والبصرة - وقد يوسع سبيل الله كقرت خطابه إلا الدين" وفيه "فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك". (١١٧/ ١٨٨٥) وكتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة حديث ٢٤٤٧/٩٠ وفيه "... قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام" وباب فضائل حسان بن ثابت ٢٤٨٥/ ١٥١ وفيه: "أهجم أو هاجهم وجبريل معك" حديث الباب (١٠) من كتاب الفضائل: في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد ٢٣٠٦/٤٦.

- ١- الزجاج، المعاني ٣/ ٣٥٦.
- ٢- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ١٩٧٢ م.
- ٣- الدالاتي، خديجة، الجهود النحوية مرجع سابق، صفحة ٢٦٣.
- ٤- أبو بكر أحمد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ)، المعاني ٣/ ٣٤٦، وكذلك لم يذكر ابن مجاهد فيها خلافاً: "السبعة في القراءات، ص ٥٠٨".
- ٥- المعاني ٢٠٠/ ٢٠١.
- ٦- المعاني، ٧٢/ ٢، القراءات القرآنية عند الزجاج، ص ٥٣.

الدائرة فتشمل الحجاز في مثال، وقد يجمع الكوفيين والبصريين في مثال آخر، ففي تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} [البقرة: ٦] يقول " ... والواجب على لغة أهل الحجاز أن يكون "عليهم أنذرتهم" فيفتح الميم ويجعل الهمزة الثانية بين بين، وعلى هذا مذهب جميع أهل الحجاز" ^١ ومنه قوله في قراءة من قرأ " {يَخْصَمُونَ} بسكون الخاء والصاد على جمع بين ساكنين": "وهو أشد الأربعة وأردؤها وكان بعض من يروي قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يضبط عن أهل المدينة كما يضبط عن أبي عمرو "إلى بارئكم" ^٢

وفي تفسيره لقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ} [الأحزاب: ٥٣] يقول: "وليس يروي البصريون (بيوت) بكسر الباء بل يقولون: إن الضم بعد الكسر ليس موجوداً في كلام العرب ولا في أشعارها، والذين كسروا فكأنهم ذهبوا إلى اتباع الياء والاختيار عند الكوفيين الضم في بيوت" ^٣

- ومن مظاهر العناية بقوة الرواية تصريحه بأنه لا يحبُّ القراءة الأقرب إلى قواعد اللغة إذا خالف صاحبها القراء ^٤.

- وفي ضوء اعتداده بالإجماع أو الكثرة في القراءة بنى نظريته إلى القراءة الشاذة، وقراءات الأحاد "فالذي يفهم من كلام الزجاج أن الشذوذ في القراءة لا علاقة له بالقوة في العربية أو الضعف فيها، إذ هو يخضع لاعتبار آخر غير هذا الاعتبار وهو الخروج عن القراءات المشهورة المجمع عليها" ^٥

ويستخدم الزجاج مصطلح الشاذ صريحا في وصف بعض القراءات حيث إنه يقول في بعض المواضع "وهو شاذ جداً" ^٦ ويقول: "وهذه القراءة شاذة رديئة" ^٧ ومن ذلك قوله في قراءة اللفظة القرآنية {خطوات} من قوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ} [البقرة: ١٦٨] "أكثر القراءة: {خُطُوت} بضم الخاء والطاء، وإن شئت أسكنت الطاء "خُطُوت" لتقل الضمة، وإن شئت

١- المعاني مجلد ١، صفحة ٦٩.

٢- الزجاج، المعاني ٤/ ٣٣.

٣- الزجاج، المعاني ٣/ ٣٨٤.

٤- الزجاج، المعاني ٢/ ١٠٣.

٥- الزبيدي، كاصد، القراءات القرآنية مرجع سابق، ص ٢٧.

٦- المعاني، تحقيق عبد الفتاح شلبي، ١/ ٨٩.

٧- نفسه ٣/ وخديجة الدالاتي، "الجهود النحوية"، ص ٢٧٨١٦٨.

[خَطَوَات] وهي قراءة شاذة، ولكنها جائزة في العربية قوياً وأنشد الخليل وسيبويه وجمع البصريين:

فلما رأونا باديا رُكِبْنَا على مَوْطن لا نخلطُ الجدَّ بالهزل

وهذه الأمثلة تدفع إلى القول بأن الزجاج "لا ينصُّ على شذوذ القراءات إلا إذا أراد شذوذ وجهها النحوي" خلافاً لما استخلصه الباحث زياد الجبالي^٢ وهذا لا يتعارض مع كونه "قد رفض بعض القراءات المشهورة ووصفها باللحن والخطأ وارتضى من القراءات الشاذة ما يوافقه ورفض ما لا يوافقه"^٣ فواضح من أداء الزجاج على مدى الكتاب أنه يفرق بين الشذوذ اللغوي والنحوي، وبشذوذ الرواية. - وإن كان يتخذ من الشذوذ اللغوي والنحوي سبيلاً إلى الطعن في ضبط الراوي عن شيخه. ومن أبرز أمثلة ذلك: قوله في قراءة أبي جعفر المدني: قوله تعالى: { لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا } [البقرة: ٣٤] "وقرأ أبو جعفر المدني وحده (للملائكة اسجدوا) بالضم، وأبو جعفر من جلة أهل المدينة، وأهل الثبت في القراءة إلا أنه غلط في هذا الحرف، لأن (الملائكة) في موضع خفض؛ فلا يجوز أن يرفع المخفوض، ولكنه شبه تاء التانيث بكسر ألف الوصل، لأنك إذا ابتدأت قلت (اسجدوا) وليس ينبغي أن يقرأ القرآن بتوهم من غير الصواب"^٤.

ومنه قوله:^٥ "وقد ذكر أبو عبيد أن بعضهم روى عن أبي عمرو أنه كان إذا اجتمعت همزتان طرحت إحداهما وهذا ليس يثبت، لأن القياس لا يوجب، وأبو عبيد لم يحقق روايته، لأنه قال رواه بعضهم، وباب رواية القراء عن المقرئ يجب أن يقل الاختلاف فيه، فإن كان هذا صحيحاً عنه، فهو يجوز في نحو قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ٦] وفي مثل قوله تعالى: {ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيْنِ} [الأنعام: ١٤٣] فيطرح همزة الاستفهام؛ لأن أم تدل عليها..."^٦

٢. أما على محور خط المصحف:

فزيادة على ما سبق ذكره من تأكيده على عدم جواز القراءة بما يخالف رسم المصحف،^٧ نجد الزجاج يعتني بالفروق بين المصاحف.

١- كذا، والذي يستقيم مع الشاهد، وتعليق المحقق في الحاشية "خطوات" بضم الخاء وفتح الطاء، انظر المعاني/١/١٨٩.

٢- معاني القرآن بين القراء والزجاج، مرجع سابق، ص ٥٤.

٣- معاني القرآن بين القراء والزجاج، مرجع سابق، ص ٥٤.

٤- المعاني، ٩٢/١.

٥- المعاني، ٧١/١.

٦- انظر مزيداً من الأمثلة في تعليقه على قراءة أبي عمرو {إلى بارئكم} [البقرة: ٥٤] المعاني، ١١١/١.

٧- انظر مزيداً من الأمثلة، الزجاج، المعاني، جزء ١، صفحة ١٢٩، ١٨٥، ٢٢٨.

قال في قراءة اللفظ القرآني {من يرتدد} في قوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ} [البقرة: ٢١٧]: "يرتدد جزم بالشرط والتضعيف يظهر مع الجزم لسكون الحرف الثاني وهو أكثر في اللغة، وقرئ {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} [المائدة: ٥٤] بالإدغام والفتح، وهي قراءة الناس إلا أهل المدينة فإن في مصحفهم {من يرتدد} وكلاهما صواب، والذي في سورة البقرة لا يجوز فيه إلا {من يرتدد} لإطباق أهل الأمصار على إظهار التضعيف، وكذلك هو في مصاحفهم، والقراءة سئة لا تخالف؛ إذا كان في كلِّ المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءة بغيره"^١.

وقال في قراءة قوله تعالى: {أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ} [غافر: ٢٦]: "على هذا مصاحف أهل العراق، وفي مصحف أهل الحجاز {وَأَنْ يُظْهَرَ} بغير ألف"^٢ وقد ذكرت إحدى الباحثات^٣ أن الزجاج -على الرغم من ذلك- أثبت في المعاني قراءات مخالفة لخط المصحف. وقد ورد في تعليقها ما يستحق التأمل، كما أن تفحص محل الدعوى يدفع دعواها بما يستدعيه حسن الظن من الرفق والتفهم!

فهي تذكر أن "المؤلف يثبت في مؤلفه قراءة (ليهب) بينما الثابت في المصحف {لأهب لك غلاماً زكياً} [مريم: ١٩]"

وبالرجوع إلى محل الدعوى^٤ تجدُ الزجاج يثبت: القراءة {لأهب} ثم يقول ورويت "ليهب لك" وكذلك قرأ أبو عمرو لتهب لك غلاماً زكياً فهذا يعكس مدعى الباحثة ويردّه!

أما دليلها الثاني على دعواها وهو ما ذكره الزجاج في قراءة قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} [النور: ٤٥] وأن المؤلف "اعتمد قراءة (الله خالق كل دابة)، وبالنظر في المصحف يتبين أنها مخالفة لما جاء فيه" فعند الرجوع إلى الكتاب مجلد ٣، صفحة ٢٦٢ تجدُ الزجاج يثبت القراءتين بنفس الرسم -مع تصحيف في ضبط الحركات مصدره المطبعة -فيورد القراءتين بنفس الضبط أيضاً، ويفهم من ورودهما بنفس الرسم والنص على وجود قراءتين أن الثانية تضبط بعلامة مد عمودية تشير إلى ألف محذوفة.

قال ابن مجاهد: "قرأ حمزة والكسائي، {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} بألف أي بتجريد الرسم من الألف،

١- الزجاج، المعاني ١/ ٢٢٨.

٢- الزجاج، المعاني ٤/ ٨٢.

٣- الدالاتي، خديجة، الجهود النحوية واللغوية، مرجع سابق، صفحة ٢٦٣.

٤- المعاني ٣/ ١٥٦.

والإشارة إلى حذفها وهو ما يستعاض عنه بعلامة المد وقرأ الباقون: {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} بغير ألف^١. أما تعليقها الذي يستحق التأمل: "صحيحٌ أنّ هذه القراءات متواترة، ولا تخرج إلى حيز القراءات الشاذة، ولكنها تخالف ما جاء في خط المصحف"؛ فكيف تكون متواترة وتخالف ما أجمعت عليه الأمة في مصاحفها؟! فالصواب أنها متواترة وموافقة لرسم المصحف، والألف في إحدى القراءتين تلفظ ولا تكتب.

٣. أما محور القوة في العربية:

فهو المحور الأكبر الذي تجلّت فيه خبرات الزّجاج وشخصيته العلمية المتفاعلة مع الروايات القرائية واللغوية، والمدارس النحوية واختيارات العلماء، بالقبول والردّ والتعليل والتوجيه الذي يتوزّع على مجالات صوتية، وصرفية، ونحوية، ولغوية، كان المقصد التعليمي فيه واضحا، وكانت النزعة النقدية وسيلة لتحقيق مقاصد القرآن الكريم.

وقد سبق الكلام عن البحث الصرفي، والاشتقائي ولا بأس من أمثلة مختصرة للتوجيه اللغوي، والمعنوي، والتوجيه البلاغي؛ على أن يخصّ البحث النحوي بقدر من البحث بعد ذلك.

التوجيه اللغوي:

يصعب أن تجد في كتاب (معاني القرآن) للزّجاج أمثلة نقيّة للتوجيه اللغوي (الذي يعتني باللفظة في حالها الإفرادية) دون أن يمتزج المثال بشيء من البحث الصرفي أو الاشتقائي ومن أمثلة ذلك ما ذكره د. كاصد الزبيدي وفيه قوله في توجيه قراءات {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [البقرة: ٦١] " وأن جماعة من المدينة يهمزون جميع ما في القرآن من هذا فيقرأون (النبئين بغير حق، والأنبياء) ثم يوجّه كلتا القرائتين توجيهاً لغوياً وخالصة قول الزّجاج فيه " يجوز أن يكون نبي من أنبأت مما ترك همزة لكثرة الاستعمال ويجوز أن يكون من نبأ ينبؤ، إذا ارتفع فيكون فعلاً من الرّفعة^٢.".

التوجه المعنوي:

ومن أمثلته قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ} [البقرة: ٣٦]: "قال قوم: معنى "الحين" ههنا إلى يوم القيامة، وقال قوم: إلى فناء الآجال، أي كلُّ مستقرٍّ إلى فناء أجله "والحين والزّمان" في اللغة منزلة واحدة، وبعض الناس يجعل "الحين" في غير هذا الوضع

١- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

٢- المعاني، ١/١١٨، القراءات القرآنية عند الزّجاج، ص ٤٢، والقراءة منسوبة لنافع، انظر: السبع في القراءات، ص ١٥٦، ١٥٧.

سنة أشهر، دليله قوله تعالى: {تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم: ٢٥] وإنما {كُلَّ حِينٍ} هنا جعل لمدة معلومة. "والحين" يصلح للأوقات كلها إلا أنه في الاستعمال في الكثير منها أكثر، يقال: "ما رأيتك منذ حين، تريد منذ حين طويل، والأصل على ما أخبرنا به".^{٢١}

التوجيه البلاغي:

كانت عناية الزّجاج بالمسائل البلاغية نادرة، ولعلها غير مقصودٍ إبرازها وأكثر ما ورد منها يتعلق بخروج الخبر أو الطلب عن مقتضى الظاهر، ومن النادر أن يتطرق إلى التشبيه أو الاستعارة أو المجاز المرسل، علماً بأن تصنيفه لـ (المعاني) كان قبل نشأة معظم مصطلحات علم البلاغة أو قبل استقرار بعضها.

فمن خروج الأمر عن مقتضى الظاهر:

{وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: ١١٩] قال: "... ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أعدّ لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يُجِبُّ من تسأل عنه في حال جميلة أو قبيحة فتقول: "لا تسأل عن فلان": أي قد صار إلى أكثر مما تريد..."^{٢٢} ومن أمثلة التشبيه قوله في تفسير قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ...} [البقرة: ١٧١]؛ قال: "وضرب الله - عزّ وجل - لهم هذا المثل، وشبههم بالنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت؛ فالمعنى: مثلك يا محمد كمثل الناعق والنعوق به بما لا يسمع..."^{٢٣}

ومن أمثلة المجاز المرسل:

قوله في تفسير قوله تعالى: {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧] "وهو يريد ثواب رحمة الله، كما قال {وَسُئِلَ أَقْرَبِيَّةٌ} [يوسف: ٨٢] المعنى: أهل القرية، كما تقول العرب: "بنو فلان يطوهم الطريق" المعنى: يطوهم مارة الطريق"^{٢٤}.

وقد يورد الاستعارة، ولا يجريها، مثل قوله في تفسير قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَقَانْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ} [يونس: ٤٢] قال: "أي ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم للنبي وسوء استماعهم بمنزلة الصم"، فلم يذكر الزّجاج هنا مصطلح الاستعارة، ولم يكن مصطلح

١- الزّجاج، المعاني ١/ ٩٧.

٢- للمزيد في توجيه المعنى ١/ ١٥٣: تفسير: {حسداً من عند أنفسهم}، ١/ ٣٣٧: {ولكن كونوا ربانيين}، ...

٣- الزّجاج، المعاني ١/ ١٥٨.

٤- الزّجاج، المعاني ١/ ١٩٠.

٥- الزّجاج، المعاني ١/ ٣٥٣، ومن الجدير بالتنويه - أن المقصود بالرحمة - هنا - الجنة، وأن هذا يسمّى تجريداً.

(الاستعارة التصريحية): التي يصّرح فيها بالمشبه به، ولا المرشحة، التي تشتمل على ما يرشح المشبه به يقوم مقام المشبه؛ فكأنك تعدّه هو المشبه، وتتعامل معه على أساس ذلك! ويشار إلى أنه فيما يتعلق بمبحث الحقيقة والمجاز يلتزم بتضييق القول بالمجاز في التفسير اللغوي العقدي -على مذهب السلف كما يمثلّه الإمام أحمد- رحمه الله- ومن أمثلة تضييقه القول بالمجاز في مسألة سجود الكائنات وتسبيحها، في تفسير قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...} [الحج: ١٨]، قال في تفسيرها: " وقال قوم السجود من هذه الأشياء التي هي موات ومن الحيوان الذي لا يعقل هو أثر الصنعة فيها والخضوع الذي يدلّث على أنها مخلوقة،... والذي يكسر هذا ما وصف الله - عزّ وجل - من أنّ من الحجارة لما يهبط من خشية الله، والخشية والخوف ما عقناه إلاّ للآدميين، فلو كان تسبيح الجبال والطيور أثر الصنعة ما قيل: (سخرنا) ولا قيل: مع داود الجبال، لأنّ أثر الصنعة يتبيّن مع داود وغيره فهو سجود طاعة لا محالة "¹.

نقد القراءات

وقف الزّجاج من قراء عصره موقفاً ناقداً، فاختر أحرفاً من قراءات مشهورة متواترة، وأحرفاً من قراءات آحادية وأخرى شاذة وأعمل في نقدهما مقاييس قبول الرواية الثلاثة: الرواية ورسم المصحف والقياس، وهو أثناء إعماله لهذه المقاييس - كما تصوّر ها - قد يزود عن قراءة أنكرها بعض العلماء - وإن كانوا من مدرسته، كالمازني - وقد يردّ قراءة دافع عنها غيره، ومن الضروري لمن يبحث عن الصورة الكاملة لموقف الزّجاج من القراءات أن يستقرئ ما ورد من ذلك في كتاب (معاني القرآن وإعرابه)؛ حيث يؤخذ على بعض الذين كتبوا عن موقف الزّجاج من القراءات أنهم لم يرجعوا إلى مصدر آرائه فيها وهو (معاني القرآن وإعرابه)². لم يكن مقصد الزّجاج من نقد القراءات موجّهاً إلى رواية معينة على الإطلاق، أو قارئ معين. ومع أنّ محوره الرئيس التنبيه إلى ما خالف اللغة، فقد راعى في نقده معايير أخرى ترتبط بقوة الرواية ورسم المصحف، والانسجام مع مبادئ الشرع . فهو على سبيل المثال: يرجّح قراءة أبي عمرو عن عاصم ضمّ الباء من بيوت خلافاً لأبي بكر بن عياش (رواية الكسر) في قراءة قوله تعالى: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: ١٥٤].

١- الزّجاج، المعاني، ٢١٦/٣، ٢١٧.

٢- الزبيدي، كاصد، القراءات القرآنية عن الزّجاج، مرجع سابق، ص ٦٤.

قال: " وروى أبو بكر بن عيَّاش عن عاصم بكسر الباء، وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم: (بُيوتِكُمْ) بضم الباء، والضمُّ أكثر وأجود، والذين كَسروا بيوت كسروها لمجيء الباء بعد الباء، و" فعول" ليس بأصل في الكلام، ولا من أمثلة الجمع، فالاختيارُ: بُيوت، مثل: قلب وقلوب، وقلس وفُلوس^١."

وفي أحد قولين في قراءة أبي عمرو إدغام الراء في اللام في {يَعْفِرُ لَكُمْ} [الصف: ١٢] يقول: ورويت عن إمام عظيم الشأن في القراءة، وهو أبو عمرو بن العلاء ولا أحسبه قرأ بها إلا وقد سمعها عن العرب...

ويقول في قراءة حكاها أبو عبيدة عن أبي عمرو أنه كسر الهاء في {فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٢٨]: "... أما الحكاية عن أبي عمرو أنه كسر في {فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ} فغلط: كان أبو عمرو يختلس الكسرة، وهذا كما غلط عليه في {بَارئِكُمْ} [البقرة: ٥٤] حكى القراء عنه أنه كان يحذف الهمزة في بارئكم وحكى سيبويه عنه - وهو في هذا أضبط من غيره أنه كان يكسر كسراً خفيفاً^٢.

وهو مع كل هذا المدح والتقدير يصف حرفاً من أحرف أبي عمرو بالغلط كما في نقده لقراءة اللفظة القرآنية {سَيِّئُهُ} في قوله تعالى {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} [الإسراء: ٣٨] قال: وكان أبو عمرو لا يقرأ سَيِّئُهُ ويقرأ "سيئة"، وهذا غلط، لأنَّ في الأفاصيص سيئاً وغير سيء... " وهذا الحكم بالغلط على هذا الحرف من قراءة أبي عمرو بهذه العلة مستغربٌ منه، لما في السياق القريب من دلالة عودة الضمير على أقرب المناهي المذكورة، ثم إن الموصوف بالسوء هنا المناهي وليس "الأفاصيص!"^٣.

ويشبه موقفه من أبي عمرو بن العلاء - من زاوية ما - موقفه من قراءة نافع؛ فبشكل عام يشهد لنافع بناءً على شهادة شيخه إسماعيل بن إسحاق مدافعاً عن قراءته {قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ} [البقرة ١٧٩] بحذف إحدى النونين فيقول: " ورأيت ردَّ هذه القراءة غلط، لأنَّ نافعاً - رحمه الله - قرأ بها، وأخبرني إسماعيل بن إسحاق أنَّ نافعاً - رحمه الله - لم يقرأ بحرف إلا وأقلُّ ما قرأ به اثنان من قراء المدينة، وله وجه في العربية، فلا ينبغي أن يرد، ولكنَّ الفتح في قوله: {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر: ٥٤] أقوى في العربية"^٤.

١- انظر المعاني، ٣٧١/١

٢- الزَّجَّاج، المعاني ٣٣٤/١.

٣- انظر الزَّجَّاج، المعاني ١٠٤/٣.

٤- خلافاً لقراءة نافع بالكسر.

فهو في عبارته الأخيرة لا يردُّ قراءة نافع، ولكن يرجح عليها، وفي موقع آخر يتعرّض لقراءة نافع للفظ القرآني {معائش} في قوله تعالى {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} [الأعراف: ١٠]، فيقول: "وأكثر القراء البصريين يزعمون أنّ همزها خطأ، ويقول بعيد ذلك: فأما ما رواه نافع من "معائش" بالهمز فلا أعرف له وجهاً إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أسكن في "معيشة" فصار على لفظ "صحيفة" ^١ فحمل الجمع على ذلك، ولا القراءة بالهمز إذ أكثر الناس إنما يقرؤون بترك الهمز، ولو كان مما يهمل لجاز تحقيق وترك همزه، فكيف وهو مما لا أصل له في الهمز وهو كتاب الله - عزّ وجل - الذي ينبغي أن يحال فيه إلى ما عليه الأكثر لأن القراءة سنة فالأولى فيه الاتباع، والأولى اتباع الأكثر ^٢. ويلاحظ أنه قبل أن يحكم بردّ القراءة بقيّمها (تقييماً إحصائياً) بالنسبة لقراءة الجمهور، فإذا اجتمع لديه السببان القلة الظاهرة في الرواية، ومخالفة القياس، قال بردّ ذلك الحرف وخاصة إذا اجتمع إلى جانب ذلك مخالفة رسم المصحف.

وقد طال مثل هذا الحكم سوى أبي عمرو حرفين من قراءة حمزة، وحرفين من قراءة أبي جعفر المدني، وكذلك يستغرب المرء أنّ هذا المقياس لم يطرد، فتري الزجاج يحكم على قراءة الحسن البصري بالجودة - على الرغم من اعتبار العلماء لها من القراءات الشاذة - رغم تفردده بالحرف محلّ النظر، فيقول: "وقرأ الحسن (يُضَعَّفُ لَهُ الْعَدَابُ) [الفرقان: ٩٩] وهو جيد بالغ" علماً أنه على شيء من مخالفة رسم المصحف.

ويتلخّص موقف الزجاج في ما انتقده من القراءات بما يأتي:

١. لم يكن نقد الزجاج لقارئ من القراء رفضاً لقراءته على طول الخط، بل لحروفٍ منها.
٢. وأنّ هذه الحروف توزعت على مباحث العربية من أصوات، ونحو، وصرف ولغة.
٣. أنها لا تستعصي على التخريج على طريقة النحو المعياري فيما كان مجال نقده النحو، بدليل التماس الزجاج نفسه وجهاً - ولو عدّه - ضعيفاً لبعض القراءات التي انتقدها.

١ - أشار قبل ذلك إلى أن الياء في (صحيفة) زائدة.

٢ - لاحظ قوله: لا أصل له في الهمز يعني ردّ رواية ابن عبّاش عن عاصم وهو يعني ردّ قراءة متواترة! وهذا ما وقع فيه الزجاج وغيره من نحوي تلك الفترة، وقد يُتفهّم موقفهم بأنهم كانوا في عهد لم يستقرّ فيه علم القراءات، وأنهم كانوا ينطلقون في أحكامهم من نظام نحويّ يعتمد على القياس؛ فيتفاجئون بما يخالف القياس، على أنّ هذا تفهّم وليس التماس عذر، وحسن ظن لا إقرار، ولو أنهم اكتفوا في مجال القراءات بالوصف وانفكوا من تحكيم القياس لكان أجدى في الاحتياط لديهم من المنهج الذي سلكوه.

٤. وكذلك لم يكن نقد القراءة يعني انتقاص قدر القارىء، بدليل أن معظم ما وجهه من نقد كان من حظ قراءة أبي عمرو بن العلاء، وهو يصف أبا عمرو بكثير من صفات التقدير والتوثيق، والأغلب في نقد الزجاج له أن ينسب الخطأ إلى الذين رَووا عنه الحرف محلّ النقد.

وقد فتح موقف النحاة الأوائل من القراءات، وبخاصة البصريين منهم أبواباً واسعة من أبواب النقد الموجّه إليهم من النحاة بعدهم والمفسرين والأصوليين من باب الغيرة على القرآن، كما فتحت باباً لشبهات المستشرقين حول القراءات، كما فتحت سبيلاً واسعاً للهجوم على النحو المعياريّ بعامّة والنحو البصري بخاصة.

فمن أوائل الذين ثاروا على النحو المعياريّ القائم على نظرية العامل أحمد بن مضاء القرطبي^١، الفقيه الظاهري الذي تولى للموحدين قضاء فاس، ثمّ " قضاء الجماعة " وشاركهم في حملتهم على أصحاب المذاهب الفقهية التي حاولوا فيها حمل الناس على المذهب الظاهري الذي يرفض القياس وما يتصل به من علل^٢ " وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة في حملة على النحو والنحاة من حوله... فمضى يهاجم نظرية العامل " التي عقّدت النحو وأكثرت من التقديرات والمباحث التي لا طائل وراءها في رأيه.^٣ وإنكار نظرية العامل إنكار للنحو كله، لأن النحو يقوم في معظم مسأله على العوامل المختلفة، وإذا جرّد النحو من هذا العامل ضاعت مقاييسه، واختلت قواعده واضطربت مسأله.

وقد نشأت عوامل كثيرة في العصر الحديث بعثت من ينفخ في نظرية ابن مضاء، بل يندفع بغير دوافعها، ويقيمها على غير أصولها بدعوى التحديث مرّة، وبدعوى التيسير على النشء مرّة وليس عجباً في هذا العصر الذي نعيشه أن تلتبس الغيرة على القرآن، بالغايرة على الرّعل الأوّل ممن خدموا القرآن، بحسن نية أو بسوء نية.

فلعلّ من الغيرة على القرآن الكريم أن يقال: " وكنا نوّدّ تقديساً للقرآن الكريم، وللغته الفصحى ألا يكون هذا القرآن موضعاً للتأويلات ومسرحاً للتخرجات، ما لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ذلك، ولكن هكذا شاء القدر أن يلتزم البصريون منهج التخريج والتأويل في كتاب الله تبارك وتعالى من غير أن تكون هناك ضرورة ملحة لتقييم أصلاً من أصول الدين^٤.

١- (ت ٥٩٢هـ)، في كتابه الردّ على النحاة

٢- عن كتاب ضيف، شوقي، المدارس النحوية، مرجع سابق، صفحة ٣٠٤ بتصرف.

٣- ضيف، شوقي، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص ٣٠٥ بتصرف يسير.

٤- مكرم، عبد العال، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ط ١٢، ١٩٧٨م.

في حين تتعجب من صاحب كتاب " دفاع عن القرآن ضدّ النحويين والمستشرقين "؛ حيث لم يرد ذكر للمستشرقين فيه على مدى كتابه!، وحيث يهاجم النحويين هجوماً طاعياً يختار فيه مفرداته بشكل مستنفرٌ حيث يتحدّث عن موقف النحويين من قراءة ابن عامر للآية {وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ} [الأنعام: ١٣٧] بالفصل بين المتضايقين به قال: " ولكن طائفة من النحاة الطغاة - سامحهم الله - وقفوا موقف المعارضة من هذه الآية الكريمة، فوصفوها بالفج، والضعف، واللحن، والرداءة والشذوذ... إلى آخر ما هنالك من الصفات المرذولة التي ألصقوها بالقراءة المحكمة من القرآن الكريم.

وانظر إليه يعيب على العلامة الرضي قوله في شرح (كافية ابن الحاجب) في معرض ردّه قراءة حمزة: {تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ} [النساء: ١] بعطف الظاهر على الضمير. " ولا نسلم تواتر القراءات السبع " - وهو محقٌ فيما عاب عليه - يقول هو نفسه ما يقارب ما عاب عليه غيره، وينبع من نبع في نفي التواتر عن القراءات، فيقول: " وإلى تميم هذا ينتسب أبو عمرو بن العلاء. وهذا يوضح لنا أنّ البيئة القبليّة كان لها أثر في اختيار القراءة الواردة بلغتها، وتفضيلها على سائر القراءات الواردة أيضاً، " على أن قراءات القرآن الكريم إن هي إلا مظهر لتسجيل هذه اللهجات وهي أمثلة تاريخية لا ريب فيها "!

ثانياً: العناية بالنحو

أقام الزّجاج منهجه في الكتاب بشكل أساسي على أن " المعنى والإعراب صنوان يسيران في طريق واحد لخدمة كتاب الله، حتى يتجلى للناظرين "١. وقد صرح الزّجاج بأولوية المقصد الإعرابي في تأليفه للكتاب وأنه يتبع الإعراب المعنى، فقال: " وإنما نذكر مع الإعراب المعنى، لأنّ كتاب الله ينبغي أن يتبين، ألا ترى أنّ الله يقول: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ} [النساء: ٨٢] فحضّنا على التدبّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقلة أهل العلم "٢. ويتجلى المقصد النحوي لدى الزّجاج في الأمور الآتية:

١. ما يعلّق به في إثر المباحث النحوية التي يناقشها؛ كأن يقول: " فهذه جملة باب حتى " ١

١- الأنصاري، أحمد مكي، دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، دار المعارف بمصر، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ٤٣ وما بين العلامتين " " نقله عن مقال: " الحياة العربية في الشعر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي، وهو يشيد فيه في حاشية الصفحة!.

٢- الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، مقدمة المحقق، ص ٢٦.

٣- الزّجاج، المعاني، ١٤٨/٢.

٢. في تأكيد انتسابه لمذهب أهل البصرة في النحو، في عبارات من مثل: " والذي ذكرناه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين. وذلك في توجيهه للآية الكريمة {لَكِنَّ الرِّاسِيُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ...} [النساء: ١٦٢] حيث عدّها من باب المنسوب على تقدير " أمدح المؤمنين^٢.

٣. حرصه على بيان منهج البصريين، ومن أمثلة ذلك قوله: "فإن قال القائل: فما مجاز القسم في كتاب الله - عزوجل- في قوله: {وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ}، و{وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ}،... ففيها أوجه قد ذكرها البصريون...^٣".

٤. كثرة ما ينسبه إلى إجماع البصريين - وهو كثير مستفيض- في كتاب " المعاني " إلا أنه مما يستحق التنويه أن الزجاج قد يطلق (إجماع النحويين) ويكون قصده نحوي البصرة فقط كقوله في توجيه قوله تعالى: {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام: ٩٦] النصب في (الشمس والقمر) هو القراءة، والجر جائز... ولا يجوز "جعل الليل سكناً؛ لأن أسماء الفاعلين إذا كان الفعل قد وقع أضيفت إلى ما بعدها لا غير، نقول: هذا ضاربُ زيدِ أمس، فإجماع النحويين أنه لا يجوز في (زيد) النَّصْب، وعلى ذلك أكثر الكوفيين، وبعض الكوفيين يجيز النَّصْب...^٤".

٥. ومع ميله للانتصار للمذهب البصري إلا أنه كانت له اختيارات تدلُّ على استقلالية موقفه؛ - فقد يذكر إجماع البصريين والكوفيين، وهو أهلٌ لاستيعاب نحو المدرستين بحكم تلمذته على زعيميهما: أبي العباس ثعلب الكوفي ومحمد بن يزيد المبرّد البصري، ومن أمثلة ذلك قوله في توجيه الآية الكريمة {بَلْ أَللهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٦]" نصبُ لفظ {ألله} -جلّ وعزّ - بقولك {فَاعْبُدْ} وهو إجماع في قول البصريين والكوفيين".

- وقوفه على مسائل الخلاف بين المدرستين وبشكل خاص أقوال الفراء شيخ الكوفيين، ردّاً، أو قبولاً أو توقفاً فمن مسائل الخلاف بين المدرستين التي انتصر فيها للبصريين قوله تعالى: {تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} [الأنعام: ١٨١] " الأكثر في القراءة بفتح التّون، ويجوز " أحسنُ " على

١- الزّجّاج، المعاني، ٢٢٥/١.
٢- الشاعر، النحو العربي عند أبي إسحاق الزّجّاج، دار طيبة، ٢٠٠٧ م، ص ٣٣٥، معاني القرآن، ص ١٣١/٢،
١٣٢، والعبارة المنقولة عنه غير موجودة في طبعة دار الكتب العلمية المعتمدة في هذه الدراسة، مجلد ٢ صفحة ٢٥
٣- الزّجّاج، المعاني، مجلد ٣، صفحة ٢٧.
٤- الزّجّاج، المعاني، ١٦٩/٢.

إضمار على الذي هو أحسن فأما الفتح فعلى أنّ " أحسن " فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح. وأجاز الكوفيون أن يكون في موضع جر، وأن يكون صفة " الذي " وهذا عند البصريين خطأ فاحش، زعم البصريون أنهم لا يعرفون الذي إلا موصولة، ولا توصف إلا بعد تمام صلتها، وقد أجمع الكوفيون معهم على أن الوجه صلتها، فيحتاجون أن يثبتوا أنها رفعت موصولة ولا صلة لها.^١

- ومن ذلك قوله في إعراب اللفظ القرآني {أرْبَى} من قوله تعالى {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ} [النحل: ٩٢]: " وموضع {أرْبَى} رفع؛ المعنى أن تكون أمة هي أكثر من أمة وزعم الفراء أنّ موضع {أرْبَى} نصب، و {هي} عماد وهذا خطأ، " هي " لا تدخل عماداً ولا فصلاً مع النكرات^٢، ويلاحظ أن الزجاج حرص على بيان المقصود بمصطلح " عماد " عند الكوفيين؛ فقال: " والفصل (أي ضمير الفصل) هو الذي يسميه النحويون عماداً "^٣.

- ومن التوقف قوله في إعراب {حَمُّ تَنْزِيلٍ} [فصلت: ١، ٢]: "{تَنْزِيلٌ} رفعٌ بالابتداء، وخبره {كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت: ٣] هذا مذهبُ البصريين وقال الفراء: يجوز أن يكون {تَنْزِيلٌ} مرتفعاً بـ{حَم} ويجوز أن يرتفع بإضمار: " هذا " المعنى: هذا تنزيل من العزيز الرحيم أي: هو تنزيلٌ. ومن قبله لقول الفراء: قوله في إعراب اللفظ القرآني {غَشَاوَةٌ} [البقرة: ٧] " والرفع هو الباب، وعليه مذهب الفراء والنصب جائز في النحو على أنّ المعنى: "{وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاوَةً} [الجاثية: ٢٣]."

٦. وقد كانت للزجاج شخصيته المستقلة، وكان شديد الاعتداد بها في كتابه (معاني القرآن وإعرابه).

فمن مظاهر استقلال شخصيته:

- خروجه على الجمهور في بعض المسائل، ومنها قوله في توجيه قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: ٧٥] "... قال أبو العباس محمد بن يزيد {والمستضعفين} في موضع جرّ من وجهين، المعنى: ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين، قال: وجائز أن يكون عطفاً على اسم الله ؛ أي سبيل الله وسبيل المستضعفين، وأختار أن يكون على (والمستضعفين) لاختلاف السبيلين، لأنّ معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاص المستضعفين،

١- الزّجّاج، المعاني: ١٩٠/٢. وفي هذا النقد من الزّجّاج للكوفيين المنقول بنصّه إلزام لهم بما لم يلتزموا به، فهم "يرون أنّ الوجه صلتها" ولا يعني ذلك أنّ ذلك مطرد بإطلاق.
٢- الزّجّاج، المعاني ٨٩/٣.
٣- راجع الزّجّاج، المعاني ٦٦/١، ١١٤/٤.
٤- الزّجّاج، المعاني ٨٩/٢.
٥- الزّجّاج، المعاني ٧٣/١.

وقول أكثر النحويين كما اختار أبو العباس محمد بن يزيد، والوجه الثاني عندي أشبه بالمعنى؛ لأن سبيل المستضعفين هي سبيل الله " .^١ ،^٢

- ومن ذلك قوله في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ} [الكهف: ٢٥] " {سِنِينَ} جائز أن يكون نصباً وجرأً، النصب على: لبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، ويكون في تقدير العربية {سِنِينَ} معطوفاً على {ثَلَاثَ} عطف بيان " قال الدكتور عبد العظيم الشاعر: " ما أجازة (الزّجاج) من إعراب (سنين) عطف بيان ل (ثلاث) مخالف لمذهب الجمهور؛ لأنهم خصّوا عطف البيان بالمعارف، محتجّين بأنّ البيان بيان كاسمه، والنكرة مجهولة ولا يبيّن المجهول بمجهول... " ^٤

- ومن ذلك أنه قد يجيز ما ينسب إلى الكوفيين:

ففي توجيه نصب المفعول له: " قرر الزّجاج في مواضع كثيرة من كتابه مذهب سيوييه والبصريين في أن المفعول له منصوب بالفعل على تقدير لام العلة، واقتصر على ذلك... " وفي بعض المواضع ذكر ما مشى عليه سيوييه والبصريون، وأجاز ما ينسب إلى الكوفيين من أن المفعول له منصوب على المصدرية ^٥.

ومن مظاهر استقلالية شخصيته العلميّة نقده بعض أقوال العلماء مع الاستدلال لرأيه، ومن ذلك:

- نقد مقولة أبي عبيدة في إعراب قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ...} [البقرة: ٣٠] على اعتبار {إِذْ} زائدة ^٦.

- نقد أستاذه المبرّد في إعراب قوله تعالى {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} [النساء: ٢٢] بجواز أن تكون " كان زائدة "؛ قال أبو إسحاق " هذا غلط من أبي العباس؛ لأنّ (كان) لو كانت زائدة لم تنصب خبرها، والدليل على هذا البيت الذي أنشده "وجيراناً لنا كانوا كراماً " ولم يقل كانوا كراماً " .

- نقد الكوفيين لإغفالهم الكلام عن كسر اللام في (ذلك) وأنهم لم يذكروه في كتبهم ^٧

- حرصه على التنويه بسبقه إلى بعض المسائل وتفرد ببيانها، ومن ذلك: قوله في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ} [النساء: ١٤٨]. على قراءة

١- الشاعر، عبد العظيم النحو العربي عند أبي إسحاق الزّجاج، مرجع سابق، صفحة ٢٧٥.
٢- الزّجاج، المعاني ٤/٢. والراجح أن الصواب قول الجمهور؛ فخلاص المستضعفين مندرجٌ في سبيل الله!
٣- الشاعر، عبد العظيم، النحو العربي عند أبي إسحاق الزّجاج، ص ٣١٧، المعاني، ١٢٨/٣.
٤- المرجع السابق، الصفحة نفسها.
٥- لاحظ أمثلة ذلك: المرجع السابق، ص ٢٠٣، ٢٠٤.
٦- الزّجاج، المعاني ٩٠/١.
٧- الزّجاج، ١٢٠/٢.

من قرأ بفتح الظاء واللام في {ظلم} وهو أن يكون " إلا من ظلم " على معنى: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، ووصفه بأنه وجه آخر لا يعلم أحداً من النحويين ذكره^١. قوله في إعراب قوله تعالى {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة: ١٣٠] قال بعض النحويين^٢ إن نفسه منصوب على التفسير... وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف، لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خُلة تخلص من خلال، فإذا عرفه صار مقصوداً قصده، وهذا لم يقله أحد ممن تقدّم من النحويين.

٧. نزعتة التعليمية، ومن أبرز مظاهرها:

- التنزل بالخطاب مراعاة لفهم العامة: قال بعد أن ذكر عدداً من الشواهد على قراءة (إلا يسجدوا) [النمل: ٢٥] بالتخفيف أو (عدم تشديد اللام في الأ): " وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلنا، وإنما فعلوا ذلك لقلّة اعتياد العامة لدخول (يا) إلا في النداء، لا تكاد العامة تقول: يا قدم زيد، ولا: يا اذهب بسلام"^٣.

- ومنها ما ذكر سابقاً من تنويهه بالسبق في بعض المسائل.

- التنبيه إلى صعوبة بعض المسائل الواردة في الكتاب:

- وقد يكون ذلك في دفع إشكال مفترض في فهم العبارة القرآنية مثل ما ورد في التوجيه النحوي المعنوي للعبارة القرآنية {وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ} [الأنعام: ١٤١] قال: "في حال اختلاف أكله. وهذه مسألة شديدة في النحو إلا على من عرف حقيقتها؛ لأنّ للقاتل أن يقول: كيف أنشأه في حال اختلاف أكله، وهو قد نشأ من قبل وقوع أكله، وأكله تمره؟ فالجواب في ذلك أنه-عزّ وجل- قدر إنشائه بقوله: {هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢]..."^٤.

٨. عنايته بالاستقراء: ومن ذلك قوله في قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٦٦] " وإن شئت كسرتها لالتقاء الساكنين، أعني " أن اقتلوا أنفسكم " وإن شئت قلت " أن اقتلوا " فضممتها لانضمام التاء. وأبو عمرو بن العلاء يختار مع النونات خاصة الكسرَ ومع سائر ما في القرآن -إذا كان ما بعدها مضموماً الضمّ، إلا قوله

١- الزّجاج، المعاني، ٧٤/٢، وهذه القراءة شاذة، قرأ بها ابن عباس، وسعيد بن جبير والضحكين مزاحم، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن عبد الله بن مسلم بن يسار، وعطاء بن السائب، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، جزء ١، ص ٢٠.

٢- يقصد الفراء، راجع الفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، طبعة الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م، صفحة ٧٩/١.

٣- المعاني، ٣٠٦/٢، وبتشديد اللام: قرأ جميع السبعة إلا الكسائي، انظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص ٤٨٠.

٤- المعاني، ١٨٤/٢، الاعتراض هنا نابع من توهم كون الحال سابق النشأة.

تعالى: {وَقَالَتْ أَخْرُجْ عَلَيْنِ} [يوسف: ٣١] و {وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ} [الأنعام: ١٠]. وهذا متبع عنده في المباحث اللغوية^١، والصرفية^٢.

٩. ربطه الإعراب بالمعنى في جميع توجيهاته الإعرابية والنحوية. فمن ذلك:

بيان أثر المعنى في حركة همزة إن، حيث:

قال في توجيه قوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ} [البقرة: ٦٨، ٦٩، ٧١]: " ما بعد القول من باب (إن مكسور أبداً، كأنك تذكر القول في صدر كلامك.. إلا أن قوماً من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب " قلت " أجمع كباب " ظننت " فيقولون قلت زيداً منطلقاً، فهذه لغة لا يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله عزّ وجل، ولا يجوز " قال إنه يقول أنها " لا يجوز إلا الكسر^٣.

ومن ربط الإعراب بالمعنى قوله في توجيه قوله تعالى:

{وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٠] " وقعت لذن وهي في موضع جرّ، وفيها لغات، يقال: لذن، ولذن، ولذن، ولدن والمعنى واحد، ومعناه: من قبيله، إلا أنها لا تتمكن تمكن (عند)؛ لأنك تقول: هذا القول عندي صواب، ولا يقال القول لذني صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و (لذن) لما يليك^٤؛ حيث تلاحظ عناية الزجاج بالفروق بين معاني الظروف.

ومنه في باب الاستثناء: قوله في توجيه قوله تعالى: {تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} [البقرة: ٢٤٦]: " قليلاً منصوب على الاستثناء، فأما من روى (تولوا إلا قليل منهم) فلا أعرف هذه القراءة ولا لها عندي وجه؛ لأنّ المصحف على النصب، والنحو يوجبها؛ لأنّ الاستثناء إذا كان أول الكلام إيجاباً نحو قولك جاءني القوم إلا زيدا فليس في زيد المستثنى إلا النصب، والمعنى أستثني قليلاً منهم وإنما ذكرت هذه لأن بعضهم روى: (فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم) [البقرة: ٢٤٩] وهذا عندي ما لا وجه له^٥.

١- انظر الزجاج، المعاني، ٢ / ٢٦٨.

٢- انظر الزجاج، المعاني، ٣ / ٢٢٤.

٣- الشاعر، النحو العربي عند أبي إسحاق الزجاج، مرجع سابق، ص ١٣٩، وللمزيد في هذه المسألة: نفسه ص ١٤٣

٤- السابق، ص ٢٢٢، والمعاني، ٢ / ٤٤٠ "وقال ابن هشام في المغني (ص ٢٠٦): "...تعاقب (عند) كلمتان: (لدى) مطلقاً،... (ولذن) إذا كان المحل محل ابتداء غاية نحو "جئت من لدنه" وقد اجتمعنا في قوله تعالى: { آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } [الكهف: ٦٥] ولو جيء بعند فيهما أو بلذن لصحّ ولكن ترك دفعاً للتكرار..."

٥- الشاعر، النحو عند أبي إسحاق الزجاج، ص ٢٣٤، الزجاج، المعاني، ١ / ٢٥٧. هذه القراءة نسبها ابن خالويه في مختصر شواذ القراءات، ص ٢٠٢، والزمخشري في الكشاف ص ١٤٣، واختار البعض توجيه القراءة بحملها على معنى النفي أي بحمل { شرّبوا } على معنى (لم يطيعوا)، وتمسك الزجاج في ردّها بمخالفة المصحف، وبأنّ الاستثناء إذا كان أول الكلام إيجاباً فليس له النصب. وهو محقّ قطعاً في الردّ بمخالفة المصحف، أمّا خارج المصحف فيمكن توجيهه بمثل ما ذكر الزمخشري أخذاً ببعض الشواهد. انظر: مقال (أبو معاض با وزير)، إعراب كلمة (إلا المجاهرون) استرجع في الثالث من أيار ٢٠١٢ من موقع ملتقى أهل الحديث.

ومنه في باب الممنوع من الصرف: ما قاله في توجيه قوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بَنَاتٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢]: يقرأ بالصرف والتنوين، ويقرأ من سبأ بفتح سبأ وترك التنوين^١؛ فأما من لا يصرف فيجعله اسم مدينة، وأما من صرفه فذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل وذكر قوم أن الاسم إذا لم تدر ما هو لم يصرف، وآخر هذين القولين خطأ والأسماء حقها الصّرف، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أم للمؤنث فحقه الصّرف، حتى يعلم أنه لا ينصرف؛ لأن أصل الأسماء الصّرف، وكل ما لا ينصرف فهو يصرف في الشعر، وأما الذين قالوا إن (سبأ) اسم رجل فخطأ أيضاً، لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام...^٢.

وقد يكون لارتباط النحو بالمعنى أثر في فقه الأحكام:

فعلى قاعدة أنه "لا يجوز اتحاد لفظ المنعوت متعدد إذا اختلف العامل"^٣:

قال في توجيه قوله تعالى: {وَأَمَّهتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} [النساء: ٢٣]: "قال أبو العباس محمد بن يزيد: "الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ" نعت للنساء اللواتي هن أمهات الربائب لا غير، والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمرها، وأن من أجاز أن يكون قوله: {مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} هو لأمهات نساكنم يكون المعنى على تقديره: وأمهات نساكنم من نساكنم اللاتي دخلتم بهن، فيخرج أن يكون (اللاتي دخلتم بهن لأمهات الربائب)، والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح، أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً: لا يجيز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الطريفات على أن تكون الطريفات نعتاً لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء"^٤، وفي الكلام أقوال للعلماء، والقول الذي يرده الزجاج بذكر القاعدة هو ما ذكره ابن كثير في تفسير الآية - وقد ذكر الأقوال الواردة فيها على قدر من التفصيل - قال: "وقد فهم بعضهم عود الضمير إلى الأمهات والربائب، فقال: لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها لقوله (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم)"^٥.

١- القراءة من سبأ بالسكون، ذكر ابن مجاهد في (السبعة) أنه قرأها على قيس عن ابن النبال. قال وهو وهم، والصواب رواية البرقي: من سبأ مفتوحة الهمزة مثل أبي عمرو.
٢- الشاعر، النحو عند أبي إسحاق الزجاج، مرجع سابق، ص ٣٩٦.
٣- المرجع السابق، ص ٣٠٩.
٤- المرجع السابق، ٣٠٩ والمعاني، ٢٠/٢.
٥- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مجلد ١، صفحة ٤٨١.

قال العلامة ابن تيمية: "قال الصحابة والتابعون وسائر أئمة الدين: الشرط في الربائب خاصة، وقالوا: أبهموا ما أبهم الله، والمبهم هو المطلق، والمشروط فيه هو المؤقت المقيد، فأمهات النساء وحلائل الآباء والأبناء يحرم من بالعقد، والربائب لا يحرم من إلا إذا دخل بأمهاتهن"^١، وقد يرتبط التوجيه النحوي المعنوي للآية بدفع إشكال عقدي، ومن ذلك:

قوله في توجيه الآية: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ} [النجم: ٩]: هذا الموضع يحتاج إلى شرح؛ لأنَّ القائل قد يقول: ليس يخلو (أو) من أن يكون للشك أو لغير الشك، فإن كان للشك فمحال أن يكون موضع شك، وإن كان معناها: بل أدنى: بل أقرب، فما كانت الحاجة إلى أن يقول: {قَابَ قَوْسَيْنِ}؟ كان ينبغي أن يكون كان أدنى من قاب قوسين، فالجواب عن هذا -والله أعلم- أنَّ العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر فالمعنى كان على ما تقدرونه أنتم كقدر قوسين أو أقل من ذلك"^٢.

ومما يحسن التنويه به في هذا المجال. أنه:

- قد يقر بمخالفة القراءة المتواترة لاختيار النحويين، ومن ذلك قوله: فأما قول الله -عزّ وجلّ-: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ} [الكهف: ٦٤] فهو كقوله: {يُنَادِ الْمُنَادِ} [ق: ٤١] و{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ} [الإسراء: ١١] فهذه الياءات من نحو (نبغ) حذفنا لأنَّ الكسرة دلت على الياء لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حذفها".

- بل إنه يقر بمخالفة الجماعة في القراءة للاختيار النحوي، ومن ذلك قوله في إعراب الآية الكريمة: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا} [النور: ٢] "قال سيبويه: الاختيار في هذا النصب في العربية، كما تقول زيدا أضربه، وقال أبت العامة القراءة إلا بالرفع- يعني بالعامة الجماعة-"^٣.

سمات با رزة في منهج الزجاج في كتابه (معاني القرآن الكريم وإعرابه)

اعتماده على التفسير بالمأثور في بيان المعنى اللغوي للآيات:

أولاً: مصادر التفسير بالمأثور:

١- إبن تيمية، الفتاوى، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مجلد ٩، جزء ١٥، ص١٤٢.

٢- الشاعر، النحو العربي عند أبي إسحاق الزجاج، مرجع سابق، صفحة ٣٢٤، والزجاج، المعاني ١٧٥/٤

٣- المعاني، ١٠٣/٢

١. القرآن الكريم؛ حيث فسّر الزجاج بعض آيات القرآن مستشهداً في ذلك بآيات قرآنية أخرى، وقد سلك في ذلك مسلكين:

الاستشهاد بآيات القرآن على سبيل التمثيل، ومن ذلك في مجال النحو قوله في إعراب اللفظة القرآنية {غشاوة} من قوله تعالى: {وَحَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} [البقرة: ٦]: "والرفع في {غشاوة} هو الباب، وعليه مذهب الفراء، والنصب جائز في النحو على أن المعنى "وجعل على أبصارهم غشاوة" كما قال -عزّ وجل- في موضع آخر {وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} [الجاثية: ٢٣]."

- ومنه ما يتعلق ببيان معنى، مما له صلة بالعقيدة، ومن أمثلته ما ورد في تفسير قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥] "... ويجوز والله اعلم - وهو الوجه المختار عند أهل اللغة - أن يكون معنى {يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسمى جزاء الذنب باسمه، كما قال -عزّ وجل-: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: ٤٠] فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكنها سميت سيئة لزدواج الكلام وكذلك قوله -عزّ وجلّ-: {فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] فالأول ظلم، والثاني ليس بظلم، ولكنه جيء في اللغة باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به، فهذه ثلاثة أوجه وكذلك يجري هذا المجرى قوله -عزّ وجلّ-: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢] و {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} [الأنفال: ٣٠]."

- ومنها ما يتعلق بالتوجيه البلاغي، وحل إشكال عقدي: وذلك في توجيه قوله تعالى: {وَعَذَابُهُمْ شَدِيدٌ} [الإسراء: ٦٤] قال: "فإن قال قائل: كيف يجوز أن يؤمر إبليس أن يقال له {وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء: ٦٤] واجلب عليهم بخيلك ورجالك وعدهم بأنهم لا يبعثون؟ فإذا فعل ذلك فهو مطيع؟ فالجواب على ذلك: أن الأمر على ضربين، أحدهما متبوع لا غير، والثاني إذا تقدّمه نهي عما يؤمر به؛ فالمعنى: في الأمر الوعيد والتهديد، لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخل قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها، ولكنك توعدده وتهده، وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجود، ومثله في القرآن: {أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت: ٤٠]، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم وأن يعملوا بالمعاصي".

الاستشهاد بآيات القرآن على سبيل الاستدلال، ومن أمثلته:

- قوله في تفسير قوله تعالى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} [البقرة: ١٧] "معناه- والله أعلم- أطلع الله المؤمنين على كفرهم، وفقد منهم نور الإسلام بما أظهر الله عزّ وجلّ من كفرهم، ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة؛ أي عذبهم فلا نور لهم، لأنّ الله جلّ وعزّ- قد جعل للمؤمنين نوراً في

الآخرة وسلب الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلك قوله تعالى: {أَنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣]"^١

- "وقال قوم: إنَّ معنى النكاح ههنا الوطء فالمعنى عندهم: الزاني لا يطأ إلا زانية، والزانية لا يطؤها إلا زان. وهذا القول بعيد؛ لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزوج، قال الله سبحانه: وقول الله - عزَّ وجل - لا شكَّ فيه- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ } [الأحزاب: ٤٩]"
- ومنه ما كان مقصده الاستدلال على محذوف مقدر: ومثاله قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} [النور: ١٠]. ههنا جواب "لولا" متروك، والمعنى - والله أعلم - ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب لما ذكرنا عذاب عظيم. وبدلُ عليه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٤]"^٢.

٢. الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف

لا بدَّ للباحث حتى يحدد مقدار ما أورده المؤلف من شواهد الحديث النبوي أن ينتبه إلى ما ورد في الكتاب من عباراتٍ لم يصرِّح المؤلف بأنها حديث نبوي؛ فعلى سبيل المثال: "فقد احتج سيبويه في كتابه بأحاديث نبوية، لكنه لم يقدِّم لها بما يوضح أنها من الحديث، إنما قدَّم لها بعبارات يقدِّم بها لكلِّ ما يمثل به من كلام العرب وأمثالهم وعباراتهم المنثورة"^٣.

فإذا اتخذ "معاني القرآن للزجاج" مثلاً على ما قدَّم الكلام به فإن هناك تفاوتاً في عدد الأحاديث التي ذكرها بعض الباحثين؛ فعلى سبيل المثال: ذكرت الباحثة خديجة الدالاتي أنه "باستقراء الكتاب المدروس، نستطيع أن نحصي ثمانين موضعاً، تمَّ فيه الاستشهاد بالحديث الشريف"^٤ في حين قال الباحث زياد الجبالي: "وبالرجوع إلى "معاني القرآن" وجدته يحتج بما يزيد على مائة وخمسة وستين حديثاً".

١- الزَّجَّاج، المعاني ٨٠/١ يفهم من عادة الزَّجَّاج تقديم ما هو راجح لديه، ولعلَّ الأمر جارٍ على عادته هنا فيكون الاستدلال لمجرد الجواز.

٢- الزَّجَّاج، المعاني ٣/ ٢٥٢.

٣- الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ٧٨.

٤- الدالاتي، خديجة، الجهود اللغوية والنحوية للزجاج، مرجع سابق، ص ٣٢١.

٥- الجبالي، معاني القرآن بين القراء والزجاج، ص ٦٤. ليس المقصود هنا إخراج القراءات من باب الحديث، ولكن المقصود إخراج القراءات من دائرة موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث.

على أنّ المتنبع لكلام الجبالي يكتشف سريعاً سرّاً هذا الفرق الواسع، وهو أنه يعدّ القراءة حديثاً، خلافاً لما جرت عليه العادة في معرض الكلام عن الاحتجاج بالحديث!

ثمّ على الباحث بعد ذلك أن ينتبه إلى المجال الذي ورد فيه الحديث؛ حيث بعض الأحاديث هدفت إلى بيان سبب النزول، وبعضها هدفت إلى بيان حكم شرعي، وبعضها وردت في شرح بعض أصول العقيدة، وبعضها لبيان هوية أو ما هيّة مذكور وعليه أيضاً أن يكون حذراً فيما عدّه البعض شاهداً في حين لا ينطبق عليه - عملياً على الأقل - وصف الشاهد.

فالشواهد إنما تذكر للاستدلال على صحة الاختيار أو خطأ اختيار المخالف في المسألة محلّ الخلاف؛ وبذلك يخرج ما ورد من أحاديث على سبيل توجيه المعنى على الإعراب المختار، مما لا ذكر للخلاف فيه، والقراءة - وإن اعتبرت شاهداً - لم يجر العرف على اعتبار الاحتجاج بها احتجاجاً بحديث، وبذلك يبطل ما استخلصه الجباليّ من استشهاد الزّجاج للنحو بأحد هذين السببين أو بالسببين كليهما لسبعة من الشواهد المدّعاة، ويبطل الشاهد الثامن بأنه أقرب إلى اللغة من النحو - وهو استدلال الزّجاج بالحديث (لا يغلب عسرٌ يسرين)^١ على قوله: إنّ النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كان الثاني عين الأوّل" ويلاحظ أنّ المسألة ليست محلّ خلاف، وبذلك أيضاً لا ينطبق عليها وصف الشاهد! فالأقرب كثيراً للصواب ما أحصته الباحثة خديجة الدالاتي من إيراد الزّجاج ما يقارب الثمانين حديثاً ثمّ لا بدّ من بيان أنّ ما يقارب النصف منها في أسباب النزول، وبعد ذلك كان معظم الباقي خارج نطاق التفسير اللغوي بفروعه^٢، ويظهر للمتأمل صواب ما استخلصته الدكتورة خديجة الحديثي؛ من أنّ الزّجاج احتجّ بالحديث في كتابه: "ما ينصرف وما لا ينصرف" في موضع نحوي واحد، ولم يكن هو صاحب الاحتجاج، وإنما أورده منسوباً إلى الخليل... حيث يفهم من كلامها أنه لم يستشهد بالحديث النبوي الشريف لمسائل النحو في كتاب (معاني القرآن وإعرابه) أما مسائل الصّرف فقد ذكر الباحث زياد

١- الحديث أورده السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) في (المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) وعزاه للحاكم والبيهقي في الشّعب، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن مرسلأ، قال وأخرجه ابن مردويه عن طريق عطية عن جابر موصولاً وسنده ضعيف... وذكر أنّ أصحّ طرقه ما ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، انظر: المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. حديث رقم ٨٣٧

٢- هذا ما توصلت إليه هذه الدراسة بإحصاء ما أورده الزّجاج من أحاديث في (المعاني) وتحليل مضمونها.

الجبالي^١ أربعة أمثلة على استشهاد الزجاج بالحديث لمسائل من علم الصرف، وبالتأمل في هذه الأمثلة الأربعة:

- نجد الزجاج في المثال الأوّل يطعن في ضبط أبي عبيدة لرواية الحديث.
 - أما المثال الثاني فلا يصح ما ذكره الباحث من أن الزجاج ذكر الحديث للاستشهاد وعلى اشتقاق (مفعولة) من (أفعل)، وإنما كان استشهاده للمعنى فقال: "وقد قيل إنما معنى {أمرنا مُثْرِفِيهَا} [الإسراء: ١٦] أكثرنا مترفيها والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة" أي مكثرة^٢.
 - وكذلك الاستشهاد بالحديث في المثال الثالث: "أنه نهى صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم ثم يغتسل منه" وقول الزجاج: أي الساكن هو استشهاد للغة لا للصرف.
 - على أنّ المثال الرابع من الأمثلة التي ذكرها الباحث الجبالي هو الوحيد الذي يقارب أن يكون استشهاداً من الزجاج بالحديث على مسألة صرفية وهو حديث "طوبى شجرة في الجنة" حيث قال الزجاج وهذا يشبه قول النحويين أنّ طوبى من الطيب.
- وقد قامت هذه الدراسة التي بين أيدينا باستقراء ما ثبت من صيغته أو محتواه أنه حديث، فتوصلت إلى أنّ الزجاج لم يحتج للنحو بشاهد من الحديث، وكذلك يغلب على الظنّ أنه لم يحتج للصرف. وبذلك فهو متمسك بمذهب البصريين في الامتناع عن الاحتجاج بالحديث على القضايا النحوية.
- أما الاحتجاج بالحديث على مسائل اللغة فأمرها مختلف، حيث لم يخرج الزجاج عن مألوف علماء اللغة، الذين اعتمدوا في جميع كتبهم على الأحاديث النبوية اعتماداً كبيراً كونت ألفاظه ركناً مهماً من أركان المعجم العربي الشامل، فقد اعتمد عليه من ألفوا في غريب القرآن أو تفسيره^٣.

١- المعاني، صفحة ٦٦.
٢- الحديث: أخرجه أحمد (ت ٢٤١هـ) في المسند برقم ١٥٥٣١، إتحاف المهرة لابن حجر برقم ٦١١٢، والمعجم الكبير للطبراني برقم ٦٣٥٤، والسنن الصغرى للبيهقي برقم ١٨٠٠، والكبرى له، برقم ١٨٤٤٣، والبويصري، إتحاف الخيرة المهرة برقم ٢٣٨٧، وابن الجوزي، في تحقيق مسائل الخلاف، قال السيوطي في (الجامع)، حديث رقم ١٢٠٨٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/٥) رجاله ثقات، واختلف في صحبة سويد؛ قال ابن حبان يروي المراسيل، لكن جاء في رواية: سمعت رسول الله يقول، ففيها إثبات السماع، انظر الإصابة ١٠١/٢، ومجمع الزوائد ٢٦١/٥، ضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الكبير، حديث رقم ٦٦٧١.
٣- انظر: الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، مرجع سابق صفحة ٣٨.

على أن أغلب ما استشهد به الزجاج كان يتعلق بالمعنى التركيبي أو التفسيري، أو بيان ماهية المذكور، إلى جانب ما جاء استشهداً على (غريب القرآن) ومنه:

- ما ورد في بيان معنى اللفظ القرآني {أَلْمَنَ} قال: "وجملة المن ما يمن الله به بلا تعب ولا نصب... ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"الكفاءة من المن وماؤها شفاء للعين"^١

- ومنه ما ورد في بيان معنى "سبحان الله"؛ حيث قال: معنى "سبحان الله" تبرئته من أن يكون له ولد، وهذا قول أهل العربية، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن معنى "سبحان الله": تبرئة الله من السوء وتفسير أهل العربية موافق لما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم.^٢

- ومنه ما جاء في بيان معنى (الحواريون)^٣ قال: "والحواريون خلصان الأنبياء وصفوتهم، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "الزبير ابن عمتي، وحواريي من أمتي"^٤ وتأويل "الحواريون" في اللغة: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك "الدقيق الحواري" من هذا إنما سمي لأنه ينقى من لباب البرِّ وخالصه.

ويلاحظ على رواية الزجاج للحديث أنه نادراً ما يذكر أحداً من رواة الحديث، وغالبا ما يروي الحديث بادئاً بالفعل المبني للمجهول (روي) أو (يروى) ويندر أن يشفع ذلك بذكر أول السند (أي أول سلسلة الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم)، ومن عباراته الواردة في الرواية: وهذا يروى عن النبي^٥، أو "جاء عن النبي"^٦ أو "يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال"^٧ أو "روي عن علي رضي الله عنه"^٨ أو "يروى عن عمر بن الخطاب"^٩.

١- الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب المنّ شفاء للعين حديث رقم ٥٣٨١ من حديث سعيد بن زيد، وأخرجه مسلم، انظر شرح النووي، دار الخير، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، حديث رقم ٢٠٤٩ راجع، المعاني ١/ ١١٣.

٢- الزجاج، المعاني، ٢/ ٨٠.

٣- الزجاج، المعاني، ٤/ ٢٣٦.

٤- الحديث: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣١٤، من رواية أبي معاوية عن هشام بن عروة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال "قال رسول الله قال الألباني في الصحيحة: ٤/ ٩٨ في طرق هذا الحديث" وفي كل هذه الطرق ليس فيها "ابن عمّتي" إلا في الطريق الأولى والثانية، فهي صحيحة أيضاً؛ يقصد بالأولى: هذه الرواية إنتهى، والحديث وارد بغير لفظ (ابن عمّتي) في البخاري من حديث جابر ٣٧١٩، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٦٥٧ (ومسلم في صحيح برقم ٤٤٤٣).

٥- الزجاج، المعاني، ٣/ ٤٨.

٦- الزجاج، المعاني، ٢/ ١٤٤.

٧- الزجاج، المعاني، ٢/ ٢٦٢.

٨- الزجاج، المعاني، ٤/ ٩٩.

٩- الزجاج، المعاني، ٢/ ١٩٩.

والذي يستحق التوقف عنده مما رواه الزّجاج، وذكر ما يصلح أن يرسم له مما يسمى بشجرة
السند، هو حديث انشقاق القمر؛ حيث رواه عن أنس من خمس طرق، وعن ابن عباس بطريقتين،
وعن عكرمة بطريقتين، وبطريق عن عبد الله بن حبيب، وبطريق عن أبي عبد الرحمن السلمي،
وبطريق عن حصين بن جبير عن أبيه وعن عبد الرحمن بن أسلم بطريق فيكون مجموع طرق هذا
الحديث تسع عشرة طريقاً. وهو الحديث الوحيد في كتاب الزّجاج الذي اعتنى فيه بذكر سلاسل رواة
حديث معيّن، فهذا الحديث يستحق التوقف مرّةً لكثرة ما ذكره من طرق، ومرّةً أخرى للمقصد الذي
من أجله توسع الزّجاج في ذكر أسانيده، وهو الدفاع عن مسألةٍ من مسائل العقيدة وهي معجزة انشقاق
القمر، في وجه قوم "عندوا عن القصد، وزعموا أنّ تأويله أنّ القمر ينشقّ يوم القيامة، والأمرُ بيّن في
اللفظ وإجماع أهل العلم لأنّ قوله: {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} [القمر: ٢] فكيف
يكون هذا يوم القيامة"^١

والوقفة الثالثة التي يستحقها هذا الحديث ما قد يتوهمه القارئ لأحد الأسانيد، من أنّ الزّجاج
تلقى الحديث بالمشافهة واللقاء المباشر عن مسدد بن مسرهد، شيخ الإمام البخاري.^٢؛ وسبب ذلك أن
الزّجاج قال في حادثة انشقاق القمر: وقد روينا فيها أحاديث، وذكر سنداً عن أنس، من طريق شيخ
الزّجاج: إسماعيل القاضي ثم وردت في الكتاب علامة الوقف (.). وبعدها العبارة: "حدثني مسدّد
يرفعه إلى أنس أيضاً مثل ذلك". وقد أوقعت هذه العبارة محقق الكتاب^٣، في هذا الوهم؛ فقال:
"وشيخه مسدّد في الطريق الثاني هو شيخ البخاري أيضاً كما هو واضح من التخريج"^٤ ولم يشفع في
دفع هذا الوهم قول الزّجاج نفسه عندما أورد جميع الأسانيد - بما فيها: إسماعيل ابن إسحاق عن
مسدّد - وهو السند الذي أشكل على محقق الكتاب -: "وجميع ما أملي عليكم في هذا ما حدّثني به
إسماعيل بن إسحاق، قال: ..."^٥

على أن القول الفصل في ذلك لتاريخي الولادة والوفاة فمسدد بن مسرهد ولد عام ١٥٠هـ
وتوفي عام ٢٢٨هـ^٦، في حين إن أقرب تاريخ قدره العلماء لولادة الزّجاج كان عام ٢٣١هـ، والذين

١- الزّجاج، المعاني، ٤/ ١٨١.

٢- الزّجاج، المعاني، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، ١/ ٢٦٣.

٣- أحمد فتحي عبد الرحمن، مقدمة المعاني.

٤- الزّجاج، المعاني، ١/ ٣٣، مقدمة المحقق.

٥- الزّجاج، المعاني، ٤/ ١٨١.

٦- انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق.

رجحوا هذا التاريخ اعتمدوا في ذلك على الحادثة التي رواها القفطي^١ والزبيدي^٢ ممن رجح هذا التاريخ من المعاصرين الدكتور عبد العظيم فتحي الشاعر^٣ والباحث وسام عقلة مساعدة،^٤ والحادثة التي استدلا بها هي المناظرة التي حصلت بين الزجاج والمبرد، أول مقدم المبرد بعدد بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ وأن وفاة الزجاج كانت بحسب أكثر الروايات سنة ٣١١هـ، وقد ورد في العمر الذي بلغه روايتان: أنه بلغ السبعين، وأنه نيف على الثمانين، واستدلوا بالمناظرة على القول الثاني، حيث لا يعقل أن يناظر الزجاج المبرد وعمره في ذلك التاريخ ست سنوات - على افتراض الرواية الأولى في مولده، في حين تتماشى الرواية الثانية- القائلة بوفاته سنة ٣١١ هـ عن نيف وثمانين بسهولة مع تاريخ هذه المناظرة.

وعلى هذا الأساس يعدُّ من الوهم القول بأن الزجاج تلقى الحديث عن مسدد؛ حيث توفي مسدد وعمر الزجاج ثلاث سنوات!

٣. الاستشهاد بالشعر

مما يستوقف القارئ لسيرة الزجاج وصفه بأنه من "مدرسة المعلمين" التي من قوام منهجها العناية بدراسة اللغة ورواية الأشعار والأخبار، وهي صفة تتجلى في أعمال أستاذه أبي العباس ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرد كما تتجلى في تلاميذه ومنهم أبو القاسم الزجاجي، وأبو علي الفارسي، والحسين بن بشر الأمدي. وقد أخذ الزجاج شواهد من ثلاث طبقاتٍ من الشعراء: "الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون... كامريء القيس والأعشى، والثانية: المخضرمون، الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كليد وحسان، والثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق"^٥

والزجاج ممن يستقرئ لغة الشعر، ويعتني بتوثيقها وصحة نقلها وفصاحتها، فقد اعتمد رواية شيوخه فنقل عن المبرد، وأبي عبيدة والأخفش وسيبويه، وغيرهم، من النقات^٦

١- القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، دار الفكر القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ٣/ ٢٤٩....
٢- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق، ص ١١٨، ١١٩.
٣- الشاعر، مرجع سابق، ص ٦.
٤- مساعدة، وسام، التخرجات اللغوية والنحوية عند الزجاج، مرجع سابق.
٥- معاني القرآن وإعرابه، مقدمة المحقق، ص ١٨.
٦- معاني القرآن وإعرابه، صفحة ٣١، وهو المرجع الرئيس في هذا البحث.
٧- الجبالي، معاني القرآن بين الزجاج والفرءاء، مرجع سابق، ص ٧٠.

والزجاج حريص على توثيق الرواية ونسبتها، وهو يشدد النقد على من يستشهد بشعر غير منسوب كقوله في قراءة قوله تعالى: {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} [يونس: ٥]: "... وأجاز بعضهم "يحي" بياء واحدة مشددة مدغمة وذكر أن بعضهم أنشد:

وكانها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بيتها فتعي

ولو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو، وهل هو ممن يؤخذ بشعره أم لا؟ ما كان يضره ذلك، وليس يحمل كتاب الله على "أنشدني بعضهم، ولا على بيت شاذ لو عرف قائله وكان ممن يؤخذ بقوله لم يجز"^١

- وقوله فيمن "زعم أن قولنا: "هلم" مثل ذلك أن أصلها: "هل أم": "وإنما هي لمّ والهاء للتنيبه، وقال المحتج بهذا القول: إن "ياء" قد يقال مع: "اللهم" فيقال: "يا اللهم" ولا يروي أحد عن العرب هذا غيره، زعم أن بعضهم أنشده:

وما عليك أن تقولي كلما سبحت أو صليت يا اللهم ما

أردد علينا شيخنا [مُسَلِّمًا]^٢

وليس يعارض الإجماع، وما أتى به كتاب الله تعالى، ووجد في جميع ديوان العرب بقول قائل: "أنشدني بعضهم" وليس ذلك البعض بمعروف ولا بمسمى"^٣

والمقصود بالنقد في رواية هذا الشاهد الكوفيون عامة، والفراء والكسائي خاصة؛ قال أبو بكر الأنباري: "واختلفوا في معنى (اللهم)؛ فقال أبو زكريا يحي بن زياد الفراء وأبو العباس أحمد بن يحي [ثعلب]: "معنى اللهم: يا الله أمنا بمغفرتك فتركت العرب الهمزة، فاتصلت الميم بالهاء، وصارا كالحرف الواحد، واكتفى به من (يا) فأسقطت، وربما أدخلت العرب (يا) فقالوا: يا اللهم اغفر لنا، قال الفراء: أنشدني الكسائي:

وما عليك أن تقولي كلما سبحت أو صليت يا اللهم ما

أردد علينا شيخنا مسلماً"^٤

١- الزجاج، المعاني، ٢/ ٢٦١. والبيت نسبة الزبيدي للحطيئة، انظر تاج العروس (عي).
٢- كذا، والذي يستقيم عليه وزن البيت هو التضعيف في اللام: [مُسَلِّمًا]. وهو في تفسير الطبري ٢/ ٢٩٦، وفي لسان العرب، مادة أله، والقرطبي ٤/ ٥٢، والمحرر الوجيز من غير نسبة. ونسبه نشوان المحيري في كتاب (الحوار العين) ٧/ ١ للأعشى وهو غير موجود في ديوانه. (من موقع الوراق).
٣- الزجاج، المعاني، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، ١/ ٣٠٧.
٤- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م، ط ١، قال ابن عطية في المحرر الوجيز (تفسير قوله تعالى: {قل اللهم مالك الملك} ردًا على الزجاج: هذا غلو من الزجاج، وهذا الهمز الذي يطرح في الكلام فشانها أن يؤتى به" والراجح والله أعلم =

- ومن نقده لشواهد الكوفيين ما عقب به على ردّه لقراءة حمزة والأعمش (بمُصْرَخي) بكسر الياء [إبراهيم: ٢٢]: "... وأجاز الفراء على وجه ضعيف الكسر؛ لأنّ أصل التقاء الساكنين الكسر وأنشد [من الرّجز]

قال لها هل لك يا تافيّ قالت له ما أنت بالمرضيّ.

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتجّ به في كتاب الله عزّ وجلّ^١.

وفي تعقيبه على قراءة حمزة- وقد ردّها- {أرْجِهْ وَأَخَاهُ} [الأعراف: ١١١، الشعراء: ٣٦] بسكون الهاء في {أرْجِهْ} قال: "وزعم بعض النحويين أن إسكانها جائز... وزعم أيضاً هذا أن هاء التانيث يجوز إسكانها، وهذا لا يجوز، واستشهد في هذا بشعر مجهول قال أنشدني بعضهم لما رأى ألا دَعَه ولا شبع مال إلى أرطاة حقفٍ فالطجع وهذا شعر لا يعرف قائله، ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقل أخطأت، لأنّ الشاعر قد يجوز أن يخطيء^٢"

ويخالف الزّجاج في ردّه قراءة حمزة وقول الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦) في "شرح شافية ابن الحاجب"^٣: "وظاهر كلام الفراء أنّه غير ضرورة؛ قال في تفسير قوله تعالى: {أرْجِهْ وَأَخَاهُ}... وقد جزم الهاء حمزة والأعمش، وهي لغة للعرب، يقفون على الهاء، المكنى عنها في الوصل، إذا تحرك ما قبلها"^٤

- وهو إلى جانب نقده للكوفيين، قد ينبه إلى ما يعده غلطا عند بعد البصريين -حتى ولو كان أستاذه المبرد، ومثال ذلك قوله في توجيه إعراب الآية {إِنَّهُ كَانَ فَاخِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} [النساء: ٢٢]: "وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون "كان" زائدة؛ فالمعنى على هذا: أنّه فاحشة ومقت، وأنشد في ذلك قول الشاعر:

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

أنّ حمل الكلام على طرح الهمزة تكلف، لا يليق بكتاب الله، أمّا وصف الزّجاج بالغلو، فلإطلاقه وصف الإلحاد على قول الكوفيين في المسألة، وليس لموقفه المجرد منها.

١- المعاني ، ٥٠ / ٣، والزّجاج هنا ينتقد الشاهد بركاكة أسلوبه وجهالة قائله فأما نكارة أسلوبه فهو ركيك، وأمّا جهالة قائله فمنتقبة بما ذكره البغدادي في خزنة الأدب، الشاهد ٣٢٢ من أنّه للأغلب العجلي، وذكر مطلع أرجوزته.

٢- نفسه، ٢٢٨ / ٢.

٣- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وزميله، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، شاهد رقم ١٣٣.

قال أبو إسحق: هذا غلط من أبي العباس، لأن "كان" لو كانت زائدة لم تنصب خبرها، والدليل على هذا البيت الذي أنشده: "وجيران لنا كانوا كرام" ولم يقل كانوا كراماً".^١

وقد بلغ من غزارة علم الزّجاج بالشعر أن يستدرك على صاحب الشيخ ما أغفله من شواهد شيخه؛ يقول معقّباً على قول الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يأفكه الساحرُ:

"هذا البيت أنشد لأبي عبيدة، وزعم التوزي صاحب أبي عبيدة أنه لا يعرفه".^٢

ومن غزارة علمه بالشعر أن يكثر من الشواهد في بعض المسائل إذا كانت مما لم تعتد عليه العامة، فيقول: "وإنما أكثرنا من الشواهد في هذا الحرف كما فعل من قبلنا، وإنما فعلوا ذلك لقلّة اعتياد العامة".^٣

ومن ذلك استشهاده لكلّ ما تحمله اللفظة من احتمالات المعنى؛ فقد ساق من معاني (الفلاح) في تفسير قوله تعالى {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ} [البقرة: ٥] ما يأتي:

١. البقاء: "قال أنبيد بن ربيعة:

نحلُّ بلاداً كلّها حلّ قبلنا ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحمير

٢. إصابة الخير: "قال عبيد [بن الأبرص]:

افلاح بما شئت فقد يبلغ بالـ ضعفٍ وقد يخدع الأريب

٣. القطع والشقّ: "قال الشاعر:

قد علمت خيلك أني الصصحح إنّ الحديد بالحديد يُفلحُ^٤

٤. "ويقال للمكاري الفلاح، وإنما قيل له فلاح تشبيهاً بالأكار. قال الشاعر:

لها رطل تكيّل الزيت فيه وفلاح يسوق لها حماراً"^١

١- الزّجاج، المعاني ، ٢١/٢ البيت للفرزدق، من قصيدة له يمدح فيها هشام بن عبد الملك وبهجو جريراً، ذكر البغدادي في خزنة الأدب أبياتاً منها. انظر الشاهد ٧٣١.

٢- الزّجاج، المعاني ، ٢٢٩ / ٢.

٣- الزّجاج، المعاني ، ٣٠٦ / ٣.

٤- البيت ينسب لرجل من الخوارج يهجو به مصعب بن الصصحح من رجال مروان بن محمد. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٢٣/٣، موقع الموسوعة الشاملة. وهو بهذه الصيغة التي رواها الزّجاج مروياً على لسان ابن الصصحح نفسه.

ومن الجدير بالملاحظة أنّ الزّجاج رغم تشديده النقد على من يروي شعراً من دون أن ينسبه إلى قائل معروف إلا أنّه تكرر في كتابه ورود شواهد غير منسوبة على أنّ بعضها لشعراء ممّن يستشهد بشعرهم ربما ترك الزّجاج ذكرهم لشهرة شواهدهم.

وقد استقرت هذه الدراسة المائة شاهد الشعرية الأولى من كتاب الزّجاج فوجدتها موزّعة على النحو الآتي: احتلت شواهد علم اللغة ما نسبته ٦٣٪ من الشواهد المدروسة؛ منها خمسين شاهداً في متن اللغة^١، وثلاثة عشر بالمائة في النحو^٢، واثنا عشر بالمئة في الصرف، وستة شواهد في الصوتيات، واثان بالمائة في علم البلاغة، وواحد في الاشتقاق، وواحد في لهجات العرب.

ويتبين من توزيع هذه العينة من الشواهد تفوّق المقصد اللغوي في كتاب معاني القرآن على المقصد النحوي كما تبين ذلك من قبل في احتكام الزّجاج إلى المعنى في التوجيه النحوي للقراءات، خلافاً للانطباع السائد بأن "الإعراب إذن مقصد أساسي للزّجاج، والمعنى يبني عليه"^٣ وكذلك يتبين من مواقفه الناقدة للشواهد أن عمله لم يكن "هو الرواية لا غير" كما زعم البعض^٤.

٤. الاستشهاد بأقوال العرب:

لم يبد الزّجاج عناية ملحوظة بالشواهد النثرية، كالخطب والأمثال، ومع ذلك فقد أبدى شيئاً من العناية بنوع من الأقوال لم تبرز فيه هوية المثل ولكنها تقاربه، وهو ما يمكن دراسته تحت عنوان أقوال العرب. ومن ذلك قوله في تفسير الآية: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة:

[٢٢٨

"ويقال: "ما قرأت الناقة سلاً قط" أي لم تضمّ رحمها على ولد..."^٥

١- المرجع السابق، ١/ ٦٧ المكاربي: الذي يكره: أي يؤجر الدواب، والأكار الحراث، راجع: مصطفى، إبراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، دار الدعوة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٢٢، ٧٨٥. ولاحظ أنّه هنا يستشهد ببيت أشد ركاكة ممّا انتقده على الكوفيين، وأنّه أيضاً مجهول النسبة!

٢- راجع: الزّجاج، المعاني، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، الصفحات: ٤٣/١، ٤٤، ٤٥، ٥٦، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٧، ٦٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ١٠٤، ١٠٨، ١١١، ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٦، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٢، ١٨٣، ١٩١، ١٩١، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٩.

٣- المرجع السابق: ٤٠، ٥٤، ٥٤، ٨٢، ١٠٦، ١١٢، ١١٢، ١٣٢، ١٣٨، ١٧١، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٢٦.

٤- الزّجاج، معاني القرآن، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، مقدمة المصنّف ١/ ٢١.

٥- المرجع السابق، ١/ ٢١.

٦- الزّجاج، معاني القرآن، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن ١/ ٢٣٩.

ومنه قوله في تفسير الآية: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٥١] "وأصل الهزم في اللغة: كسر الشيء، وثني بعضه على بعض، يقال: "سقاء مهزوم" إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف. وقصب متهزّم ومهزوم قد كسر وشقق. والعرب تقول: "هزمت على زيد" ^١.
ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يُجِيبُكَم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام: ٦٣] "ومعنى ظلمات البرّ والبحر" شدائد البرّ والبحر، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: "يوم مظلم" حتى أنهم يقولون: "يوم ذو كواكب" أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل... ^٢

٥. الاستشهاد بلغات العرب ولهجاتها

يلحظ الباحث في منهج الزجاج في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" قدراً من العناية بلغات العرب ولهجاتها، ويتوزع ذلك على المباحث اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية، كما تتوزع على لغة الحجاز -وقد يخصص فيذكر لغة المدينة -ولغة تميم، ولغة هذيل، ولغة كنانة، ولغة بني سليم، ولغة بني الحارث، ولغة حضرموت، ولغة عمان، وقد ينسب ل "بعض العرب"، أو "جماعة من العرب" أو يقول "من العرب من يقول
فعلى المستوى اللغوي: يقول في تفسير قوله تعالى {رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٨٩] ^٣ "أهل عمان يسمون القاضي "الفتاح والفتاح".
وفي تفسير قوله تعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: ١٧] قال: "اللهو في لغة حضرموت: الولد، وقيل: اللهو المرأة، وتأويله أنّ الولد لهو الدنيا... ^٤"
وفي تفسير قوله تعالى {مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا} [الحشر: ٥] قال أي قطعتم من نخلة، والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهل المدينة "الألوان" وأصل "لينه" ^٥ لونه "فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ف قيل: لينه".
ففي قراءة قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [البقرة: ٤] يقول: "إن شئت خففت الهمزة، في {أُنزِلَ} وكذلك في قوله {إِلَيْكَ}، وهذه لغة غير أهل الحجاز، فأما أهل الحجاز فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة.

١- المرجع السابق، ٢٦٢/١.

٢- الزجاج/٢/١٥٩، ١٦٠. قال الزمخشري في الكشاف، ص٣٣١، ظلمات البرّ والبحر مجاز [كناية] عن مخاوفهما.

٣- الزجاج، معاني القرآن، ٢٢٣/٢.

٤- الزجاج، معاني القرآن، ١٩٦/٣.

٥- الزجاج، معاني القرآن، ٢٢٤/٤.

وفي قراءة قوله تعالى: {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: ١٨] يقول: " وقد زعم سيبويه أن جماعة من العرب يقرأون {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} يحققون الثانية ويخففون الأولى، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء، وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولى " ^١

وفي قراءة قوله تعالى {لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠] يقول: الأجود فيه الضم لالتقاء الساكنين، الأصل: " لا يضرركم " ولكن كثيراً من القراء يظهرون التضعيف، وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعاً فقوله تعالى {إِنْ تَمَسَسْتُمْ} على لغة أهل الحجاز، وقوله: {لَا يَضُرُّكُمْ} على لغة غيرهم من العرب، وكلا الوجهين حسن، ... وذكر الفراء أن الكسائي سمع بعض أهل العالية^٢ يقول: " ما تضورني " فلو قرئت على هذا لا يضرركم جاز " ^٣

وفي قراءة قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَنَاءِ} [الكهف: ٦٠] قال: " وإن شئت قلت بالإمالة والكسر، وهي لغة تميم، وأهل الحجاز يفتحون ويفخمون ^٤.

وعلى المستوى النحوي ذكر لغة بني سليم في قراءة قوله تعالى {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ...} [البقرة: ٧١] " إلا أن قوماً من العرب - وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت، فيقولون: قلت زيدا منطلقاً، فهذه لغة لا يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله - عز وجل - ولا يجوز: " قال أنه يقول إنها " لا يجوز إلا الكسر. ^٥

- كما ذكر لغة كنانة، وبني الحارث بن كعب في قراءة {إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ} [طه: ٦٣].

١- الزجاج، معاني القرآن، ١٣٥/٤.

٢- والعالية ما كان فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة، فما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد، انظر: لسان العرب، دار صادر، ٢٠٠٣، جزء ١٤، صفحة ١٩٥، مادة نجد.

٣- الزجاج، معاني القرآن، ٣٦٠/١.

٤- الزجاج، معاني القرآن، ١٤٠ / ٣.

٥- الزجاج، معاني القرآن، #٤٤٤.

الفصل الثالث

التفسير اللغوي

في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني ومنهجه فيه

عناصر التفسير اللغوي عند الرّاعب

أولاً: الظواهر الدلالية؛ كالترادف والفروق اللغوية والمعرب...

اعتنى الرّاعب الأصفهاني رحمه الله ببيان مقصده من تأليف كتابه وما يترتب على هذا المقصد من إقامة أبحاثه على أصولٍ محدّدة، مما يترك المجال مفتوحاً للمقارنة بينه وبين كلِّ من الرّجاج وابن سيّدة بناء على الأصول المنهجية التي قامت عليها أبحاثهم ومقدار التفاوت في إبراز هذه الأصول ضمن الكتاب الواحد من كتب العلماء الثلاثة محلّ الدراسة، أو بمقارنته في نطاق الكتب الثلاثة.

فالرّاعب - رحمه الله - يذكر في مقدّمة كتاب (المفردات) بما ذكره في (الرسالة المنبّهة على فوائد القرآن) بـ " أن الله كما جعل النبوة نبوة نبينا مختومة... جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التي أولها أوائل الأمم كما نبّه عليه الباري سبحانه وتعالى بقوله: {يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً* فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ} [البينة: ٢، ٣] وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه - مع قلة الحجم- متضمن للمعنى الجَمِّ، وبحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه، والآيات الدنيوية عن استيفائه، كما نبّه عليه بقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان: ٢٧] لكنّ محاسن أنواره لا يثقفها إلا البصائر الجليلة، وأطايب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكية... " ثم يدعو أن يجعله الله ممن يتولى هدايته ليبلغ هذه المنزلة، ويخوله هذه المكرمة^١ وفي هذا تنويه واضح بمقصده من تأليف كتابه، وهو توظيف فهم مفردات ألفاظ القرآن للكشف عمّا فيها من أسرار.

وهو مقصد يستدعي استنفار طاقات المؤلف للكشف عن مكامن الإعجاز في الآي الحكيم سواء في تراكيبه أو في مفرداته، ولكنّ الرّاعب - رحمه الله - لم يترك مسار البحث بلا ضفاف، فحدّد مقصده الذي ينبئ عن أن هذا الكتاب حلقة في سلسلة تدرس ألفاظ القرآن دراسة منهجية مستمرة تؤسس فيه الحلقة لما بعدها، أو ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً؛ فهو يعدُّ في كتاب (المفردات) بـ "الإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات فيها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب"

١- الرّاعب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان الداودي،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٥٤.

ويحيل "بالقوانين الدالة على مناسبات الألفاظ إلى رسالة ألفها في (تحقيق مناسبات الألفاظ)^١ وهو مصطلح يفهم منه العناية بما اصطلح على تسميته فيما بعد بالعلاقات الدلالية؛ كالترادف، والفروق اللغوية، والاشتراك اللفظي، والتضاد.

ويلاحظ أن الراغب في هذه المقدمة المنهجية يسمح بفاصل غير مفرط في التحصين بين الألفاظ المترادفة، والألفاظ التي تبوح بفروق دقيقة في دلالتها، فيعد حلقة ثالثة في هذه السلسلة المقصود بها العناية بالمفردات يكون مقصدها " تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة "^٢.

فيفهم من كلام المؤلف المنقول من مقدمته أن المؤلف قصد من تأليف كتابه بيان إعجاز القرآن الكريم في مفرداته بالدرجة الأولى، وأنه يؤلف هذا الكتاب وعينه مفتوحة على " العلاقات الدلالية " وأن كونه يحيل إلى رسالة ألفها في المناسبات بين الألفاظ، إلى جانب كونه يعد بكتاب يختص "بالفروق الغامضة " لا يعني إغفاله تلك الفروق في هذا الكتاب، بل يعني عكس ذلك تماماً، وأن الفرق بين الكتب الثلاثة إنما هو في درجة التركيز في المقصد، وما ينضم إلى هذا المقصد في كل كتاب من مقاصد تخرجه بصورته المتميزة.

ومع كل ذلك، فإن وصف الألفاظ محل البحث في (الحلقة الثالثة الموعودة) في مقدمة (مفردات ألفاظ القرآن) ب " الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد " يعد اعترافاً صريحاً بوجود الترادف من جهة، وتنبيه إلى أنه لا يتعامل معه كوصف مطلق.

وفي ضوء هذه النظرة العاربية عن صفة الإطلاق تعامل الراغب مع ظاهرة الترادف في كتابه المفردات، ومن أبرز الظواهر الدالة على ذلك:

أنه يستخدم لبيان معنى الكلمة المفردة المجردة من القيود الدلالية، كلمة أخرى مفردة مجردة مثلها في أدائه للدلالة ويستطيع المتتبع - بنظرة أولية - أن يحصي ما يقارب السبعين مفردة جرى التعبير عن معناها على هذه الطريقة^٣ كقوله: الأب: الوالد/ والأبو: الغدو/ الإيتاء: الإيعاء/ المألكة: الرسالة/ التبذير: التفريق / البروج: القصور/ البرزخ: الحاجز / جبي: جمع / الحث: السرعة / الحرف: الطرف/ الحصر: التضييق/ الحضب: الوقود/ الحق: المطابقة/ الحوب: الإثم/ الذنوب: القرب/ دهاقا: مفعمة/ الدار: المنزل/ أصل الدوام: السكون/ أصل الرجز: الاضطراب/ رسا: نبت/ الرقات:

١- نفسه، ص ٥٥.

٢- المرجع السابق، ص ٥٥.

٣- تراجع كل منها تحت مادتها.

الفتات/ الرّفد: المعونة / يخنس: ينقبض/ الركوع: الانحناء/ رهوأ: ساكناً الستر: تغطية الشيء/
السربال: القميص من أي جنس كان/ السناء: الرّفعة/ الصفو: الميل / الصّلب: الشديد / الصهر: الختن
/ صياصبيهم: حصونهم / أصلُ الضيف: الميل / الفلح: الشق / الفلك: السفينة / الفوم: الحنطة/ القطر:
الجانب / القنوق: العذق / الكفر: ستر الشيء / الكلف: الإيلاج بالشيء / المحق: النقصان / اصل
المرج: الخلط / المريّة: التردد في الأمر/ مكأ: صفر / الإملاء: الإمداد / المنى: القدر/ النبز: التلقيب
النجاسة القذارة / النّسك: العبادة / النصر والنصرة: العون نصف الشيء: شطره / النّوش: التناول /
هار البناء، وتهوّر: إذا سقط الوجوب: الثبوت / الوحدة: الانفراد / الوسم: التأثير / الوفق: المطابقة /
الولق: الإسراع.

وقد يتدرّج الرّاغب من التعبير العملي بالترادف، إلى استخدام وصفٍ يتجه قليلاً باتجاه ملاحظة
الفروق الدقيقة بين الألفاظ، أزف وأفد يتقاربان فيستخدم وصف: (المقاربة) في الألفاظ التي يتقارب
لفظها ومعناها، ومن ذلك قوله :- " البتك، يقارب البت " .
- البتر يقارب ما تقدّم .

- الصاعقة والصاعقة يتقاربان، وهما الهدّة الكبيرة .
" وكان يعتمد على كاف التشبيه للمقاربة بين الألفاظ المترادفة، بالرغم من وجود الفروق الدلالية
فيما بينها، من ذلك ما ذكره حول لفظة (الدرك) حين قال: " الدرك كالدّرج، لكن الدّرج يُقال اعتباراً
بالصعود، والدّرك اعتباراً بالحدود، ... وقال: " الرّقة الدّقة لكن الدقة تقال اعتباراً بمراعاة جوانبه،
والدّقة اعتباراً بعمقه " ¹

ومن ذلك التدرّج أن يأتي باللفظين المستويين في الدلالة، فينبه إلى فروق دقيقةٍ تخرجهما من حدّ
الترادف، كقوله: " المشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم: المشيئة في الأصل
إيجاد الشيء وإصابته، وإن كان قد يستعمل في التعارف موضع الإرادة، فالمشيئة من الله تعالى هي
الإيجاد ومن الناس هي الإصابة " ².

- ومنه قوله: " الخالص كالصافي، إلا أنّ الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه،
والصافي قد يقال لما لا شوب فيه " ³.

١- القويدر، محمود مصطفى ، البحث الدلالي عند الرّاغب، رسالة ماجستير في اللغة، الجامعة المستنصرية
١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، صفحة ٢٢٨.

٢- الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٧١.

٣- الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٩٢.

- ومنه قوله: " الدّعاء كالنداء، إلا أنّ النداء قد يقال ب (يا) أو (أيا) ونحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم، والدّعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كلُّ واحدٍ منهما موضع الآخر"^١.

ثم هو بعد ذلك تجده يدقق في الشق الأيسر من معادلة اللفظ والمعنى خارج نطاق الألفاظ المتقاربة الدلالة، فيمعن في الاحتراز للمعنى بما أوتي من علم وفهم وذوق لغوي رفيع يلحظ فيها قيوداً دلالية يستخدمها كشرط ضمنية يشتمل عليها اللفظ في أدائه للدلالة ويحتكم إليها في استنباط الفروق بين الألفاظ المتقاربة الدلالة، أو إبراز مفردة من المفردات بعيداً عن مقصد المقارنة، ومن ذلك:

ملحظ الحال: ومنه قوله: " الرود: التردد في طلب الشيء برفق "

ملحظ التركيب من عنصرين أو أكثر؛ ومن ذلك قوله:

- " الأسف: الحزن والغضب معاً "

ملحظ الوصف المخصوص؛ ومن ذلك قوله:

- " الأيلاء: الحلفُ المقتضي لتقصير "

ملحظ السبب: كقوله:

- " الحذر: احتراز من مخيف "

ملحظ مجال استعمال اللفظ: ومنه قوله:

- " الخرص: حزر الثمرة. "

وهو يوظف كل ذلك في تقسيماته العبرية للمعاني بحسب الاعتبارات - التي تغلب عليها السمة العقلية والمنطقية، وهو ما سيرد الحديث عنه في " التفسير بالرأي عند الراغب " في هذا الفصل - إن شاء الله - .

فيتبين من كل ما سبق أنّ الراغب - رحمه الله - ألف كتاب المفردات، وعينه على ما تتميز به المفردة القرآنية من دلائل الإعجاز، وأنه في سبيل ذلك بذل جهده أن يظهر هذه الدلائل في المفردة القرآنية المستقلة عن مؤثرات تظهر نتيجة تطور الاستعمال فتؤدي إلى أن تلقي المفردة بظلالها على مفردة أخرى فيظهر أن كأنهما متطابقتان في الدلالة، فسعى من خلال رسائله العلمية المتضمنة وسائل علم متن اللغة، والصرف، والاشتقاق، إلى جانب المعارف الأصولية والمنطقية، والموهبة في التدقيق اللغوي إلى تجسيد قدرات المفردة الواحدة على تشخيص المعنى الدقيق، مما نتج عنه؛ بحكم حسن

١ - الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، صفحة ٣١٥.

استخدام هذه الوسائل، لا بحكم مقصد مسبق تضيق مجال الترادف، بل وإلى الكشف داخل نطاقه عن فروق^١ تنبيء عن مزيدٍ من تميّز أداء اللفظة القرآنية !

وإلى جانب ذلك تجدُ في كتاب الرّاعب ما تجده في كتب اللغة ومعاني القرآن والمعاجم من فروق لغوية بين المفردات مما السبيل إلى معرفته الرواية اللغوية أو الدّراية، ومما هو من الفروق الجليّة التي لا يُحتاج في الكشف عنها إلى ما تحتاجه الفروق الدقيقة الخفيّة من عمق في الخبرة وتجلُّ في الموهبة، ورهافة في الدّوق، مما يجدُ القارئ مثله عند الرّجاج، ومن أمثلة ذلك:

الفروق المرتبطة باختلاف صيغة الفعل؛ ومن ذلك قوله:

- "يقال: أجر زيدُ عمرًا يأجره أجرًا: أعطاه الشيء بأجرة، وأجر عمرو زيدًا: أعطاه الأجرة"^٢.

ومن الفروق المرتبطة بضبط الألفاظ:

- قوله: "الأسر: الشدُّ بالقدِّ، ومن قولهم: أسرتُ القتب... والأسر: احتباسُ البول..."^٣.

ومن الفروق المرتبطة باختلاف الصيغ الصرفية:

- قوله: "واشتق من لفظ جَبَر العظم: الجبيرة، للخرقة التي تشدُّ على المجبور، والجبارة للخشبة التي تشدُّ عليه"^٤.

ومن الفروق المرتبطة بأصل الاشتقاق قوله:

"واشتقاق الآية إما من أيّ؛ فإنها هي التي تبين أيّا من أي، أو من قولهم: أوي إليه. والصحيح

أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبّت والإقامة على الشيء، يقال: تأي، أي أرفق، أو من قولهم:

أوى إليه، وقيل للبناء العالي آية..."^٥

ومن الفروق المرتبطة بحروف التعدية قوله:

"الدفع إذا عدّي بالي اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء:

٦] وإذا عدّي بعين اقتضى معنى الحماية، نحو {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨].

١- قد يعترض على ذلك بأنّ الرّاعب -رحمه الله- ربما انطلق في أبحاثه في الفروق اللغوية من اعتقاده بأن اللغة توقيف من الله تعالى؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: ٣١]: "... ويقال ذلك لأنواع الثلاثة: المخبر عنه، والخبر عنه والرابط بينهما المسمى بالحرف وهذا هو المراد انظر المفردات، صفحة ٤٢٨. والجواب أن هذا الاعتقاد قد يكون باعثًا للبحث إلا أن مسار عمله لا ينمُّ أبداً عن تحكّم هذا الاعتقاد في منهج بحثه لا من حيث الوسائل، ولا من حيث النتائج ما عدا ذلك الإلاحاح الملموس في إظهار الفروق".

٢- الرّاعب، مفردات ألفاظ القرآن، مادة أجر، صفحة ٦٥.

٣- الرّاعب، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٦.

٤- نفسه، ١٨٥.

٥- نفسه، ١٠٢.

موقف الرَّاعِب الأصفهاني من المشترك اللفظي في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)

اعتنى الرَّاعِب بظاهرة (الاشتراك اللفظي) وعقد له فصلين في (مقدمة جامع التفاسير) من ضمن ما نبّه إليه تحت عنوان: "فصول لا بدّ من بيانها في مبتدأ الكتاب" هما: "فصل في أوصاف اللفظ المشترك" وفصل: " الاشتراك في اللفظ يقع لأحد وجوه". ومهد للحديث في هذين الفصلين بتعريف المشترك ضمن "فصل في بيان ما يقع فيه الاشتباه من الكلام المفرد والمركب" قال: "ويجب أن يعلم أنّ لفظ مع المعنى خمس أحوال: ... الرابع: أن يتفقا في اللفظ ويختلفا في المعنى، ويسمى "المشترك" و "المتفق" نحو: "العين" المستعملة في "الجارحة" ومنبع الماء، والديّبان"^٢ وفي "فصل في أوصاف اللفظ المشترك" ذكر الأوصاف التي تتحقق في اللفظ حتى يعدّ من "المشترك"، قال: "اللفظ إنما يحصل فيه التشارك بأن يستوي اللفظان في ترتيب الحروف، وعددها وحركاتها، ويختلفا في المعنى" ومثّل لذلك بـ "عين" و "كلب"

"ونبّه إلى ما قد يتوهم أنه من المشترك وهو ليس منه؛ قال: "فأمّا إذا اختلف ترتيب الحروف نحو "حلم" و "حمل" أو العدد نحو "الغناء" و "الغناء"... أو الحركة نحو "قديم" و "قدّم" أو لم يختلفا في المعنى نحو "الإنسان" إذا استعمل في زيد وعمرو فليس شيء من ذلك من الأسماء المشتركة".^٣

وفي "فصل الاشتراك في اللفظ يقع لأحد وجوه" ذكر أنّ الاشتراك: إما أن يكون في لغتين نحو "الصقر" للبن إذا بلغ غاية الحموضة في لغة أكثر العرب، والصقر للديس في لغة أكثر أهل المدينة. "وإما أن يكون أحدهما منقولاً عن الآخر أو مستعاراً" وفرّق بين المنقول والمستعار بأنّ "المنقول: هو الذي ينقله أهل صناعة ما عن المعنى المصطلح عليه أولاً إلى معنى آخر قد انفردوا بمعرفته فيبقى من بعد مشتركاً بين المعنيين" ومثّل لذلك بـ "الألفاظ الشرعية نحو الصلاة والزكاة، والألفاظ التي يستعملها الفقهاء والمتكلمون والنحويّون" "وأما المستعار: فالاسم الموضوع لمعنى فتستعيّره لمعنى آخر" فـ "المنقول: شرطه أن يتبع فيه أهل تلك الصناعة والمستعار لكلّ أحد أن يستعير، فيستعمله إذا قصد صحيحاً ويكون متضمناً لمعنى التشبيه..."^٤

١- أبو القاسم الرَّاعِب الأصفهاني، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق د. أحمد حسن فرحات دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، صفحة ٢٨.
٢- قال صاحب لسان العرب: "الديّبان الطليعة"، انظر مقدمة جامع التفاسير، صفحة ٢٩، حاشية ٧.
٣- مقدمة جامع التفاسير، صفحة ٣١.
٤- الرَّاعِب، مقدمة جامع التفاسير ص ٣٣.

كذلك صرّح الرّاغب بوصف بعض الألفاظ بالاشتراك في كتاب (المفردات) ومن ذلك قوله:
"والحسنة يعبر [عنها] ^١ عن كلّ ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسينة
تضادها، وهما من الألفاظ المشتركة، كالحَيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس، والإنسان
وغيرها." ^٢

وهو في كل هذه النماذج لا يذكر المشترك صراحة، ولكنه يورد المعاني التي تدور على اللفظ
الواحد، ثم يصرّح أو يلمّح إلى أصل جامع هذه المعاني التي يدور عليها اللفظ:
- أما التصريح فيستخدم فيه عبارات تتكلم عن انتقال الدلالة، أو استخدام اللفظ على سبيل الشبه أو
الاستعارة.

- فما عبر به عن انتقال الدلالة قوله في تفسير قوله تعالى: {لَا فَاَرْضٌ وَلَا يَكْرُ} [البقرة: ٦٨]:
"وقيل: إنما سمي فارضاً لكونه فارضاً للأرض؛ أي قاطعاً، أو فارضاً لما يحمل من الأعمال
الشاقة، وقيل بل لأنّ فريضة البقر اثنان: تبيع ومسنّة. فالتبّع يجوز في حال دون حال، والمسنة
يصح بذلها في كلّ حال، فسميت المسنّة فارضة لذلك"

ومما عزاه إلى الاستعارة وهو الأكثر استخداماً في التعبير عن تحوّل الدلالة من جهة، وعن توحيد
المشترك على أصل جامع من جهة. وأمثله تكاد تتكرر في كلّ صفحة من صفحات الكتاب. ولعلّ من
أبرز أمثلتها ما يأتي:

- في تفسيره لقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: ١٧] قال: "قيل أريد بها
السحاب، فإن يكن صحيحاً فعلى تشبيه السحاب بالإبل، وأحواله بأحوالها" ^٣
ومما أغفل التعليق عليه أو عزوه إلى أصل جامع قوله: "القصُّ تتبّع الأثر، يقال: قصصتُ أثره،
والقصصُ الأثر، ... والقصُّ الجصُّ" ^٤

وقد يتردد في القول بالاشتراك، وبجواز انضمام المفردات إلى أصل جامع، ومثاله قوله: "العيير:
القوم الذين معهم أحمال الميرة، وذلك اسمٌ للرجال والجمال الحاملة للميرة وإن كان قد يستعمل في كلّ
واحد من دون الآخر... والعيير يقال للحمّار الوحشيّ، وللناشز على ظهر القدم، وللإنسان العين، ولما

١- كذا والمقصود بها.

٢- الرّاغب، المفردات، مادة حسن، صفحة ٢٣٥.

٣- الرّاغب، المفردات، صفحة ٦٠.

٤- المفردات، مادة قبل، صفحة ٦٥٥.

تحت غضروف الأذن، ولما يعلو الماء من الغشاء، وللوتد، ولحرف النّصل في وسطه، فإن يكن استعماله في كلّ ذلك صحيحاً ففي مناسبة بعضها لبعض منه تعسّف".^١ وقد يشير إلى تجاوز في اعتبار الأصل الجامع، ومثاله قوله: "النّقض: انتشار العقد من البناء والحبل، ... ومنه انتقضت القرحة، وانتقضت الدّجاجة: صوتت عند وقت البيض، وحقيقة الانتقاض ليس الصوت، إنما هو انتقاضها في نفسها لكي يكون منها الصوت في ذلك الوقت، فعبر عن الوقت به".^٢

موقف الرّاعب من التّضاد اللغوي

من المفيد للباحث وهو يتأمل في موقف الرّاعب من التّضاد اللفظي أن يتمنّ في كلام الرّاعب تحت مادّة (ضدّ) في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)^٣؛ حيث ينقل عن "قوم" لم يسمهم اعتبارهم "الضدّ هو أحد المتقابلات" وحيث المتقابلان هما الشيطان المختلفان للذات، وكلّ واحد قبالة الآخر ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد، وذلك أربعة أشياء: الضدّان: كالبياض والسواد، والمتضايقان: كالضعف والنّصف، والوجود والعدم، كالبصر والعمى، والموجبة والسالبة في الأخبار نحو: كلّ إنسان ههنا، وليس كلّ إنسان ههنا"

ثم ينقل عن "كثير من المتكلمين وأهل اللغة" أنهم يجعلون كلّ ذلك من المتضادات وأنهم يقولون: "الضدّان ما لا يصلح اجتماعهما في محلّ واحد.

وهو بعد نقله لهذين القولين لم يصرّح بتبني أيّ منهما، ولم ينقد أيّ منهما كذلك صراحة. ويضاف إلى ذلك أنّه يبدو للباحث أنّ الرّاعب يتكلم عن (الضدّ) تحت هذه المادّة، كمصطلح كلاميٍّ ومنطقي، وليس كظاهرة دلالية لغوية - وإن كانت الصلة بينهما غير منقطعة. ولذلك يبدو للوهلة الأولى أنّ من المجازفة القول - اعتماداً على مجرد هذه النقول: "وما التّضادّ عنده إلا أحد المتقابلات؛ لأنّ المتقابلين هما الشيطان المختلفان..."^٤؛ فليس بين يدي الباحث في كتاب المفردات خاصة - ما يمكن عدّه موقفاً نظرياً أو تأصيلياً صريحاً من ظاهرة التّضاد اللفظي مقصوداً به اللفظة الواحدة، إلا أنّ الكتاب لم يخلُ من أمثلة تعامل فيها الرّاعب مع الألفاظ التي يعدها العلماء من باب التّضاد اللغوي، ومع ذلك فقد سلك فيها الرّاعب منهجاً يتوافق مع منهجه العام الذي تحرّى فيه الفروق بين المترادفات، وتحرى فيه أصلاً جامعاً للمشترك اللفظي وكأنه يتصرّف بدافع هاجس

١- المفردات، مادة عير، صفحة ٥٩٦.

٢- الرّاعب المفردات، مادّة نقض، صفحة ٨٢٣.

٣- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٠٣.

٤- انظر: القويدر، ، البحث الدلالي عند الرّاعب الأصفهاني، مرجع سابق، صفحة ٢١١٦.

فتح عينه عليه نراه نحن في واقعنا المعاصر، فحاول أن يسدّ الذرائع في وجه الفوضى اللغوية، والفوضى التفسيرية التي تطل برأسها من خلال أعمال بعض دعاة العصرية، والحادثة.

وعلى أية حال، فإنّ الاحتكام إلى تطبيقات الرّاغب في كتاب "المفردات" يؤكد قطعاً تبني تلك الأقوال التي نقلها عن أولئك "القوم" الذين نقل عنهم أقوالهم فهو يصرّح بالتضادّ فقط عندما تكون علاقة التضادّ بين لفظين مختلفين. ومن ذلك قوله: "البعد ضدّ القرب، وليس لها حدّ محدود" ^١ والدخول بأنه "نقيض الخروج" ^٢.

بل إنّ الرّاغب كثيراً ما يستخدم لفظ الضدّ في التعبير عن الدلالة المعجمية للفظ، وخاصة في بداية شرحه للمادة؛ فهو يعرف البغض بأنّه: "ضدّ الحبّ" ^٣ ويعرّف البياض بأنّه: "ضدّ السواد" ^٤.

وهو إلى جانب ذلك يجري على التقسيم المنقول عن "القوم" المذكورين في شرحه لبعض الألفاظ المتفقه مع تقسيمهم؛ فيستخدم - مثلاً- مصطلح المضايقة الوارد في ذلك التقسيم، ومن ذلك تعريفه للمضايقة^٥ بأنها: "في كلام النحويين اسم مجرور يُضمُّ إليه اسم قبله، وفي كلام بعضهم في كلّ شيء يثبت بثبوته آخر، كالأب، والابن، والأخ والصديق؛ فإنّ كلّ ذلك تقتضي وجوده وجود آخر، فيقال لهذه: "الأسماء المتضايقة" ويقول في مادة (مع) ^٦: "مع" يقتضي الاجتماع إما في المكان: نحو: هما معاً في الدار، أو في الزمان. نحو: ولدا معاً، أو في المعنى؛ كالمضايقين نحو: الأخ والأب، فإنّ أحدهما صار أماً للآخر في حال صار الآخر أخاه... " ويقول: "الخفيف: بإزاء الثقيل، ويقال ذلك باعتبار المضايقة بالوزن، وقياس شئيين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خفيف، ودرهم ثقيل، والثاني يقال باعتبار مضايقة الزمان إذا عد أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد..."^٧

وكذلك يستخدم مصطلح "المقابلة" الذي استخدمه "القوم" الذين نقل تقسيمهم في وصف علاقة تضادّ بين لفظين، يقول: "وقوبل الإثم بالبر"^٨ و "البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود"^٩.

١- الرّاغب، المفردات، ١٣٣.

٢- نفسه صفحة ٣٠٩.

٣- المفردات، صفحة ١٣٦.

٤- مادة ببيض، صفحة ١٥٤.

٥- الرّاغب، المفردات، صفحة ٥١٣.

٦- نفسه صفحة ٧٧١.

٧- الرّاغب، المفردات، صفحة ٢٨٨.

٨- الرّاغب، المفردات، صفحة ٦٤.

٩- الرّاغب، لمفردات، صفحة ١٠٩.

وهو يستخدم ألفاظاً تُنبئ عن درجة التباعد أو التقارب بين المتقابلين، فيقول: "الأم: بإزاء الأب"^١ و "الأنثى: خلاف الذَّكر"^٢ و "الإنس: خلاف الجن"^٣ أما حينما يتعلق الأمر فيما تعارف العلماء على تسميته بالتضاد اللفظي، وقد عبّر عنه في تفسيره لفظ "ضرب" مستخدماً في وصف العلاقة بين المعنيين المتضادين اللذين يحتملها اللفظ بأنه مما "يقال على سبيل العكس". كذلك استخدم التعبير ب (عكس المعنى) في مادة (عور) ^٤ حيث قال: "وقيل للغراب: الأعر، لحدّة نظره، وذلك على عكس المعنى، ولذلك قال الشاعر:

وصحاح العيون يُدعون عُورا"

ويذكر أنّ الرّاعب "غالباً ما يورد المعنيين المتضادين للفظه، لا لأجل اعتبارهما من الأضداد، وإنما لتأويلهما ببراعة تأويلاً يخرجهما من مجال الأضداد الذي وضعها فيه كثير من اللغويين الذين سبقوه"^٥

وهو غالباً ما يرجع ما تعورف عليه بالتضاد اللفظي إلى النظر إلى الأمر الواحد باعتبارين مختلفين، كقوله: "وقيل: يقال للماضي غابر، وللباقي غابر، فإن يك ذلك صحيحاً، فإنما قيل للماضي غابر تصوّراً بمضيّ الغبار عن الأرض، وقيل للباقي غابر تصوّراً بتخلف الغبار عن الذي يعدو فخلفه"^٦.

وقد يبحث للمعنيين المتضادين عن أصل يجمعهما فعلى سبيل المثال: "فإن الرّاعب يخرج لفظة "العسّس" من ميدان الأضداد، لأن لها معنى واحداً شاملاً يجمع بين طرفي الليل، وهو رقة الظلام، فالليل يقبل بالعسّسة، وينتهي بها،"^٧

أما حينما يتعلق الأمر بالتضاد اللفظي في الكلمة الواحدة - فقد عبّر عنه الرّاعب في تفسيره للفظ ضربير بأنه "مما يقال على سبيل العكس"^٨ وقد سلك في التعامل معه ثلاثة مسالك:

١- نفسه صفحة ٨٥.

٢- نفسه صفحة ٩٣.

٣- نفسه صفحة ٩٤.

٤- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٩٥، الشطر في لسان العرب، وتهذيب اللغة، وعمدة الحقاظ بلا نسبة.

٥- القويدر، البحث الدلالي عند الرّاعب الأصفهاني، مرجع سابق، صفحة ٢١٦.

٦- الرّاعب، المفردات، مادة عبر، صفحة ٦٠١.

٧- تابع التعليق على هذا المثال، ومزيداً من الأمثلة في البحث الدلالي عند الرّاعب الأصفهاني، صفحة ٢١٩، ٢٢٠.

٨- أغلب الظن أنه لم يكرر ذلك الوصف في الكتاب، والله أعلم.

١. أن يمرره دون تعليق؛ ومن ذلك قوله: "دلوتُ الدَّلَو: إذا أخرجتها، وقيل: يكون بمعنى أنزلتها، (قاله أبو منصور في الشامل) "١.

ومنه قوله: " إذا قيل وراء زيد كذا؛ فإنه يقال لمن خلفه نحو قوله تعالى: {وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] ويقال لمن قدامه نحو قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلَكٌ} [الكهف: ٧٩]٢.

٢. أن يبحث للضدين عن أصل جامع - تماما- كما كان يصنع في المشترك؛

- فعلى سبيل المثال: "فإن الرّاعب يخرج لفظة "العسّس" من ميدان الأضداد، لأنّ لها معنى واحداً شاملاً يجمع بين طرفي الليل، وهو رقة الظلام؛ فالليل يقبل بالعسّسة وينتهي بها"٣.

- ومن ذلك قوله: "والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر. ولما كان اسماً جامعاً للأمرين: الطهر والحيض المعقب له، أطلق على كلّ واحدٍ منهما؛ لأنّ كلّ اسمٍ موضوع لمعنيين معاً يطلق على كلّ واحدٍ منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان والطعام، وقد يسمى كلّ واحدٍ منهما بانفراده به"٤

٣. أن يرجع المعنيين المتضادين للفظ إلى النظر للأمر الواحد باعتبارين مختلفين، ومن ذلك:

- قوله: "وقيل: يقال للماضي غابر، وللباقي غابر، فإن يك ذلك صحيحاً؛ فإنما قيل للماضي غابر تصوراً بمضيّ الغبار عن الأرض وقيل للباقي غابر تصوراً بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه"٥.

- ومنه قوله: "وقيل عاندَ لازم، وعاند: فارق، وكلاهما من عَدَدَ لكن باعتبارين مختلفين؛ كقولهم: البينُ في الوصل والهجر باعتبارين مختلفين"٦.

- ومن بديع استبعاده للقول بالتضاد تمثيله للفظ البشارة بآيات تعد بالمغفرة، وآيات تعد بالعذاب ثم دفع ما يعلق بالذهن من حمل ذلك على الاشتراك بقوله: " فاستعارة ذلك تنبيهٌ أن أسراً ما يسمعونهُ^٧ الخبر بما ينالهم من العذاب [!]؛ وذلك نحو قول الشاعر:

تحيّة بينهم ضربٌ وجيعٌ...^١

١- يقصد أبا منصور الجبان الرّازي، صاحب كتاب الشامل في اللغة، ترجمته في إنباه الرواة، ١٧٦/٤٠، ومعجم الأدباء ١٨/٢٦٠، وبغية الوعاة ١/١٨٥، بحسب ما ذكره محقق المفردات في الحاشية ١، صفحة ٣١٧.

٢- الرّاعب، المفردات، مادة وري، صفحة ٨٦٦.

٣- تابع التعليق على هذا المثال في "البحث الدلالي عند الرّاعب الأصفهاني، صفحة ٢١٩، ٢٢٠."

٤- الرّاعب، المفردات، صفحة ٦٦٨.

٥- الرّاعب، المفردات مادة غير، صفحة ٦٠١.

٦- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٩٠، ويلحظ عليه إغفال بيان الاعتبارين.

٧- أي أكثر ما يبعث فيهم السرور مما يسمعونهُ!

- ويخلص من ذلك كله إلى سعي الرَّاعِبِ جاهداً إلى توضيق القول بالتضاد اللفظي في المفردة الواحدة، وهو ما يمكن أن يعزى إلى سدِّ الدَّرَائِعِ في أن يلتصق للفظ ظواهر وبواطن تنحرف بالتفسير إلى مسالك التفسير البدعيِّ، فهو وإن كان لم يصرِّح أبداً بهذا المقصد، إلا أنه عاش في عصر كانت فيه الحركات الباطنية في أوج قوتها وانتشارها وخطرها الداهم الذي لم تنج الأمة بعد من آثاره سواء الخفية منها والجلية!

موقف الرَّاعِبِ من "المعرب في القرآن الكريم"

اقتصد الرَّاعِبُ في إيراد الألفاظ المعربة في القرآن، فلم يذكر سوى ما يقارب العشرة ألفاظ مما يدور في هذه الدائرة وقد سلك في وصفها بالمعرب ثلاثة مسالك.

ما وصفه بالأعجمي، وأكثره منسوب للفرسية، وألفاظه هي:

السرادق: قال: "فارسي معرب"^٢

السوار: قال: "فارسي معرب"^٣

- ما تردد في وصفه بالمعرب أو نسبته إلى كلام العرب، ومنه:

- السَّجِيل: قال: "حجرٌ وطين مختلط، وأصله فيما قيل: فارسي معرب"

- جهنم: قال: "معرب جهنم، قيل فارسي"^٤

ما أغفل نسبته إلى الفصيحة أو إلى المعرب، وهو قوله:

"ونيفق السراويل: معروف"^٥، وفي اللسان: "وهو فارسي معرب"

النادر اللغوي عند الرَّاعِبِ في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)

لم يخل كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للرَّاعِبِ الأصفهاني من وقفات نبّه فيها على ما وقع في اللغة أو القرآن نادراً. ومعظم هذه الوقفات تنبّه إلى ما يتعلق بمسائل صرفية في حين تجده خالياً -تقريباً- من التنبيهات على ما يتعلق بمسائل نحوية، وهذا طبيعي إذا نظر المرء للمسألة من باب المقصد الرئيس

١- الرَّاعِبُ، المفردات، صفحة ١٢٦.

٢- الرَّاعِبُ، المفردات، صفحة ٤٠٦.

٣- الرَّاعِبُ، المفردات، صفحة ٤٣٣.

٤- الرَّاعِبُ، المفردات، صفحة ٢١٠.

٥- قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط مادة نفق: ونيفق السراويل بالفتح المتسع منه.

للكتاب الذي يغلب عليه التنقيب عن خصوصية اللفظ القرآني في أدائه للمعنى، والتحقيق في ما يجمع بينها من أصول أو يفرق بينها من وجوه الاختلاف، وكل ذلك لا اعتبارات دقيقة من الطبيعي أن يتعلق معظمها بالصرف والاشتقاق.

ومن أبرز الوقفات في التعبير عن "النادر اللغوي":

- قوله تحت مادة (تجر): "وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذا اللفظ. وقد اعترض على ذلك بورود التاء قبل الجيم في لفظين آخرين؛ قال الحسن بن زيد الشنقيطي (ت ٣١٥ هـ) في الطرة في شرح ألفية الأفعال لابن مالك:
" والتاء قبل الجيم أصلاً لا تجي إلا تجر نتجت ومرتجياً أي أنه زاد على (تجر) في مجيء التاء قبل الجيم فيها: (نتجت) و (مرتجي) وهو على أية حال قياس مع فارق، فالتاء في (تجر) هي عين الفعل، وفي نتج هي فاء الفعل، وهما ثلاثيان سالمان، مجرّوان، أما (ارتجي) فالتاء فيه مزیده!
- ومنه قوله أثناء تفسير قوله تعالى: {أَسْتَعْلِمُهُم بِمُصِطَرٍّ} [الغاشية: ٢٢] "وسيطرت وبيطرت لا ثالث لهما في الأبنية" ^١.

ومن النادر اللغوي المتعلق بالأدوات النحوية

- قوله: "وقلما يستعمل في (كاد) أن إلا في ضرورة الشعر، قال:
قد كاد من طول البلى أن يمصحاً"^٢
وقد ينبّه للنادر اللغوي في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله:
"ويقال: جزيته بكذا، وجازيته، ولم يجئ في القرآن إلا جزي دون جازي، وذلك أن المجازاة هي المكافأة، وهي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها، ونعمة الله تعالى عن ذلك، ولهذا لا يلفظ المكافأة في الله عز وجل وهذا ظاهر"^٣، وفي تاج العروس: وسأل أبو العباس عن جزيته وجازيته فقال: قال الفراء لا يكون جزيته إلا في الخير، وجازيته يكون في الخير والشر.
وقد ينبّه إلى "ما ليس في كلام العرب" كقوله:
- "وقد استعار أهل المعاني (الذات) فجعلوها عبارة عن عين الشيء، جوهرًا كان أو عرضاً، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمرة، بالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصة، فقالوا:

١- الرّاعب، المفردات، صفحة ٤٨٣.
٢- البيت لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه، نشروليم بن الورد، ص ٧٢، انظر المفردات، ص ٧٢، حاشية المحقق/٢، ومصحح الكتاب يوضح مصححاً: درس أو قارب ذلك، ومصحت الدار: عفت. انظر: المحكم لابن سيدة، مادة مصح.
٣- الرّاعب، المفردات، صفحة ١٩٦.

ذائه، ونفسه وخصته وليس ذلك في كلام العرب".^١

- وقوله في تفسير قوله تعالى: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: ٢٢] "أي ناقصة. أصله فعلى، فكسرت الضاد للياء، وقيل: ليس في كلامهم فعلى"
- ومما ينبئه إليه مما لم يرد في القرآن ولا في كلام العرب قوله:
"ولم يرد شيء من القرآن، ولا في شيء من كلام الفصحاء (الكل) بالألف واللام وإنما ذلك شيء يجري في كلام المتكلمين والفقهاء ومن هنا نحوهم"^٢

عناية الراغب بكليات القرآن

اعتنى الراغب بـ "القواعد الكلية في القرآن الكريم" في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) وقد مرّ مثل ذلك عند الزجاج - رحمه الله- إلا أنّ ظاهرة العناية بالكليات أكثر تكراراً في كتاب الراغب، ولا عجب في ذلك، فالراغب يعتمد النظر إلى معاني الألفاظ المفردة باعتبارات مختلفة، ويصنف المعاني، ويفرّعها في مخططات ذهنية منطقية، تحركها قواعد واضحة ومنظمة في ذهن الراغب، بغض النظر عن ظهورها أو عدم ظهورها على صفحات الكتاب كقواعد منصوص عليها.

وقد خصص المحقق صفوان الداودي أحد فهارسه التي أتحف فيها تحقيقه للكتاب فهرساً خاصاً بـ (القواعد الكلية في التفسير) ذكر فيه سبعة وأربعين قاعدة كلية موزعة على صفحات الكتاب ولم يقسمها إلى ما تحتمله طبيعتها من أصناف، فيمكن التمثيل إلى ما اشتملت عليه من أصناف على الشكل الآتي:

١. قواعد تتعلق بمجال استخدام اللفظ ، ومن ذلك:

ما يتعلق بمجال العقيدة؛ كقوله: "

- خص [البررة بالملائكة في القرآن]"^٣.

- "كل موضع ذكر فيه لفظ تبارك فهو تنبيه على اختصاصه بالخبرات".

- "يقال لكل ما عبد من دون الله، جبت".^٤

ما يتعلق ببلاغة القرآن كقوله:

١-الراغب، المفردات، صفحة ٣٣٣.

٢- الراغب، المفردات، صفحة ٧١٩، وفي حاشية الصفحة "رقم ٣": "قال ابن منظور: وكلّ وبعض معرفتان، ولم يجيء عن العرب بالألف واللام، وهو جائز؛ لأنّ فيهما معنى الإضافة، أضفت أو لم تضف. اللسان (كلل)"

٣- كذا، وفي الكتاب: "خصّ بررة الملائكة بالقرآن"

٤- المفردات، ص ١٨٢، ويعترض عليه بقيد "إلا عيسى بن مريم".

- "كل موضع ذكر في القرآن (ما أدراك) فقد عقب ببيانه، وكل موضع ذكر فيه (ما يدريك) لم يبين" ^١
 - كل موضع ذكر في وصف الكتاب "أتينا" فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه "أوتوا". ثم تتوزع بقية هذا الصنف على مجالات دلالية أخرى بالنظر إلى اعتبارات أخرى برع الراجب في تشخيصها، كاعتبار الواحد، والجمع، واعتبار الأفعال المحمودة والمذمومة، واعتبار المرتبة، واعتبار المسموع والمطبوع، واعتبار التشريف، واعتبار النفي والإيجاب... إلخ ^٢.
- ما يتعلق بقيود استخدام اللفظ: ومن ذلك قوله:

- كل موضع أثبت الله السمع للمؤمنين، أو نفى عن الكافرين، أو حث على تحريه، فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه ^٣.
- لكل موضع علق الله فيه القول بالفم فإشارة إلى الكذب ^٤.
- لم يذكر الله الموت بلفظ الهلاك حيث لم يقصد الدّم إلا في موضع واحد ^٥.

وسائل تقرير المعنى اللغوي، كالاتفاق والتصريف و الرسم...

العناية بالتطور الدلالي "أثر الاستعمال"

العناية "بأثر الاستعمال" مصدر مهم لمن يجعل التدقيق في خصوصية اللفظ القرآني مقصداً من مقاصده، ويعتبر فهم "المناسبات بين الألفاظ" أصلاً لا بد من العناية به لمن يتصدى للبحث في علم التفسير، ويجعل ذلك غاية رئيسة يتسلسل فيها في مشروعه التألّفي سواء الحاضر المنجز، أو الموعود المحال إليه.

ويمكن دراسة مدى عناية الراجب بـ "أثر الاستعمال" في كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" بالنظر في ثلاث مستويات من مستويات اللغة - كما مرّ في بحث عناية الزجاج بـ "أثر الاستعمال" -:

١- المستوى الصوتي.

٢- المستوى الصرفي.

- ١- الراجب، المفردات ٣١٣، ٣٩٩.
- ٢- انظر فهرس القواعد الكلية، المفردات، صفحة ٩٤٨، ٩٤٩.
- ٣- الراجب، المفردات ٤٢٦.
- ٣- الراجب، المفردات، ٦٥٠.
- ٤- الراجب، المفردات ٨٤٤، والموضع المقصود هو قوله تعالى: { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي

شكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ آلَهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } [غافر: ٣٤]

٣- مستوى المعنى؛ حيث يتفرّع مستوى المعنى إلى ثلاثة فروع:

أ- تعميم الدلالة؛ أي توسيع المعنى.

ب- تخصيص الدلالة؛ أي تضيق المعنى

ج- تغيير مجال الدلالة: انتقال المعنى.

أولاً: المستوى الصوتي، ومن أمثله:

- قوله: "وأصلُ أب (فعلٌ)... ويقال: أبوت القوم: كنت لهم أباً، أبوهم، وفلان يابو لهم: أي ينفقدهم تفقُّد الأب"^١.

ثانياً: المستوى الصرفي: ومن أمثله:

- قوله في لفظ أبد: "وكان حقه أن لا يثنى ولا يجمع؛ إذ لا يتصور حصول أبد آخر يضم إليه فيثنى به، لكن قيل آباء، وذلك على حسب تخصيصه في بعض ما يتناوله، كتخصيص اسم الجنس في بعضه، على أنه ذكر بعض الناس أن آباءاً مولدٌ وليس من كلام العرب"^٢

- على أن مما يسترعي الانتباه أن جُلَّ ما في الكتاب من كلام حول أثر الاستعمال - وهو كثير يصعب إحصاؤه- يتعلق بأثر الاستعمال على مستوى المعنى، وهو ما يسمى بالتطور الدلالي وتدور أمثله على التصنيف التالي:

١. تعميم الدلالة، ومن ذلك:

- قوله: أصلُ الأنفِ الجارحة، ثم يسمى به طرف الشيء وأشرفه، فيقال: أنفُ الجبل، وأنفُ اللحية، ونُسب الحمية والغضب والعزة والدلة إلى الأنف وقيل شمخ فلان بأنفه للمتكبر، وترب أنفه للذليل، وأنف فلان من كذا بمعنى استتكف، وأنفته: أخذت أنفه أي مبدأه.^٣

- قوله: "والإهلال رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت..."^٤.

٢. تخصيص الدلالة:

وأبرز أمثله ما سماه الرّاعب "الأسماء الإسلامية" ومن ذلك:

- قوله: "والفارضُ المسنُّ من البقر، وقيل إنما سمي فارضاً لكونه فارضاً للأرض أي قاطعاً، أو فارضاً لما يحملُ من الأعمال الشاقة، وقيل: بل لأنّ فريضة البقر اثنان: تبيعٌ ومسنّةٌ فالتبيع يجوز في

١- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٨.

٢- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٩.

٣- نفسه صفحة ٩٥.

٤- المفردات، صفحة ٨٤٣.

حال دون حال، والمسنة يصحُّ بذلها في كلِّ حال، فسمّيت المسنة فارضةً لذلك، فعلى هذا يكون الفارض اسماً إسلامياً" ^١.

وقوله: " والتشهد هو أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وصار في التعارف اسماً للتحيات المقروءة في الصلاة وللذكر الذي يُقرأ ذلك فيه" ^٢.

على أن تخصيص الدلالة لا يقتصر على الأسماء الإسلامية دون غيرها، ومن ذلك:

- قوله: "والشَّرْعُ حُصٌّ بما يُشْرَعُ من الأوتار على العود". وقوله: "فالشعر في الأصل اسمٌ للعلم

الدقيق في قولهم: لبيت شعري، وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام" ^٣.

- وقوله: "والضَيْفُ من مال إليك نازلاً بك، وصارت الضيافة متعارفة في القرى".

ويرتبط بتخصيص الدلالة ما يفرضه الاستعمال من قيود برع الراغب في استنباطها وتشخيصها، ومن ذلك:

- تخصيص دلالة بعض الأوصاف اعتباراً بكمال الموصوف، ومثال قوله:

"والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو وجود العقل، والذكر، وسائر الأخلاق الحميدة، والمعاني المختصة به فإن كل شيء عُدَّ فعله المختصُّ به لا يكاد يستحقُّ اسمه، كاليد؛ فإنها إذا أعدمتم فعلها الخاص بها، فإطلاق اليد عليها كإطلاقها على يد السرير ورجله.

ويتعلق بذلك حرص الراغب على بيان درجة الاستعمال، كقوله:

- "وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب" ^٤.

وقد يذكر ما لم يرد في الاستعمال تنبيهاً عليه، ومثال ذلك قوله:

- وقوله: "ويقال: فلانٌ يعرفُ الله ولا يقال: يعلمُ الله متعدياً إلى مفعول واحد؛ لما كان معرفة البشر

١- الراغب، المفردات، ٦٣١. سبق الراغب إلى التنبيه إلى الأسماء الإسلامية العلامة ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) المرجع السابق، انظر كتابه: "الصاحبي" تحقيق السيد أحمد صقر، باب الأسماء الإسلامية؛ وفيه قول ابن فارس: "فكان مما جاء في الإسلام، ذكر المؤمن والمسلم والكافر، والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان هو التصديق. ثم زادت الشريعة أوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً.

ومع ذلك قد يشار إلى أن الراغب "هو أول من أطلق مصطلح الأسماء الإسلامية، وكان ذلك عند وقوفه عند قوله تعالى: { لاَ فَاْرِضْ وَلَا يَكُفِّرْ } [البقرة: ٦٨]"، انظر: القويدر، البحث الدلالي عند الراغب، مرجع سابق، ص ٥١.

٢- الراغب، المفردات، ٤٦٨.

٣- الراغب، المفردات، صفحة ٥٦.

٤- الراغب، المفردات، صفحة ٢٨٣.

الله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا؛ لما كانت المعرفة تستعمل في العم القاصر المتوصل إليه بتفكير، وأصله من عرفت، أي أصبتُ عُرْفَه، أي: رائحته"^١

٣. تحوّل الدلالة: ومن أمثلته البارزة قوله:

"والأزر: القوة الشديدة، وأزره: أعانه وقواه، وأصله من شدّ الإزار"^٢.

- وقوله: "الخببُ المطمئنُّ من الأرض، وأخببَ الرَّجُلُ قصد الخببَ أو نزله، نحو: أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخباب استعمال اللين والتواضع"^٣.

عناية الرَّاعِب بالاشتقاق كوسيلة لتقرير المعنى

لا يستطيع أحد أن يصف منهج الرَّاعِب في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) و أن يغفل - في الوقت نفسه - عنيته بالاشتقاق كوسيلة لتقدير المعنى أو تقريره، فهو يستخدمه للكشف - مثلاً - عن أصل عين الفعل؛ أي بيان ما أصل عينه واو أو ياء، و ما كان مهموزاً أو غير مهموز، وما يترتب على ذلك من تغير في المعنى .

وكذلك فقد استخدم الرَّاعِب المشتقات إلى جانب بعض المعايير الصرفية، للكشف عن العلاقات الدلالية والفروق بين الألفاظ؛ هي الاختلاف في صيغ الجمع، و الاختلاف في صيغة التصغير، والتذكير و التأنيث. وهو ما سيرد بحثه - إن شاء الله - في معرض الكلام عن عناية الرَّاعِب بالصرف كوسيلة لتحقيق المعنى.

ومن الفروق القائمة على اختلاف أصل الاشتقاق قوله: "وقوله تعالى: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِّيًّا} [مريم: ٢٤] أي نهراً يسري، وقيل بل ذلك من السرو أي الرفعة، يقال: رجلٌ سريٌّ، قال: و أشار بذلك إلى عيسى عليه السلام وما خصه به من سرورة"^٤.

وقد تجاوز الرَّاعِب كما تجاوز الزجاج قبله في تطبيقاته - الالتزام بمقولة البصريين - بأنّ المصدر أصل المشتقات، والتي استندوا فيها إلى أنّ " المصدر هو اسم الحدث فقط؛ إذ لا يدل على معنى آخر إلى جانب الحدث " ولا بمقولة المدرسة الكوفية التي نظرت إلى المشكلة من ناحية التجرد والزيادة؛ فالمجرد في فهم أصحاب هذه النظرة أقرب إلى الأصالة من المزيد..."^١

١- المفردات، ٥٦١.

٢- المفردات، صفحة ٧٤.

٣- المفردات، صفحة ٢٧٢.

٤- الرَّاعِب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٩

مما ينبئ عن تشكل موقف مبكر عند بعض اللغويين تجاه هذين القولين، يُمهّد لموقف "أصحاب المعاجم الذين يحفلون بمتن الكلمات أكثر مما يحفلون ببنياتها الصرفية، من دون أن يهملوا البنية الصرفية ويجعلون أصول المادة رحماً تربط بالقرابة أفراد أسرة واحدة ويجعلون حروف المادة مدخلاً إلى شرح هذه الكلمات المفردات " ٢

فالرّاعب يصرّح بأن بعض المفردات مشتقة من المصدر كما في الأمثلة الآتية:

- قوله في تفسير قوله تعالى: { هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ } [الفرقان: ٥٣] "شديد الملوحة والحرارة، من قولهم أجيحُ النارَ و أجتها " ٣

- قوله: "قال الله عز وجل: {أَيَّدُوكَ بِرُوحِ أَلْفُدُسٍ} [المائدة: ١١٠]: فَعَلْتُ مِنَ الْإِيْدِ: أي القوّة الشديده" ٤
وفي أمثلةٍ أخرى يصرّح بأن بعض المفردات مشتقة من الفعل، ومن أمثلة ذلك:

- قوله: " الأثاثُ: أصله من أثَّ " ٥ .
- قوله: "أنى، و أن الشيء: قرب إناه، {حميم أن} [الرحمن: ٤٤] بلغ إناه من شدّة الحرّ، ومنه قوله تعالى: {مَنْ عَيْنٌ أَنِيَّةٍ} [الغاشية: ٥].

كما أنّ هناك بعض أمثلة يصرّح فيها بالاشتقاق من الاسم، ومن ذلك:

- قوله: "أصل البحر: كلّ مكان واسع جامع للماء الكثير، ... ومنه بحرُ البعير: شققت أدنّه شقاً واسعاً، ومنه سميت البحيرة " ٦ .

- قوله: "يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظة، من الجند، أي: الأرض الغليظة التي فيها حجارة، ثمّ يقال لكلّ مجتمع جند".

وقد يصرّح بالاشتقاق من الصفة كقوله:

- "والشُرط قيل سمواً بذلك لكونهم ذوي علامة يعرفون بها، وقيل: لكونهم أراذل النّاس، فأشراط الإبل أراذلهما، وأشراط نفسه للهلكة إذا عمل عملاً يكون علامة للهلاك، أو يكون فيه شرط الهلاك. ٧

وقد يتردد في أصل الاشتقاق:

١- انظر: حسان، تمام اللغة مبناها ومعناها، مرجع سابق، ص ١٦٦، ١٦٧

٢- نفسه، ص ١٦٨، بتصرف.

٣- المفردات، ص ٦٤

٤- الرّاعب، المفردات، ص ٩٧

٥- المفردات، ص ٦١

٦- الرّاعب، المفردات، ص ١٠٨، ١٠٩

٧- المفردات، ص ٤٥٠ وهذا ما سماه ابن جنّي بالاشتقاق الكبار.

- فمن تردده بين الاسم والفعل قوله: "الأريكة: حجة على سرير، جمعها: أرائك، وتسميتها بذلك إما لكونها في الأرض مَتَّخَذَةً من أراك وهو شجرة، أو لكونها مكاناً للإقامة، من قولهم أراك بالمكان. أروكاً" ^١.

- ومنه قوله الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما واشتقاقه إما من شككت الشيء أي: خرقتة... ويصح أن يكون مشتقاً من الشك وهو لصوق العضد بالجنب ^٢

ومن تردده بين مصدر وفعل:

"واشتقاق الآية إما من أي؛ فإنها هي التي تُبَيِّنُ أيًا من أي، أو من قولهم: أوي إليه والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبيت والإقامة على الشيء. يقال: تأيَّ أي ارفق، أو من قولهم: أوي إليه."

ومن تردده في أصل الاشتقاق بين اسمين قوله:

"وقوله [تعالى]: {أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٨] قيل أفلنا من العناد وقيل أصله أعددنا فأبدل من إحدى الدالين تاء؛ "حيث مفاد القول الثاني أن أعددنا مشتق من العدد ^٣.

وقد يشير الراجح إلى الارتباط بين الاشتقاق وأثر الاستعمال.

ومن ذلك قوله: "البقر واحدته بقرة، واشتق من لفظه لفظ فعله فقيل: بقر الأرض أي شق، فلما كان شقه واسعاً استعمل في كل شق واسع.

ومنه قوله: اشتقاق مكة من: تمككت العظم؛ أخرجت محه، و امتكّ الفصيل ما في ضرع أمه، وعبر عن الاستقصاء بالتمكك... ^٤

ومما يسترعي الانتباه في هذا المجال تتبعه لتسلسل الاشتقاق بحكم تطور الاستعمال، وذلك قوله:

"أصلُ البرد خلاف الحر...والبرُد في الطُّرُق جمع البريد، وهم الذين يلزم كل واحدٍ منهم موضعاً منه معلوماً، ثم اعتبر فعله في تصرفه في المكان المخصوص به، فقيل لكلّ سريع هو يبرد وقيل لجناحي الطائر بريده، اعتباراً أن ذلك منه يجري مجرى البريد من الناس في كونه متصرفاً في طريقه، وذلك فرع على فرع حسب ما بين في أصول الاشتقاق "

وقريبٌ من هذا الباب قوله بالنحت في الاشتقاق؛ وذلك قوله: "قال تعالى: {وَإِذَا أَلْفُورٌ بُعْثِرَتْ}

١- المفردات، ص ٧٣

٢- المفردات، ص ٤٦١

٣- المفردات، ص ٥٤٥

٤- المفردات، ص ٧٧٢

[الانفطار: ٤] أي قلب ترابها وأثير ما فيها، ومن رأى تركيب الرباعي والخماسي من ثلاثين نحو: تهلل، وبسمل: إذا قال: لا إله إلا الله، وبسم الله يقول: إن بعثر مركب من: بعث وأثير، وهذا لا يبعد في هذا الحرف فإن البعثرة تتضمّن معنى بعث وأثير " ١

ومما يسترعي الانتباه كذلك، أنه لتعلق جُلّ أبحاث كتابه بالاشتقاق قد يسعى للبحث عن أصل جامع لما اتفقت مادته واختلفت أصول اشتقاقه ومن ذلك أنه في مادة (آدم) يجمع بين آدم، أديم، وأدمة، وإدام، بجامع "الاختلاط من عناصر مختلفة، وقوى متفرقة " ٢

وللراغب مواقف نقدية في بحث الاشتقاق، ومن ذلك قوله:

- وقوله تعالى: {وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥] قيل سمّاه بذلك لافتقاره إليه سبحانه (أي من الخلّة بفتح الخاء)... وقيل: بل من الخلّة، واستعمالها فيه كاستعمال المحبّة فيه، قال أبو القاسم البلخي: هو من الخلّة لا من الخلّة، قال ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ، لأنّ الله يجوز أن يحبّ عبده، فإنّ المحبّة منه الثناء، ولا يجوز أن يخالّه، وهذا منه اشتباه، فإنّ الخلّة من تخلّل الودّ نفسه، ومخالطته... والمحبّة البلوغ بالودّ إلى حبة القلب، لكن إذا استعملت المحبّة في الله فالمراد بها مجرد الإحسان وكذا الخلّة، فإنّ جاز في أحد اللفظين جاز في الآخر. فأما أن يراد بالحبّ حبة القلب والخلّة التخلّل، فحاشا له سبحانه أن يراد فيه ذلك ٣.

- ومن ذلك قوله - مادة عور- "والمعاورة قيل في معنى الاستعارة. والعارية فعلية من ذلك، ولهذا يقال: تعاوره العواري، وقال بعضهم هو من العار، لأنّ دفعها يورث المذمة والعار، كما قيل في المثل: "إنه قيل للعارية أين تذهبين؟ فقالت: أجلبُ إلى أهلي مذمة وعاراً" وقيل: هذا لا يصحّ من حيث الاشتقاق، فإنّ العارية من الواو بدلالة تعاورنا والعار من الياء لقولهم غيرته بكذا " ٤

التصريف كوسيلة لتقرير المعنى في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني

يرتبط الدور الذي تقدّمه المباحث الصرفية في خدمة التفسير وعلوم القرآن بالمقصد الرئيس الذي ألف الكتاب من أجل الوصول إليه، وهو ما لم يبخل الراغب - رحمه الله، من جهته- ببيانه من حيث إنه يسعى لـ "تحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن" في كونه من أولّ المعاون لمن يريد أن

١- المفردات، ص ١٣٣

٢-الراغب، المفردات، ص ٧٠

٣- المفردات، ص ٢٩١

٤- المفردات، ص ٥٦٥، ٥٩٦

يدرك معانيه؛ كتحصيل اللبّين في كونه من أوّل المعاون في بناء ما يريد أن يبيّنه. أما من جهة طبيعة العلم الذي ينتمي إليه عملُ الرّاعب، وهو قريب إلى طبيعة المعاجم - مع تميّزه عنها بسماتٍ منهجية أضفت عليه شخصية الرّاعب كثيراً من خبراتها - فهناك يثار السؤال التقليدي: "ما الذي يتوقعه المرء عند ما يمسك بالمعجم ليكشف عن معنى كلمة ما؟، أو بعبارة أخرى: أي نوع من أنواع المعلومات يتوقع الطالب أن يجده في المعجم وأيها لا يتوقع أن يجده؟"^١ حيث يحتلّ التحديد الصرفي جزءاً مهماً من هذا الجواب؛ "لأنّه لا يمكن لإنسان أن يربط بين كلمة ما وبين معناها المعجمي إلا إذا عرف مبنائها الصرفي، محدّداً معناها الوظيفي أوّلاً"^٢ حيث يقدّم علم الصرف خدمات جلييلة في دفع الالتباس بين الألفاظ الواردة على صيغة صرفية واحدة، وهي مختلفة في المعنى والوظيفة الصرفية. كما في الكلمات التي تلتبس فيها صفة الفاعل والأمر، نحو قاتل، أو الصفة المشبهة والمصدر، نحو عدل، أو صيغة المبالغة ومعنى مفعول نحو رفيع، أو صيغة الماضي، وصيغة التفضيل والصفة المشبهة، نحو أسمى^٣.

ولا شك أنه كانت للراغب مقاصد أبعد من مجرد كشف المعنى المعجمي، وأتته أحسن اختيار الوسائل لتحقيق هذه المقاصد، ومن ذلك سعيه إلى تشخيص العلاقات الدلالية، وتحديد نطاقها تحديداً دقيقاً حازماً يضيّق فيه من نطاقها أو يوسع على قدر ما تمدّه به أدواته وخبراته البحثية من حجة وبرهان، ومن أبرز الوسائل التي أحسن استخدامها وسائل علم الصرف، حيث توزّعت جهوده على المباحث التالية:

المباحث ذات المنحى الصوتي ومنها:

١. ما يتعلق بأحوال الهمزة التصريفية:

- تحقيق موقع الهمزة والاستدلال له؛ ومثاله:

"رأى: عينه همزة، ولامه ياء، لقولهم رؤية، وقد قلبه الشاعر فقال:

وكلّ خليل راءني فهو قائلٌ من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

وتحذف الهمزة من مستقبله، فيقال: ترى ويرى ونرى"^٤

- بيان دلالة الهمز وعدمه على المعنى:

١- حسان، تمام، اللغة مبنائها ومعناها، مرجع سابق، صفحة ٣٢٥.

٢- حسان، المرجع السابق، ٣٢٧.

٣- حسان، تمام، نفسه، ٣٢٧.

٤- الرّاعب، المفردات، ص ٣٧٤

- ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {هُم أَحْسَنُ أَثَاً وَرَعِيّاً} [مريم: ٧٤]: "فمن لم يهمز جعله من رَوِي كَأَنَّهُ رِيَان من الحسن، ومن همز فللذي يرمق من الحسن به..."^١
- ومنه قوله: "النبى بغير همز، فقد قال النحويون: أصله الهمز وترك همزه واستدلوا بقولهم مسيلمة نبيء سوء. وقال بعض العلماء، هو من النبوة، أي: الرفعة...، وسُمِّي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله تعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً} [مريم: ٥٧] فالنبى بغير همز أبلغ من النبىء بالهمز لأنه ليس كلُّ منبئٍ رفيع القدر والمحلّ، ولذلك قال - عليه السلام - لمن قال: يا نبيء الله، فقال: "لست بنبيء الله" ولكن نبيء الله لما رأى أنّ الرجل خاطبه بالهمز ليغضّ منه.^٢ ولا يخفى ما في الكلام من تكلف، فالرفعة مرتبطة بأنه يُنبئ عن ربّه واعتراض الرّجل على الهمز الأقرب إلى فهمه أن يكون نُهي عن التّكلف خاصّة وأنّ الهمز غير وارد في ما وصف الله به نبيّه في القرآن الكريم.
- أن يستدل بالهمز على صيغة المصدر، ومنه:
- قوله: "يقال: غَرَمَ كذا غُرماً ومغرماً، وأغرَمَ فلان غرامة^٣."
- وقوله: "الغوث يقال في النصرّة، والغيث المطر، واستغثت: طلبت الغوث أو الغيث، فأغاثني من الغوث، وغاثني من الغيث..."^٤
٢. الإدغام، وعناية الرّاعب به قليلة قياساً بالهمز، وكذلك مقارنة بعناية الرّجاج بالإدغام، وذلك راجع لتفاوت عنايتهما بالقراءات، حيث اعتنى الرّجاج بالقراءات بعناية فائقة في حين جاءت عناية الرّاعب بها محدودة لا تتعدى مجرد الدّكر أو الاستشهاد. ولذلك جاءت الأمثلة النادرة للإدغام في "مفردات ألفاظ القرآن" غير مقصود بها ما يتعلق بالمعنى، وإنما ما هو متعلّق بالأداء الصوتي للفظ. ومن ذلك:
- قوله: "و ضرع و تضرّع: أظهر الضراعة، قال تعالى: {تَضَرَّعاً وَخُفِيَّةً} [الأنعام: ٦٣]، {لعلهم يضترّعون} [الأعراف: ٩٤]: أي يتضرّعون فأدغم.^٥
- قوله: "الظّهارة: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي،... قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ} [المجادلة: ٣] وقرئ [يظَاهرون]^١

١- الرّاعب، المفردات، ص ٣٧٦

٢- الرّاعب، المفردات، ص ٧٩١، ٧٩٠.

٣- الرّاعب، المفردات، ص ٦٠٧

٤- الرّاعب، المفردات، ص ٦١٧

٥- الرّاعب، المفردات، ص ٥٠٦

٣. الإبدال والإعلال:

نَبّه الرَّاعِب إلى علاقات الإبدال والإعلال سعياً منه إلى تحديد المعنى الدقيق للفظه
بإرجاعها إلى أصلها وبيان ما وقع عليها من تحول تصريفي:

فمما نبّه عليه من الإبدال:

- قوله: "و سدر شعره قيل هو مقلوب عن سدل" يقصد بذلك أنّ الرءاء مبدلة عن لام.^٢
- قوله: "و ستّ أصله سيدس"^٣
- قوله: "قال تعالى: { وَقدَّرَ فِي السَّرْدِ } [سبأ: ١١] ويقال: سرّد و جرد، والسرداء، والزراد، نحو سراط، و زراط، والمسرد: المنقب"^٤

ومما نبّه عليه من الإعلال:

- قوله: "رأى: عينه همزة و لامه ياء لقولهم: رؤية. وقوله: "المرأة مفعلة من رأيت"^٥
- قوله: "طاغوت: وزنه - فيما قيل - فعلوت، وقيل أصله طغوت ولكن قلب لام الفعل نحو صاعقة، و صاقعة، ثم قلب الواو ألفاً لتحركه و انفتاح ما قبله"^٦
- قوله تعقيباً على الشاهد الآتي:

- قوله في الموضع نفسه:^٧ "وقوله تعالى: { لا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلا نَوْمٌ } [البقرة: ٢٥٥] فهو من الوسن لا من هذا الباب؛ حيث يشير بذلك إلى نوعين من الإعلال وقعا لكلمة (وسن) حتى تحوّلت إلى

١- "يظَاهرون" بفتح الياء، وتشديد الظاء بعدها ألف قراءة ابن عامر وحمزة، والكسائي. انظر السبعة في القراءات، لابن مجاهد تحقيق شوقي ضيف، مرجع سابق، ص ٦٢٨

٢- يلحظ أنّ الرَّاعِب على الرغم من تفسيره السدر في قوله تعالى: { وَأَثَلِ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } [سبأ: ١٦] بالشجر القليل الغناء عند الأكل عاد فقال: "وقد يخضر، و يستظلُّ به، و جعل ذلك مثلاً لظل الجنة ونعيمها في قوله تعالى: { فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ } [الواقعة: ٢٨]، المفردات، ص ٤٠٣، وفي ذلك مظهر من مظاهر حرصه على تقصي عناصر الاتفاق والافتراق في الموصوفات الواردة مورد المقارنة.

٣- نفسه، الصفحة نفسها، وقال صاحب اللسان: قال الليث: الستّ والسنة في الأصل سيدس، و سيدسة، ولكنهم أرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء، فغلبت عليه، كما غلبت الحاء على الغين في لغة سعد، فيقولون: كنت محمهم في معنى معهم. المفردات، ص ٤٠٣، حاشية ٥، واللسان، مادة ست.

٤- الرَّاعِب، المفردات، ص ٤٠٦.

٥- في ذلك إشارة إلى إعلال قلب؛ حيث قلبت الياء ألفاً ثم أدغمت الهمزة في الألف فصارت مرآة.

٦- الرَّاعِب، المفردات، ص ٥٢١، ويلاحظ أنه يعبر عن إعلال النقل و إبدال النقل كليهما بالقلبيوفي إيراد لفظي (صاعقة، و صاقعة) إشارة إلى التقاليد حيث المادة المكوّنة من الثلاثي- مثلاً قابلة لتوليد ستة احتمالات نتيجة تغيير ترتيب حروفها وهو ما يسمى بقانون الاشتقاق الأوسط.

٧- الرَّاعِب، المفردات، ص ٤٣٠

سنة، حيث نقلت الواو إلى آخر الكلمة، وقلبت هاء. ويلاحظ ما في إجراء التحول التصريفي من دلالة دقيقة على المعنى. ومن الإعلال بالقلب: قوله: "ماه مقلوب من مَوْه"^١

٤. صيغ الأفعال والمصادر:

اعتنى الرَّاعِب - رحمه الله - ببيان صيغ الأفعال والمصادر، لما يترتب عليه من معرفة أصل اشتقاق الكلمة، وإزالة ما يحتمل من لبس بسبب توهم بعض حروف العلة في اللفظ على غير ما هي بالأصل.

- فمن عنايته بمعاني بصيغ المصادر:

قوله: السكوت مختصٌ بترك الكلام والسكات ما يعتري من مرض... والسكَّتُ يختصُّ بسكون النفس في الغناء^٢

قوله: المَلِكُ: هو التصرف بالأمر والنهي، والمَلِكُ ضربان: مَلِكٌ هو التملك والتولي، ومَلِكٌ هو القدرة على ذلك^٣

- ومن عنايته بصيغ الفعل - عدا ما سبق ذكره بشكل غير مباشر - بيان معاني صيغ الأفعال وما بينها من فروق، ومن ذلك:

- قوله: "وقوله تعالى: {تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ} [الكهف: ١٧]: أي تميل، قرئ بتخفيف الزاي وتشديده، وقرئ {تَزَوَّرُ}^٤

- وقوله: الغلل أصله تذرُّع الشيء وتوسّطه، وانغلَّ بين الشجر: دخل فيه، وغلَّ يغلُّ إذا صار ذا غلٍّ؛ أي ضغن، وغلَّ يغلُّ إذا خان، وأغللت فلاناً: نسبته إلى الغلول، قال [تعالى]: {وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ} [آل عمران: ١٦١] أي ينسب إلى الخيانة؛ من أغلته... وأغلَّ الجازر والسالخ إذا ترك في الإهاب من اللحم شيئاً^٥

- وقوله: ليس الثوب: استتر به، وألبسه غيره ومنه: {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا} [الكهف: ٣١] وأصل اللبس ستر الشيء، ويقال ذلك في المعاني، يقال: لبست عليه أمره. قال {وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبَسُونَ}

١- الرَّاعِب، المفردات، ص ٧٨٤

٢- الرَّاعِب، المفردات، ص ٤١٦

٣- المفردات، ص ٧٧٤

٤- قال الإمام ابن مجاهد: واختلفوا بتشديد الزاي، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي: (تزاور) الخفيفة، وقرأ ابن عامر (تزوّر)، مثل تحمّر. انظر السبع في القراءات، ص ٣٨٧

٥- الرَّاعِب، المفردات، ص ٦١١

[الأنعام: ٩]...ولا بست فلاناً: خالطته.^١

٥. وقد يستدل بصيغة صرفية على مسائل صرفية أخرى، ومن ذلك الاستدلال على:

- عين الفعل بذكر صيغة المضارع والمصدر؛ مثل "زال يزول زوالاً"^٢
- الاستدلال على أصل الاشتقاق بصيغة الماضي أو المضارع، مثل قوله: "والمعاورة قيل في معنى الاستعارة، والعارية فعلية من ذلك، ولهذا يقال: تعاوره العواري، وقال بعضهم: هو من العار؛ لأنّ دفعها يورث المذمة والعار... وقيل هذا لا يصحّ من حيث الاشتقاق؛ فإنّ العاريّ من الواو بدلالة: تَعَاوَرَتَا، والعار من الياء لقولهم: عيرته بكذا"^٣.
- الاستدلال على المحذوف بصيغة الماضي؛ كقوله: "ومائة آخرها محذوف، يقال: أمأيت الدراهم، فأمأت هي: صارت ذات مائة"^٤.
- الاستدلال بالجمع والتصغير على الحذف والقلب، وذلك قوله: "وأصل ماء موء، بدلالة قولهم في جمعه أمواة ومياه. وفي تصغيره مويه، بحذف الهاء وقلب الواو، ..."^٥

٦. صيغ الجمع والتثنية والإفراد:

فمن عنايته بذكر صيغ الجمع:

- قوله: والسفرة جمع سافر، ككاتب وكتبة^٦.
- قوله الفيل: معروف، وجمعه فيلة وفيول.^٧
- وقد يذكر بعض فوائد تتعلق بالجمع، مثل:
- ما جاء مفردة وجمعه على نفس الصيغة، ومثاله قوله: "الفلك: السفينة، ويستعمل ذلك للواحد والجمع، وتقديراهما مختلفان؛ فإنّ الفلك إن كان واحداً كان كبناء فقل، وإن كان جمعاً فكبناء حمراً"^٨.
- وقد يذكر أثر مجال الاستعمال في اختيار صيغة الجمع: ومثاله قوله: "والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً، في قوله [تعالى]: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ} [الفتح: ٢٩] وقوله {لِيَغِيظَ

١- الرّاعب، المفردات، ص ٧٣٥

٢- الرّاعب، المفردات، ص ٣٨٧

٣- المفردات، ص ٥٩٦

٤- المفردات، ص ٧٨٤

٥- المفردات، ص ٧٨٤

٦- المفردات، ص ٤١٢

٧- الرّاعب، المفردات، ص ٦٤٩

٨- الرّاعب، المفردات، ص ٦٤٥

بِهِمُ الْكُفَّارُ} [الفتح: ٢٩] والكفرة في جمع كافر النعمة أشدَّ استعمالاً، وفي قوله [تعالى]: {أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ} [عبس: ٤٢]: ألا ترى أنه وصف الكفرة بالفجرة؟ والفجرة قد يقال للفساق من المسلمين^١

٧. الميزان الصرفي:

تعامل الراغب-رحمه الله-مع (الميزان الصرفي) بأسلوبين:

الأول: ذكر وزن الكلمة بالميزان الصرفي مباشرة، مثل:

قوله: "روى على بناء عدى". أقوله العُبار على بناء الدخان.

قوله: والاستطاعة: استقالة من الطوع وذلك وجود ما يصيربه الفعل متأثراً.

الثاني: أن يورد وزن الكلمة عن طريق قياسه بوزن غيرها من الكلمات، مثل:

وقوله: "سرعان: كوشكان"^٢.

قوله: "وأما قوله تعالى: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأنعام: ٢٥] فقد قال المبرد: هي جمع أسطورة،

نحو أرجوحة، وأراجيح، وأثفية وأثافي^٣ وأحدوثة وأحاديث^٤.

٨. تقارب المعنى لتقارب الرسم أو المبنى، ومنه:

- قوله: "عاله وغاله يتقاربان، الغول يقال فيما يُهْلِك، والعول فيما يُثْقَل..."^٥.

- قوله: "السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة"^٦.

٩. المخالفة بين المباني لاختلاف المعاني:

والمقصود بالمخالفة أنه "قد يكون الاسمان مشتقين من شيء، والمعنى فيهما واحد، وبنائهما

مختلف، فيكون أحد البنائين مختصاً به شيء دون شيء؛ ليفرّق بينهما"^٧.

وتتبع أهمية النظر في هذه المسألة من كون "العلاقات" الرابطة، و "القيم الخلفية" المفرقة

١- المفردات، ص ٧١٦

٢- المفردات، ص ٣٧٦

٣- الراغب، المفردات، ص ٤٠٧

٤- بملحظ ما وقع فيه من إعلال حذف؛ حيث أصلها أثفوية، أثفوي فحذفت الواو.

٥- المفردات، ص ٤١٠

٦- الراغب، المفردات، ص ٥٩٧

٧- المفردات، ص ٤٠٦

٨- جيل، عبد الكريم محمد حسن، المخالفة بين الأبنية للتفريق بين المعاني أصل من أصول العربية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٧، نقلاً عن سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ١٠٢/٢-١٠٣، والمضايقة: اصطلاح يطلق على العلاقة بين شيئين لا يستحق أحدهما الوصف إلا بإضافته إلى الآخر مثل أخ، ولد، شريك.

هي عناصر هامة جداً في نظام اللغة بعامة،... وأنّ "القيم الخلاقية" وهي المقابلات أو نواحي الخلاف بين المعنى والمعنى، أو بين المبنى والمبنى أهم بكثير جداً من العلاقات الرابطة؛ لأنها أقدر من تلك العلاقات على تحقيق أمن اللبس، وهو الغاية القصوى للاستعمال اللغوي، فإنه يمكن الزعم أنّ كل نظام لغوي يبني أساساً على مجموعة من القيم الخلاقية، التي بدونها لا يكون اللبس مفهوماً...^١.

ومن أمثلة عناية الرّاعب بهذه الظاهرة:

- قوله: "التسخير: سياقة إلى الغرض المختص به قهراً... والسخرية والسخرية بفعل الساخر"^٢.
- قوله في المخالفة بين صيغ الجمع لاختلاف المعنى: "وجمع العبد الذي هو مسترقّ: عبید، وقيل: عبدي، وجمع العبد الذي هو العابد: عباد، فالعبید إذا أضيف إلى الله أعمّ من العباد"^٣.
- قوله في المخالفة بين أبنية المصادر:
- "أصل العبر تجاوز من حال إلى حال، فأما العبور فيختص بتجاوز الماء، إما بسباحة، أو في سفينة، أو على بعير، أو قنطرة... والاعتبار والعبرة: مختصان بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد"^٤.

١٠. دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى، ومن ذلك:

- قوله: "سلّ الشيء من الشيء: نزعه، وتسلسل الشيء: اضطرب، كأنه تصوّر منه تسلسل متردد فرّد لفظه تنبيهاً على تردّد معناه"^٥.

١١. تناوب الأبنية الصرفية:

- أي استخدام صيغة صرفية نيابة عن صيغة صرفية أخرى لاعتبار في ذهن المتكلم، أو نتيجة لأثر الاستعمال. وهو مبحث مشترك بين الاشتقاق والبلاغة يُسمّى المجاز القائم على الاشتقاق. ولم تظهر هذه التسمية في كتاب الزّجاج لأنه ساق الاستقرار المصطلح البلاغي. ومن أمثلته:
- قوله: "و دمع ساكب، متصوّرٌ بصورة الفاعل، وقد يقال منسكب". أقوله: "والطّرف: الفرس الكريم، وهو الذي يُطرف البصر من حسنه، فالطّرف في الأصل هو المطروف، أي: المنظور إليه،

١- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٤، جبل، المخالفة بين الأبنية للتفريق، ١٠٢/٢-١٠٣

٢- الرّاعب، المفردات، ص ٤٠٢

٣- المفردات، ص ٥٤٢

٤- المفردات، ص ٥٤٣

٥ المفردات، ص ٤١٨، وقد مرّ كثير من ذلك في الحديث عن معاني زيادة الهمزة وكثير منه يدخل في باب مخالفة المباني لاختلاف المعاني.

٦- الرّاعب، المفردات، ص ٤١٦

كالنقض في معنى المنقوض، وبهذا النظر قيل: هو قيْدُ النواظر".^١

ومن تناوب (اسم الذات) مع اسم المفعول:

- قوله: "أصل القلم: القصُّ من الشيء الصُّلب، كالظفر وكعب الرمح والقصب ويقال للمقلوم: قلم، كما يقال للمنقوض: نقض".^٢

مدى عناية الرَّاعِبِ برسم المصحف كوسيلة لتقرير المعنى

لم يظهر في كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" للرَّاعِبِ الأصفهاني أي عناية تذكر بالرَّسْمِ القرآني؛ فلم يرد فيه أي ذكر للفروق في الرَّسْمِ بين مصاحف الأمصار على غرار ما مرَّ ذكره في بحث هذه المسألة في دراسة منهج الرَّجَاحِ في كتابه "معاني القرآن الكريم وإعرابه"، وكذلك فإنَّ الباحث لو حاول استقراء ما أورده الرَّاعِبُ من اختلاف في قراءة بعض الألفاظ لا يجد أثراً ملموساً لاختلاف القراءات في الرَّسْمِ؛ حيث ينحصر الخلاف المذكور إما في ورود بعض الأحرف مخففة أو مضعفة، أو في ورود بعض الأحرف ممدودة أو غير ممدودة، وكذلك في اختلافات تتعلق بالضبط، ونادراً جداً ما يورد الرَّاعِبُ خلافاً يتعلّق بالنقط. وهو لا يورد قطعاً خلافاً في رسم الحروف الصوامت.

فمما ذكره من الاختلاف في تضعيف بعض الأحرف وتخفيفها:

- قراءة: {وَإِذَا أَلْجَيْمٌ سَعَّرَتْ} [التكوير: ١٢]؛ حيث قرأ بالتخفيف ابن كثير، وهشام وأبو عمرو وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب وخلف، وشعبة عن عاصم.^٣
- قراءة: {تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا} [مريم: ٢٥]؛ حيث: "قرئ {تساقط} بالتخفيف وحذف إحدى التاءين"، وهي قراءة حمزة.^٤

ومن الاختلاف في زيادة حرف مد أو عدم زيادته:

-
- ١- الرَّاعِبُ، المفردات، ص ٥١٨
 - ٢- المفردات، ص ٦٨٣
 - ٣- الرَّاعِبُ، المفردات، ص ٤١١ حاشية ٢، قرأ بالتخفيف ابن كثير وهشام وأبو عمرو وحمزة، والكسائي وروح عن يعقوب وخلف وشعبة عن عاصم.
 - ٤- الرَّاعِبُ، المفردات، ص ٤١٥، والحاشية ٣، وانظر المزيد: ص ٤٦٠، حاشية ٣، ٤، {يطهرن}، ص ٥٢٥، حاشية ٣، {تظاهرا}، ص ٥٤٠، حاشية ٢، {يطهرون}، ص ٥٤١، حاشية ٢، {عقدتم الأيمان}، ص ٥٧٧، حاشية ١، {فقدنا نعم القادرون}، ص ٦٥٨، حاشية ١، {ديناً قيماً}، {ديناً قيماً}، ص ٦٩١، حاشية ١، ٢، {كفلها زكريا}، {كفلها زكريا}، ص ٧١٧، حاشية ٤، ٣، {ليميز}، {ليميز}، ص ٧٨٣، حاشية ٤، {يوم التناد}، ص ٧٩٦، حاشية ٢، {يهدي}، {يهدي}، ص ٨٣٧، حاشية ١، قرأ حمزة والكسائي وخلف {يهدي}.

- قراءة: {جماليات صفر} {المرسلات: ٣٣}١، {ليقولوا دارست} {الأنعام: ١٠٥}٢، {إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام} {الذاريات: ٢٥} و{سلم}٣.

ومن الاختلاف في الأفراد أو الجمع:

- {وما تخرج من ثمرة من أكمامها} {فصلت: ٤٧}، {وما تخرج من ثمرات}٤.
- القراءتان: {فرهن مقبوضة} {البقرة: ٢٨٣}، {فرهن مقبوضة}٥.
- القراءتان: {كطي السجل للكتب} {الأنبياء: ١٠٤}، {كطي السجل للكتاب}٦.
- أما الاختلاف في النقط، فقد ذكر اختلافاً في قراءة قوله تعالى: {هل يستطيع ربك} [المائدة: ١١٢]؛ حيث قرأها الكسائي {تستطيع}٧، وذكر قراءة شاذة في قوله تعالى: {إن لك في النهار سبحا طويلا} [المزمل: ٧]، قال: "قرئ: {إن لك في النهار سبحا طويلا}: أي سعة في التصرف^٨ و{فقبصت قبصة} قراءة شاذة قرأ فيها ابن الزبير وأبو العالية وقتادة^٩، كما ذكر قراءة شاذة في قوله تعالى: {أعدا ضللتنا} [السجدة: ١٠] قال: "وقرئ: أئذا(صللنا): أي أنتنا وتغيرنا"^{١٠}، وهي قراءات على شذوذها لا تشتمل على تغيير في رسم المصحف، إنما تشتمل على تغيير في نقطه، وشذوذها نابع من مخالفتها للقراءات المتواترة - وإن كان رسم المصحف يحتملها - ومع ذلك فهي خارجة عن نطاق درس رسم المصحف بسبب خروجها عن شرط التواتر.
- أما الاختلاف في الضبط في الحركات فهو أبرز محور دارت عليه شواهد القراءات في كتاب الراغب، وهو مما لا تتغير فيه صورة اللفظ، مما يجعل الارتباط بينه وبين الرسم منفكاً بطبيعة الحال، فلا حاجة بالتالي للتمثيل عليه في هذا المقام.

- ١- المفردات، ص ٢٠٣، حاشية ٣، وبها قرأ رويس عن يعقوب، وهي قراءة صحيحة متواترة،
٢- المفردات، ص ٣١١ حاشية ٢، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو، انظر: الاتحاف، ص ٢١٤
٣- المفردات، ص ٤٢٢ حاشية ٤، وهي قراءة حمزة والكسائي، انظر: الاتحاف، ص ٣٩٩.
٤- المفردات، ص ٢٧٨ حاشية ٣، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة، والكسائي وخلف ويعقوب وشعبة عن عاصم بالإفراد {ثمرت} وقرأ الباقون {ثمرات} بالجمع، انظر: الاتحاف ص ٣٨٢.
٥- المفردات، ص ٣٦٨، حاشية ٢، ١، {فرهن مقبوضة} وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو، {فرهن} وهي قراءة الباقيين
٦- المفردات، ص ٣٩٨، حاشية ٥، وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر وابن عامر وأبي عمرو وشعبة عن عاصم ويعقوب. وقرأ الباقون (للكتب) بالجمع. الاتحاف ص ٣١٢.
٧- أنظر الراغب، المفردات، صفحة ٥٣١، حاشية ٣، وبها قرأ الكسائي، انظر الاتحاف ص ٢٠٤.
٨- أنظر الراغب، المفردات، صفحة ٣٩٤، حاشية ١.
٩- انظر صفحة ٦٥٢، حاشية ١، وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن الزبير وأبو العالية وقتادة.
١٠- انظر صفحة ٤٨٩، حاشية ١، وهي قراءة شاذة.

السياق القرآني كوسيلة لتقرير المعنى عند الرَّاعِب الأصفهاني

في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)

اختلف الباحثون في تعريف دلالة السياق القرآني من حيث اشتماله أو عدم اشتماله على دلالة الحال على قولين، وكان لذلك أثر في تعريفهم للسياق القرآني؛ فمن رأى أنّ السياق القرآني يشمل سياق المقال دون سياق الحال عرفه تعريفاً مشابهاً للقول بأنه "تتابع المعاني وانتظامها في سلكٍ دون انقطاع أو انفصال"^١ ومن رأى أنّ دلالة السياق القرآني تشمل كلاً من سياق المقال وسياق (الحال) أو (المقام) - حيث يعنون به: ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه، كحال المتكلم والمخاطب، والغرض - الذي سيق له - عرفه تعريفاً مشابهاً للقول بأنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حالاً به، أو حال المخاطب والمخاطب والغرض الذي سيق له، والجوّ الذي نزل فيه"^٢.

ويتصل بالقول الثاني ما فرّعه بعض الباحثين من فروع للسياق القرآني؛ حيث جعلوه أنواعاً، منها:
"السياق المكاني ويعتني بسياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية..."

- السياق الزمني، ويعني سياق الآية في ترتيب آيات النزول.
- السياق الموضوعي، ويعني دراسة الآيات التي يجمعها موضوع واحد.
- السياق المقاصدي، ويعني النظر إلى الآية ضمن مقاصد القرآن الكريم.
- السياق التاريخي؛ حيث يعتني بمعناه العام بالأحداث التاريخية التي حكاها القرآن الكريم وبمعناه الخاص: أسباب النزول.
- السياق اللغوي، وهو دراسة النص القرآني من خلال علاقات بين ألفاظه بعضها ببعض وما يترتب على ذلك من دلالات"^٣.

وقد استنبط بعض الباحثين من خلال الاطلاع على مناهج المفسرين قواعد أساسية للتعامل مع السياق القرآني، منها:

- "الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه
- يختار من المعاني ما يلائم السياق ولا يناقضه.

١- المثني، نظرية السياق القرآني، ص ١٥

٢- المطيري، أحمد لافي فلاح، دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص ١٤، وعبد الرحمن عبد الله المطيري، السياق القرآني و أثره في التفسير، دراسة تطبيقية على تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير في التفسير، وجامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٦٤، ٦٥

٣- الفجّال، أنس بن محمود، أثر السياق في فهم الإحالة في القصة القرآنية، أطروحة دكتوراة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩ م

- يراعى في المعاني الظاهر من الخطاب، ولا يتجاوز إلى غيره إلا بدليل.^١

" ويعتبر الرّاعب الأصفهاني من أبرز المفسرين وأهل اللغة عناية ببيان السياق القرآني من خلال كتابه المفردات خاصة؛ وذلك أنه يجمع الكلمات الغريبة في القرآن، ويبين معناها حسب سياقها الذي وردت فيه، وهو من أهم ما ينبغي الرجوع إليه في مسألة السياق " ^٢ وممن أشاد بعناية الرّاعب الأصفهاني بالسياق الإمام الزركشي في (البرهان)؛ قال: "وهذا، أي النظر إلى الآية بحسب السياق يعتني به الرّاعب كثيراً في كتاب "المفردات" فيذكر قيّداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق " ووصفه بأنه من أحسن كتب غريب القرآن؛ حيث إنّ الرّاعب يتصيّد المعاني من السياق؛ لأنّ مدلولات الألفاظ خاصة ^٣

وقد يختلف تفسير المفسرين لمعنى لفظ لاختلف موقوفهم من السياق، فإذا رجع المرء إلى مفردات الرّاعب يجده يقدم القول الفصل بين الموقفين بما يقنع ويمتّع، بلفظ موجز وحكم دقيق منجز. ومن الأمثلة المذكورة في هذا المجال ما جاء في تفسير لفظ البرزخ في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً} [الفرقان: ٥٣]

فالذين تجاوزوا السياق اللغوي للآية قالوا بأنّ المقصود الحاجز من الأرض - ومن الذين ذهبوا إلى ذلك العلامة الألوسي.^٤

"و ينغص على هذا القول سياق الآية، إذ قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} يدل على أن هناك اختلاطاً بين البحرين، فإذا كان هناك اختلاط بينهما فكيف يكون الحاجز أرضاً ^٥ وبهذا قال الإمام الطبري: "والمرجُ: هو الخلط في كلام العرب، فلو كان البرزخ الذي بين العذب والفرات من البحرين والملح الأجاج أرضاً أو بيبساً لم يكن هناك مرجٌّ للبحرين، وقد أخبر جلّ ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه ^٦"

١- عبد الحكيم بن عبدالله قاسم، دلالة السياق و أثرها في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود
٢- الربيعة، محمد بن عبدالله، مقال بعنوان علم السياق القرآني، مواضع ورود اللفظ في المصحف والاحتكام إلى توجيه صريح السياق، استرجع في السادس والعشرين من حزيران ٢٠١١ من الموقع:

<http://www.manqol.com/topic/print.aspx?t=٣٦٨٠٤>

٣- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ٢٩١/١

٤- الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٣٠

٥- محمود، المثني، نظرية السياق القرآني، مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩

٦- الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، جزء ١٩، ص ٢٥

فإذا قرأ المرء قول الرَّاعِب في المسألة يجده يكتفي بالقول " البرزخ الحاجز والحدّ بين الشئيين " حيث يلاحظ أنه - وهو صاحب النظرات الثاقبة في تعريف الأشياء وفقاً للاعتبارات المختلفة - لم يصف الحاجز بأي وصف من الصفات المادية، مما يدل على رجحان انتفاء الصفة المادية لديه مع ما يحمله توقعه عن نفي هذه الصفة من معنى الاحتياط !

مظاهر الاهتمام بالسياق القرآني عند الرَّاعِب الأصفهاني

العناية بالسياق اللغوي:

ومما يرتبط بالسياق اللغوي: دلالة السياق على أصل الاشتقاق

- ومن ذلك قوله: " فالرجوع العود والرجع الإعادة، ... فمن الرجوع قوله تعالى: {لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ} [المنافقون: ٨]، {فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أٰبِيهِمْ} [يوسف: ٦٣]، وقوله [تعالى] {بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥]؛ فمن رجوع الجواب " ^١

- ومنه الاستدلال على المعنى من مقابله في السياق، كقوله: " الرَّعَامُ: التراب الدقيق، ورغم أنف فلان رَعَمًا: وقع في الرَّعَام، وأرغمه غيره، ويعبر بذلك عن السخط، كقول الشاعر:
إذا أرغمت تلك الأنوف لم أَرْضِيهَا
ولم أطلب العتبي ولكن أزيدها
فمقابله بالإرضاء مما ينبّه دلالاته على الإسقاط... " ^٢

ولعلّ من أبسط صور الدخول في السياق اللغوي التي أولاها الرَّاعِب الأصفهاني عناية خاصة تكرار اشتراك الكلمة الواحدة مع أكثر من كلمة في تراكيب مختلفة، وهو ما يعرف عند اللغويين المحدثين بـ (الوقوع المشترك)، ومن أمثلة ذلك:

- قوله: "وتباشير الوجه، وبشره ما يبدو من سروره، وتباشير الصبح: ما يبدو من أوائله ونباشير النخيل ما يبدو من رُطبه" ^٣

- وقوله: " وبغى الجرح تجاوز حده في فساده، وبغت المرأة بغاءً: إذا فجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها، وبغت السماء: تجاوزت في المطر حدّ المحتاج إليه، وبغى تكبّر؛ وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له" ^١.

١- هذا موقع اضطرب فيه الكلام، ولعلّ ذلك الاضطراب من عمل التّساخ، ولم ينتبه المحقق إلى ذلك، حيث عاد الرَّاعِب فقال: " وقوله: { ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظَرُوا مَاذَا يَرْجِعُونَ } [النمل: ٢٨] فمن رجوع الجواب لا غير، وكذا قوله: {فَنَظَرُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥]، المفردات، ٣٤٢، ٣٤٣
٢- الرَّاعِب، المفردات، ص ٣٥٩ والبيت في (محاضرات الأدباء) للرّاعِب، ٣١٥/١، (مجمع البلاغة) للرّاعِب، ٥٢٤/١، بدون نسبة ولم أعثر له على نسبة.
٣- الرَّاعِب، المفردات، مادة بشر

- قوله: " والبلاغ التبليغ، نحو قوله عز وجل: { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ } [إبراهيم: ٥٢]... والبلاغ الكفاية، نحو قوله تعالى: { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } [الرعد: ٤٠] والبلاغ الدعوة، نحو قوله عز وجل: { إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ } [الأنبياء: ١٠٦] " ٢
- وأما قوله عز وجل: { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } [الطلاق: ٢] فللمشارفة؛ فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها و إمساكها " ٣
- ويلاحظ أن الرّاغب حرص في أمثلة هذا النوع "على إيراد الكلمة المعنوية بالشرح مركبة مع عدد من الكلمات المختلفة، ليوقفنا على جواز استعمالها مع كل هذه الكلمات، أما فيما يتعلق بمعناها فإنه يختلف باختلاف الكلمات المركبة معها من ألفاظ ، مع الاحتفاظ بمعنى عام، غالباً ما كان يورده الرّاغب في بداية شرح الكلمة، أي قبل التركيب " ٤
- والذي يظهر من تطبيقات الرّاغب أنه كان يتوسّع في مفهوم السياق القرآني؛ فهو يأخذ في الاعتبار كثيراً سياق الحال، ومن أمثلة ذلك:
- قوله: " وقوله عز وجل: { وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ } [الإسراء: ٢٤] فاستعارة وذلك أنه لما كان الذل ضربين: ضربٌ يضع الإنسان وضربٌ يرفعه - وقصد في هذا المكان إلى ما يرفعه لا إلى ما يضعه - فاستعار لفظ الجناح له، فكأنه قيل استعمل الذلّ الذي يرفعك عند الله من أجل اكتسابك الرحمة، أو من أجل رحمتك لهما " ٥
- قوله: "وقوله تعالى { وَسَيِّدًا وَحَصُورًا } [آل عمران: ٣] فالحصور: الذي لا يأتي النساء إما من العتّة، وإما من العفة، والاجتهاد في إزالة الشهوة، والثاني أظهر في الآية؛ لأن بذلك يستحقّ المحمّدة.. " ٦
- قوله: "قوله [تعالى]: { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ } [النساء: ٢٤]، بعد قوله [تعالى] { حُرِّمَتْ } [النساء: ٢٣] بالفتح لا غير، وفي سائر المواضع بالفتح والكسر، لأن اللواتي حرّم التزوج بهن المزوجات دون العفيفات، وفي سائر المواضع يحتمل الوجهين. " ٧

١- الرّاغب، المفردات، مادة بغى

٢- الرّاغب، المفردات، مادة بلغ

٣- المفردات، ص ١٤٤

٤- بعيون، رانية محمود ، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، دراسة لغوية للجوانب الصرفية والنحوية وصلتها بشرح المعنى، رسالة ماجستير، جامعة بيروت العربية، ٢٠٠٣م.

٥- المفردات، مادة جنح، ص ٢٠٦، ٢٠٧

٦- الرّاغب المفردات، ص ٢٣٨

٧- الرّاغب المفردات، ص ٢٤٠

- ومن أخذه بسياق الحال التثبيه على اختلاف معنى اللفظ باختلاف ما عُلق به؛ كقوله: "فالبعث ضربان: بشري؛ كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة، وإلهي، وذلك ضربان: أحدهما إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس، وذلك يختصّ به الباري، ولم يقدر عليه أحد، والثاني إحياء الموتى، وقد خصّ بذلك بعض أوليائه..."^١

- ومنه التفريق في المعاني التي يفيدها لفظ الضعف بحسب المرحلة التي يمر بها الإنسان في تطوره؛ قال: "وقوله [تعالى]: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا} [الروم: ٥٤] والثاني غير الأول، وكذا الثالث؛ فإن قوله [تعالى]: {خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} أي: من نطفة، أو من تراب، والثاني هو الضعف الموجود في الجنين والطفل، والثالث الذي بعد الشيخوخة، وهو المشار إليه بأرذل العمر... ويدلّ على ذلك أن كلّ واحدٍ من قوله: (ضعف) إشارة إلى حالة غير الأولى ذكره ثانياً منكرأ، والمنكر إذا أعيد ذكره وأريد به غير الأولى عرّف... ومتى أعيد منكرأ أريد به غير الأولى، ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥، ٦] لن يغلب عسرٌ يسرين"^٢.

- ومن بديع ما نبّه إليه الرّاعب في سياق المقام تغيير دلالة الكلمة بتغير الأحوال النفسية المرتبطة بها، ومن ذلك قوله:

"الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف واقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة، سمّي صبراً لا غير، ويضادّه الجزع. وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رعب الصدر، ويضادّه الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتمان ويضادّه المدلّ، وقد سمّي الله ذلك كله صبراً ونبه عليه بقوله: {وَالصَّبْرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ} [الحج: ٣٥] ويعبّر عن الانتظار بالصبر؛ لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر، بل هو نوع من الصبر، قال: {فَأصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [القلم: ٤٨] أي: انتظر حكمه لك على الكافرين".

- ومن أمثلة عنايته بالسياق الاجتماعي عنايته بأقوال العرب وأمثالها؛ حيث قد يكشف المثل عن دلالة خاصة داخل سياقه لا يكشف عنها خارجه. وقد عرّف الفارابي المثل بأنه "ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم فإهوا به في السراء والضراء، واستندروا به

١- الرّاعب، المفردات، ص ١٣٢

٢- الرّاعب، المفردات، ص ٥٠٧

الممتنع من الدَّرِّ، ووصلوا به إلى المطالب القصيَّة وتفرَّجوا به عن الكرب والمكربة، وهو أبلغ من الحكمة، لأنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"^١.

ويرى الجرجاني أنَّ "التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته كساها أْبْهَةً وأكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها.. فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزَّ للعطف وأسرع للألف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح، وإن كان اعتذاراً كان إلى القلوب أقرب وأوعى إلى الفكر"^٢.

واهتمام العلماء بالأمثال في دراساتهم المختلفة للغة العرب نابعة من كون "المثل العربي في انطلاقه يحلِّق في أجواء البيئة العربية التي قضوا فيها رداً طويلاً من الزمان، وتلاءموا في معاشهم مع الطابع المعهود الذي جبلوا عليه وشبّوا في سجاياه، ولهذا توكدت أمثالهم من واقع بيئتهم... وانطلقت انطلاقاً سريعاً يشفَّ عن إلهام صائب، وقريحة صافية لا يعترضها عنق، ولا يعوقها رهق، فيتناقله الأفراد منهم بعد أن يعلو بموقعه في وجدانهم، ولا يلبث أن يأخذ صفة العموم، فيشيع بين جمهور الناس فيتخاطبوا به، ويشتهر في مجالسهم، وقد يتسرّب أثره في البيئات الأخرى فيلقى لديها الرّواج والازدهار لحسنه واشتهاره"^٣.

ومن الجدير بالذكر أنَّ المثل يكتسب بالإضافة إلى قيمته المرجعية كمصدر نقليّ لتوثيق اللغة قيمة أخرى لا تقل أهمية من جهة دلالاته بوصفه "عبارة اصطلاحية"؛ حيث تعرّف العبارة الاصطلاحية بأنها "عبارة تجاوزت معناها الدالة عليه في اللغة أو في ظاهر التركيب إلى معنى آخر، اصطلحت عليه الجماعة اللغوية"^٤.

وينبّه البعض إلى ضرورة التفريق بين المثل والتعبير المثلي من حيث إنّ المثل يتحقّق بتكرار خبرة مماثلة للخبرة التي قيل فيها لأول مرة، وأتته يحمل إلى جانب طابعه الخبري طابعاً

١- الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ)، ديوان الأدب، ت: أحمد مختار، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
٢- الجرجاني، عبد القاهر، ص ٨٨، وانظر المزيد حول الجوانب الفنية والنفسية للمثل: الجيوسي، عبدالله، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الوثقائي للدراسات القرآنية، دمشق، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٤٥٦، ٤٥٧.
٣- حسن، محمود السيّد، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٣١، ٣٠، بتصرف يسير.
٤- أبو سعد، أحمد، معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية القديم منها والمولد، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٥.

- تمثيلاً تلخيصياً للخبرات السابقة المماثلة، في حين يتجرد التعبير المثلي من طابعه الإخباري "البيبرز أحوال الحياة المتكررة في صورة يمكن أن تكون جزءاً من جملة" كقوله تعالى: {أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ} [يوسف: ٤٤] أو قولهم في وصف النصيب الأكبر في القسمة (له القدر المعلى).
- وقد خصص المحقق صفوان داوودي فهرساً للأمثال الواردة في كتاب "المفردات" ^٢ ومن ذلك:
- "واستجملت الريح الغصن، كأنها حملته على تعاطي الجهل، وذلك استعارة حسنة" ^٣
 - "وإن أردتم المحاجزة، فقبل المناجزة، أي الممانعة قبل المحاربة" ^٤
 - "... من حقنا أو رقنا فليقتصد، أي من تفقد حفف عيشنا" ^٥

عناية الرّاغب بالقراءات في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن)

يظهر واضحاً لمن تتبّع ما أورده الرّاغب من القراءات المتعلّقة بالألفاظ التي يشرحها في كتاب (المفردات) الحقائق الآتية:

١. أنّ البحث في القراءات في هذا الكتاب كان وسيلة لبيان معاني المفردات أو لمتابعة هذا البيان واستكمال الكشف عمّا يرتبط به من لوازم، أو الاستدلال له بما ينبّته في ذهن القارئ وقناعاته.
٢. كان لمنهج الاختصار الذي اتبعه الرّاغب في رفقته بالقرائات أثرٌ جليٌّ في غياب أسانيد القراءات المستشهد بها، بل وعدم نسبتها إلى قرّائها، أو بيان صحتها من شذوذها.
٣. وتبع هذا الالتزام بمنهج الاختصار غياب مبحث نقد القراءات الذي اصطنع به البحث القرائي عند الزّجاج وهذا عائد أيضاً إلى اختلاف العصر؛ حيث كان لنقد القراءات وظيفة في القرن الثالث وهو عصر تدوين القراءات، وانتخابها من بين قراءات الأمصار، وحيث عدّ بعض العلماء التّصدي لنقد القراءات نوعاً من الاحتساب، وهي غيرة للقرآن جلبت عليهم النقد من جهة، واتخذت مدخلاً لمطاعن بعض المستشرقين وتلاميذهم في موثوقيّة القراءات القرآنيّة مما استدعى من بعض العلماء

١- انظر: رودلف زلهام، الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، ترجمة وتحقيق درمضان عبد التواب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص٢٧.

٢- انظر ص ٩٣٦ - ٩٤١

٣- الرّاغب، المفردات، ص ٢٠٩

٤- الرّاغب، المفردات، ص ٢٢١

٥- قال أبو عبيد البكري في (فضل المقال في شرح كتاب الأمثال): تحقيق إحسان عبّاس، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧١م، ج١، ص٣١، ٣٢ باب القصد في المدح وما يؤمر به من ذلك) معنى الرفيف هنا النضارة، وهو معنى الإطراء في المديح، يقال: رَفَّ البيت يرفُّ رفيفاً مثل ورف يرفُّ ورفياً، ويقال: فلان يحفُّ ويحفُّ بفلان إذا طاف به وأطفه، وهو به حفّ وحفيّ، وقبل من حقنا في هذا المثل: أي سمع له حفيفاً في الثناء.

المعاصرين الردّ عليهم ودفع ما أثاروه من شبهات. وما سبق ذكره في بحث " العناية بالقراءات عند الزّجاج".

٤. وعلى الرّغم من هذا الاختصار المقصود، فإنّ تنوّع شواهد القراءات في كتاب (المفردات) وشمولها قراءات الفُراء الأربعة عشرة وغيرها يدلُّ على مدى اضطلاع الرّاعب بهذا العلم.

٥. كما يدلُّ على هذا الاضطلاع بعلم القراءات، ما وظفت له الشّواهد من مباحث وتوجيهات لغويّة أو صرفيّة أو نحويّة أو اشتقاقية تقوم عليها- بدورها- بعض المباحث في العقيدة أو الأحكام التّشريعيّة وهي مباحث يتشربها البحث التّفسيري اللغوي عند الرّاعب أو تتسرّب فيه بهدوء، وبحيث تصطبغ هي بطابع البحث أكثر مما تصبغه بطابعها، ومع ذلك فهي تترك على امتداد شريط البحث بصمات مؤثّرة.

فمن توجيهاته اللغوية:

توجيهه اللغوي للقراءة (أَيْدُكَ بَرُوحِ الْقُدُسِ) [المائدة: ١٠٣] وهي قراءة شاذّة، تنتصر لما تبناه عامّة المفسّرين من تفسيرهم للفظ (الأيد) من قوله تعالى: {وَأَلْسَمَاءَ بَنِيئَهَا بِأَيْدِي} [الذاريات: ٤٧]: قال الرّاعب-رحمه الله-: " وإياد الشّيء ما يقيه، وقرئ أَيْدُكَ وهو أفعلت من ذلك. قال الزّجاج- رحمه الله- يجوز أن يكون فاعلت: نحوعاونت وأصله من الأود إذ أد يؤود أوداً وإباداً، إذا أثقله". ويلحظ ما في هذا القياس من التكلّف!

فقيمة هذا التّفسير للفظ وبيان تصرّفاته تتبع من تقرير أنّ (الأيد) القوة، ونفى أن يكون المعنى جمع يد، وقد استوى في تقرير هذا المعنى المثبتون للصفات الخيريّة والتّافون لها. فمن الإثبات ما ينسب إلى أبي حسن الأشعريّ - رحمه الله- في كتاب (الإبانة): "سألنا أتقولون إنّ الله يدين، قيل نقول ذلك بلا كيف"^١.

وهو يصرّح بأنّه بهذا الاختيار يغلّق الطّريق على من يتّخذ من تفسيرها ب " جمع اليد" سبيلاً لتأويل ما ثبت لديه من صفة اليد؛ قال:^٢ " وقد اعتلّ معتلُّ بقوله تعالى: {وَأَلْسَمَاءَ بَنِيئَهَا بِأَيْدِي} [الذاريات: ٤٧] قالوا: الأيد القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى {بِيَدِي} بقدرتي، قيل لهم هذا التّأويل فاسد من وجوه: أحدها أنّ الأيد ليس جمعاً لليد، لأنّ جمع اليد أيدي... "

١- انظر الإبانة عن أصول الدّيانة، تحقيق د. فوقيّة حسين، ج ٢، ضمن نفس المجلد، ص ١٢٥

٢- نفسه، ص ١٢٩، ١٣٠

وكما اتخذ أبو الحسن الأشعري من تأويل الأيد بالقوة سبيلاً لسدّ ذريعة نفي الصفة، فقد اتخذ بعض نفاة هذه الصفة، وبعض متأوليها التفسير نفسه لسدّ ما عدّوه ذريعة لإثبات الجوارح لله تعالى : ومن ذلك قول القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) : " مسألة : وربما قيل في قوله تعالى : {وَأَلْسَمَاءٌ بَنَيْنَهَا بِأَيْدِي} [الذاريات: ٤٧] أليس ذلك يدل على جواز الجوارح على الله تعالى : وجوابنا أنّ المراد به القوة، والقدرة، ولولا ذلك لوجب إثبات أيدي كثيرة له- تعالى عن ذلك-"^١ وكذلك فسّر الزمخشري الـ (أيد) بالقوة وصرّح بأنّها مصدر وليست جمعاً^٢.

ويتفق مع هؤلاء على تفسير (الأيد) بالقوة المفسّر الإباضي الشيخ محمد بن يوسف إطفيش^٣. وممن قال بهذا الاحتمال الفخر الرازي في تفسيره؛ حيث قال عن المعنى الأول- وهو التفسير بالقوة- : "هذا هو المشهور" وأنه: "يحتمل أن يقال: إنّ المراد: جمع اليد". خلافاً لما نفاه شيخ الأشاعرة الأول!^٤. وممن أيد هذا المعنى من علماء اللغة : الخليل بن أحمد (ت ١٧٣ هـ) قال: " الأيد القوة، وبلغت تميم الأد، ومنه قيل: أد فلان فلاناً، إذا أعانه وقواه والتأييد مصدر أيّدته أي قوّيته"^٥. وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) " (أيد) : الهمزة والياء والذال أصل واحد يدلُّ على القوة والحفظ ؛ يقال: أيده الله: أي قواه الله..."^٦.

وابن منظور (ت ٧١١ هـ) قال: " وفي التنزيل {وَأَلْسَمَاءٌ بَنَيْنَهَا بِأَيْدِي} [الذاريات: ٤٧] قال أبو الهيثم^٧: أد يئيد: إذا قوي، وأيد يؤيد إيداءً، إذا صار ذا أيد"^٨. ومنها قوله في قراءة (شعفا حباً) بالعين المجردة^٩: "قري (شعفا) وهي من شعفة القلب، وهي رأسه عند معلق النياط، وشعفة الجبل: أعلاه، ومنه قيل: فلان مشعوفٌ بكذا، كأنما أصيبت شعفة قلبه"^{١٠}.

- ١- تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق: أحمد السّائح وتوفيق وهبة، مكتبة النافذة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٢٤
- ٢- الكشاف، تحقيق: خليل شيجا، دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٥٣
- ٣- تيسير التفسير، مرجع سابق، طبعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، هميان الزّاد، طبعة سلطنة عُمان ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م وهو في الموضوعين يذكر في معنى (أيد) وجهاً بعيداً مرجوحاً، هو جمع اليد - بمعنى الجارحة- وبينه على تنزيه الله - سبحانه وتعالى- على الاتصاف بالجارحة.
- ٤- تفسير الرازي، دار الفكر، ط ١، ٤٠١ هـ - ١٩٨١م، مجلد ١٤، ج ٢٨، ص ٢٢٦ وابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ٣٦/٢؛ حيث قال: والأيد القوة، وأصله: جمع يد ثم كثر إطلاقه حتى صار اسماً
- ٥- انظر: معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٠٥
- ٦- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلاميّة، ط ١٠٤١ هـ - ١٩٩٠م.
- ٧- انظر في التعريف بأبي الهيثم اللغوي (ت ٧٧٦ هـ): مقدمة تهذيب اللغة للأزهري، وترجمته في إنباه الرواة للقفطي، ١٨٢/٤، ١١٤، وبغية الوعاة للسيوطي، ٣٢٩/٢، ومقال للباحث زيدان، محمود عبد العزيز: تعريف بابي هيثم اللغوي، استرجع في السادس عشر من نيسان ٢٠١٢م من موقع جامعة أم القرى.
- ٨- لسان العرب، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٩١
- ٩- وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف، انظر: الدميّاطي، أحمد البنا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق الضبّاع، طبع مصر، ط ٢، ١٤٠٠ هـ، ص ٣٦٥.

ومنها قوله في الفرق بين الإنزال والتنزيل: "أَنَّ التَّنْزِيلَ يَخْتَصُّ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَشِيرُ إِلَيْهِ إِنْزَالَهُ مَفْرَقًا، وَمَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَالْإِنْزَالُ عَامٌّ؛ مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ التَّنْزِيلُ قَوْلَهُ: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}

[الشعراء: ١٩٣] ^٢ وقرئ: {نزل} ^٣.

وقوله مستشهداً لمعنى اللفظ (أهجر) بقراءة نافع: (تَهْجُرُونَ)؛ قال: " وَأَهْجَرَ الْمَرِيضَ إِذَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [المؤمنون: ٦٧] وقرئ: {تَهْجُرُونَ}؛ قال: وقد يشبه المبالغ في الهجر بالمُهْجِرِ، فيقال: أَهْجَرَ إِذَا قَصَدَ ذَلِكَ... " ^٤.

والرَّاعِبُ، قد يوظف توجيهه للقراءات، أو استشهاده بها توظيفاً عقدياً كما سبق في قراءة {أأيدتك بروح القدس} [المائدة: ١١٠] وقد يوظفها توظيفاً فقهياً، كتوجيهه للقراءة {وعلى الذين يطوقونه} " وهي قراءة شاذة. قرأت بها عائشة وسعيد بن جبير وعكرمة " ^٥ حيث قال: " أي يحملون أن يطوقوا " والرَّاعِبُ بهذه العبارة الموجزة يختصر خلافاً دار بين العلماء في تفسير الآية، وظفت فيه القراءات القرآنية تارة، كقول الماوردي في تفسير الآية: " وقرأ ابن عباس ومجاهد {وعلى الذين لا يطوقونه} ^٦ " وقول ابن الجوزي: " وقرأ أبو بكر الصديق وابن عباس: {وعلى الذين يُطَوِّقُونَهُ} بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو، قال: " قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة " ^٧.

وكانَّ القرطبي - رحمه الله - ينتصر في تفسيره لما لمَّح به الرَّاعِبُ في تعقيبه على هذه القراءة، فهو يقول: " وأما قراءة {يطوقونه}، على معنى يكلفونه مع المشقة اللاحقة لهم، كالمريض والحامل فإنَّهما

١- المفردات، مادة شعف، ص ٤٥٦، وانظر القاموس المحيط للفيروزآبادي، فصل الثنين، باب الفاء، مادة شعف.

٢- المفردات، مادة نزل، ص ٧٩٩

٣- وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي وخلف: الإتحاف، ص ٤٠٧

٤- المفردات، ص ٨٣٤، والقراءة (تَهْجُرُونَ) هي قراءة باقي القراء، وانظر مزيداً من أمثلة التوجيه اللغوي في الأمثلة الآتية: قراءة {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} [النساء: ٣٤] : أبو جعفر المدني، ص ٢٤٥، حاشية ١، وقراءة {شأن} [المائدة: ٢]، ٤٦٥، وحاشية ٢، وقراءة {فصيرهن إليك} [البقرة: ٢٦٠] "المفردات"، ص ٤٩٨، وحاشية ٢، وقراءة {إذا صلنا} [السجدة: ١٠]، وقراءة {يطوقونه}، ص ٥٣٣، وحاشية ٢، وقراءة {في ظلال من الغمام} [البقرة: ٢١]، ص ٥٣٦، وحاشية ٢، {بل عجب} [الصفات: ١٢]، ص ٥٤٧، حاشية ١، وقراءة {أن يغل} [آل عمران: ١٦١] وقراءة {ولا تمش في الأرض مرحاً} [الإسراء: ٣٧]، ص ٧٦٤، وحاشية ٣، وقراءة {وأملئ لهم} [الأعراف: ١٨٣]، ص ٧٧٧، وحاشية ٣، وقراءة {نسياً منسياً} [مريم: ٢٣]، ص ٨٠٤.

٥- انظر الدر المنثور، ٤٣١/١

٦- الماوردي، تفسير النكت والعيون، ج ١، ص ٢٣٩

٧- زاد المسير، سورة البقرة، ١٨٦/١

يقدران عليه لكن بمشقة، تلحقهم في أنفسهم، فإن صاموا أجزاءهم وإن افتدوا فلهم ذلك. ففسر ابن عباس- إن كان الإسناد عنه صحيحاً "يطيقونه" بيطوقونه ويتكفونه، فأدخله بعض النقلة في القرآن^١. ومما وظفه الرّاعب لهذا المقصد الفقهي قراءة {حَتَّى يَطْهَرْنَ} وهي قراءة شعبة و حمزة والكسائي وخلف^٢، وفيه إشارة إلى القول الراجح بعدم جواز (إتيان) الزوج للحائض حتى تطهر نفسها بالاغتسال. قال الإمام الطبري في (جامع البيان) في تفسير الآية "فإذا كان إجماع الجميع أنها لا تحلّ لزوجها بانقطاع الدم حتى تطهر، كان بيتاً أنّ أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للبس عن فهم سامعهما، وذلك هو الذي اخترنا "انتهى.

وقد أورد الإمام القرطبي القراءتين في الآية ونسبهما إلى القراء، وذكر أنه ورد في مصحف أبيّ (يتطهرن) ونقل عن أبي علي الفارسي قراءة تخفيف الطاء: "إذ هو ثلاثي، مضاد لطمث، وهو ثلاثي". وقول الفارسي- والله أعلم- مرجوح بتمام سياق الآية {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} [البقرة: ٢٢٢] وبالقراءة الصحيحة الواردة بالتشديد وبما نقل عن مصحف أبي.

وقد تبنى الرّاعب قول الجمهور بقوله: "قال [تعالى]: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} [البقرة: ٢٢٢] فدلّ باللفظين على أنه لا يجوز وطوهن إلا بعد الطهارة والتطهير، ويؤكد ذلك قراءة من قرأ: {حَتَّى يَطْهَرْنَ}.

وقد يستخدم الرّاعب شواهد القراءات أو توجيهه لها في حل ما قد يشكل فهمه على البعض، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {إِذْ قَالَ أَلْحَارِثِيُّونَ يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ} [المائدة: ١١٢]؛ حيث يلتبس على فهم القارئ للآية ممن ليس على معرفة بالتفسير أنّ الحواريين ممكن أن يكونوا شكوا-قبل تلك الواقعة بقدرة الله تعالى- وهو ما يتعارض مع ما ورد في القرآن من مدحهم، والطلب من المؤمنين الاقتداء بهم^٣ وكذلك يتعارض مع سياق الآية؛ حيث الآية السابقة عليها مباشرة: {وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى أَلْحَارِثِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١] قال الرّاعب-رحمه الله-: " وقوله تعالى: { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً} [المائدة: ١١٢] فقيل: إنهم قالوا ذلك قبل أن قويت معرفتهم بالله، وقيل إنهم لم يقصدوا قصد القدرة، وإنما قصدوا أنه: هل تقتضي الحكمة أن يفعل ذلك؟ وقيل: يستطيع ويُطيع بمعنى واحد ومعناه:

١- الجامع لأحكام القرآن، ٢/٢٨٧، ويُفهم من كلام القرطبي - رحمه الله - أنّ قراءة ابن عباس {يطوقونه} تفسيرية.

٢- اتحاف فضلاء البشر، ص ١٥٧

٣- كقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [الصف: ١٤]

هل يُجيب؟ كقوله: { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } [غافر: ١٨] أي يجاب، وقرئ: { هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ } أي: سؤال ربك...^١.

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } [يوسف: ١١٠]^٢ في حين القراءة في المصاحف المطبوعة بقراءة حفص عن عاصم (كُذِّبُوا) وهي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي^٣. قال الراغب- رحمه الله- "وقوله: { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا }"^٤ أي: علموا أنهم تلقوا من جهة الذين أرسلوا إليهم بالكذب، فر (كُذِّبُوا) نحو: فسقوا وزُنُّوا وخُطُّنوا: إذا نُسبوا إلى شيء من ذلك،... وقرئ { كُذِّبُوا } بالتخفيف،... أي: ظنَّ المرسلُ إليهم أنَّ [المرسلين]^٥ قد كذبوهم فيما أخبروهم به أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب، وإنما ظنوا ذلك من إمهال الله تعالى إياهم، وإملائه لهم^٦."

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } [الأنبياء: ٨٧] "أي لن نصيق عليه، وقرئ (لَنْ نُقَدِّرَ عَلَيْهِ) ومن هذا المعنى اشتقَّ الأقدَرُ أي القصير العنق، وقرئ: يضع حافر رجله موضع حافر يده..."^٧.

التَّوْجِيهِ الصَّرْفِي لِلْقَرَاءَاتِ عِنْدَ الرَّاْغِبِ فِي (المفردات)

غالباً ما يكون التَّعامل مع القراءات عند الرَّاْغِبِ - رحمه الله - من الوجهة النَّصْرِيَّةِ مقتصرأ على التَّوسُّعِ في ذكر الصِّيغِ الصَّرْفِيَّةِ، ومن ذلك:

- قوله: " وقوله تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } [الغاشية: ١٧]، قيل أريد بها السَّحاب وفي ذلك إشارة إلى قول أبي عمرو بن العلاء: ومن قرأها بالتثقيب قال: الإبل السَّحاب التي تحمل الماء للمطر.^٨

١- انظر المفردات: مادة طوع، ص ٥٣١، ٥٣٠ وقراءة (تستطيع ربك) هي قراءة الكسائي، والباقون (يستطيع ربك)
٢- في (المفردات) قد كُذِّبُوا والصَّوَابُ الَّذِي يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْكَلَامُ تَشْدِيدُ الدَّالِ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمر وابن عامر، انظر كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، مرجع سابق، ص ٣٥١
٣- نفسه، ص ٣٥٢
٤- كذا، والصواب { كُذِّبُوا } وبتركه على التخفيف يقع الاضطراب في الكلام!
٥- كذا، والصواب: (المرسل)
٦- مادة كذب، ص ٧٠٤
٧- مادة قدر، ٦٥٩، قال القرطبي في الجامع ٢٣٦/١١، "وقرأ عمر بن عبد العزيز والزهري (ظَنَّ أَنْ لَنْ نُقَدِّرَ عَلَيْهِ) وقرأ عبيد بن عمير وقتادة والأعرج (لَنْ يُقَدِّرَ عَلَيْهِ) بضم الياء مشدداً على الفعل المجهول. وقرأ يعقوب وعبد الله بن أبي اسحق والحسن وابن عباس أيضاً (يُقَدِّرَ عَلَيْهِ) بياء مضمومة وفتح الدال مخففاً على الفعل المجهول، وعن الحسن أيضاً (ظَنَّ أَنْ لَنْ يُقَدِّرَ عَلَيْهِ) الباقون (نُقَدِّرَ) بفتح النون وكسر الدال، وكله بمعنى التقدير.
٨- المفردات، ص ٦٠، حاشية ١ انظر اللسان: إبل، ٥/١١، وتفسير القرطبي، دار التراث، ٣٥/٢٠.

- وقوله: " وقال تعالى: { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } [التكوير: ١٢] وقرئ بالتخفيف" ^١.
- وقوله: " الشقاوة خلاف السعادة، وقد شقي يشقى شقوةً، وشقاوةً، وقرئ: { شِقْوَتُنَا } و { شِقَاوَتُنَا } [المؤمنون: ١٠٦] ^٢
- وقوله: "والظهار: أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، يقال: ظاهر من امرأته قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ } [المجادلة: ٣] وقرئ (يظَاهرون) أي يتظاهرون فأدغم ويظهورون" ^٣
- وقد يعتني بتخريج بعض القراءات بعد ذكر الصيغ الصرفية الواردة في قراءتها، ومن ذلك:
- قوله: " وقوله تعالى: { أَمْرًا مُتْرَفِيهَا } [الإسراء: ١٦] أي أمرناهم بالطاعة، وقيل: معناه أكثرناهم. وقال أبو عمرو: لا يقال أَمَرْتُ بالتخفيف في معنى كَثُرْتُ وإنما يقال: أَمَرْتُ وأمرت. وقال أبو عبيدة: قد يُقال: أمرت بالتخفيف، نحو: خير المال مهرة مأمورة، وسكة مأبورة" ^٤.
- وقوله: " قال تعالى: { وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا } [البقرة: ٢٥] أي يشبهه بعضه بعضاً، لونا لا طعماً وحقيقة، وقيل متماثلاً في الكمال والجودة، وقرئ قوله تعالى: { مُتَشَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِهٍ } [الأنعام: ٩٩] وقرئ: { مُتَشَبِهًا } [الأنعام: ١٤١] جميعاً، ومعناهما متقاربان. وقال [تعالى]: { إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا } [البقرة: ٧٠] - على لفظ الماضي، فجعل لفظه مذكراً، وتَشَابَهَهُ، أي تتشابه علينا. على الإدغام" ^٥.
- وقوله: "قال تعالى: { تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } [النجم: ٢٢] أي ناقصة أصله: فُعَلَى، فكسرت الضاد للياء ^٦، وقيل: ليس في كلامهم فُعَلَى ^٧.
- وقوله " قال تعالى: { وَأَتَى لَهُمُ التَّنَافُؤُشُ } [سبأ: ٥٢] أي كيف يتناولون الإيمان من مكان بعيد، ولم يكونوا يتناولونه عن قريب في حين الاختيار والانتفاع بالإيمان... ومن همز؛ فإمّا أنه أبدل من الواو همزة، نحو: أقتت في وقتت، وأدور في أدور، وإمّا أن يكون من النَّاش، وهو الطَّلب" ^٨.

١- مادة: سَعَرَ، ص ٤١١ وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، انظر: السبعة في القراءات، ص ٦٤٢.

٢- مادة: شَقَا، ص ٤٦٠ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (شِقْوَتُنَا) بكسر الشين بغير ألف، وقرأ حمزة والكسائي: (شِقَاوَتُنَا) بفتح الشين والألف، وذكر ابن مجاهد رواية عن عاصم يخبر فيها بين القراءتين، انظر: السبعة في القراءات، ص ٤٤٨.

٣- مادة ظهر، ص ٥٤١، حاشية ٢ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (يظَاهرون)، وقرأ عاصم وحده: (يُظَاهرون) خفيفاً بألف وياء مضمومة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (يُظَاهرون)، السبعة في القراءات، ص ٦٤٨.

٤- المفردات، ص ٨٩.

٥- مادة: شَبِه، ص ٤٤٣ قراءة الأعرج، وانظر قراءات هذه اللفظة في: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١/٤٢١.

٦- مادة: ضَمِير، ص ٥١٣.

٧- قال الزجاج - رحمه الله - وإنما لم يقل التحويبيون إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام فُعَلَى صفة، إنما يعرفون الصفات على فُعَلَى بالفتح، نحو: سكرى وغضبى أو بالضم: نحو: حُبلى وفضلى، انظر المعاني، ٤/١٧٧.

٨- مادة: نُوَش، ص ٨٢٩.

- وقوله: " وقد قرئ: { مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ } [الضحى: ٣] تعقيباً بالنقد على قول من قال من العلماء: " لا يستعمل ماضيه واسم فاعله، وإنما يقال: يدَع [بصيغة المضارع] و دَعُ [بصيغة الأمر].^١

الاشتقاق في شواهد القراءات عند الراغب

لم يغب بحث الاشتقاق من شواهد القراءات عند الراغب، خاصة وأنه نصّ في مقدّمة الكتاب على أخذه بالاعتبار "الإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات"^٢. ومع ذلك فقد كانت شواهد الاشتقاق من القراءات التي ذكرها الراغب قليلة، وكذلك كان توقفه عندها مختصراً، ومن ذلك:

- قوله: "قرّ في مكانه يقرّ قراراً، إذا ثبت ثبوتاً جامداً، وأصله من القرّ، وهو البرد، وهو يقتضي السكون، والحرّ يقتضي الحركة"^٣، وقرئ: { وقرن في بيوتكن } [الأحزاب: ٢٣] "°.
- قوله: " وقرأ بعضهم: { ولَبَّاسَ التَّقْوَى } من اللبس: أي السّتر، وأصل اللبس ستر الشّيء، ويقال ذلك في المعاني، يقال: لبست عليه أمره، قال [تعالى]: { وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَاءً يَلْبَسُونَ } [الأنعام: ٩]... ويقال: في الأمر لبسة: أي التباس... "°.
- قوله " وقوله [تعالى]: { لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا } [الأحزاب: ١٣] من قام، أي: لا مستقرّ لكم، وقد قرئ: { لَا مَقَامَ لَكُمْ }؛ من أقام، ويُعبّر بالإقامة على الدوام"^٦.
- قوله "ولحد بلسانه إلى كذا: مال، قال تعالى: { لَسَانُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ } [النحل: ١٠٣] من لحدّ،

١- قرأ الجمهور (ما ودّعك) بتشديد الدال، وعروة بن الزبير، وابن هشام وأبو بحرية وأبو حيوة وابن أبي علقمة بتخفيفها؛ أي ما تركك، واستغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع ووزر.. وقد سمع ودع ووز، قال أبو الأسود: لبت شعري عن خليبي ما الذي غاله في الحب حتى ودّعه

البحر المحيط، ٤٨٥/٨.

للمزيد من الاطلاع على عناية الراغب بخدمة المسائل الصرفية من خلال شواهد القراءات انظر: (المفردات) الحواشي المقترنة بالصفحات فيما يأتي: ١٢٥/٢، ٢٢٣/٣، ٢٤٥/٢، ٤١١، ٣٧٤/٣، ٣٥٠، ٣٧٧/١، ٤٠٠، ٤/٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٢/٢، ٤١٥/٤، ٣، ٤، ٢، ٣، ٤، ٤٢٣/٥، ٤٣٨/٣، ٤٥٥، ٤٦٥/٢، ٥١٣، ٥، ٥٧٦/٦، ٥٨٥/٤، ٦١٠/٣، ٦١٢، ٦٣٤/٥، ٦٤٩/٣، ٦٦٦/١، ٧٠٨، ٧١١، ٧٤٧/٢، ٧٧٣/١، ٧٩٩، ٨٠٦/٢، ٨٠٧/١، ٨١٧/٣.

٢- المفردات، ص ٥٥

٣- مادة: قرّ، ص ٦٦٢

٤- وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي وخلف ويعقوب: انظر الإتحاف، ص ٣٥٥، مرجع سابق، والسبعة في القراءات فيما عدا خلف ويعقوب، ص ٥٢١، ٥٢٢.

٥- مادة: لبس، ص ٧٣٥

٦- المفردات، مادة قوم، ص ٦٩٣ والقراءة بالضّمّ، قراءة حفص وحده، وقرأ الباقر (لا مقام) بفتحها وكذلك أبو بكر عن عاصم، انظر: السبعة في القراءات، ص ٥٢٠.

وقرئ: {يُلجِدُونَ} من ألد، وألحدَ فلان: مال عن الحق^١.

العناية بالنحو في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب

اتخذت العناية بالنحو في (مفردات الراغب) مسارين متوازيين في الغالب، وقد يقع بينهما بعض التداخل نظراً لطبيعتهما التكاملية باعتبارهما مسارين في حقل واحد - من جهة - ولكونهما موجّهين لخدمة هدف واحد هو التفسير اللغوي الذي يدور في دائرة اللفظ القرآني، التي تضيق فتصطبغ بصبغة التفسير اللفظي أحياناً، وتتسع فتصطبغ بصبغة التفسير المعنوي المتفحص للعلاقات الدلالية والتركييبية داخل السياق، وهذان المساران هما:

مسار دراسة الأدوات النحوية، ومسار التوجيه النحوي والإعرابي للآيات القرآنية

أو بعض التراكييب المشتملة عليها الآيات، وهو في كلا المسارين ينهج منهج الاختصار، باعتبار النحو ليس مقصداً رئيساً من مقاصد تأليفه للكتاب الذي يفهم من خطة المؤلف أنه يصب اهتمامه على شرح معاني الألفاظ القرآنية .

فمن أمثلة عنايته بالأدوات النحوية،

وسلوكة في ذلك مسلكا في غاية الاختصار قوله في شرح الأداة النحوية (إذا): " (إذا) يعبر به عن كل زمان مستقبلي، وقد يضمن معنى الشرط فيجزم به، وذلك في الشعر أكثر^٢ " . وهو بهذا الاختصار قد أغفل كثيراً من العناصر التي لا بد أن يقف عندها الباحث الذي يغلب المقاصد والأولويات النحوية، فهو لم يذكر أنها تكون على وجهين: الفجائية، وغير الفجائية وبذلك، فقد اختصر بحثاً واسعاً، وجدلاً عريقاً في التراث النحوي حول إذا الفجائية، كما أغفل مباحث حول خروج إذا غير الفجائية عن الظرفية، وعن الاستقبال، وعن الشرطية^٣ ومن اللافت للنظر أنه -على الرغم من هذا الاختصار - فإنه قد يضمن العبارة الموجزة رأياً يستحق التأمل قوله: " وقد يضمن معنى الشرط فيجزم به " في حين جعل ابن هشام عنواناً لهذه المسألة: " الفصل الثالث: في خروج إذا عن الشرطية " وهو عنوان يقرر تلقائياً أن الأصل في (إذا غير الفجائية) أن تتضمن معنى الشرط، خلافاً لما تنصّ عليه عبارة الراغب.

١- مادة: لحد، ص ٧٣٧ والقراءة: هي قراءة (يُلجِدُونَ) هي قراءة الكسائي وخلف والقراءة (يُلجِدُونَ) هي قراءة الباقي، انظر الاتحاف.

٢- الراغب، المفردات، صفحة ٧٢

٣- يمكن قراءة ذلك كله على قدر من التفصيل في ابن هشام، مغني اللبيب، مرجع سابق، ص ١٢٠-١٣٦

ومما توسّط في الاختصار فيه بحثه في (حتى): وهو في هذه المادة إنما يلخص كلام الرّمانيّ في (معاني الحروف)؛ فعبارة الرّماني هي: " فإذا نصبت الفعل جاز أن تقدّر (حتى) تقدير (كي) إذا جعلت السير سبباً للدخول، وجاز أن تقدّر ها تقدير (إلى) إذا جعلت الدّخول غاية سيرك ^١. في حين جاءت عبارة الرّاغب مختصرة على الوجه الآتي: " فأحدُ وجهي النصب: (إلى أن)، والثاني (كي) " ومع ذلك قد لا يخلو بحثه لبعض الأدوات النحويّة من شيء من التعليق والتّقد، ومن ذلك قوله: ومما ادّعى فيه الزيادة: الباء في قوله: {وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥] " تقديره: لا تلقوا أيديكم، والصحيح أنّ معناه: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة " ^٢.

وهو بهذا القول يردُّ قول من قال بأنّ الباء زائدة داخلة على المفعول، كقول الرّماني: " والمعنى: ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة "، ومثله قول ابن هشام في المغني: " والثاني مما تزداد فيه الباء: المفعول، نحو: {وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} وهذا القول هو قول المبرد، نقله الثعلبيّ في تفسيره ^٤. وقد يكون النقد ظاهراً كما في المثال السابق، وقد يكون كامناً وراء الاختيار البارز في الصورة، ومن ذلك: اختياره قول أبي علي الفارسي بأنّ (حاشا) الاستثنائية " ليس بحرف؛ لأنّ حرف الجرّ لا يدخل على مثله، وليس بحرفٍ لأنّ الحرف لا يحذف منه ما لم يكن مضعّفاً " ^٥.

والذي اختاره الرّاغب هنا هو اختيار سيبويه وجمهور البصريين، " وذهب الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والأخفش وأبو زيد، والفراء وأبو عمرو الشيباني إلى أنها تستعمل كثيراً حرفاً جاراً، وقليلاً فعلاً متعدّياً جامداً لتضمّنه معنى (إلا) وفي اختيار الرّاغب لكلام أبي علي الفارسي تأثر واضح بدفاع الرّماني عن حرفيّة "حاشا"، مستنداً إلى أنّ الفعل قد يشتق من الحرف: ^٦ وكان الأقرب إلى هذا الرأي

- في ظاهر الأمر - أن يأخذ باختيار القول المخالف لسيبويه والجمهور وهو القول بأنها تستعمل كثيراً حرفاً جاراً وقليلاً فعلاً متعدّياً جامداً، خاصّة وأنهم شفعوا تعليلهم بالاشتقاق بتعليل آخر، وهو الشبه بالإلا، ولكنهما - فيما يبدو - نظراً إلى الأصل في هذه المسألة ولم يلتفتا إلى القياس، جريا مع إغفال سيبويه والجمهور له !

١- انظر: تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، طبعة ١٩٧٣، صفحة ١١٩.

٢- الرّاغب، المفردات، مادة: الباء: ١٦١.

٣- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، صفحة ١٤٧.

٤- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة نظير الساعدي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، جزء ٢، ص ٩١.

٥- الرّاغب، المفردات ٢٦٤.

٦- الرّماني، معاني الحروف، صفحة ١١٨.

وقد يبسط القول - نسبياً في بحث بعض الأدوات - مثل الباء - ومع ذلك تجد الكلام يركز إلى أبرز القضايا التي تستحق النقاش مما يتعلق بهذا الحرف، ويختصر في تعداد المعاني التي يأتي الحرف عليها فينبه إلى وظيفة ما اعتاد الناس على تسميته بالحرف الزائد، فيلجأ إلى نوع من التوجيه البلاغي والمنطقي يوضح به فروقا جوهرية في الأمثلة التي يطرحها بين استخدام الحرف (الزائد) وحذفه فيقول: " وبما قالوا تكون (أي الباء) زائدة، نحو { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } [يوسف: ١٧] { وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء: ١١٤]، { وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧]

وفي كل ذلك لا ينفك عن معنى، ربما يدق فيتصور أن حصوله وحذفه سواء، وهما في التحقيق مختلفان، سيما في كلام من لا يقع عليه اللغو، فقله: { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } وبين قولك: (أنت مؤمن لنا) فرق؛ فالمتصور من الكلام إذا نصبت ذات واحده، كقولك: زيدٌ خارج، والمتصور منه إذا قيل: (ما أنت بمؤمن لنا) ذاتان، كقولك: لقيتُ بزيدٍ رجلاً فاضلاً، فإن قوله: رجلاً فاضلاً - وإن أريد به زيد- فقد أخرج في معرض يتصور منه إنسان آخر، فكأنه قال: رأيت برويتي لك آخر هورجلاً فاضلاً.

وبالمنهج نفسه يستمر في التنبيه على ما يرى أنه خلاف المقصود في فهم الآية، وهو ما يمكن أن نسميه بأخطاء المفسرين، وهو نهج يصب عناية فيه ليس على مجرد المعنى الذي يؤديه الحرف في مثل موقع معين، ولكن كيف يؤدي الحرف هذا المعنى في هذا الموقع - بالذات - وهل له فيه خصوصية، بل هل هناك داخل هذه الدائرة - على خصوصيتها - دائرة دلالية أو دوائر أخرى ذات خصوصية من وجه آخر أو باعتبار آخر !

أما مسار التوجيه النحوي والإعرابي للآيات، فيتخذ بدوره عدداً من المناحي، أبرزها :
منحى التقعيد، ومن أبرز خصائصه:

ربط القاعدة بالمعنى، ومن ذلك:

- قوله: " الدَّفْعُ إِذَا عُدِّي بِأَلِيٍّ اقْتَضَىٰ مَعْنَى الْإِنَالَةِ نَحْوُ: { فَأَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء: ٦] وإذا عُدِّي بعن اقتضى معنى الحماية، نحو: { إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا } [الحج: ٣٨] " ^١.
 - وقوله: " والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار؛ تقول: سألته كذا وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر... وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه ^٢.
- المطابقة بين القاعدة ^١ وشرح الشاهد الشعري، ومن ذلك:

١- الراغب، المفردات، مادة دفع، ص ٣١٦.

٢- الراغب، المفردات، مادة: سول، صفحة ٤٣٧.

قوله: والحرز والحرص يتقاربان معنى تقاربهما لفظاً، لكن الحرز يستعمل في الناض^٢ والأمتعة أكثر، والحرص يستعمل في الأمكنة أكثر. وقول الشاعر:

فبقيتُ حرساً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

قيل معناه دهرأ، فإن كان الحرص دلالة على الدهر من هذا البيت فقط فلا يدل؛ فإن هذا يحتمل أن يكون مصدرأ موضوعاً موضع الحال، أي: بقيتُ حارساً، ويدلُّ على معنى الدهر والمدة لا من لفظ الحرص بل من مقتضى الكلام^٣.

التنبيه على ما لا يجوز من وجوه الإعراب، ومن ذلك:

قوله: " وجميع، وأجمع وأجمعون يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر، فأما أجمعون فتوصف به المعرفة، ولا يصحّ نصبه على الحال. نحو قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [الحجر: ٣٠]، فأما جميع فإنه قد ينصب على الحال فيؤكد به من حيث المعنى، نحو: {قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعاً} [البقرة: ٣٨]... "٤.

التنبيه إلى أثر أصل الاستعمال في توجيه الإعراب، ومن ذلك:

قوله: "السفة حقة في البدن، واستعمل في حقة النفس لنقصان العقل، فقيل: {سفة نفسة} [البقرة: ١٣٠] وأصله سفهت نفسه فصرف عنه الفعل، نحو بطرت معيشتها^٥. وقال السمين الحلبي في " الدرّ المصون " قوله: {نفسه} في نصبه سبعة أوجه: أحدها - وهو المختار - أن يكون مفعولاً به، لأنّ ثعلباً والمبرد حكياً أنّ سفة بكسر الفاء يتعدى بنفسه، كما يتعدى سفة بفتح الفاء والتشديد^٦، وحكي عن أبي الخطاب أنها لغة، وهو اختيار الزمخشري^٧.

١- وهي في هذا المثال قاعدة استعمال لفظ، وليست قاعدة نحوية.
٢- قال الأصمعي: [الناض] اسم الذراهم والدنانير عند أهل الحجاز، وإنما يسمونه ناضاً إذ اتحول عيناً بعد أن كان متاعاً، لأنه يقال: "ما نضّ بيدي منه شيء"، اللسان: نضض، ٤/٢٨٣.
٣- المفردات، ص ٢٢٧، البيت للبيد من معلقته، وهو في ديوانه تحقيق: احسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م، ص ٢٥، بلفظ: وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس، السبت ثمانون سنة واللجوج العاصية، قال الأصمعي: [الناض] اسم الذراهم والدنانير عند أهل الحجاز، وإنما يسمونه ناضاً إذ اتحول عيناً بعد أن كان متاعاً، لأنه يقال: "ما نضّ بيدي منه شيء"، اللسان: نضض، ٤/٢٨٣.
٤- الراغب، المفردات، مادة: جمع، صفحة ٢٠٢.
٥- الراغب، المفردات، مادة: سفة، صفحة ٤١٤.
٦- قال صاحب اللسان: مادة: سفة: " وقولهم سفة نفسه... كان الأصل سفهت نفس زيد... فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه، لأنه صار بمعنى سفة نفسه بالتشديد هذا قول البصريين والكسائي، ويجوز عندهم تقديم هذا المنسوب، كما يجوز غلامه ضرب زيد، وقال الفراء: لما حول الفعل من النفس إلى صاحبها خرج ما بعده مفسراً ليذل على أنّ السفة فيه، وكان حكمه أن يكون سفة زيد نفساً لأنّ المفسر لا يكون إلا نكرة.
٧- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد خراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٨ ج ٢، ص ١٢٠، الزمخشري، الكشاف، ص ٩٧.

وقال الشوكاني في فتح القدير: " وقيل: إنَّ نفسه منتصب بنزع الخافض، وقيل هو تمييز، وهذان ضعيفان جداً " انتهى. والراجح أن {نَفْسَهُ} منصوبٌ على التعدية، خلافاً لما اختار الرَّاغِب بقوله: "فصُرِفَ عنه الفعل" لما ذكره الثقاتُ من العلماء أنها لغةٌ في {سَفَهُ} أن تكون بمعنى امتهن نفسه واستخفها، وهو الاختيار المقدم عند الزمخشري في (الكشاف).

منحى التعليل وقد استخدم فيه أشكال التعليل الآتية:

١. التعليل بالحذف، وهو أكثرها وروداً في " المفردات " ومن أمثلته:
 - قوله: " وقد توصف الدار بالآخرة تارة، وتضاف إليها تارة نحو قوله تعالى: {وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ} [الأنعام: ٣٢]، {وَلِدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَنْفَقُوا} [يوسف: ١٠٩] وتقدير الإضافة: دار الحياة الآخرة.
 - قوله: " وقوله تعالى: { إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي } [ص: ٣٢] فمعناه: أحببتُ الخيلَ حبي للخير"، قال الإمام البغوي: "وأصل تركيب {أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ}: أحببتُ الخير حُبًّا فحوَّل التركيب إلى أحببت حبَّ الخير، فصار {حُبَّ الْخَيْرِ} تمييزاً لإسناد نسبة المحبة إلى نفسه لغرض الإجمال ثم التفصيل "٢.
 - قوله في شرح " وقول الشاعر:

سُبْحَانَ مَنْ عُلْقَمَةَ الْفَاخِرِ

قيل: تقديره سبحان علقمة على طريق التهكم، فزاد فيه (من) رداً إلى أصله، وقيل: أراد سبحان الله من أجل علقمة فحذف المضاف إليه "٣.

٢. التعليل بالتقديم والتأخير:

- ومثاله قوله في وصف أضراب المحكم والمتشابه "...وضربٌ لنظم الكلام نحو: {أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِي الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا} [الكهف: ١، ٢] تقديره : الكتاب قِيَمًا ولم يجعل له عِوَجًا "٤
٣. التعليل بالتضمن: ومثاله قوله: " ولتضمن النبا معنى الخير يقال: أنبأته بكذا، كقولك: أخبرته بكذا ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا... "١.

١- الرَّاغِب، المفردات، مادة: آخر، صفحة ٦٨/٦٩

٢- الرَّاغِب، المفردات، مادة: حب، صفحة ٢١٥

٣- المفردات، مادة: سبح، ص ٣٩٣، وعجز البيت للأعشى في ديوانه ص ٩٣؛ وشطره : أقول لما جئني فخره.

٤- المفردات، مادة: شبه، صفحة ٤٤٣، يلاحظ هنا ضعف الارتباط بين تعريف الراجب للمتشابه بأنه: ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، حيث لا صعوبة في فهم العبارة تصل إلى حد الأشكال، ولم يبي الذي يتشابه معه.

وقد يستخدم التعليل في وصف عمل بعض الأدوات، ومن ذلك

- استخدامه التضمين في وصف عمل (إذا)؛ قال: " (إذا) يعبر به عن كلّ زمان مستقبل، وقد يضمن معنى الشرط فيجزم به، وذلك في الشعر أكثر " ٢.
- استخدامه التعليل بالحمل على اللفظ والمعنى في وصف عمل (كلا) قال: كلا في التثنية كـ (كل) في الجمع، وهو مفرد اللفظ، مثني المعنى. عبر عنه بلفظ الواحد مرة اعتباراً بلفظه، وبلغه الاثنان مرة اعتباراً بمعناه، قال تعالى: { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا } [الإسراء: ٢٣] ويقال في المؤنث كلتا " ٣

العناية بالبلاغة

- اتخذت العناية بالبلاغة في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) شكل وقفات قصيرة عابرة وإشارات وتعليقات لبعض استعمالات الألفاظ، حيث يمكن تصنيفها من حيث المضمون إلى العناصر الآتية:
- ١- العناية ببيان الاستعارات، وكثيراً ما يربط ذلك بمسألة التحول الدلالي، ومن ذلك:
 - قوله: " ولما كان السكوت ضرباً من السكون استعير له في قوله: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ} [الأعراف: ١٥٤] " ٤ .
 - ومن لطائف توجيهاته البلاغية مما يتعلق بالاستعارة قوله: " وقوله تعالى: { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } [البقرة: ٩٣] قيل هو من قولهم: أشربت البعير: أي شددت حبلاً في عنقه، قال الشاعر:

فأشربت بها الأقران حتى وقصتها بقرح وقد ألقين كلّ جنين

فكانما شدّ في قلوبهم العجل لشغفهم به، وقال بعضهم: معناه: أشرب في قلوبهم حبّ العجل، وذلك أنّ من عادتهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حبّ، أو بغض، استعاروا له اسم هو أبلغ إنجاع في البدن...

١- الرّاعب، المفردات، مادة: نياً، صفحة ٧٨٩

٢- الرّاعب، المفردات، ص ٧٢

٣- الرّاعب، المفردات، صفحة ٧٢٥

٤- الرّاعب، المفردات، مادة: سكت، صفحة ٤١٦

ولو قيل حبُّ العجل لم يكن له المبالغة، فإنّ في ذكر العجل تنبيهاً أنّ لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تتمحي " ١ .

٢ . العناية فيما إذا كان ورود اللفظ من باب الحقيقة أو المجاز، وهو مما قد تتعلق به بعض الأمور العقديّة. ومن أمثلته:

- قوله: " وأويتُ إليه: رحمته، وتحقيقه: رجعتُ إليه بقلبي... " ٢ .

- ويشبهه في تعليل التسمية قوله: " والخلافُ: شجرٌ كأنه سمي بذلك لأنه يخلف فيما يظنّ به، أو لأنه يخلف مخبره منظره " ٣ .

- ومن لطائف تعليل التسمية تعليلاً مجازياً قوله: " وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة: فيء، قال (تعالى): { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ } [الحشر: ٧]، { وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ } [الأحزاب: ٥٠] قال بعضهم: " سمي ذلك بالفيء الذي هو الظلّ تنبيهاً أنّ أشرف أعراض الدنيا يجري مجرى ظلّ زائل، قال الشاعر:

أرى المال أفياءَ الظلال عشيّة.

وكما قال:

إنما الدنيا كظلّ زائل " ٤ .

٣ . العناية بتعليل استخدام اللفظ للمعنى، وما يرمز إليه، ومن أمثلته:

قوله في تفسير قوله تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطُّغُوتِ } [النساء: ٥١] " إلا أنّ الإيمان هو التصديق الذي معه أمن، " فذلك مذكور على سبيل الدّم لهم، وأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن؛ إذ ليس من شأن القلب - ما لم يكن مطبوعاً عليه - أن يطمئن إلى الباطل " ٥ .

٤ . عناية بالتشبيهات، ومن ذلك:

- قوله: " وقيل للأكل حطمة تشبهاً بالجحيم تصوّراً لقول الشاعر: كأنما في جوفه تنور " ٦ .

١- المفردات، مادة: شرب، ص ٤٤٩، البيت لأحد اللصوص من بني أسد، وهو في البصائر ٣/٣٠٥، انظر اللسان: شرب وقرح اسم وادي القرى. وانظر: المزيد في المواد: سبل: ١٢٣، جزع: ١٩٥، جنّ: ٢٠٤، حصد: ٢٣٨، قبض: ٦٥٢، قبل: ٦٥٤، عمود: ٢، تنتر: ٦٥٥.

٢- الرّاعب، المفردات، مادة: أوى: صفحة ١٠٤.

٣- الرّاعب، المفردات، مادة: خلف، صفحة ٢٩٦.

٤- المفردات، مادة: فيء، ص ٦٥٠ الشطر الأول لم أعثر له على نسبة، والثاني للوزير ابن الزيّات وعجزه: نحمد الله كذا قدرها، انظر الوافي للصفدي ٣٣/٤.

٥- الرّاعب، المفردات، مادة: أمن، صفحة ٩١.

٦- الرّاعب، المفردات، مادة: حطم، صفحة ٢٤٢.

- وقوله: " وقيل للماء الحار في خروجه من منبعه حَمَّة، وروي: "العالم كالحَمَّة يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء " وسمي العرق حميماً على التشبيه... " ^١.
- وقوله: " والسَّعْرُ في السوق: تشبيها باستعار النار " ^٢.
- وقوله: "ويشبه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض؛ إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل، كالمرض المانع للبدن عن التَّصَرُّف الكامل، وإما لكونها مانعة من تحصيل الحياة الأخروية... وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المُضِرَّة... " ^٣.
- ويلاحظ طغيان اهتمام الرَّاعِب في كتاب المفردات بالتقسيمات المنطقية للمعاني على حساب البلاغة، مع أنه كان من الأكمل أن يربط بينهما، فهو لا يشير إلى أنواع التشبيهات، ولا يتوسع بالقدر المناسب في شرح الاستعارات، ولا يتوخى الدقة في استخدام المصطلحات البلاغية حتى في حدود ما وصلت إليه في عصره!
٥. وقد يتوقف عند بعض الكنايات: ومن أمثلة ذلك:
- قوله: " وقال [تعالى]: { وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونُ } [المؤمنون: ٩٨]، وذلك من باب الكناية؛ أي: أن يحضرني الجنّ وكئي عن المجنون بالمحتضر، وعمّن حضره الموت بذلك، وذلك لما نبّه عليه قوله عزّ وجلّ: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦] " ^٤.
- قوله: " وقوله تعالى: { حَمَّالَةَ أَحْطَبٍ } [المسد: ٤] كناية عنها بالنميمة، وحطب فلان بفلان: سعر به، وفلان يوقد بالحطب الجزل: كناية عن ذلك " ^٥.
٦. وقد يبدي بعض الملاحظات فيما يتعلّق بالأسلوب، ومن ذلك:
- قوله: " والجيدر القصير. اشتق ذلك من الجدار، وزيد فيه حرفاً على سبيل التهكم حسبما بيّناه في " أصول الاشتقاق " ^٦.
- وقوله: " والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكيك، وتارة لتعريف المسئول وتنبهه لا ليخبر ويُعلم، وهذا ظاهر، وعلى التبكيك قوله تعالى: { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ }

١- الرَّاعِب، المفردات، مادة: حم، صفحة ٢٥٤/٢٥٥

٢- الرَّاعِب، المفردات، مادة: سعر، صفحة ٤١١

٣- الرَّاعِب، المفردات، مادة: مرض، صفحة ٧٦٥

٤- الرَّاعِب، المفردات، مادة: حضر، صفحة ٢٤١

٥- المفردات، مادة: حطب، ص ٢٤٢، كان هذا الوصف يطلق مجازاً على الراعي الذي يقسو على غنمه، ولعلها كانت معروفة عندهم في وصف نار الدنيا، ثم خصّصت هذه الاستعارة لوصف جهنم.

٦- الرَّاعِب، المفردات، مادة: جدر، صفحة ١٨٩

[التكوير: ٨] " ١

٧. وقد يدخل في العناية بالبلاغة ما سبق ذكره من تقسيمه للمعنى بحسب الاعتبارات، وعنايته بأنواع الدلالات السياقية.

سمات بارزة في منهج الراغب في التفسير في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)

اعتماده التفسير بالمأثور لبيان المعنى .

أولاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم عند الراغب في كتاب المفردات.

يتميز كتاب (المفردات) للراغب الأصفهاني بعنايته المتميزة بالشواهد القرآنية، وبأنه يكثر من جمع الآيات ذات الموضوع الواحد في المادة التي تفضي إلى ذلك الموضوع^٢، ومع ذلك فقد وردت بعض المواد في كتاب (المفردات) من غير شاهد قرآني^٣.

وهو يورد الشاهد القرآني لأحد ثلاثة مقاصد:

١. المقصد التفسيري اللفظي؛ حيث إنه كثيراً ما يعلق بعد شرحه للفظ من الألفاظ أن ذلك إشارة لمعنى ورد في آية أخرى، ومن أمثلة ذلك:

- قوله: "وقوله تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ١٨٢] قيل معناه سنطويهم طي الكتاب، عبارة عن إغفالهم نحو: قوله تعالى: {وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْقَابُنَا مِنْ دُبُرِهِمْ ذِكْرًا} [الكهف: ٢٨] " ٤

- قوله: "وقوله تعالى: {وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا} [نوح: ١٤] قيل هو إشارة إلى نحو قوله تعالى: {خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [الحج: ٥] وقيل: إشارة إلى نحو قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم: ٢٢] " ٥

٢. مقصد الاستدلال للمعنى بالشاهد القرآني، ومن أمثلته:

قوله: " {أَلْحَاقَةٌ * مَا أَلْحَاقَةٌ} [الحاقة: ١، ٢] إشارة إلى يوم القيامة كما فسره بقوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦] لأنه يحق فيه الجزاء " ٦

١- الراغب، المفردات، مادة: سول، صفحة ٤٣٦

٢- انظر على سبيل المثال المواد الآتية: ترف: ٦٦ اجدل: ١٨٩، حم: ٢٥٥، حضر: ٢٤٢، حلف: ٢٥٢، خشع، خشى: ٢٨٣.

٣- انظر على سبيل المثال المواد الآتية: أيم، ص: ١٠٠، أين: ١٠١، خوى: ٣٠٥، رعد: ٣٥٧.

٤- الراغب، المفردات، مادة درج، صفحة ٣١١.

٥- الراغب، المفردات، مادة طور، صفحة ٥٢٨.

٦- مادة حق: ص ٢٤٧

- ومنه الاستدلال بالشاهد القرآني على الفروق بين الألفاظ التي ظاهرها الترادف كقوله: " ويقال: حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس، قال تعالى: {وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} [البقرة: ١٨٨]، والحكم المنخصص بذلك، فهو أبلغ. قال الله تعالى: { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَعِي حَكْمًا} [الأنعام: ١١٤] وقال-عز وجل:- {فَأَبْعَثُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥] قيل: وإنما قال: {حَكْمًا} ولم يقل حاكماً، تنبيهاً أن شرط الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم ولهم حسب ما يستصوبانه من غير مراجعة في تفصيل ذلك...^١.

- ومنه الاستدلال على المعنى المختار من معنوي اللفظ، كقوله: "فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة، واسودادها عبارة عن المساءة، ونحوه: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: ٥٨] وحمل بعضهم الابيضاض والاسوداد على النحو المحسوس، والأول أولى؛ لأن ذلك حاصل لهم سوداً كانوا في الدنيا أو بيضاً، وعلى ذلك دل قوله في البياض: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢]، وقوله في السواد: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة: ٢٤]، {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهُقُهَا قَرَّتْرَةٌ} [عبس: ٤١، ٤٠] وقال: { وَتَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [يونس: ٢٧]^٢.

- ومنه الاستدلال على الشيء بمقابله: ومن ذلك قوله: "وعبر عن كل ما يقبح بالسوأى، ولذلك قوبل بالحسنى، قال: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا أَلْسُوًا} [الروم: ١٠] كما قال: {لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ} [يونس: ٢٦]"^٣.

ومنه قوله: " الصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارةً بالفساد، وتارةً بالسئية " قال تعالى: {خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} [التوبة: ١٠٢]، {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: ٥٦]"^٤.

٣. مقصد التمثيل للمعنى بشاهد قرآني: ويشمل ذلك بقية الشواهد القرآنية الواردة في الكتاب، ومن أمثلتها:

التمثيل لمسائل الاشتقاق، ومن ذلك:

- ١- مادة حكم، ص ٢٤٩
- ٢- الرأغب المفردات، ٤٣٢
- ٣- سوا، ص ٤٤١
- ٤- صلح، ٤٨٩

- قوله: "قال الله عز وجل: {إِذْ أَيْدِيكَ بَرُوحِ الْقُدُسِ} [المائدة: ١١٠] فَعَلَّتْ مِنَ الْأَيْدِ، أَي الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ"^١.

- قوله: " الْجَدَّ قَطَعَ الْأَرْضَ الْمَسْتَوِيَةَ... وَتُصَوَّرُ مِنْ جَدَدَتْ الْأَرْضَ الْقَطْعَ الْمَجْرَدَ... ثُمَّ جَعَلَ لِكُلِّ مَا أُحْدِثَ إِنْشَاؤُهُ... وَسُمِّيَ الْفَيْضُ الْإِلَهِيُّ جَدًّا، قَالَ تَعَالَى {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن: ٣] أَي فَيْضُهُ، وَقِيلَ عَظَمَتُهُ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ..."^٢.

- وقد يقدّم الشاهد القرآني مدخلاً لمناقشة أقوال العلماء في الاشتقاق فيما يتعلق بالمعنى القرآني ومنه قوله: "والخلة: المودة، إمّا لأنها تتخلل النفس، أي: تتوسطها؛ وإمّا لأنها تُحلُّ النفس، فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية؛ وإمّا لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خالته مخالته وخلالاً فهو خليل، وقوله: {وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]... قال أبو القاسم البلخي: هو من الخلة لا من الخلة، قال: ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ، لأنّ الله يجوز أن يحبّ عبده؛ فإنّ المحبّة منه الثناء، ولا يجوز أن يخاله، وهذا منه اشتباه، فإنّ الخلة من تخلل الودّ نفسه ومخالطته..."^٣.

- وقد يستدلّ من السياق القرآني على أصل الاشتقاق، ومن ذلك قوله: "... وقوله: {بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥]، فمن الرجوع، أو من رجع الجواب، كقوله: {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ} [سبأ: ٣١] وقوله: {ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} [النمل: ٢٨] فمن رجع الجواب لا غير، وكذا قوله: {فَنَظَرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥] وقوله: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق: ١١] أي المطر، وسُمِّيَ رجعاً لردّ الهواء ما تناوله من الماء"^٤.

الاستشهاد للمسائل الصرفيّة، ومنه :

الاستشهاد لمعاني الصيغ الصرفيّة، ومن ذلك قوله:

- " وقوله تعالى: {مَاتِيًّا} [مريم: ٦١] مفعول من أتيته. قال بعضهم: معناه آتياً فجعل المفعول فاعلاً وليس كذلك بل يقال: أتيت الأمر وأتاني الأمر، ويقال أتيته بكذا وآتيته كذا. قال تعالى: {وَأْتُوا بِهِ مُتَشَبِّهًا} [البقرة: ٢٥] وقال تعالى: {فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِيلَ لَهُمْ بِهَا} [النمل: ٣٧] وقال تعالى:

١- مادة: أيد، ص ٩٧

٢- مادة: جد، ص ١٨٧

٣- المفردات، مادة: دخل، ص ٢٩١، وأبو القاسم البلخي، عبد الله بن أحمد، من رؤوس المعتزلة، توفي ٣١٧هـ، ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٤٥/٣.

٤- مادة: رجع/ ٣٤٢، وانظر مزيداً من الأمثلة: مادة أتل/ص ٦١، أج/ص ٦٤، أدير/٦٩، آدم/٧٠، أرك/٧٣، أله/٨٢، أيد/٩٧، أول/٩٩، أي/١٠١، بحر/١٠٩، بس/١٢٢، بعثر/١٣٣، بكر/١٣٨، بك/١٤٠، بكر/١٤٠، بئر/١٥٣، ترب/١٧٣، جبر/١٨٤، جدل/١٩٠، جرد/١٩١، جم/٢٠٠، حيد/٢٠٧، دبر/٣٠٧، درى/٣١٣، روى/٣٧٦، سحر/٤٠٠، سفر/٤١٢، شرب/٤٤٩، شرط/٤٥٠، شفا/٤٥٩، شكك/٤٦١، صرأ/٤٨١، عتد/٥٤٥، كرب/٧٠٦، مكك/٧٧٢

{ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } [انساء: ٥٤] " ١ .

- قوله: " الأوب ضرب من الرجوع... قال الله تعالى: { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ } [الغاشية: ٢٥] وقال: { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا } [النبأ: ٣٩] والمآب: المصدر منه واسم الزمان والمكان. قال الله تعالى: { وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران: ٤١] " ٢ .

الاستشهاد لما يطرأ على الكلمة من تغيرات صرفية، منه الإدغام كقوله:

- وقوله: " وقال [تعالى]: { بَلْ أَدَارِكْ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ } [النمل: ٦٦] أي تدارك فأدغمت التاء في الدال، وتوصل إلى السكون بألف الوصل، وعلى ذلك قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا } [الأعراف: ٣٨] ونحوه: { أَتَأْقَلْتُمْ إِلَىٰ الْأَرْضِ } [التوبة: ٣٨] و { أَطِيرْنَا بِكَ } [النمل: ٤٧] " ٣ .

الاستشهاد لما يرد عليه اللفظ من صيغ الأفعال والمصادر، ومن ذلك:

- قوله: " يقال: جدد جوداً وجحداً، قال عز وجل: { وَجَدَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ } [النمل: ٤١] وقال عز وجل: { بَايَعْنَا يَجْحَدُونَ } [الأعراف: ٥١] " ٤ .

- قوله: " العَرَضُ خلاف الطول وأصله ان يقال في الأجسام ثم يستعمل في غيرها كما قال تعالى: { فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } [فصلت: ٥١]... وعَرَضْتُ الشيء على البيع وعلى فلان ولفلان، نحو: { ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ } [البقرة: ٣١] و { وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا } [الكهف: ٤٨]، { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ } [الأحزاب: ٧٢]... والعارض: البادي عُرْضَهُ فتارة يختص بالسحاب نحو: { هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا } [الأحقاف: ٢٤]... والعُرْضَةُ ما يجعل معرّضاً للشيء. قال تعالى: { وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهُ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ } [البقرة: ٢٢٤]... وأعرض أظهر عُرْضَهُ أي ناحيته، فإذا قيل أعرض لي كذا، أي بدا عرضه فأمكن تناوله، وإذا قيل أعرض عني، فمعناه ولى مبدياً عرضه. قال { ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا } [السجدة: ٢٢]... والعَرَضُ ما لا يكون له ثبات... قال تعالى: { تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } [الأنفال: ٦٧] وقال تعالى: { يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ } [الأعراف: ١٦٩]... والتعريض كلام له وجهان... قال تعالى: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ } [البقرة: ٢٣٥] " ٥ .

١- المفردات، مادة: أتى، ص ٦١

٢- المفردات : ، ص ٩٧، وتناوب الأبنية الصرفية له اتصال بعلم البيان، من حيث هو مجاز مرسل علاقته الاشتقاق.

٣- الراغب، المفردات، مادة درك، ٣١٢، البحث الصوتي في مصنفات ذلك العصر كان متضمناً في علم الصرف وعليه جرى الكلام في هذه الفترة.

٤- الراغب، المفردات، مادة جدد، ص ١٨٧

٥- الراغب، المفردات، مادة عرض، ص ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١

الاستشهاد لصيغ الإفراد... والجمع، ومنه:

- قوله: "الحوايا جمع حويّة، وهي الأمعاء... وأصله من حويت كذا حويباً وحواية، قال الله تعالى:
{ أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ } [الأنعام: ٤٦] "١
- ومن استشهادها لما يصلح للواحد والجمع قوله: "والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً، وعلى ذلك قوله تعالى: { وَمِنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ } [الأنفال: ٦٠] ويستعمل في كل واحد منهما منفرداً... "٢
- ومنه قوله: وقوله [تعالى] { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ } [النمل: ٨٢] فقد قيل إنها حيوان بخلاف ما نعرفه يختصّ خروجها بحين القيامة، وقيل عني بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب "٣.
- وقوله: "والرسول يقال للواحد والجمع، قال تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أُنْفُسِكُمْ } [التوبة: ١٢٨] وللجمع { فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء: ١٦] "٤.
- ومن استشهادها للفروق في المعنى بسبب اختلاف صيغة اللفظ بين إفراد وتثنية وجمع، قوله: والمشرق والمغرب إذا قيلاً بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب، وإذا قيلاً بالتثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا قيلاً بلفظ الجمع فاعتباراً بمطلع كل يوم ومغربه، قال تعالى: { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [الشعراء: ٢٨] { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } [الرحمن: ١٧]، { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [المعارج: ٤٠] "٥.
- ومنه التمثيل لتناوب الأبنية الصرفية، ومن أمثلته:
- قوله: " والزرع في الأصل مصدر، وعُبر به عن المزروع نحو قوله: { فَنُخْرِجْ بِهِ زَرْعاً } [السجدة: ٢٧] "٦.
- التمثيل للمعنى المجرد: ويشمل ذلك النسبة العظمى من الشواهد القرآنية في الكتاب، ومن ذلك:

١- الرّاعب، المفردات، مادة حوى، ص ٢٧١
٢- الرّاعب، المفردات، مادة خيل، ص ٣٠٤
٣- الرّاعب، المفردات، مادة دب، ص ٣٠٦
٤- المفردات، مادة رسل، ص ٣٥٣
٥- المفردات: مادة شرق، ص ٤٥١.
٦- المفردات: مادة زرع، ص ٣٧٩

- قوله: " والأجرُ والأجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو آخروياً، نحو قوله تعالى: { إنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ } [يونس: ٧٢]، { وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [العنكبوت: ٢٧]، { إنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ } [يوسف: ٥٧] " ^١.

- قوله: " الجَدُّ: كسر الشيء وتفقيته، ويقال لحجارة الذهب المكسورة، ولقنات الذهب: جذاذ، ومنه قوله تعالى: { فَجَعَلَهُمْ جُذًا } [الأنبياء: ٥٨]... " ^٢.

التمثيل للوجوه الدلالية، ومن أمثله:

- قوله: "... والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما في الأجسام ... أو تستعمل في الحفظ نحو قوله تعالى: { إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ } [فصلت: ٥٤]

والثاني في العلم نحو قوله: { أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: ١٢]، وقوله -عزّ وجل-: { إنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ } [آل عمران: ١٢٠]، وقوله: { إنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ } [هود: ٩٢] " ^٣.

التمثيل لمجال الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله: " الرَّمِي يقال في الأعيان كالسهم والحجر، نحو: { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ } [الأنفال: ١٧] ويقال في المقال كناية عن الشتم، كالقذف، نحو: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ } [النور: ٦]... " ^٤.

- قوله: " الكسب ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ... وقد ورد في القرآن في فعل الصّالحات والسّيئات، فمما استعمل في الصّالحات قوله: { أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا } [الأنعام: ١٥٨] وقوله: { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً } إلى قوله: { مِمَّا كَسَبُوا } [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢] ومما يُستعمل في السّيئات: { أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ } [الأنعام: ٧٠] { أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } [الأنعام: ٧٠] " ^٥ وذكر بعض الشواهد.

التمثيل (لضروب اللفظ المعرف)، ومن ذلك:

- قوله: " قال بعضهم: البيان يكون على ضربين: أحدهما بالتّسخير، وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار الصنعة، والثاني بالاختيار، وذلك إمّا أن يكون نطقاً أو كتابة أو إشارة. فمما هو بيان بالحال قوله [تعالى]: { وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

١- المفردات: مادة أجر، ص ٦٤

٢- المفردات: مادة جد، ص ١٩٠

٣- المفردات: مادة حيط، ص ٢٦٥

٤- المفردات: مادة رمى، ص ٣٦٦، ويلاحظ هنا استخدامه مصطلح الكناية مكان الاستعارة، وذلك دليل على عدم استقرار المصطلح البلاغي في عصره.

٥- المفردات: مادة كسب، ص ٧٠٩، ٧١٠

مُبينٌ} [الزُّخْرَف: ٦٢]؛ أي كونه عدوًّا بيِّن في الحال،... ومما هو بيان بالاختيار: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [التَّحْلُ: ٤٣، ٤٤، ٤٥].^١

- قوله: " والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة، والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتسخير: كإرسال الريح والمطر، نحو: {وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا} [الأنعام: ٦] وقد يكون ببعث من له اختيار، نحو إرسال الرُّسُل، قال تعالى: {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} [الأنعام: ٦١]، {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الشعراء: ٥٣] وقد يكون بالتخليئة، وترك المنع نحو قوله [تعالى]: {أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أُوَّارًا} [مريم: ٨٣].^٢

- قوله: "وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبذلك يستحق الثواب، نحو قوله [تعالى]: {فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم: ٦٢] وسجود تسخير، وهو للإنسان والحيوانات والنبات، وعلى ذلك قوله: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد: ١٥] فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل عظيم، وقوله: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ} [النحل: ٤٩] ينطوي على نوعين من السجود: التسخير والاختيار.^٣

- قوله: "أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: صادقة وكاذبة فالصادقة ما يخلت البدن من دونه، كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يخلت من دونه... وقوله تعالى: {رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} [آل عمران: ١٤] يحتتمل الشهوتين، وقوله: {وَأَتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ} [مريم: ٥٩] هذا من الشهوات الكاذبة، ومن المشتبهات المستغنى عنها، وقوله في صفة الجنة: {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ} [فصلت: ٣١]..."^٤

التمثيل للتطور الدلالي (أثر الاستعمال): فمن أمثلته

تحول الدلالة بسبب تطور الاستعمال:

- ١- الرَّاغِب المفردات: مادة بان، ص ١٥٧
- ٢- الرَّاغِب، المفردات: مادة رسل، ص ٣٥٣
- ٣- الرَّاغِب، المفردات: مادة سجد، ص ٣٩٦
- ٤- الرَّاغِب، مادة شها: ص ٤٦٨، لم يقبل جواب القول في العبارة الأخيرة-ربما اعتماداً على فهم القارئ- انظر مزيداً من الأمثلة: الرَّاغِب، مادة: شفا ٤٦١، شهد ٤٦٦، شها ٤٦٩، صدق ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٧٩، ٤٧٩، ٥٠٥، عقل ٥٧٨، غيظ ٦١٩، فتح ٦٢١، فضل ٦٣٩، فقر ٦٤١.

- قوله: "ويستعار الرَّجْم للرمي بالظن، والتوهم، وللشتم والطرْد، نحو قوله تعالى: { رَجْمًا بِالْغَيْبِ } [الكهف: ٢٢]... وقوله تعالى: { لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا } [مريم: ٤٦] أي لأقولنَّ فيك ما تكره، والشيطان الرَّجِيم المطرود من الخيرات، وعن منازل الملائكة الأعلى قال تعالى: { فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [النحل: ٩٨] وقال تعالى: { فَأَخْرَجُ مِنْهَا فِتْنًا رَجِيمًا } [الحجر: ٣٤]، وقال في الشهب { رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ } [الملك: ٥] .^١
- قوله: "طلع الشمس طلوعاً ومطلعاً، وعنه استعير طلع علينا فلان، قال تعالى: { هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ } [الصافات: ٥٤]، { فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ } [غافر: ٣٧]، وقال: { أَطَّلَعَ الْغَيْبَ } [مريم: ٧٨]، { لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ } [القصص: ٣٨] .^٢
- التمثيل بالشاهد القرآني لتخصيص دلالة اللفظ نتيجة تطور الاستعمال، ومن ذلك:
- قوله: "الإيتاء الإعطاء، وحُصَّ دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء، نحو { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ } [البقرة: ٢٧٧]، { وَإِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ } [الأنبياء: ٧٣]..."^٣
- قوله: "والاتفاق: مطابقة فعل الإنسان القدر، ويقال ذلك في الخير والشر، يقال اتفق لفلان، واتفق له شر، والتوفيق نحوه، لكنه يختص في التعارف بالخير دون الشر. قال تعالى: { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } [هود: ٨٨] ."^٤
- التمثيل بالشاهد القرآني لتعميم دلالة اللفظ نتيجة لتطور الاستعمال، ومن ذلك:
- قوله: "وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء المالح دون العذب، وقوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } [الفرقان: ٥٣] إنما سمي العذب بحراً لكونه من الملح، كما يقال للشمس والقمر: قمران، وقيل للسحاب الذي كثر ماؤه: بنات بحر"^٥.
- قوله: "والحديد معروف، قال عز وجل: { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } [الحديد: ٢٥]... ثم يقال لكل ما دق في نفسه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد... قال عز وجل: { فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } [ق: ٢٢]..."^٦

١- الرَّاعِب، مادة رجم : ص

٢- الرَّاعِب، مادة طلع: ص، ٥٢٢، انظر المزيد من الأمثلة في المواد: رجم: ٣٥٩، رقب، ٣٦١، طلق، ٥٢٣، عجز، ٥٤٧، غر، ٥٥٥، عز، ٥٦٣، عقد، ٥٧١، غلا، ٦٣١، فرج، ٦٢٨، قبس، ٦٥٢، سال، ٤٣٧، شرح، ٤٤٩، شرح، ٤٥٠، شطط، ٤٥٣، شعر، ٤٥٦، شعل، ٤٥٧، صعد، صوب، ٤٩٥، ضحك، ٥٠١، قذف، ٦٦٢، قرف، ٦٦٧، قسم، ٦٧٠، قل، ٦٨٠، كشط، ٧١٢، نضد، ٨١٠، نكب، ٨٢٢، هضم، ٨٤٤، هلل، هود، ٨٤٧، وجد، ٨٥٤، وجه، ٨٥٥، وادي، ٨٦٢، وقد، ٨٧٩، وقى، ٨٨١، يد، ٨٩٠.

٣- الرَّاعِب، المفردات، مادة: أتى، ص ٦١

٤- الرَّاعِب، المفردات، مادة: وفق، ص ٨٧٧

٥- الرَّاعِب، المفردات، مادة: بحر، ص ١٠٨

التَّمثِيلُ بِالشَّاهِدِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى الْفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- قوله: " والخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف، قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ أَن يَأْتِيَهُ الْكُوفِيُّ الَّذِينَ عُودُوا إِلَىٰ آلِهِ} [طه: ٦٧] واستعمل استعمال الخوف في قوله: {وَأَلْمَلَيْكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ} [الرعد: ١٣] وقوله: {تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} [الرؤم: ٢٨] أي كخوفكم، وتخصيص لفظ الخيفة تنبيهاً أن الخوف منهم حالة لازمة لا تفارقهم...^٢.

ومن الفروق ما يتعلق بمجالي دوران اللفظين المتقاربين: مثل قوله: وقوله [تعالى]: { وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً } [الشورى: ٤٨] فإنه استعمل في الرحمة الإذاقة، وفي مقابلتها الإصابة، فقال: { وَإِن تُصِيبُهُمُ سَيِّئَةٌ } [الشورى: ٤٨] تنبيهاً على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعم يأشر ويبطر، إشارة إلى قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ} [العلق: ٦، ٧] "٣

- ومن الفروق ما يتعلق بمعاني صيغ المصادر، ومن ذلك قوله: يقال رابني كذا، وأرابني، فالريب: أن نتوهم فيه أمراً، فلا ينكشف عما تتوهمه فيه، قال تعالى: { وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا } [البقرة: ٢٣] تنبيهاً أن لا ريب فيه... والارتياب يجري مجرى الإرابية، قال [تعالى]: { أَمْ أَرْتَابُونَ أَمْ يَخَافُونَ } [النور: ٥٠]، { وَتَرَبَّصُّمْ وَأَرْتَبْتُمْ } [الحديد: ٤]، ونفى عن المؤمنين الارتياب فقال { وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ } [المدثر: ٣١]، وقال: {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: ١٥]٤.

التَّمثِيلُ لِلْفُرُوقِ فِي مَعْنَى اللَّفْظِ بِاخْتِلَافِ الْعَتَبَارِ الْمَنْظُورِ فِيهِ إِلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- قوله: "الجدار: الحائط، إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان، والجدار يقال اعتباراً بالنُّوِّ والارتفاع، وجمعه جُدُر. قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ} [الكهف: ٨٢] وقال: {جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ} [الكهف: ٧٧] وقال تعالى: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر: ١٤] "٥.

- قوله: " أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت، قال تعالى: {أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ} [آل عمران: ٤٤] [١٤٤] وقوله: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} [الأنفال: ١٧] "١.

١- الرَّاغِب، المفردات، مادة: حد، ص ٢٢١

٢- الرَّاغِب، المفردات، مادة: خوف، ٣٠٣

٣- الرَّاغِب، المفردات، مادة: نوق، ٣٣٣.

٤- مادة ريب/ ٣٦٨، وانظر المزيد: عوم/ ٥٩٨، فرق/ ٦٣٢، قبل/ ٦٥٣، قتل/ ٦٥٥، كن/ ٧٢٧، لدن/ ٧٣٩

٥- مادة جدر/ ١٨٩

استشهاد الرّاعب بالحديث الشريف في كتاب (المفردات)

أورد الرّاعب في كتابه: (مفردات ألفاظ القرآن) خمسة وأربعين وثلاثمائة شاهداً بصيغ رواية تنصّ أحياناً، وتشير أحياناً إلى أنّ المرويّ حديث نبوي شريف، ويستخلص من مجمل ما ذكر من أحكام على الأحاديث الواردة في الكتاب والمثبتة في حواشيه أنّه غلب على هذه الأحاديث نسبة الحديث الصحيح، حيث بلغت ما يزيد على نصف الأحاديث، فإذا أضيف الحسن إلى الصحيح بلغا معاً ما يقارب ثلثي الأحاديث، ثم كانت نسبة الضعيف تعادل ما يقارب السُدس، وتوقف محقق المفردات - فيما أحصته هذه الدراسة - فيما يقارب سُدس هذه الأحاديث.

وكان استشهاد الرّاعب بهذا القدر من الأحاديث الشريفة موزعاً على المقاصد التأليفية للكتاب،

على غرار ما سبق:

فمن الاستشهاد للمعنى المعجمي: قوله: "الإبء شدة الامتناع، فكلّ إبء امتناع وليس كلّ امتناع إبء...ورؤي "كلكم في الجنة إلا من أبي"^٢.

ومن الاستشهاد للاشتقاق:

قوله: "...وقال تعالى: {وَلَا يَأْتَلُ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ} [النور: ٢٢] قيل: هو يفتعل من ألوت، وقيل هو من آليت: حلفت...وردّ هذا بعضهم بأنّ افتعل قلما يبنى من "أفعل" إنما يبنى من "فعل" وذلك مثل: كسبتُ واكتسبت، وصنعتُ واصطنعت، ورأيتُ وارتأيتُ، ورؤيَ "لا دريت ولا اتلتيت" وذلك: افتعلت من قولك ما ألوته شيئاً، كأنه قيل: ولا استطعت"^٣

ومن الاستشهاد لمعاني الصيغ الصرفية:

قوله: "وقوله [تعالى]: {أُمَّةٌ تُعَاسَى} [آل عمران: ١٥٤] أي: أمناء، وفي حديث نزول المسيح: "وتقع الأمانة في الأرض وقيل هي جمع كالكتبة"^١.

١- الرّاعب، المفردات، مادة قتل/٦٥٥

٢- المفردات، مادة أبي، ص٥٨، وانظر الحاشية ٥، "الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى. أخرجه البخاري، انظر الصحيح مع فتح الباري ٢٤٩/١٣، باب الاعتصام بالسنة، وأحمد في المسند ٣٦١/٢ قال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه الطبراني في الأوسط ورجالهم رجال الصحيح أيضاً، انظر مجمع الزوائد ٧٣/١٠ انتهى، وانظر في الاستشهاد للمعنى المعجمي الأحاديث المشار إليها بالحواشي والصفحات التالية: المفردات: ١٢٢/١، ١٥٨/٢، ١٨٨/٤، ٢٦١/٣، ٦١٦/٣.

٣- المفردات، مادة إلى، ص٨٤، هذا جزء من الحديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري، انظر فتح الباري ٢٣٢/٣، ومسلم في الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت، رقم الحديث ٢٨٧٠.

ومن الاستشهاد للتطور الدلالي:

- الاستشهاد لانتقال الدلالة، ومنه:

قوله: "وتستعار البطانة لمن تختصه بالاطلاع على باطن أمرك... وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه"^٢.

- الاستشهاد لتعميم الدلالة ومنه:

قوله: "الرعي في الأصل حفظ الحيوان... ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعياً، وروى: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته"^٣.

- ومن الاستشهاد لتخصيص الدلالة:

قوله: "والحباله خُصت بحبل الصائد، جمعها حبال، وروى: (النساء حبال الشيطان)"^٤.

ومن الاستشهاد لبيان أضرب اللفظ المعرف:

قوله: "والبغي على ضربين: أحدهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام: "[الحق بين، والباطل بين]، وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن رجع حول الحمى أوشك أن يقع فيه"^٥.

ومما جاء من الاستشهاد على سبيل نواذر المعاني:

قوله: "الإحصاء التحصيل بالعدد... وروى "استقيموا ولن تحصوا"^٦

١- المفردات، مادة أمن، ص ٩٠، ٩١، وهذا جزء من حديث طويل، وقال ابن كثير في تفسير الآية بعد ذكر إسناده: وهذا إسناده جيد قوي.

٢- المفردات، ص ١٣١، الحديث أخرجه النسائي ١٥٨/٧، وأحمد ٢٣٧/٣ والترمذي ٢٣٧٠ وقال: حسن صحيح.
٣- الرأغب، المفردات، مادة رعي، ص ٣٥٧، الحديث حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في الأحكام ١٠٠/١٣، ومسلم في الإمارة برقم (١٨٢٩) وانظر شرح السنة ٦١/١٠.

٤- المفردات، مادة حبل، ص ٢١٧ الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية، والعجلوني في كشف الخفاء ٤/٢ وحسنه أبو محمد ابن الفرّس (هو الفقيه المحدث عبد المنعم بن محمد الأنصاري، شيخ المالكية بغرناطة قال ابن الأبار: ألف كتاباً في أحكام القرآن من أحسن ما وضع في ذلك. هـ، ترجمته في سير أعلام النبلاء) فيما ذكره محقق (المفردات).

٥- الرأغب، المفردات، مادة بغي، ص ١٣٦، صواب ما بين الإشارتين: "الحلال بين والحرام بين" وهي جزء من حديث النعمان بن بشير أخرجه البخاري في الإيمان، انظر فتح الباري ١/١٦٦، ومسلم في المساقاة رقم ١٥٩٩.

٦- الرأغب، المفردات، مادة حصا، ص ٢٤٠، ٢٤١، "الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن" الحديث صحيح، أخرجه مالك في الموطأ، ٣٤/١ في الطهارة. انظر التمهيد لابن عبد البر مكتبة ابن تيمية، ج ٢، ص ٣١٨، رقم ٤٦٩٢، وباب بلاغات مالك ومرسلاته.

- الاستشهاد للنحو، ومنه: قوله: "وقيل إن ما بعد حتى يقتضي أن يكون بخلاف ما قبله، نحو قوله تعالى: {وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا} [النساء: ٤٣] وقد يجيء ولا يكون كذلك نحو ما روي: "إن الله تعالى لا يملّ حتى تملوا"^١ لم يقصد أن يثبت ملالا لله تعالى بل ملالهم. ويلحظ المرء في تتبعه لصيغ الرواية الواردة في كتاب (المفردات) :
- خلّوها جميعاً من ذكر الأسانيد، وبذلك يتعدّر على المتتبع معرفة واحدٍ من شيوخه فيستدل به على تحديد طبقتة تحديداً دقيقاً.
- استخدامه صيغا مختلفة في الرواية مثل: "وروي "

الشاهد الشعري في كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني

يرتبط الشاهد الشعري بالتفسير ارتباطاً وثيقاً يعيد إلى الأذهان ذلك التساؤل عن علاقة الإسلام بالشعر، بل لعل هذا الارتباط الوثيق بين الشاهد الشعري وتفسير القرآن يمثل - بحد ذاته - جواباً عملياً على ذلك التساؤل، علماً بأنّ العلماء لم يألوا جهداً في الجواب عن هذا التساؤل، والتوفيق بين ما ظهره التعارض من الأحاديث في الحث على تعلم الشعر أو روايته أو النهي عنهما، ومن تلك الجهود ما أورده ابن جرير الطبري في (تهذيب الآثار)^٢.

ومنها ما أورده بسنده من حديث جابر بن سمره، قال: جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار ويتذكرون أمر الجاهلية، فربما تبسم"^٣.

وما أورده من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنّ أصدق كلمة بيت قاله الشاعر:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل"^٤

١- الراغب، المفردات، مادة حتى، ص ٢١٨، الحديث: عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا" الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ١٨٤٤، ١٠٩٠، ٤٢٠٩١، ٥٤٤١، وهو في صحيح مسلم بلفظ: لايسأم الله حتى تسأموا- ١٣١٣، ١٣١٤، وباللفظين عند أحمد بن حنبل ٢٥٥٣٩، ٢٥٥١٢ والأسماء والصفات للبيهقي رقم ٥٨٩٩.

٢- انظر الطبري في تهذيب الآثار، القسم الثاني، تحقيق: ناصر بن سعد الرّشيد، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ، الصفحات ١- ٤٩.

٣- الطبري، تهذيب الآثار، حديث رقم ٢٦٩٣، ص ١١ وفيها: أخرجه الترمذي في سننه: ٢١٨/٤، وأنه قال: "هذا حديث حسن صحيح وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧١٢/٨، ٧١٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٤٠/١٠، قال: "مع بعض الاختلاف في اللفظ"، والحافظ في الفتح: ٥٤٠/١٠ عن أحمد وابن أبي شيبة والترمذي، وصحّحه، والمثقي في الكنز: ٨٥٨/٣ عن ابن جرير والطبراني".

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، ١٧٦٨/٤، بلفظ: "أصدق بيت قاله الشعراء" والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٧/١٠ وأبو نعيم في الحلية: ٢٠١/٧، انظر الطبري، تهذيب الآثار، القسم الثاني، ص ٢٦، حاشية ٣.

وقد أتبع ابن جرير ذلك بذكر مزيد من الأخبار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، تصف حبهم للشعر، وممارستهم لقوله وللمناظرة فيه، ونقده.^١

ويسوق البحث في مسألة دور الشاهد الشعري في تفسير القرآن بطبيعة الحال إلى الحديث عن منهج ابن عباس في التفسير باعتباره المؤسس لظواهر كثيرة قام عليها التفسير اللغوي اتخاذ أشعار العرب مصدراً من مصادر التفسير؛ فمن ذلك ما رواه ابن جرير من حديث عكرمة أشعار أن ابن عباس قال: "الشعر ديوان العرب، هو أول علم العرب، عليكم بشعر الجاهلية، شعر الحجاز".^٢ وكذلك فليس مما يتفق وطبيعة البحث - والله تعالى أعلم - أن يغفل في هذا المقام ما يتعلق بمسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وهي المسائل التي قام عليها منهج الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن الكريم، خاصة وأنه وجهت لأسانيد المسائل ومتونها انتقادات تستحق التأمل منها:

١. صعوبة تصديق وقوع كل هذه المسائل في مجلس واحد، وأن يكون بعض الحاضرين قد حفظ ذلك كله.

٢. أن بعض الألفاظ المسؤول عنها ليست من الغريب الذي يحتاج أن يسأل عنه ويجاب من أمثال نافع بن الأزرق!

٣. استشهاد ابن عباس بأشعار الإسلاميين، في حين كان مطلب نافع السؤال عما قالته العرب قديماً.^٣ وعلى الرغم مما وجه إلى روايات هذه المسائل من نقد فإن خلاصة ما يستنتجه المرء حولها أن لها أصلاً في الصحيح، وأن الأسئلة لم تقتصر على الغريب، وإنما ناقشت مسائل تتعلق بمشكلة القرآن، وكذلك المتشابه اللفظي في القرآن؛ أي أنها أسست لثلاثة من فروع علم التفسير في آن واحد. ومما يستحق التنويه أن "الشعر - على سعته - لم يفسر كل الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم؛ فقد وردت بعض الألفاظ القرآنية التي ليس لها شاهد عربي، ولم يعرف مدلولها أهل اللغة، إنما أخذوها من المفسرين كلفظة (تَفْتَهُمْ) في قوله تعالى: {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ} [الحج: ٢٩] قال الزجاج: "والتفت في التفسير جاء، وأهل اللغة لا يعرفونه إلا من التفسير"^٤.

١- انظر الصفحات ٢٥ - ٤٢ من المرجع السابق نفسه.

٢- "ذكره المتقي في الكنز ٨٦٢/٣، وأخرج البيهقي في السنن الكبرى: ٢٤١/١٠ من طريق وكيع عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ "إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتزمه في الشعر فإنه ديوان العرب"، وكذلك الخطيب في الجامع/٢/٢٥٦، انظر السابق ص ١٤.

٣- انظر أيضاً: عباس، فضل حسن، التفسير، أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمان، الاردن، ط١، ١٤١٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

٤- انظر: بني عطا، أحمد إبراهيم، أثر الشاهد الشعري في بيان معاني غريب القرآن، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، ص ٢٠.

ومما يستحق التنويه كذلك: أن "الشعر لم يعد شارحاً للمعنى، بل شاهداً على وجود الاستعمال عند العرب"^١.

ويمكن الاستدلال على ذلك بما ورد في كافة روايات المسائل من قول السائل لابن عباس: "نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فنفسرّها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب..." أو ترديدهم بعد كلّ تفسير للفظ من ابن عباس - رضي الله عنهما -: "وهل تعرف العرب ذلك؟"^٢. وهذا المنهج في استخدام الشاهد في التفسير، والذي خطته روايات مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس - على اختلاف درجة قبولها - هو الذي سار عليه العلماء من مفسرين ولغويين، ومنهم الزّجاج، والرّاعب، وابن سيده. مع فروق قليلة بينهم في تضييق أو توسيع الفترة الزمنية للشعر المستشهد به، أو قدر من التسامح في الخروج عن الدائرة الملتزم بحدودها، ومع فروق أخرى تتعلق بأصناف المستشهد عليه، التي يحدّد تصنيفها وتوزيع الشواهد عليها مقصد المؤلف من تأليف الكتاب، وطبيعة ثقافة المؤلف.

والذي يستقرئ الشواهد الشعرية في كتاب الرّاعب يجد أنه وظف في كتابه ما يزيد على أربعمئة وخمسين شاهداً^٣ تتوزع على المقاصد التالية:

١. الاستشهاد لمعنى معجمي، ويغلب أن يكون ذلك على سبيل التمثيل ومن أمثله:

قوله: "وعبدٌ أبق وجمعه أباق، وتأبّق الرجل تشبّه به في الاستتار، وقول الشاعر:

قد أحكمت حكّامات الوَدِّ والأبّقا

قيل: هو القَبِّب"^٤

وقوله: "الركوع الانحاء، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة، كما هي، وتارة في التواضع والتذلل، إما في العبادة وإما في غيرها... قال الشاعر:

أخبّر أخبار القرون التي مضت أدبٌ كأنّي كلما قمت راعٍ"^٥،

١- السابق، ص ٢١.

٢- انظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣، ص ١٢٠.

٣- مما يقتضي التنويه هنا وجود اضطراب في ترقيم الشواهد، لم يورد المحقق الداودي أي اعتذار يشير إلى أنه موجود في أصل الكتاب؛ حيث يوجد بعض الانقطاع أحياناً و أحياناً يرجع بالعد إلى الوراء؛ لاحظ ما بعد الشاهد ٤٥٥، وما بعد الشاهد ٤٦٣ - بحسب ترقيم الكتاب -.

٤- المفردات، مادة أبق، ص ٥٩، هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى، وصدّره: "القائد الخيل منكوباً دوابرها" وهو في ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٤١، وفيه وصف ممدوحه بالقوّة في الغزو، وسلب الأعداء أموالهم. والبيت بتمامه في اللسان (أبق).

٢. الاستشهاد للاشتقاق ومن أمثله:

- قوله: يقال جاءه بكذا وأجاءه، قال تعالى: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم: ٢٣]،

قيل: ألجأها، وإنما هو معدى عن جاء...وقول الشاعر: أجاته المخافة والرجاء "٣.

- قوله: "وقوله تعالى: {وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]... قال أبو القاسم البلخي: هو من

الخلة لا من الخلة، قال: ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ؛ لأن الله يجوز أن يحب عبده ولا يجوز أن يخاله وهذا منه اشتباه؛ فإن الخلة من تخلل الودّ نفسه ومخالطته، كقوله:

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلاً^٤

٣. الاستشهاد للصيغ الصرفية ومعانيها، ومن ذلك:

- قوله: " وأصل " أب " فعلٌ، وقد أجرى مجرى قفاً وعصاً في قول الشاعر:

إنّ أباه وأبا أباه "٥

- قوله "والمحيض الحيض ووقت الحيض وموضعه، على أنّ المصدر في هذا النحو من الفعل

يجيء على مفعّل نحو معاش ومعاد، وقول الشاعر:

لا تستطيع بها القراد مقيلاً

أي مكاناً للقبولة، وإن كان قد قيل: هو مصدر...^٦

١- المفردات، مادة ركع، ص ٣٦٤، والبيت للبيد يصف ما أصابه حزناً لموت أخيه، أريد، وهو في ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٨٩.

٢- ينطبق الوصف بالاستشهاد لغرض معجمي على الشواهد الآتية: ٤، ١٥، ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٧٧، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٨، ١٩٩، ١٩٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٤، [٤٦٤]، ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٦١، ٤٦٢، ويبلغ عددها قرابة مائة وخمس وأربعين شاهداً وهو ما يعادل ثلث الشواهد الشعرية في الكتاب مما يؤكد على ارتباط الشاهد الشعري بالمقصد التأليفي للكتاب وهو بيان معاني الألفاظ بشهادة استخدامها على هذا المعنى في لغة العرب

٣- المفردات، مادة جاء، ص ٢١٢.

٤- المفردات، مادة خل، ص ٢٩١، والبيت لبشار بن برد، انظر الحاشية رقم ٣ من الصفحة.

٥- والشواهد الواردة على مسائل الاشتقاق هي: ١٠٢، *ما قبل ١٠٧ بدون رقم، و ١٤٥، ١٩٣، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٣، ٣٠١، وهي تعادل بعدها اثنين بالمائة من الشواهد.

٦- المفردات مادة أبا، ص ٥٨، والبيت لأبي النجم العجلي، انظر شرح ابن عقيل، مجلد ١، ص ٥١.

٧- المفردات، ص ٢٦٥

- قوله: "والسببُ المُساببُ، قال الشاعر:

لا تسببني فلست بسببي
إن سببي من الرجال الكريم^١"

- قوله: "والهدهد: طائر معروف... وجمعه هداهد، والهداهد بالضم واحد^٢، قال الشاعر:

كهداهدٍ كسر الرّماة جناحه
يدعو بقارعة الطريق هديلاً^٣

٤. الاستشهاد للمعاني الدلالية غير المعجمية وتحتل قرابة خمس وخمسين بالمائة من الشواهد ويمكن توزيعها على الشكل الآتي:

ما يتعلق بمجال الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله في لفظ {أحدٌ}: "...أن تستعمل مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى، بقوله:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[الإخلاص: ١] وأصله وَحَدٌ، ولكن وَحَدٌ يستخدم في غيره نحو قول النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستأنس وحد^٤"

- قوله في بيان معنى (الطبع): "وبه اعتبر الطبع، والطبيعة التي هي السجّية؛ فإن ذلك هو نقش

النفس بصورة ما، إما من حيث الخلق، وإما من حيث العادة، وهو فيما ينقش به من حيث الخلق

أغلب^٥، ولهذا قيل:

وتأبى الطباع على الناقل^٦.

ما يتعلق بالتحول الدلالي أو تغير مجال الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله: "الإثم والأثم اسمٌ للأفعال المبطنة عن الثواب، وجمعه آثام، ولتضمنه معنى البطء قال

الشاعر:

١- المفردات، ص ٣٩٢، شاهد رقم ٢٢٣ البيت لعبد الرحمن بن حسان يهجو مسكين الدارمي انظر: اللسان سبب.

٢- المفردات، مادة: هدد، شاهد رقم ٤٦٥، ص ٨٣٤ البيت للراعي النمري في ديوانه، تحقيق فايبرت، بيروت، ص ٢٣٨

٣- ويتعلق بالاستشهاد للمسائل الصرفية الشواهد ذات الأرقام: ٣، ١٩، ٢٢، ٣٢، ٤٨، ٦٦، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٧٩،

٨٧، ٩٥، ٩٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٥،

٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٩٦، ٣١١، ٣١٤، ٣٤١، ٣٤٥،

٣٧٦، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٤. وبذلك تبلغ ما يقارب خمسين شاهداً وتحتل

قرابة عشرة بالمائة من الشواهد.

٤- مادة: أحد، ص ٦٧ قال ياقوت في معجم البلدان، دار الفكر، ١٥٨/٢: "ذو الجليل وإدٍ قرب مكة، قال بعضهم: وذكر

الشرط الأول منه، وفي اللسان: ٣١٤/١١ "مستأنسٌ ووحيد"، موضعان نصّ عليهما ياقوت في المعجم، والبيت مقدمة

صورة شعرية يشبه فيها ناقته بطريدة تتبعها كلاب الصيد وهي من أروع قصائد النابغة.

٥- مادة: طبع، ص ١٥ والبيت للمنتبي في ديوانه شرح البرقوق في ١٥٣/٣ وهو إذا ضُمّ لمثله يدلّ على توسع الراغب في

الفترة الزمنية للاستشهاد..

٦- انظر الشواهد ذات الأرقام ١٠، ٨١، ١٧٦، ٣١، ٣٣٧، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٩٥، ٤١١، ٤١٢.

جمالية تغتلي بالرداف إذا كذب الأثمات الهجيرا^١
- قوله: وخمرة الطيب: ريحه، وخامره، وخمرة: خالطه ولزمه، وعنه استعير:

"خامري أم عامر"^٢

- قوله: "وجعل الجوع والخوف لباساً على التجسيم والتشبيه تصويراً له"^٣،... قال الشاعر:
كسوتهم من حبر بز مئتم^٤

ما يتعلق بتخصيص الدلالة، ومن ذلك:

- قوله: "أصل البواء مساواة الأجزاء بالمكان... ويستعمل في مراعاة التكافؤ في المصاهرة والقصاص،... قال: أنكرت باطلها وبوت بحقها"^٥.

- قوله: "والدراية لا تستعمل في الله تعالى"^٦، وقول الشاعر:

لا هم لا أدري وأنت الداري فمن تعجرف أجلاف العرب"^٧

ما يتعلق بتعميم الدلالة، ومن ذلك:

- قوله: "أصل الأنف الجارحة، ثم يسمى به طرف الشيء وأشرفه... ونسب الحمية والغضب والعزة والذلة إلى الأنف حتى قال الشاعر:

إذا غضبت تلك الأنوف لم أرضها ولم أطلب العتبي ولكن أزيدها"^٨

- قوله: "أصل الجبر: إصلاح شيء بضرب من القهر،... وسمي السلطان جبراً^٩ كقول الشاعر:

- ١- المفردات، مادة أثم، ص ٦٣، شاهد رقم ٦.
- ٢- المفردات، مادة خمر، ص ٢٩٨، شاهد رقم ١٥١.
- ٣- المفردات، مادة: ليس، ص ٧٣٥ البيت لأوس بن حجر الكندي، يفخر بشعر قاله في قوم، كأنه كساهم بُرداً من اليمن.
- ٤- يرتبط بالاستشهاد لانتقال الدلالة الشواهد ذات الأرقام: ٦، ١٢، ١٣، ٢١، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٦، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٦، ٥٧، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٧، ١١٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٤٠، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٧، وبذلك تبلغ شواهد التحول في استعمال اللفظ قرابة اثنين وسبعين شاهداً، وهو يقارب ما نسبته خمس عشرة بالمائة من الشواهد الشعرية في الكتاب.
- ٥- المفردات، مادة باء، ص ١٥٩، شاهد ٧٨.
- ٦- المفردات، مادة درى، ص ٣١٣، شاهد ١٥٧.
- ٧- يرتبط بالاستشهاد لتخصيص الدلالة الشواهد ذات الأرقام ٧٨، ١٥٧، ٢٨٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٣٣، وهي تشكل أقل من نسبة اثنين بالمائة من الشواهد.
- ٨- المفردات، مادة أنف، ص ٩٥، شاهد رقم ١ البيت سبق ذكره، ولم أجد له نسبة.
- ٩- المفردات، مادة جبر، ص ١٨٣، شاهد رقم ٩٠. الشطر للعجاج في ديوانه، نشر وليم بن الورد، ص ٤.

وأنعم صباحاً أيها الجبر^١

ما يتعلق بوجوه الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله: "جعل لفظ عمل في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه:

الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى نحو جعل زيد يقول كذا، قال الشاعر:

فقد جعلت قلوب بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب^٢

الثاني: قوله: "وقوله [تعالى]: {يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢١٢] فيه أوجه...^٣

الثالث: يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه كقول الشاعر:

عطاياه يُحصى قبل إحصائها القطر.^٤

الرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة...

الخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً".

٥. الاستشهاد لتغيير معنى اللفظ نفسه لتغيير محلّ الاعتبار، ومن ذلك:

- قوله: "...سئل ابن عباس عن الحزن والغضب فقال: "مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن

نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً، وبهذا النظر قال الشاعر:

فحزن كلّ أخي حزن أخو الغضب"^٥

- قوله: "والعوان: المتوسط بين السنين، وجعل كناية عن المسنة من النساء^٦ اعتباراً بنحو قول

الشاعر: فإن أتوك فقالوا: إنها نَصَفٌ فإنّ أمثل نصفها الذي ذهباً^٧

٦. الاستشهاد لضروب اللفظ المعرف، ومن ذلك: قوله: "الخطأ: العدول عن الجهة وذلك أضرب،

...والثالث أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه... وهذا المعنى هو الذي أراده في قوله:

١- يرتبط بتعميم الدلالة الشواهد: ٣١، ٨٩، ٩٠، ٢٩٠، وتشكل نسبة ما يقارب واحد بالمائة من الشواهد.

٢- المفردات، مادة جعل، ص ١٩٦، البيت لرجل من بحتربن عنود، والقلوص الناقاة، انظر خزانة الأدب ٣٥٢/٩، وفيها "قال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة أي لم تتباعد في الرعي لماذا حثطض رحلها، لما بها من الإعياء".

٣- المفردات، مادة حسب، ص ٢٣٣، الشهد رقم ١١٢ الشطر نسبه الرأغب لدعلب الخزاعي في محاضرات الأدباء ٢٨٩/١ والمعنى أن عطايا الممدوح أكثر من المطر، فهي أصعب في الإحصاء منه!

٤- يرتبط بالاستشهاد لوجوه الاستعمال الشواهد الآتية: ٩٣، ١١٢، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ١٤٩، ٢٩٣، ٤٠٦، ٤٤٧، وهو ما تقارب نسبه اثنتين بالمائة من الشواهد.

٥- المفردات، مادة أسف، ص ٧٥، شاهد ١٤ البيت للمتنبى في ديوانه ٩٤/١.

٦- المفردات، ص ٥٩٨، البيت في اللسان: نَصَفٌ، والمخصّص ٤/١، وعيون الأخبار ٤٢٣/١٠ دون نسبة.

٧- انظر الشواهد ذات الأرقام الآتية: ٣٥، ٥٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٦، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٧١.

أردت مساتي فاجتررت مسرتي وقد يحسن الإنسان من حيث لا يدري^١
 قوله: "والفلاح: الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي؛ فالدنيوي: الظفر
 بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، وهو البقاء والغنى والعز، وإياه^٢ قصد الشاعر بقوله:
 أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب^٣

٧. الاستشهاد لأساليب العرب وعاداتهم التعبيرية، ومن ذلك:

- قوله: "وقال [تعالى]: {لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} [البقرة: ١٥٠] فجعل ما يحتج لها الذين
 ظلموا مستثنى من الحجة وإن لم يكن حجة، قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب^٤

انتهى، وفي ذلك إشارة إلى أسلوب من أساليب العرب، يسميه البلاغيون: "المدح بما يشبه الذم"

- قوله: "وقول الشاعر: فغضّ الطرف إنك من نمير^٥، فعلى سبيل التهكم^٦."

٨. وقد يكون الاستشهاد على سبيل توارد المعاني على الباب الواحد وأمثله عند الرّاعب وفيرة،

ومنها: قوله: "وقوله تعالى: {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} [النساء: ٧٨] يصحّ أن يراد بها بروج في

الأرض، وأن يراد بها بروج في النجم... وتكون الإشارة بالمعنى إلى نحو ما قال زهير في معلقته:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

وأن يكون البروج في الأرض، وتكون الإشارة إلى ما قال الآخر:

ولو كنت في غمدان يحرس بابيه أراجيل أحبوش وأسود آلف

إذا لأتنتني حيث كانت منيتي خبُّ بها هادٍ لإثري قائف^{٧، ٨}

١- المفردات، مادة: خطأ، ص ٢٨٧، البيت لأسماء بن خارجة في قصة زواج ابنته هند من الحجاج، وصواب الشطر
 الأول: أردت ضراري فاعتمدت مسرتي. انظر الأغاني ٣٦٩/٢٠.

٢- المفردات، مادة: فلاح، ص ٦٤٤، شاهد ٣٥٦ البيت لعبيد بن الأبرص، وهو في ديوانه، دار صادر، ص ٢٦.

٣- وانظر المفردات، الشاهدين: ٣٥٦، ٣٩٢.

٤- المفردات، ص ٢١٩، ١٠٤ البيت للنابغة من قصيدة يمدح فيها عمرو بن الحرث الأصمعي، وهي في ديوانه.

٥- المفردات، مادة: غضّ، ص ٦٠٨، شاهد ٣٣٩.

٦- انظر في المفردات، الاستشهاد لأساليب الشاهد ٥، في الكناية، الشاهد ٧، المجاز المرسل بقريظة اعتبار ما كان،
 والشاهد ٤٢٩: التعبير بالحاضر عن المستقبل، ٤٥٥، أسلوب الحذف.

٧- المفردات، مادة: برج، ص ١١٥، شاهد ٤٤٤ البيتان لثعلبة بن حزن العبدي، وهما في حماسة البحرني باب ٥٢.

٨- ويرتبط بما كان من الاستشهاد على سبيل توارد المعاني على الباب الواحد الشواهد الآتية: ٤٥، ٦١، ١٠٢، ١٠٦،
 ١٣٣، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٢٣،
 ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٩١، ٤١٠، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٦٦، ٤٦٩،
 وعددها خمسون شاهداً تقريباً، وهي تشكل ما نسبته عشرون بالمائة من الشواهد، وهي إلى جانب كونها تضيف على
 الكتاب طابعاً أدبياً جميلاً، فإنها تؤكد مقولة أنّ علماء اللغة والتفسير إنما استخدموا الشاهد الشعري بالدرجة الأولى

٩. الاستشهاد للنحو، وهي شواهد قليلة تعدّ على أصابع اليد الواحدة والغالب أن تكون في معاني الأدوات النحوية تتمثل في الشواهد الآتية:

- قوله: "وعلى: حرف جر، وقد يوضع موضع الاسم في قولهم: غدت من عليه"^١.
- قوله: "...عن" يستعمل أعم من "على" لأنه يستعمل في الجهات الست ولذلك وقع موقع على في قول الشاعر:

إذا رضيت عليّ بنو قشير^٢

- قوله: "وقد يجيء "لا" داخلاً على كلام مثبت، ويكون هو نافيةً لكلام محذوف... وعلى ذلك قول الشاعر:

لا وأبيك ابنة العامري^٣

المدة الزمانية للشواهد الشعرية عند الرّاغب في كتاب المفردات

امتدت المدة الزمانية للاستشهاد بالشعر عند الرّاغب إلى ما بعد المدة التي حددها الأصمعي، والتي عدّ فيها ابن هرمة (ت ١٥٠هـ) وبشار بن برد (ت ١٦٧هـ) من طبقة المولدين من الشعراء الذين لا يُحتجّ بشعرهم، ولعلّ في تجاوز الرّاغب لهذه المدة التي حددها الأصمعي مقارنة لرأي ابن قتيبة في المسألة، ومقولته المشهورة: كل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يُضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثته سنّه، كما أنّ الرّديّ إذا ورد علينا للمتقدم أو للشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه"^٤.

ويشار كذلك إلى "أنّ البلاغيين - على خلاف ذلك - يستدلّون بشعر جميع الشعراء على اختلاف طبقاتهم إلى عصرنا هذا، قال العلامة الرّعيني في شرح بديعة ابن جابر: "علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع. والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب دون الثلاثة الأخيرة؛ فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق

طابعاً أدبياً جميلاً، فإنها تؤكد مقولة أنّ علماء اللغة والتفسير إنما استخدموا الشاهد الشعري بالدرجة الأولى لبيان أنّ المستشهد عليه وارد في لغة العرب.

١- المفردات، مادة: علا، ص ٥٨٤، شاهد رقم ٣٣١. هذا مقتطع من بيت لمزاحم العقيلي، انظر اللسان، مادة علا.

٢- المفردات، مادة: عن، ص ٥٨٩، شاهد رقم ٣٣٤.

٣- المفردات، مادة: لا، ص ٧٥٣، شاهد رقم ٤١٨.

٤- انظر عبود، يوسف، مقال: الاحتجاج الشعري في النحو، دراسة منشورة في مجلة المعرفة السورية، عدد ٥٤٨، السنة ٤٨، أيار ٢٠٠٩.

في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قُبل من أهل هذا الفن الاحتجاج بكلام
البحثري وأبي تمام وأبي الطيب وهلمّ جرّاً^١.

ومع أنّ شواهد الرّاغب في كتابه المفردات قد اتسعت لتشمل أشعاراً لما بعد عصر
الاحتجاج؛ حيث استشهد بأبيات للبحثري وأبي تمام والمنتبي، وقبلهم دعبل الخزاعي (ت ٢٠٨هـ).
والعكوك: أبو الحسن بن علي الخراساني (ت ٢١٣هـ)، إلا أنّ الغالبية العظمى من شواهد كتاب
(المفردات) ترجع إلى العصر الجاهلي، ثم يتدرّج بعد ذلك فيكون لشعر صدر الدولة الإسلامية نسبة
مميزة من الشواهد، وتقلّ بعد ذلك الشواهد المنتسبة إلى المدة الزمنية اللاحقة بحسب بعدها عن
عصر الاحتجاج، ومع ذلك فهو يختار من كل مدّة زمنية فحولها. ولعلّ من المفيد أن يربط المرء بين
ظاهرة التوسع - زمنياً - في الشواهد وبين حرصه على بيان أثر التطور الدلالي في معاني الألفاظ،
والذي من أجله احتلت الشواهد المرتبطة بهذه الظاهرة نصيباً كبيراً من إجماليّ شواهد المفردات.

١- نقلاً عن مقال: عصر الاحتجاج، مقال للدكتور عبد المحسن العسكر aladabblogspot.com.

الفصل الرابع

التفسير اللغوي

عند ابن سيدة في كتاب (المحكم والمحيط الأعظم)

عناصر التفسير اللغوي عند ابن سيدة في (المحكم)

بنى ابن سيدة معجمه (المحكم والمحيط الأعظم)، في الغالب على منهج الجمع فهو يحرص على رواية الأقوال الواردة في المسألة، ويغلب على الظن في ضوء قراءة (المحكم) أن ابن سيدة يرتب الأقوال تنازلياً بدءاً بالأرجح لديه، وقد يكتفي بإيراد الروايات دون تعليق اكتفاء بما يلمح من ترتيبها، وقد يعقب عليها بتعليق ونقد، وكثيراً ما يكون نقده قاسياً متعالياً وإن كان موجّهاً إلى أفراد الطبقات الأولى من أكابر العلماء ممن مضى على وفاتهم أكثر من قرن قبل عصر ابن سيدة.

وما يقال حول المنهج العام لابن سيدة، يقال - أيضاً - في منهجه في التفسير اللغوي؛ فلا تكاد عين القارئ تقع على آية ينتظر أن يرى فيها لابن سيدة تفسيراً مستقلاً حتى يُواجهه التصريح بالنقل عن غيره من العلماء، بل إنه جمع (معاني القرآن للزجاج) في معجمه بحيث لو فقد كتاب الزجاج لوجد معظمه في (محكم) ابن سيدة، وكذلك فقد تغيب العبارة المصرحة بالنقل؛ مثل: قال أبو إسحق، أو قال الزجاج، فلا تظهر إلا لمن ينقل عينيه مقارناً بين الكتابين - وهو عادة الأقل - .

ومع ذلك فإنّ القارئ للكتاب بشيء من الصبر والأناة يجد قدراً كافياً من مادة التفسير اللغوي استقل بها ابن سيدة تستحقّ البحث والتأمل، ثم إنه مما يزيدها استحقاقاً للبحث والتأمل ما حُقت به من أبحاث في اللغة والصرف والاشتقاق والتحوّل...، كثيراً ما تناقش فيها أقوال العلماء، خاصة عندما يتعلق النقاش فيها بمسائل عقديّة أو تشريعية؛ فقد اعتمد ابن سيدة على الصرف والاشتقاق كتمهيد لتفسير اللفظ القرآني الذي اعتمد فيه إجمالاً على الزجاج، وكأنه جعل للبناء الذي بناه الزجاج قواعد بارزة تمكّن أفضية التفسير، هي نفسها القواعد الأصول-لغوية التي اعتمدها الزجاج اعتماد المعماري في حين اعتمدها ابن سيدة اعتماد الصيدلاني، وذلك راجع لمقصد كلّ منهما من مؤلفه وهذا الذي استقل به ابن سيدة في التفسير اللغوي في كتابه المحكم هو الذي تعنى به هذه الدراسة، بقدر المستطاع، في الصفحات الآتية - إن شاء الله -

أولاً: الظواهر الدلالية، ومدى عناية ابن سيدة بها:

الترادف: لابن سيدة كلام صريح في الإقرار بالترادف، وأنه يعدّه ظاهرة لغويّة ذات وظيفة مهمّة في خدمة كل من الشكل والمضمون؛ ف" اختلاف اللفظين والمعاني بعدّ واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ، وبيّن أنّ هذا القسم لو لم يوجد لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده... وأيضاً فإذا أراد التأكيد قال: قعد وجلس، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها؛ ألا ترى

أنّ في التنزيل {وَعَرَّابِيْبُ سُوْدٌ} [فاطر: ٢٧] والغرابيب هي السود عند أهل اللغة فحسن التكرير لاختلاف اللفظين، ولو كان غرابيب لم يكن سهلاً.^١
وهو- إلى جانب ذلك- لا يكتفي بالإقرار به نظرياً، ولكن يظهر ذلك في تطبيقات على مدى كتاب (المحكم) كما يظهر في (المخصّص) ومن ذلك:

- قوله بأنّ السخاء والكرم والندى نظائر في اللغة، وأنّ " العقل والحجا والنهى كلمات متقاربة المعاني"^٢

- قوله: " الكذب - بالدال - الدّم الطريّ "^٣.

وإلى جانب ذلك صرح ابن سيده بوجود فروق بين كثير من الألفاظ التي تبدو للوهلة الأولى مترادفة أو متقاربة، وهو إذ يفعل ذلك يشرح الفرق الدقيق في المعنى بين هذه الألفاظ، وقد جرت عادة الباحثين أن يصنّفوا هذه الفروق بحسب أسبابها أو ما يرتبط بها من ظواهر.^٤
ومن السهل تلمس مثل ذلك من كلام ابن سيده، حيث يمكن تصنيف أبرز الفروق الواردة في (المحكم) إلى ما يأتي:

١. فروق مرتبطة بضبط حروف اللفظ بالحركات الصرفية، ومن ذلك:

- قوله: " وقيل: العرّ بالفتح الجرب وبالضمّ قروح بأعناق الفُصلان "^٥.

- قوله: " الضّعْفُ والضّعْفُ خلافُ القوّة، وقيل الضّعْفُ في الجسد والضّعْفُ في الرأي والعقل "^٦.

- قوله: " العِصمة القلادة، العِصمة: بياض في المعصم."^٧

٢. فروق مرتبطة بإبدال بعض الحروف

- وقوله: " والعضو كلّ عظم وافر بلحمه، وجمعها أعضاء... والعِضة القطعة والفرقة "^٨.

٣. فروق مرتبطة بزيادة بعض الحروف

١- ابن سيده، المخصّص، طبعة دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٨١، السفر الثالث عشر، صفحة ٢٥٨، ٢٥٩ والمقصود أن تكرار المعنى بلفظ مختلف أبلغ من تكراره بنفس لفظ غرابيب، ولا يخفى ما في ذلك من تقبل للفروق بين ما اعتبره مترادفاً.

٢- ابن سيده، المخصّص، مجلد ١، سفر ٣، ص ١.

٣- ابن سيده، المحكم ٧٥٩/٦

٤- انظر- على سبيل المثال-: المشري، علي كاظم، الفروق اللغوية في العربية، دار صفاء للطباعة والنشر الأردن، ٢٠١٠م، الباب الثاني، ص ١٧٣-٣٤٣

٥- ابن سيده، المحكم: ٨٨/١، والفصلان جمع فصيل وهو ولد الناقة.

٦- ابن سيده، المحكم: ٤١١/١

٧- المحكم: ١/٥٧٧

٨- المحكم ٢/٢٩١

ومن ذلك قوله: " والمقلد المنجل والمقلاد الخزانة " ^١.

٤. ومن الفروق ما يتعلق بالحروف المستخدمة في تعدية بعض الأفعال، ومن ذلك قوله:

"وقوله تعالى: {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: ٢٦] لا تكاد تظهر الفائدة في قوله تعالى: {مِنْ فَوْقِهِمْ}، لأنَّ {عَلَيْهِمْ} قد تنوب عنها، قال ابن جنِّي لو قيل {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ} ولم يقل {مِنْ فَوْقِهِمْ} لجاز أن يظنَّ به أنه كقولك: " قد خربت عليهم دارهم، وهلكت عليهم مواشيهم وغلالمهم فإذا قال {مِنْ فَوْقِهِمْ} زال ذلك المعنى المحتمل، وصار معناه أنه سقط وهم من تحته، فهذا معنى غير الأوَّل... " ^٢.

٥. ومنها الفروق الناتجة عن اختلاف الصنف أو الحال، ومن ذلك قوله: " والمعرار من النخل

التي يصيبها الجرب، حكاه أبو حنيفة ^٣ قال: وحكى التوزي: ^٤ إذا ابتاع الرَّجُل نخلًا اشترط على البائع فقال: ليس هي مقمار ولا مئخار، ولا مبسار، ولا معرار، ولا مغبار. فالمقمار البيضاء البسر، والمبسار التي يبقى بسرها لا يرطب، والمئخار التي تؤخَّر إلى الشتاء، والمغبار التي يعلوها الغبار... " ^٥

- فروق في الفعل بحسب الفاعل، ومنه قوله: "الشكر عرفان الإحسان ونشره، ... والشكر من الله تعالى المجازاة والثناء الجميل" ^٦.

٦. فروق تتعلق بزمن حدوث الفعل، ومن ذلك قوله: " ونفشت الإبل والغنم تنفث نفثاً: تسربت ليلاً، ولا يكون ذلك بالنهار " ^٧.

٧. فروق يحتكم فيها إلى صيغ الجمع، كقوله: " ... والإصرُ الدنْبُ والثقل، وجمعه أصار، والإصار وتد قصير للأطناب، والجمع أصر، وأصرة... " ^٨

١- المحكم: ٣١١/٦-٣١٢

٢- المحكم، ٥٨٠/٦، ٥٨١/٦، لم تكن المصطلحات البلاغية مستقرة تماماً في عصر ابن سيده، ولذلك لم يُجرِ الكلام عن الاستعارة في عبارة (فخرٌ عليهم) مع أنه يستخدم اللفظ في التعبير عن التطور الدلالي.

٣- الدينوري (٢١٥-٢٨٢ هـ) صاحب كتاب النبات، رتبته على حروف المعجم، انظر الأعلام للزركلي دار العلم للملايين بيروت ط ٧، ١٩٨٦، ١٢٣/١

٤- عبد الله بن محمد بن هارون التوزي، مولا هم النحوي، قرأ كتاب سيبويه على أبي عمرو الجرمي وحمل عن الأصمعي وغيره وله كتاب (الخيال) وكتاب (فعلت وأفعلت) وغير ذلك توفي سنة ٢٣٠ هـ وهو كهل، انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧١٥/١

٥- المحكم ٨٨/١

٦- المحكم، ٦٨٠/٦

٧- المحكم، ٧٢/٨

٨- المحكم، ٣٥١/٨

ثانياً: عناية ابن سيده بالمشترك اللفظي:

ذكر ابن سيده المشترك اللفظي فيما نقله عن سيبويه من تصنيف لعلاقة الألفاظ بالمعاني؛ حيث قال ابن سيده في شرحه " وأما القسم الثالث، وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً، ولكنه من لغاتٍ تداخلت، أو تكون كلُّ لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء، فنكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل، وقد صرح ابن سيده باتباعه قول أبي علي الفارسي في شرحه لهذه الظواهر المعبرة عن علاقات الألفاظ بالمعاني فقال: وأنا أشرح ذلك كله فصلاً -إن شاء الله تعالى-، وأتحرى فيه أشفى ما سقط إلي من تعليل أبي علي الفارسي¹ ويفهم من شرح ابن سيده للصنف الثالث الذي ذكره سيبويه أنه يشمل الأضداد إلى جانب المشترك اللفظي، ولذلك اتخذ الإقرار بوجود المشترك اللفظي، وسيلة لانتزاع إقرار الخصم - في هذه المسألة - بوجود " التضاد " وأورد هذا الشرح لكلام سيبويه في مبحث سماء (كتاب الأضداد). فيقول له: " هل يجوز عندك أن تجيء لفظتان في اللغة متفتتان لمعنيين مختلفين، فلا يخلو ذلك أن يجوزه أو يمنعه، فإن منعه، وردّه صار إلى ما يُعلم وجوده وقبول العلماء له ومع ما ثبت جوازه وشبهت عليه الألفاظ، فإنها أكثر من أن تُحصى وتُحصَر، نحو: وجدتُ الذي يراد به العلم والوجدان، والغضب، وجلستُ الذي هو خلاف قمتُ، وجلستُ الذي هو بمعنى أتيتُ نجداً ونجدُ يقال لها جلسُ، فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه " انتهى.

وفي كلام سيبويه الذي حرص ابن سيده على " تحري أشفى ما سقط إليه منه " مفاصل مهمة لا بدّ من الانتباه لها لمن يسعى لبناء موقف سليم من هذه الظاهرة؛ فقد استخدم سيبويه في تعريفه للمشترك اللفظي الوصف: " اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " مما يترك فسحة للاعتراض، يتحرّك فيها الذين يرون في اشتراط أن يكون اللفظ واحداً، أو له معنى واحد في أصل الوضع، قدراً من التشدد في الشروط لا يتماشى مع الواقع اللغوي، خاصة إذا فهم من هذا التشدد اشتراط وحدة أصل الاشتقاق، ووحدة أصل حروف الكلمة، ووحدة ضبطها؛ فسيبويه - رحمه الله - يتحدّث عن " اتفاق لفظين "، واستخدام اللفظ (اتفاق) يعني ضمناً غضاً الطرف عما قد يحتويه اللفظان من المادّة الواحدة، المتقاربان في النطق من فروق قد توجد في أصل المصادر أو أصل حروف العلة، أو ضبط عين الفعل أو فائه. ويزيد من صحّة هذا الاستنتاج استخدام سيبويه لكلمة (اللفظين)؛ فهي إذاً (اتفاق اللفظين وافتراق المعاني).

١- ابن سيده، المخصص، سفر ١٣، صفحة ٢٥٨، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بلا طبعة ولا تاريخ.

ويلاحظ أيضاً أنّ الزيادة في التعقيد، وتضييق الشروط في التحديد جاءت متأخرة على سيبويه، وقد اتضح ذلك فيما نقله ابن سيده من كلام أبي علي الفارسي في (المُخَصَّص)، وشرحه. ثم يأتي اشتراط ابن سيده - تبعاً لأبي علي الفارسي - " أن لا يكون اختلاف المعنيين قصداً في الوضع، ولا أصلاً، ولكنّه لغات تداخلت" مدخلاً إلى تضييق دائرة المشترك، وهو نفس الموقف الذي اتبعه الرَّاعِب - وإن جاءت إجراءاتهما العملية كحلّ وسط بين الإفراط في توسيع دائرة المشترك والتفريط، وهو القول بإغلاقها - حيثُ إغلاقها يفوّت الفرصة أمام الاستفادة منها سواء في التعبير أو التفسير، حيث يُلجئُ المقام إلى ذلك، أو حيث يسمح المقام بذلك.

منهج ابن سيده في التعامل مع المشترك اللفظي

وقد كان لموقف ابن سيده من ظاهرة الاشتراك اللفظي على المستوى النظري ثماراً منسجمة مع تصوره لمفهوم " المشترك "؛ حيث تجده يوجز القول في ذكر الوجوه أحياناً، ويبسطه أحياناً، ويترك أمر تقرير كون ذلك التعدد في المعاني من باب الوجوه أو من باب الاحتمالات لفهم القارئ دون أن يتدخل في إيصال النتيجة له إيصالاً مباشراً. فمن أمثلة الاقتضاب في ذكر الوجوه الواردة للفظ، وعدم التصريح بكونه من المشترك، اللفظة القرآنية {عَسَسَ} [التكوير: ١٧]؛ حيث أورد ابن سيده معانيها، ولم يصرّح بأنها من المشترك ولم يبين الأصل الجامع لمعانيها، والذي يبدو أنه يتراوح بين طلب الشيء في بدايته أو في نهايته، قال: العَسُّ نفضُ الليل عن أهل الريبة... وَعَسَسَ الليل عَسَسَةً أقبل وقيل عَسَسْتُهُ قبل السَّحَرِ وذئب عَسَسَ وَعَسَّاسٌ: طلبُ للصيد، وَعَسَسْتَ السحابة دنت من الأرض ليلاً، لا يقال ذلك إلا بالليل، والعَسُّ القدح الضخم، والعسّس الخفيف من كل شيء وَعَسَسُ - غير مصروف - بلدة، وَعَسَسُ اسمُ رجل^١.

ومما بسط الكلام فيه:

لفظ (حَرْدٍ) من قوله تعالى: {وَعَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ} [القلم: ٢٥] قال: " الحرد الجذُّ والقصد، حرد يحرد حرداً، وفي التنزيل... الآية] والحَرْدُ المنع، وقد فُسِّرَت الآية على هذا، وحرد الشيء منعه، قال:

كأنّ فداءها إذ حردوه أطافوا حوله سلك بيتيم

١- ابن سيده، المحكم، ٧١/١

ويروى: جرّده: أي نقوه من التّين، والسلك: ابن النعام، ورجلٌ حردانٌ: منتج متفرّد، ... وكوكبٌ حردٌ، طلع منفرداً، ومنه التحريد في الشّعر، - ولذلك عُدَّ عيباً -... والحرد داء في القوائم إذا مشى البعير نفض قوائمه فضرب بهنّ الأرض كثيراً... وهو رجلٌ أحرد إذا ثقلت عليه درعه فلم يستطع الانبساط في المشي، وحرَدَ حبله: جعله أدرج فتله، فجاء مستديراً... " ١ ويلاحظ في هذه اللفظة أنّ جامعاً ملحوظاً يجمع وجوه المعاني، وهو ما يحسن أمامه عدم التصريح بوصفه من المشترك، جريا على منهجه في التوسط بين التضييق والتوسع.

- ومما توسط ، في ذكر الوجوه فيه قوله في تفسير اللفظ القرآني {حَمَطٌ} من قوله تعالى: {ذَوَاتِي أَكُلِ حَمَطٍ} [سبأ: ١٦]؛ قال: "والخبط الحمل القليل من كلّ شجرة، والخبط شجر مثل السدر وحمله كالتوت، وقيل هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل وقيل هو ثمر الأراك. وقيل هو شجر له شوك...، وقيل الخبط هنا شجر قاتل أو سمّ قاتل" ٢.

عناية ابن سيده بالتضاد اللغوي في (المحكم)

عقد ابن سيده لمبحث التضاد اللغوي فصلاً من كتابه (المخصّص) سماه (كتاب الأضداد) ومما جاء فيه من الدفاع عن ظاهرة الأضداد قوله: ويدلُّ على جواز وقوع اللفظة لمعنيين مختلفين قولهم: ظننت، والظنّ بمعنى الحساب وخلاف العلم، واستعمل أيضاً لمعنى اليقين وذلك في قوله {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ} [البقرة: ٤٦] فإن قال: إنّ معنى الظنّ ههنا وفيما حكاه الله تعالى عن المؤمنين في قوله {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ} [الحاقة: ٢٠] الحساب فهو عظيم؛ لأنّ الشكّ في لقاء الحساب كفر لا يجوز أن يمدح الله به، فإذا لم يُجز ذلك ثبت أنّه علم ويقين فهذا مستعمل في الكلام وخلافه لا يشكُّ في ذلك مسلم.

ومما يدلُّ على فساد قول من دفع أنّ اللفظ يقع لمعنيين قوله تعالى في وصف أهل الجنّة: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف: ٤٦]... فهذا الطمع لا يكون شكاً ولا يتوجّه على غير اليقين... ٣ ثم ذكر ابن سيده بعد ما ساقه من الحجج في الدفاع عن القول بوجود الأضداد اللغوية قدراً من الأضداد من رواية أبي عبيد (القاسم بن سلام) منها - باختصار - قوله: الناهل - هنا - الشارب،

١- ابن سيده، المحكم: ٢٥٧/٣، والبيت لم أعثر له على نسبة.

٢- ابن سيده، المحكم، ١٣١/٥

٣- انظر السفر الثالث عشر، صفحة ٢٥٩-٢٦٧

وإن شئت قلت العطشان^١، وقال الفارسي في قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ} [سبأ: ٢٣] أي أذهب الفزع عنها أو سيق إليها الفزع، وقال: " سواء الشيء غيره وهو نفسه ووسطه، ومنه قوله تعالى: {فَأَطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصفات: ٥٥] وقال: " أسررت الشيء: أخفيتّه وأعلنته، قال تعالى: {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ} [سبأ: ٣٣] أي أظهروها... "ونقل عن ابن دريد: " والمُقوي: الذي لا زاد معه ولا مال، والمقوي المكثّر. وعفا الشيء يعفو عفاً درس، وعفا يعفو عفواً كثر، قال تعالى: {حَتَّىٰ عَفُوا} [الأعراف: ٩٥] أي كثروا والمسجور المملوء والفرغ وقوله تعالى: {فَطَلْتُمْ نَفْكَهُنَّ} أي تندمون وتفكّهون أيضاً تتلذذون".^٢

ومنه في (المحكم) - " خلع الشَّيْخُ أورك، وخلق سقط ورقه "^٣.

عناية ابن سيدة بالمعرب

أفرد ابن سيدة في كتاب (المُخصَّص) باباً للمعرب^٤ سمّاه باب "ما عرب من الأسماء الأعجمية" اعتمد فيه منهج الرواية عن علماء اللغة؛ فهو يذكر اسم العالم، ولا يسمي كتابه اعتماداً على التنبيه على مصادره التي أخذ عنها في مقدمة كتابه. واختياره لهذا الباب التسمية بالمعرب القصد منه التنبيه إلى ما أجري على هذه الألفاظ من إجراءات التكيف والاستدخال في اللغة العربية، بحيث تنساب في لغتهم اليومية، وممارساتهم الأدبية، وقد تخلصت من بعض قسماتها الأجنبية، واكتست بصبغة العربية وقواعد أدائها.

وهو يبدأ هذا الباب بما أورده سيبويه في كتابه من وصف لطريقة العرب في استدخال الألفاظ الأعجمية وتطويعها لعاداتهم اللغوية وهو ما سماه بعد ذلك بـ "قوانين الفارسية" في تصريف التعريب ثم أنقل إلى نقل بعض ما رواه علماء العربية في مصنفاتهم من (المعرب) منسوباً إلى من أورده، مقابلاً للفظة المعربة بأصلها في اللغة التي وردت منها، مستشهداً على ذلك بقول بعض شعراء الجاهلية أو صدر الإسلام. وليس من الغريب أن يحتل شعر الأعشى النصيب الأوفر بين الذين اشتملت أشعارهم على ألفاظ أعجمية، وهو يصف كثرة أسفاره في مدح الملوك طلباً للمال:

وقد طفتُ للمال آفاقه عُمَانَ فحمصَ فأوريشلم

١- ابن سيدة، المخصص، سفر ١٣، صفحة ٢٦٠

٢- نفسه ٢٦٥، ٢٦٦

٣- انظر مجلد ١، صفحة ١٤٠

٤- انظر: النسخة المصورة عن طبعة الأميرية، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ، ص ٣٩-٤٤

أَتَيْتُ النَجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيْطِ وَأَرْضَ الْعَجْمِ
فَنَجْرَانَ فَالْسَّرَوَ مِنْ حَمِيرٍ فَأَيُّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرْمُ^١

قال: - فيما ذكره من الالفاظ المعرّبة-: "والبهرج: الباطل، وهو بالفارسيّة نبهرة والأرجوان: فارسي وقالوا: قرمز وإنما هو دود يصبغ به وكذلك الطّسنتُ والنّتور وكذلك الهاون فارسي. والجُرّاد نبطيّة: الخيوط المعقّده. والمرعزيّ نبطيّة مرضيّ، والصيق الغبار، وهو بالنبطية زنقا والقراميد الأجر وهو بالروميّة قرميدي. والتامور صبغ أحمر، وربما جعلوه موضع السرّ، سريانية. ومما أخذوا من السريانية: شراحيل، وشرحبيل، والجاموس دخيل، تسميه العجم كاوميش والقنذع: الديوث، سرياني معرّب، الدرز: زئبر الثوب وماؤه، وهو دخيل، وجمعه دروز^٢، " قيل طوبى: اسم الجنة بالهنديّة "^٣، الطبرزد: السّكر: فارسيّ معرّب^٤، ويلاحظ في كلّ ما روى أنّه من الدخيل عدم تحديد الروايات للغّة الأصليّة للفظ وإيراد ابن سيده هذه الروايات على ما يكتنفها من تردد دليل على عدم قدرته على تأكيد الروايات.

عناية ابن سيده بالنادر اللغوي

اعتنى ابن سيده - رحمه الله - كما اعتنى قبله الزّجاج، والرّاجب بتسجيل النادر اللغوي، أو "الألفاظ العربيّة غير المألوفة" وكان لكتاب أبي زيد الأنصاري^٥ حضور واضح في نقولات هؤلاء العلماء. وقد نشط التّأليف في (النوادر) في الفترة التي سبقت تآليف المعاجم الواسعة، وكان من أشهرها سوى نوادر أبي زيد^٦ كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي (عبد الوهاب بن خريش ت ٢٣٠ هـ)، وهو " صنو كتاب النوادر لأبي زيد إلا أنّه أوسع منه حجماً وأغنى مادّةً، وهو مروى عن مؤلفه الأعرابي الصّميم مباشرة من طريق علماء أفذاذ كبار أمثال ثعلب "^٧ " وقد حرص مؤلفو النوادر في هذه الكتب على جمع الألفاظ النادرة وشرحها، وإيراد الشواهد،

١- ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ٧٧.
٢- ابن سيده، المخصص، ٢١/٩
٣- ابن سيده، المخصص، ٢٢٥/٩
٤- ابن سيده، المخصص، ١٢٢/٩
٥- سعيد بن أوس، أستاذ الأصمعي وخلف الأحمر، ولد سنة نيف وعشرين ومائة، وتوفي سنة مئتين وخمس عشرة، انظر: سير أعلام النبلاء
٦- منه نسخة بتحقيق ودراسة: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط ١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م.
٧- عن مقال حول الكتاب للدكتور عبد الرزاق فرّاج الصاعدي، موقع الورّاق، تاريخ الاطلاع ٢٠١١/١٠/١٧

وشفعوها بإيراد الفصح المشهور لبيبرزوا خصائص الألفاظ على اختلافها. ومن أشهر من صنفوا في التوارد أيضاً: أبو عمرو بن العلاء، وقطرب، وأبو عمرو الشيباني، والكسائي والفرّاء، والأصمعي وابن دريد، وأبو علي الفالي^١.

ومن أمثلة عناية ابن سيده بالتنبيه على النادر اللغوي في (المحكم):

- قوله: " والبضع، والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة، يضاف إلى ما تضاف إليه من الأحاد كقوله تعالى { في بضع سنين } [الروم: ٤]... ولم تسمع بضعه عشر، ولا بضع عشرة، ولا يمتنع ذلك"^٢
- وقوله: " عثي في الأرض عثياً وعتياناً، وعتي يعثي - عن كراع - نادرٌ، كلُّ ذلك: أفسد "^٣، وقال كراع: " عثا يعثي مقلوب من عاث يعيث، فكان يجب - على هذا - (يعثي)، إلا أنه نادر، والوجه عثي في الأرض يعثي"^٤، وفي التنزيل: { وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥، والشعراء: ١٨٣]
- وقوله: " وعسى بمنزلة (كان) لم تستعمل إلا في المثل السائر، وهو قولهم: " وعسى الغوير أبؤساً، حكاة سيويه^٥ " ^٦.
- وقوله في تفسير قوله تعالى: { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ } [النمل: ٣٥] " ... ومن قال [أي في جمعها] هداوي أبدل الهمزة واواً لأنهم قد يبدلون منها كثيراً كبوس، وأومين. هذا كله مذهب سيويه، وزدته أنا إيضاحاً، وأما هداوي فنادر.^٧
- وقوله: " المسكين، والمسكين بالفتح: الأخيرة نادرة^٨.

١- نفسه

٢- ابن سيده، المحكم ٤١٨/١

٣- ابن سيده، المحكم ٢٣٠/٢

٤- كراع: هو أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي (ت ٣١٠ هـ)، لقب بكراع النمل لقصره ودمامته [على علو قدره ومكانته] صاحب كتاب (المنجد في اللغة)، منه طبعة بتحقيق د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت، جزء ١٣، باب العين، رقم ٥٩

٥- وردت هذه العبارة في حديث الزهري - رضي الله عنه: " عن سنين أبي جميلة قال: " وجدت منبوذاً على بابي، فأنتيت به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه فقال عمر بن الخطاب: عسى الغوير أبؤساً هو حرٌّ، ونفقت علينا " الحديث، هذا الحديث أورده ابن حجر العسقلاني، في (تغليق التعليق)، حديث ٩٦٨، وقال: (موقوف)، وشرحه في المبسوط للسرخسي، محمد بن أحمد بن سهل، دار المعرفة، بدون رقم طبع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م جزء ١٠، ص ٢١٠، كتاب اللقيط. وأصل المثل عبارة قالتها الزبّاء عندما رأت الصناديق فيها الرجال... في قصة مصرعها فتوجست شراً. وكان عمر - رضي الله عنه - ظنَّ أنَّ الرَّجُلَ جاء إليه بولده يزعم أنه لقيط ليستوفي منه نفقته (عن المبسوط، بتصرف) والغوير تصغير الغور، والأبؤس تقال للداهية - كما ورد في لسان العرب - وفي ذكر المثل تنويه بشكِّ قائلها في نيّة من تقال له.

٦- ابن سيده، المحكم ٢٢٠/٢

٧- ابن سيده، المحكم، ٣٧٣/٤

- وقوله: " والرَّجْم: الإخوان. عن كراع وحده " واحدهم رَجَم، ورُجِم " ٢.
- وقوله: "وفي الحديث" لا تُضامون في رؤيته"؛ يعني رؤية الله تعالى: ٣ "ولم أرَ ضاراً متعدياً إلا فيه" ٤.

ومن عنايته بالمحظور اللغوي (المناهي اللفظية) قوله: " ... وفي التنزيل: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ} [الطلاق: ٤]، وَحَمَلْتُ المرأةَ تَحْمِلُ: علقت قال ابن جنّي حملته، ولا يقال حَمَلْتُ به، إلا أنه كثر: "وَحَمَلْتُ بولدها" وأنشد:

حملت به في ليلة مزوودة كرهاً وعقدُ نطاقها لم يحلل

وقال سبحانه: {حَمَلْتُهُ أُمُّهُ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥] وكأنه إنما جاز حملت به لما كان في معنى: علقت به" ٥.

وسائل تقرير المعنى اللغوي عند ابن سيدة في (المحكم)

السياق القرآني باعتباره وسيلة لتقرير المعنى

لا يجدُّ الباحث في كتاب (المحكم) أية إشارة مباشرة لتحكيم السياق، ومع ذلك فهو لا يعدم أن تجتمع له-بعد الاستقصاء-بعض الإشارات غير المباشرة تتوزع على بعض المظاهر المنهجية التي لا ترقى إلى حدِّ تسميتها بالظواهر وهي أيضاً قليلة جداً إذا ما قيست بضخامة (المحكم والمحيط الأعظم) وذلك راجع إلى طبيعة المقصد المعجمي للكتاب. ومن هذه الإشارات- مقرونة بمظاهرها- ما يأتي:

- الإشارة إلى خصوصية معنى اللفظ في سياق معيّن بكلمة: (ها هنا)، ومن ذلك: قوله في تفسير قوله تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُو حَظٌّ عَظِيمٌ} [فصلت: ٣] " الحظُّ -ها هنا -الجنة، ومن وجبت له فهو ذو حظٍّ عظيم من الخير " ٦.

١- ابن سيدة، المحكم، ٧٢٣/٦،

٢- ابن سيدة، المحكم، ٤١٩/٧،

٣- الحديث "سترون ربكم عز وجل لا تضامون في رؤيته" صحيح أخرجه أحمد في مسنده ١٨٧٨٧، ١٨٧٧٢ والبخاري في صحيحه: ٥٢٤، ٤٥٠٠، ٦٩٠٩، ٦٩١٠، ٦٩١١، ومسلم في صحيحه ١٠٠٨، وابن ماجه في سننه: ١٧٣، وأبو داود في سننه ٤١٠٧، والترمذي في الجامع: ٢٤٩١، النسائي في السنن الكبرى ١٠٨٢٨، وابن جرير الطبري في تفسيره ٢٢٣٨٤، وعيد الله بن الإمام أحمد في (السنة): ١٠٩٦، وابن أبي عاصم في (السنة) ٣٦٣ وابن خزيمة في (التوحيد) ٢٢٤ والواحدي في (الوسيط) ٦١١ .

٤- ابن سيدة، المحكم، ١٦٦/٨،

٥- ابن سيدة، المحكم، ٣/ ٣٦٨ والبيت لأبي كبير الهذلي في شرح أشعار الهذليين (١٠٢٧/٣).

٦- ابن سيدة، المحكم، ٥٠٩/٢،

- ترك المعنى المعجمي المؤلف إلى المعنى السياقي، كتفسيره لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} [الشعراء: ٢٢٥] "بأنه ليس يعني أودية الأرض، إنما هو مثل لشعرهم وقولهم، كما تقول: أنا لك في واد وأنت لي في واد، تريد: أنا لك في وادٍ من النَّفع، أي صنف من النَّفع كثير، وأنت لي في مثله".^١

- **تغير معنى اللفظ في تفسيره لآيتين مختلفتين لتغير السياق**، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {فَأَذْنُوبًا بَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٩]: " أي بقتل، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المائدة: ٣٣] أي يعصونه " وقوله في تفسير قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الروم: ٤١] " والبحر الريف، وبه فسّر أبو علي^٢ قوله تعالى: [الآية]؛ لأنّ البحر الذي هو الماء لا يظهر فيه فساد ولا صلاح".^٤

- **جمعه بعض الآيات القرآنية الواردة فيها اللفظ في موضع واحد**، ومن ذلك قوله: " وقوله تعالى: {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة: ٩] فسره ثعلب فقال: " في عمدٍ طوال " وقال اللحياني: "مدّ الأرض يمدّها: بسطها وسوّاها. وفي التنزيل: {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، وفيه {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} [الحجر: ١٩، ق: ٧] ومدّ بصره إلى الشيء: طمح به إليه، وفي التنزيل: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} [الحجر: ٨٨]، وأمدّ له في الأجل: أنسأله فيه، ومدّه في الغي والضلال يمدّه مدًا، ومدّ له: أملى له وتركه، وفي التنزيل: {وَتَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًا} [مريم: ٧٩] " .^٥

- **وقد يروي النسبة إلى السياق إلى الزجاج**، ومما روى فيه تخصيص المعنى بالسياق إلى الزجاج - وقد جاء مخالفًا لواقع نسخ كتاب الزجاج المتوافرة - قوله في تفسير قوله تعالى: {أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ} [البقرة: ١٩]، قال: " قال أبو إسحاق: " الصَّيْبُ هنا المطر وهذا المثل ضربه الله للمنافقين، كأنَّ المعنى: أو كأصحاب صيب... " فهو في قوله: قال أبو إسحاق، وتقييده معنى اللفظ بـ (هنا) في كتابه: " الصَّيْبُ في اللغة المطر وكلّ نازل من علوّ إلى أسفل، فقد صاب يصوب... " .^٦

وإلى جانب ذلك فما يرتقي إلى صفة الظاهرة المنهجية - وليس مجرد الملح المنهجي،

عنايته بالسياق التاريخي المتمثل بالقصص القرآني، وأسباب النزول والسياق الاجتماعي المتمثل

١- ابن سيدة، المحكم، ٤٥٦/٢

٢- ابن سيدة، المحكم، ٣١٢/٣

٣- أي الفارسي .

٤- ابن سيدة، المحكم، ٣١٩/٣

٥- ابن سيدة، المحكم، مادة مدد، ٢٨٧/٩

٦- ابن سيدة، المحكم، مادة صيب، ٣٦٦/٨

بتطور الاستعمال، وأقوال فصحاء العرب وأمثالها.

ومن عنايته بالسياق الاجتماعي:

١. عنايته بالتطور اللغوي - أثر الاستعمال - ومن ذلك:

- عنايته ببيان درجة الاستعمال، ومنه:

قوله: " حلل اليمين تحليلاً وتحلة وتحلاً - الأخيرة شاذة: كقرها"^١

وقوله في تفسير قوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة: ٧]:

"حسمه يحسمه فانحسم: قطعه.. وأيام حسوم - وصفت بالمصدر -: تقطع الخير أو تمنعه-

وقد يضاف، والصفة أعلى"^٢.

وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود: ٦٩] وقيل الحنيذ المشويّ عامّة،

وقيل الحنيذ الشواء الذي لم يبالغ في نضجه، ويقال الشواء المغموم الذي يخثر أو يتغير وهي أقلها"^٣.

وقوله: " الذكر الحفظ للشيء يجري على اللسان، وقد تقدّم أن الذكر لغة في الذكر، ذكره يذكره ذكراً

وذكراً الأخيرة عن سيبويه... وما زال ذلك مني على ذكر وذكور، والضمُّ أعلى"^٤.

وقوله: " الألوكة والمألكة والمألكة الرّسالة؛ لأنّها تولك في الفم... والملك مشتقٌّ منه وأصله مالك، ثمّ

قلبت الهمزة إلى موضع اللام ف قيل ملأك، ثمّ خُففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها،

فقيل: ملك، وقد يستعمل متمما والحذف أكثر"^٥.

- عنايته بتحوّل الدلالة ، ومنه:

التحوّل بالتخصيص، كقوله: " ونحر الرّجل في الصلاة انتصب ونهد صدره، وقوله تعالى: {فَصَلِّ

لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ} [الكوثر: ٢] قيل هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة، وأراها لغة شرعية وقيل

معناه وانحر البُدن"^٦.

- وقوله: " والجدُّ العظمة، وفي التنزيل: {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا} [الجن: ٣] وقول أنس رضي الله

عنه: كان الرجل منّا إذا حفظ البقرة وآل عمران جدّ فينا أي عظم في أعيننا، وخصّ بعضهم

بالجدّ عظمة الله عزّ وجلّ. وقول أنس ها هنا يريدُ هذا لأنه قد أوقعه على الرّجل^١.

١- ابن سيّدة، المحكم، مادة حسم ٢١٣/٣

٢- ابن سيّدة، المحكم ٥/٧

٣- ابن سيّدة، المحكم، ٢٩٠/٣

٤- ابن سيّدة، المحكم ٧٨٦/٦

٥- المحكم، ٨٨/٧، ٨٩

٦- المحكم، ٢٩٣/٣

- وقوله: " والْبَدَنُ: الدَّرْعُ القصيرة، على قدر الجَسَدِ وقيل: هي الدَّرْعُ عامة، وبه فسَّرَ ثعلبُ قوله تعالى: {فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ} [يونس: ٩٢]: قال: بدرعك، والجمع أبدان" ^٢.
- ومن عنايته بتحوّل الدلالة قوله: " وجعل للنَّارِ غَضَبًا على الاستعارة أيضاً، وإنما على شِدَّةِ التهابها، كقوله تعالى: {سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان: ١٢]" ^٣.
- وقوله: "... ونظر إليك الجبل: قابلك: وقوله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [الأعراف: ١٩٨] وذهب أبو عبيد إلى أنه أراد الأصنام؛ أي تقابلك، وليس هناك نظر، لكن لما كان النظر لا يكون إلا بمقابله حسن" ^٤.
- وقوله: "... والتثويب الدعاء للصلاة وغيرها. أصله أن الرَّجُلَ إذا جاء مستصرخاً بثوبه ليرى ويشتهر، فكان ذلك كالدَّعاء" ^٥.
- وقد يجري التطور في الاستعمال بمغزل عن التأثير الواضح في الدلالة، كالذي نقله من قول ابن جنّي في (كأين): " والذي علّقته عن أبي علي ^٦ أن أصلها كأَيّ، كقوله تعالى: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ} [الحج: ٤٨] ثم إن العرب تصرّفت في هذه الكلمة لكثرة استعمالها إياها... " ^٧.
- ومن عنايته بتعيين مجال الاستعمال قوله: "... وسامه الأمر سوماً كلفه، وقال الزّجاج: " أولاه إياه" وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ. وفي التنزيل: {يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ} [البقرة: ٤٩]... " ^٨
- ومن تأكّيده على معيار الاستعمال في اعتماد المعنى قوله في تفسير الكلاله " ... وقيل: هم الأخوة للأئمّ - وهو المستعمل.... " ^٩.
- وقد ينبّه - ولو بشكل غير مباشر - على ما قد يقع من العامّة من خطأ في الاستعمال، كقوله: "وشطر كلّ شيء نحوه وقصده، وفي التنزيل: {قَوْلٌ وَجَهًاكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ولا فعل له " ^{١٠}.

١- المحكم ١٨/٧

٢- ابن سيده، المحكم، ٣٦٣/٩

٣- ابن سيده، المحكم، ٣٦٣/٩

٤- ابن سيده، المحكم، ٢١٠/١٥

٥- ابن سيده، المحكم، ص ٢١٨، ٥١٠

٦- أبو علي الفارسي، من أعلام النحو العربي، هو تلميذ الزّجاج وأستاذ ابن جنّي

٧- المحكم، ٥٩١/١٠

٨- ابن سيده، المحكم، ٦٢٥/٨

٩- المحكم ٦٥٨/٦

١٠- المحكم، ١٣/٨

وهو على الرغم من هذا الحرص على مراعاة الاستعمال، إلا أنه قد يغلط بعض أصحاب اللغة جرياً وراء القياس، ومتابعةً لسيبويه في ذلك، كقوله: " والدَّكْرُ أيضاً لغة لربيعة في الذَّكْر، وهو غلط، حملهم عليه اذَّكْر، حكاه سيبويه " ^١

ومن المواقف المهمة لابن سيده التي ترتبط بالتطور اللغوي موقفه من ابتكار بعض الفصحاء من الشعراء في -عصر الرواية - لمفردات جديدة لم تكن معروفة قبلهم؛ حيث لم يقبل بما ابتكره هؤلاء الفصحاء: قال: " والجبرُّ المَلِكُ ولا أعرف مم اشتقُّ، إلا أن ابن جنِّي قال: سمِّي بذلك لأنه يجبر بجوده، وليس بقوي، قال ابن أحرر:

اسلم براووق حبيت به وانعم صباحاً أيها الجبرُّ

ولم يسمع بالجبر الملك إلا في شعر ابن أحرر، حكى ذلك ابن جنِّي، وله في شعر ابن أحرر نظائر، منها ما تقدّم، ومنها ما يأتي. ^٢

عناية ابن سيده بالاشتقاق كوسيلة لتقرير المعنى

يتوزع البحث في الاشتقاق باعتباره مظهراً من مظاهر التفسير اللغوي في كتاب المحكم توزيعاً لا يشكل هيكلية منهجية وثيقة التماسك واضحة العلاقات بين عناصرها، وإنما هي ملامح يتلمسها المرء - خاصة في الدائرة التي انحصر فيها البحث في هذه الدراسة - فيجد اهتماماً بالاشتقاق وتوظيفاً له في شرح الألفاظ القرآنية أو التعبير عن موقفه من بعض الظواهر الدلالية بشكل مباشر أو غير مباشر، وعلى ذلك فمن المظاهر البارزة لعنايته بالاشتقاق ما يأتي:

حرصه على ذكر المصادر والمشتقات والاحتكام إليها في بيان المعنى ومن ذلك:

قوله: " واستحياءه: أبقاه حياً. وقال اللحياني ^٣ استبقاه، ولم يشنقه، وبه فسّر قوله تعالى: {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [البقرة: ٤٩، الأعراف: ٢١٤، إبراهيم: ٦] أي يستبقونهن ^٤.

١- المحكم، ٧٤٨/٦

٢- عمرو بن الأحرر، أبو الخطاب الباهلي، صحابي جليل أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم وغزا في مغازي الروم نقل ابن حجر في ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة رقم ٦٤٧١، عن المرزباني أنه توفي في عهد عثمان، وعن أبي الفرج الأصفهاني أنه أدرك عبد الملك بن مروان، وتتبع قيمة شعره من إدراكه للجاهلية، وكثرة الغريب في شعره.

٣- علي بن حازم اللحياني، كان حياً قبل ٢٠٧ هـ، لغوي عاصر الفراء وأخذ عنه القاسم بن سلام من آثاره كتاب في النوادر اللغوية.

٤- ابن سيده، المحكم، ٣٩٦/٣

وقوله: "واتخذ حاجته ظهرياً استهان بها، كأنه نسبها إلى الظهر- على غير قياس- كما قالوا في النسب إلى البصرة بصري. وفي التنزيل: {وَأَخَذْنَاهُ وَرَأَيْكُمْ ظَهْرِيًّا} [هود: ٩٢]، وقال ثعلب: معناه نبذتم ذكر الله وراء ظهوركم".^١

اعتماده الاشتقاق في بيان ما طرأ على اللفظ من تغيراتٍ تصريفية حتى وصل إلى الحال التي هي عليهما، من ذلك:

قوله: "الألوك والمألكة والمالكة الرسالة لأنها تؤلك في الفم... والملك مشتقٌ منه وأصله مأك، ثم حُفَّت الهمزة بأن ألقبت حركتها على الساكن الذي قبلها، فقبل ملك، وقد يستعمل متمماً والحذف أكثر...".^٢

وقوله: "سجا الليل وغيره سجواً: سكن، وليلة ساجية ساكنة البرد والرياح والسحاب، غير مظلمة، وإنما قضينا بأن هذا كله من الواو، لكثرة سَجَوَ وقلة سَجَى".^٣

اعتماده الاشتقاق في التنبيه إلى الفروق اللغوية، ومن ذلك قوله:

"والمهين من الرجال الضعيف، وفي التنزيل: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} [الزخرف: ٥٢] ومعنى مهين: قليل؛ وهو من المهانة". انتهى، وفي ذلك نفي أن يكون (مهين) من هان التي بمعنى سهل".^٤

وقوله: والتناوش: الأخذ من بُعدٍ، مهموز - عن ثعلب- قال: "فإن كان عن قرب فهو التناوش بغير همز، وفي التنزيل: {وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ} [سبأ: ٥٢] قرئ بالهمز وبغير همز وقال الزجاج: من همز فعلى وجهين أحدهما أن يكون من الننيش الذي هو الحركة في إبطاء، والآخر من النوش الذي هو التناول، فأبدل من الواو همزة لمكان الضمة".^٥

وهو يعتمد الاشتقاق وسيلة إلى تلافي التوسع في القول بالاشتراك اللفظي، حيث يردُّ المشترك إلى أصلٍ واحدٍ اشتقت منه الألفاظ مظنةً الاشتراك، ومن ذلك قوله: "والحصير الملك سمي بذلك لأنه محصور: أي محجوب، والحصير المحبس، وفي التنزيل {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء: ٨]

١- ابن سيدة، المحكم، ٢٨٥/٤

٢- ابن سيدة، المحكم، ٨٨/٧، ٨٩

٣- المحكم، ٥١٨/٧، ٥١٩

٤- المحكم، ٣٣٧/٤

٥- ابن سيدة، المحكم، ٩٣/٨

وقوله: " الزَّبِينُ: دَفَعُ الشَّيْءَ عَنِ الشَّيْءِ... وَزَبَنَتِ النَّاقَةُ وَلَدَهَا: دَفَعَتْهُ عَنِ ضَرْعِهَا بِرَجُلِهَا، ...
والزبانية: الذين يزبنون الناس: أي: يدفعونهم "١.

وهو يلجأ إلى التنبيه المباشر على أصل الاشتقاق، في بعض الأحيان وبشكل غير مباشر في أحيان أخرى. فمن تنبيهه المباشر على ذلك قوله: " والسياحة الذهاب في الأرض للعبادة والترهب، وقد ساج: منه "٢.

وقوله: " أبلِسُ الرَّجُلُ: قُطِعَ بِهِ، - عن ثعلب - وأبلس سكت، يئس ونديم، وفي التنزيل: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} [الروم: ١٢] وإبليس لعنه الله مشتق منه "٣.

ومن تنبيهه غير المباشر إلى أصل الاشتقاق قوله: " وَصَفَ الشَّيْءَ لَهُ وَعَلِيهِ وَصْفًا وَصِفَةً: حَلَاةٌ، وقيل: الوصفُ المصدر، والصفةُ الحلية "٤. انتهى، وهو يقصد بالصفة هنا: (اسم معنى).

وهو مع حرصه على التنبيه على أصل الاشتقاق، قد ينبه أيضاً على وحدة معنى الفعل - وإن اختلفت المصادر - ومن ذلك قوله: " ... وَلَهَى عَنْهُ، ومنه وَلَهِيَ لَهْيًا، وَلِهْيَانًا، وَتَلَهَى، كَلَهَى: غفل عنه ونسيته، وفي التنزيل: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: ١٠] "٥.

وقد يُغفل ابن سيده التنبيه إلى أصل الاشتقاق فيما حُفَّه أن يبيته، ومن ذلك قوله: "والقلم السهم الذي يُجَالُ بين القوم في القمار، وجمعها أقلام وفي التنزيل: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامَهُمْ} [آل عمران: ٤٤] قيل معناه: سهامهم وقيل: أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة "٦ انتهى. في حين فطن الزجاج إلى ضرورة التنبيه في هذا الموضع إلى أصل الاشتقاق فقال: " وإنما قيل للسهم "القلم" لأنه يُقلم؛ أي يُبرى، وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته، من ذلك القلم الذي يكتب به، إنما سمي: لأنه قلم مرة بعد مرة، ومن هذا "قلمت أظفري ".

وقوله: " والدولسي: الدريعة المدلسة ومنه قول ابن المسيب: " رحم الله عمر: لو لم ينه عن المتعة لاتخذها الناس دولسيًا، حكاها الهروي في الغريبين "٧.

وهو لا يحصر الاشتقاق بالمصادر؛ فقد يقول بالاشتقاق من الفعل كقوله:

" والصوغ: ما صيغ. وقد قرئ صواغ في {قَالُوا نَفَقُوا صَوَاعَ الْمَلِكِ} [٧٢: يوسف] "٨.

١- ابن سيده، المحكم، ٦٣/٩

٢- ابن سيده، المحكم، ٤٢٤/٣

٣- ابن سيده، المحكم، ٥١١//٨

٤- ابن سيده، المحكم، ٣٨٢/٨

٥- المحكم، ٤٢٣/٤

٦- المحكم، ٤٣٨/٦

٧- ابن سيده، المحكم، ٤٥٢/٨

- وقد يقول بالاشتقاق من الاسم ومن ذلك قوله: " الصبغة: الشريعة والخلة، وفي التنزيل: {صِبْغَةَ اللَّهِ} [البقرة: ١٣٨]، وهو مشتق من ذلك "٣.

- وكذلك تجده يؤيد قول ابن جنّي بجواز الاشتقاق من الحرف، حيث يقول:

" سوف كلمة معناها التنفيس والتأخير، وأما قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} [الضحى: ٥]، فإنّ اللام داخلة فيه على الفعل لا على الحرف... وقال ابن جنّي هو حرف واشتقوا

منه فعلاً فقالوا: سوفتُ الرَّجُلُ تسويفاً، وهذا كما ترى مأخوذ من الحرف "٤.

- وهو كذلك ينصّ على الاشتقاق من اسم المعنى (الصفة) يقول:

" الشُّحُّ، والشَّحُّ، والشَّحُّ البُخْلُ، ° قال سيبويه: أفعلة وأفعلاء إنما يغلبان على فعيل كأربعة وأربعاء، وأخمسة وأخمساء. ولكنّه قد جاء من الصفة هذا ونحوه "٦.

ولابن سيده مواقف نقدية من أقوال العلماء في الاشتقاق منها سطوته التي وجهها إلى أبي عبيد، القاسم بن سلام، صاحب كتاب (الغريب المصنّف) منتقداً اختياره في اشتقاق كلمة (ميتاء) الواردة في بعض الحديث.

قال ابن سيده: " وطريق ميتاء: عامر واضح، هكذا رواه ثعلب بهمز الياء من ميتاء قال: وهو مفعلمن أتيت... ورواه أبو عبيد في المصنّف بغير همز، ذكره في فعلاء وهذا سهو منه؛ لأنّ الاشتقاق يؤذن بغير ذلك، إذ معنى الإتيان قائم فيه، ولا يجوز أن يكون ميتاء بغير همز فيعلا. لأنّ فيعلاً من أبنية المصادر، وميتاء ليس مصدرأ، إنّما هو صفة، فالصحيح فيه إذن ما رواه ثعلب وفسره، وقد كان لنا أن نقول: إنّ أبا عبيدة أراد الهمز فتركه، إلا أنه عقد الباب بفعلاء، ففضح ذاته، وأبان هناته." انتهى كلام ابن سيده.

وفي الحديث: " لولا أنه طريق ميتاء... لحزنا عليك يا إبراهيم " ٧ ومن نقده لاختيارات العلماء في الاشتقاق أيضاً قوله: " وثى به إلى السلطان: وشى، عن ابن الأعرابي:

١- نسبها القرطبي في الجامع ليحيى بن يعمر

٢- ابن سيده، المحكم، ٦/ ٣٦

٣- ابن سيده، المحكم، ٥/ ٤١١

٤- المحكم: ٦١٨/٨

٥- وردت هذه اللفظة مكرورة خالية من الضبط في المحكم، ولكن تكرارها يدلُّ على ضبطه بالحركات الثلاث

٦- المحكم: ٤٨٧/٢

٧- الحديث: ابن أبي شيبه في مصنفه، ج٣، كتاب الجنائز في التغديب على البكاء على الميت، ١٩٦/٢، من رخص في البكاء على الميت بسنده عن علي بن هاشم، عن محمد بن أبي ليلي، عن عطاء عن جابر وعلي بن أبي هاشم قال: ابن حجر في (التقريب) ثقة فيه تشيع، وقال فيه الذهبي في السير: الحافظ الشيعي الصدوق. ومحمد بن أبي ليلي ذكر

يجمع للرعاء في ثلاث طولُ الصوى وقلةُ الإرغاث

جمعك للمخاصم الموائى

كأنه جاء على واثاه، والمعروف عندنا أثنى، فإن كان ابن الأعرابي سمع من العرب (وثى) فذاك وإلا فإنّ الشاعر إنما أراد (مؤاتي) بالهمز، فخفض الهمزة بأن قلبها واواً للضمّة التي قبلها، وإن كان ابن الأعرابي إنما اشتقّ (وثى) من هذا فهو غلط^١.

عناية ابن سيده بالتصريف كوسيلة لتقرير المعنى

من عادة ابن سيده في (المحكم) أن يقدّم للفظه التي يشرحها بمقدّمه يبيّن فيها أهمّ الأحوال التصريفية المرتبطة بها وقد يبحث ما طرأ على اللفظ من تغيرات صرفيّة، وقد يبين الفروق بين الصيغ الصرفية أو يبين ما قد يقع من التباس في بعضها. وبناء على ذلك يمكن تلخيص مظاهر عناية ابن سيده بعلم الصرف كوسيلة من وسائل التفسير اللغوي بما يأتي:

- معاني صيغ المصادر، ومن ذلك: قوله: "شنيء وشنأه: الأخيرة عن ثعلب يشنؤه فيهما شنأاً وشنئاً، وشناءة، وشنأة، ومسنوءة، وشنأاً وشنأناً: أبغضه"^٢.

قوله: "خشيئ خشيئاً، وخشيئ، وخشأه ومخشأه، ومخشئية، وخشيئاناً، ونخشأه [كلاهما]: خافه"^٣.

- عنايته بمعاني صيغ الأفعال، ومن ذلك:

قوله في تفسير قوله تعالى: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: ٢٢]:

"وتعبّد الرجل وأعبده: صيره كالعبد، قال:

حنّام يُعبّدني قومي وقد كثرت
فيهم أباعر ما عاشوا وعبدان

الذهبي أقوال أكابر العلماء في تضعيفه بسوء الحفظ. وأورده الألباني في الصحيحة برقم ٤٢٧ شاهداً لحديث (صوتان ملعونان) وتعقبه في ذلك الشيخ عبد الله الجديع في كتاب: (الموسيقى والغناء في ميزان الإسلام) ص ٤٠٧ - ٤١١، وكذلك تعقبه عبد الفتاح محمود سرور في كتابه: (الإسعاف في الردّ على الإتحاف) حيث يترجم من خلاصة أقوال العلماء أنه معلول بـ (ابن أبي ليلى) وقد طعن الكثير من نقاد الحديث بسوء حفظه، وأنه تفرّد برواية هذا الحديث من هذا الطريق، " وقد اضطرب في صحابي الحديث، فتارة يجعله في مسند جابر، وتارة من مسند ابن عوف، انظر الإسعاف في الردّ على الإتحاف حديث ٤٢٧.

١- ابن سيده، المحكم ٢٢٤/١٠

٢- ابن سيده، المحكم ٨٩/٩

٣- ابن سيده، المحكم، ٢٤١/٥

وَعَبْدُهُ، وَاعْتَبَدَهُ، وَاسْتَعْبَدَهُ: اتَّخَذَهُ عَبْدًا - عَنِ اللَّحْيَانِيِّ -.^١

وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} [البقرة: ١٩٦]: " وَحَصْرُهُ يَحْصِرُهُ حَصْرًا فَهُوَ مَحْصُورٌ وَحَصِيرٌ، وَأَحْصَرَهُ، وَكِلَاهُمَا حَبَسَهُ عَنِ السَّفَرِ أَوْ غَيْرِهِ وَفِي التَّنْزِيلِ: (الآية) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا} [البقرة: ٢٧٣] قِيلَ أَحْصَرَهُمْ فَرَضَ الْجِهَادَ أَيْ مَنَعَهُمْ مِنَ التَّنَصُّرِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَحْصَرَهُمْ عَدُوَّهُمْ لِأَنَّهُ شَغَلَهُمْ بِجِهَادِهِمْ لَهُ^٢. انتهى كلام ابن سيده، وهو بهذا الاختيار يشابه قول مالك - رحمه الله - في الموطأ؛ قال القرطبي في (الجامع): " وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يُقَالُ: أَحْصَرَ فِيهِمَا جَمِيعًا مِنَ الرَّبَاعِيِّ " ونسب ذلك إلى أبي عمر بن عبد البرّ.

وقد جمع القرطبي أقوال اللغويين في المسألة، ويمكن تلخيصها على الشكل الآتي :

١. القول بأن (حُصِرَ) تقال في العدو، و (أَحْصِرَ) في المرض وشبهه، قال به أبو إسحاق الزجاج، وزعم فيه إجماع أهل اللغة^٣، وكذلك قال به أبو عبيدة والكسائي، وقال به الخليل ابن أحمد، وابن السكيت، كما قال به الأخفش.
 ٢. القول بالعكس- أي أنّ (حُصِرَ) تقال في المرض، و (أَحْصِرَ) في العدو: قال به ابن فارس في (المجمل).
 ٣. القول بأنّ (حُصِرَ) و (أَحْصِرَ) بمعنى واحد: هو قول الفراء، وأبو عمرو الشيباني.
- وقد ارتبط بهذا الخلاف بين اللغويين خلاف بين الفقهاء في المسألة نفسها: فالقرطبي ينسب إلى أصحاب مالك الأخذ بالقول الأوّل، باستثناء أشهب. وينسب الأخذ بالقول الثاني إلى الشافعية وينسب القول الثالث إلى مالك في الموطأ. هذه خلاصة قول القرطبي بتصريف. وللطبري-رحمه الله - قول مقارب لاختيار مالك مع فرق دقيق؛ فيرى أنّ " أولى التأويلين بالصواب في قوله [تعالى]: {فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ} تأويل من تأوّله بمعنى: " فَإِنْ أَحْصَرَ كُمْ خَوْفُ عَدُوٍّ، أَوْ مَرَضٌ أَوْ عِلَّةٌ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْبَيْتِ؛ أَيْ صَبَّرَكُمْ خَوْفَكُمْ أَوْ مَرَضَكُمْ تَحْصِرُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَحْبِسُونَهَا عَنِ النَّفُودِ لَمَّا أَوْجِبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ عَمَلِ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ. وَيُؤَكِّدُ أَنَّ " تَأْوِيلَ الْآيَةِ مَرَادُ بِهَا إِحْصَارٌ غَيْرُ الْعَدُوِّ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَرَادُ بِهَا الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ.

١- ابن سيده، المحكم، ٢٥/٢

٢- ابن سيده، المحكم، ١٤٣/٣

٣- من عادة الزجاج أن يعبر بالإجماع عن إجماع البصريين .

أما ثمرة الخلاف فيبينها ابن قدامة في المغني^١ قائلاً: " المشهور في المذهب^٢ أن من يتعدّر عليه الوصول إلى البيت بغير حصر العدو؛ من مرض أو عرج أو ذهاب نفقة ونحوه لا يجوز له التحلل بذلك وبه قال مالك والشافعي وإسحاق، وعن أحمد رواية أخرى التحلل بذلك " ثم علل هذه الرواية تعليلاً لغويًا بقوله: " يحقّقه أن لفظ الإحصار إنما هو للمرض ونحوه، يقال: أحصره المرض إحصاراً فهو مُحَصَّرٌ، وحَصَرَهُ العدوُّ حصراً، فهو محصور فيكون اللفظ صريحاً في محل النزاع وحصر العدو مقيس عليه ".

- ومن عنايته بمعاني صيغ الأفعال

قوله " وأما قوله تعالى: { وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَكْنَئًا } [يوسف: ٣١] فإنه إن كان كما ذهب إليه قوم من أنه غير بالابدال كراهية المثلين، كما يفرّ منهما إلى الإدغام فهو من هذا الباب، وإن كان من العتاد فظاهر أنه ليس منه^٣ وقوله في تفسير قوله تعالى: { لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ } " قال سيبويه: فأما قوله تعالى: { لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ } [النحل: ٦٢] فإنّ جرم عملت لأنها فعل، ومعناها: لقد حقّ أن لهم النار، ولقد استحقّ أن لهم النار وقول المفسّرين: " معناها حقا أن لهم النار بذلك أنها بمنزلة هذا الفعل إذا مثلت فعملت بعد في (أن) ... " ^٤.

- عنايته بصيغ الإفراد والتثنية والجمع: ومن ذلك:

قوله: " وفي التنزيل: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ } [البقرة: ٨٨] وقيل معناه: صم ومن قرأ غلف أراد جمع غلاف، أي إنها أوعية للعلم، ولا يكون جمع أغلف؛ لأن فُعلاً لا يكون جمع أفعل عند سيبويه، إلا أن يضطرّ شاعر، كقول طرفة:
جرّدوا منها وراداً وشئراً^٥
وقوله: " والأمرُ الحادثة، والجمع أمور، لا يكسرُ على غير ذلك، وفي التنزيل: { أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } [الشورى: ٥٣] " ^٦

١- طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ، جزء ٣، صفحة ٣٨١

٢- يقصد مذهب الحنابلة.

٣- ابن سيده، المحكم، ٨٢/١، يلاحظ أنه قدّم كلام أبي علي الفارسي - هنا - على كلام الزّجاج، انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٤/٣

٤- المحكم، ٤١٦/٧

٥- ابن سيده، المحكم، ٥٢٨/٥ والبيت لطرفة ابن العبد في ديوانه ص ٥٧ وصدوره: أبيها الفتيان في مجلسنا، ديوان طرفة دار صادر وطبع مجمع اللغة العربية، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال.

٦- المحكم، ٢٩٨/١٠، انظر المزيد: مادة فرّق، ٥٢٩/١، شخ: ٤٨٧/٢، ظهر: ٢٨٩/٤، صدق: ١٩٠/٦ فرّق، ٤٢٤/٨، ٣٨٣/٦.

- العناية بتناوب معاني الأبنية الصرفية، ومن ذلك:

قوله: " قوله تعالى: { قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [هود: ٤٣]: أي لا معصوم إلا المرحوم، وقيل هو على النسب؛ أي ذا عصمة، وذو العصمة يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً، فمن هنا قيل إن معناه: لا معصوم، وإذا كان كذلك فليس المستثنى هنا من غير نوع الأول. بل هو من نوعه... وقيل إن من رحم مستثنى ليس من نوع الأول، وهو مذهب سيبويه ^١.

وقوله في تفسير قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا } [النبأ: ١٤] " قال ابن دريد: هذا مما جاء في لفظ فاعل، والموضع مفعول، لأن السحاب يثج الماء فهو مثجوج. وقد قدمت قول بعض أهل اللغة ثجبت الماء، وثج الماء نفسه، فإذا كان كذلك فإن يكون ثجاج في معنى ثاج أحسن من أن يتكلف وضع الفاعل موضع المفعول- وإن كان ذلك كثيراً... ^٢.

- التنبيه على ما طرأ على اللفظ من تغيرات صرفية. ومن ذلك:

ما يتعلق بالصوتيات: كقوله في قراءات اللفظ القرآني { يَخْصَمُونَ } [يس: ٤٩]: " فمن قرأ به لا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون الخاء مشددة، فتكون الخاء مفتوحة بحركة التاء المنقول إليها، أو مكسورة لسكونها وسكون الصاد الأولى ^٣.

وقوله: "والآخر بمعنى غير؛ كقولك: رجلٌ آخر، وثوبٌ آخر، وأصله: آخر، أفعال من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلتا، فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح الأولى قبلها" ^٤.
وقوله: " المهيمن اسم من أسماء الله عزّ وجلّ... وقال بعضهم في معنى: مؤيمن والهاء بدل من الهمة كما قالوا هرقت وأرقت وكما قالوا إياك وهياك" ^٥.

وقريب من ذلك بيان ما يطرأ على بعض الحروف من الإبدال بالقلب لتقارب المخارج الصوتية. كقوله: " وقوله تعالى: { وَأَنْقُوا لِلَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } [النساء: ١] وقرئ: (تَسَاءَلُونَ)، فمن قرأ تَسَاءَلُونَ فالأصل تتساءلون، قلبت التاء سيناً لقرب مكان هذه من هذه، ثم أدغمت فيها، ومن قرأ تتساءلون فأصله أيضاً تتساءلون، فحذفت التاء الثانية كراهية الإعادة... ^٦.

١- المحكم، ٤٥٧/١

٢- المحكم، ١٩٥/٧ وانظر المحكم ٥٨٤/٨: سيف، ٩٢/١٠: أمن

٣- المحكم، ٦٧/٥

٤- المحكم ٢٣٥/٥

٥- ابن سيده، المحكم ٣٣٥/٤

٦- المحكم، ٥٤٣/٨

التنبيه على التباس بعض الصيغ الصرفية، كالتباس المصدر بالصفة، ومن ذلك: قوله: " وقوله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: ١٣٧] وقرئ (خَلْقُ الْأَوَّلِينَ) و(خَلْقُ الْأَوَّلِينَ) فمن قال: خَلْقُ الْأَوَّلِينَ فمعناه كَذِبُ الْأَوَّلِينَ، وَخَلْقُ الْأَوَّلِينَ قِيلَ: شِيمَةُ الْأَوَّلِينَ، وَقِيلَ: عَادَةُ الْأَوَّلِينَ" ^١.

وقوله: "...فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ} [المائدة: ٢] فقد يكون مصدراً كَلِيَّانَ، ويكون صفة كسكران أي مُبْغِضٌ" ^٢.

التنبيه على (المناهي اللفظية) التصريفية، ومن ذلك:

- قوله: " في تفسير قوله تعالى: {خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ} [المعارج: ٤] و{وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} [طه: ١٠٨] ... وَخَشَعَ بَصْرُهُ: انكسر، ولا يقال: أخشع" ^٣.
- وقوله: " في تفسير قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} [سبأ: ٢٣] ... وَرَجُلٌ فَرَّغَ - وَلَا يَكْسِرُ [أي لا يجمع جمع تكسير] لَفَلَّةٍ (فَعِلٌ) فِي الصِّفَةِ وَإِنَّمَا جَمَعَهُ بِالْوَاوِ وَالتَّوْنِ" ^٤.
- وقوله: " في تفسير قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} [فاطر: ١٩] والعمى ذهاب نظر القلب، والفعل كالفعل، والصفة كالصفة، إلا أنه لا يبنى فعله على إفعال، لأنه ليس بالمحسوس - وإنما هو على المثل - وإفعال: إنما هي للمحسوس في اللون والعاهة" ^٥.

عناية ابن سيدة بالقراءات باعتبارها وسيلة لتقرير المعنى

يلاحظ المتأمل لما أورده ابن سيدة في (المحكم) من ذكر للقراءات أنه لم يكن من مقاصده تفصيل القول فيها، بل إنه قد يكتفي بالإشارة المجردة إلى القراءة، وقد يوجهها توجيهاً مقتضياً، ونادراً ما يتوسع في توجيهها، وأكثر ما ورد من توجيه القراءات في المحكم هو من باب التوجيه الصرفي المفضي إلى فهم المعنى. وقد يغفل ابن سيدة ذكر القراءات في بعض المواضع، وقد يغفل كذلك ما ورد عليها من تعليقات العلماء، والغريب أنه كثيراً ما يغفل تعليق الزجاج، ويأتي بغيره، فيكون المقدّم في ذلك أبو العباس ثعلب، ثم أبو عليّ الفارسي، أو تلميذه أبو الفتح ابن جني.

١- ابن سيدة، المحكم، ٥٣٦/٤

٢- ابن سيدة، المحكم، ٨٨/٨

٣- المحكم ١٢٩/١

٤- المحكم ٥٢٩/١

٥- ابن سيدة، المحكم، ٢٧٦/٢

- فمن التوجيه الصرفي للقراءات: قوله: " وتقرأ هذه الآية: { وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ } [المائدة: ٦٠] على سبعة أوجه: (وعَبَدَ الطَّاغُوتَ): معناه أنه عبد الطَّاغُوت من دون الله، و(عَبَدَ الطَّاغُوتَ) معناه: صار الطَّاغُوت يُعبد، و(عَبُدُ الطَّاغُوتَ): معناه: عباد الطَّاغُوت، و(عَبُدُ): أراد عبدة الطَّاغُوت. قال أبو الحسن: عَبَدُ الطَّاغُوت اسم لجمع عابد، كخادِمٍ وِخَدَمٍ، و(عَبُدُ الطَّاغُوت جماعة عابد، وقال الزَّجاج هو جمع عبید كرغيف ورُغْف وعبد الطَّاغُوت بإسكان الباء وفتح الدال يكون على وجهين، أحدهما أن يكون مخففاً من عَبَد، كما يقال: عضد، وعضد، وجائز أن يكون عَبَد اسم

الواحد يثُلُّ على الجنس، ويجوز في عَبَد النصب والرفع^١،

- ومن التوجيه الصرفي للقراءات قوله: " وقلبٌ أغلف، كأنه عُشي بغلاف، فهو لا يعي شيئاً، وفي التنزيل: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ } [البقرة: ٨٨]، وقيل معناه: صم، ومن قرأ (غُلْف) أراد جمع غلاف؛ أي أنها أوعية للعلم ولا يكون جمع أغلف، لأن فُعُلاً لا تكون جمع أفعل عند سيبويه، إلا أن يضطرَّ شاعر، كقول طرفة:

جرّدوا منها وراداً وشئراً^٢.

- وقد ينقل التوجيه الصرفي رواية، مع نسبتها إلى صاحبه، ومن ذلك قوله: " وقوله تعالى: { لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } [الحجرات: ١]، و (لَا تُقَدِّمُوا) فسره ثعلب فقال: " من قرأ تُقَدِّمُوا فمعناه: لا تُقَدِّمُوا كلاماً قبل كلامه، ومن قرأ: تُقَدِّمُوا فمعناه: لا تُقَدِّمُوا قبله، وقال الزَّجاج: تُقَدِّمُوا وتَقَدِّمُوا بمعنى"^٣.

١- المحكم، ٢٥/٢

٢- من مشكلات البحث في التفسير اللغوي ورود كثير من الألفاظ من غير ضبط في مصادرها - كما هو الحال هنا - مما يتطلب الاجتهاد في ضبطها من قبل الباحث، على أن ابن جنّي ذكر فيها عشر قراءات وضبطها بالوصف قائلاً: " وهي: (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)-على فَعَلٍ ونصب الطَّاغُوتَ، وعبد الطَّاغُوت بفتح العين وضَمَّ الباء وفتح الدال وخفض الطَّاغُوتَ، وهما في السبعة، و (عَبُدُ الطَّاغُوتَ) بضمّ العين والياء وفتح الدال، وخفض الطَّاغُوتَ، و(عبد الطَّاغُوتَ) بكسر العين وألف بعد الباء وفتح الدال وخفض الطَّاغُوتَ، و(عَبُدُ الطَّاغُوتَ)؛ مبنياً للمجهول، وعابد الطَّاغُوت بفتح الدال وخفض الطَّاغُوتَ، وعبدوا الطَّاغُوتَ، بواو، و(عَبُدُ الطَّاغُوتَ) بضمّ العين وفتح الباء والدال وخفض الطَّاغُوتَ" انظر ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، و عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٣- انظر الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، طبعة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، كتاب التفسير، باب القراءات، حديث رقم ١١٥٩١ عن ابن عباس أنه كان يقرأ: " قلوبنا غُلْفٌ " مثقلة:

أوعية للحكمة،... رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن أرمم، وهو متروك، وصدر البيت ورد ذكره سابقاً
٤- ابن سيدة، المحكم، ٢٦٤/٥

- ومن النادر جداً أن يذكر ابن سيده سنداً للقراءة، كقوله.^١ " خفى الشيء خَفِيًا وَخُفِيًا: أظهره واستخرجه، وقرئ: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه: ١٥]، حكاه اللحياني، عن الكسائي، عن محمد بن سهل عن سعيد بن جبير ".
 - وقد ينقل توجيه القراءة دون نسبة – وغالبا ما يكون ذلك من كلام الزجاج، وربما يكون اعتماداً على بيانه لمصادره في مقدّمة الكتاب، ومن ذلك قوله:^٢ " و أما قراءة من قرأ: {إِلا مَنْ خَطَفَ أَلْخَطْفَةَ} [الصافات: ١٠] فإنَّ أصله اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وألقيت حركتها على الحاء، فسقطت الألف، وقرئ: خَطَفَ بكسرة الخاء والطاء على إتباع كسرة الخاء كسرة الطاء، وهو ضعيف جداً"^٣.
 - ومما أغفله من قول الزجاج ومال فيه إلى قول ثعلب قوله: " وقرأ الحسن: (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ)"^٤، قال ثعلب: " وهو غلطٌ منه "^٥
 - ومما أغفل ذكره من القراءات وقد ذكره الزجاج، القراءات الواردة في قوله تعالى: { في شُعْلٍ فَكَاهُونَ } [يس: ٥٥]^٦ قال الزجاج:^٧ " و يقرأ: (في شُعْلٍ وَشُعْلٍ)، وشُعْلٌ وشُعْلٌ يجوز في العربية " ومن ذلك أيضاً توجيه القراءة في قوله تعالى: { فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا } [الأنبياء: ٥٨] حيث لم يذكر ابن سيده فيها شيئاً، في حين ذكرها الزجاج ووجهها توجيهاً صرفياً حيث قال: "... {وَجُذَاذًا} تقرأ بالضمّ والكسر؛ فمن قرأ جُذَاذًا فإنه بنيتة ما كسر وقطع على فعال نحو: [الجذاذ، والحطام، والرفقات]^٨، ومن قال: جُذَاذًا فهو جمع جذيد، وجذاذ نحو ثقيل وخفيف وخفاف، ويجوز
-
- ١- ابن سيده، المحكم، ٣٢٢/٦
 ٢- المحكم، ١١٨/٥
 ٣- قال الزّجّاج: المعاني، ٣٩/٤، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، مرجع سابق: " ويجوز إلا من خطف بتشديد الطاء، وفتح الخاء، ويجوز " خَطَفَ " بكسر الطاء، وفتح الطاء، والمعنى اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وسقطت الألف لحركة الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في اختطف ومن كسر فسكونها وسكون الطاء، فأما ما يروى (خَطَفَ الخطفة بكسر الخاء والطاء فلا وجه له إلا وجهها ضعيفاً يكون على إتباع الطاء كسر الخاء " ٤- المحكم، ١٦/٨
 ٥- كلام الزّجّاج- هنا- يشبه كلام ثعلب، وفيه تشديد وتفصيل؛ قال: "وهو غلط عند النحويين، ومخالفة عند القراء للمصحف، فليس يجوز في قراءة، ولا عند النحويين، ولو كان يجوز في النحو والمصحف على خلافه لم تجز عندي القراءة به "
 ٦- في شُعْلٍ فَكَاهُونَ
 ٧- المعاني، مرجع سابق ٣٤/٤
 ٨- قال صاحب الإتحاف، مرجع سابق، ٤٠٢/٢: " وضمّ الغين من شُعْلٍ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف، وسكنها الباقيون...
 ٩- كذا في كتاب الزّجّاج من غير ضبط، ولعلّ إهمال المحقق ضبطها ناتج عن التناقض الوارد في مثال ضبط الأوزان الصرقيّة.

جَدَاذًا على معنى القُطَاف والحَصَاد ويجوز جُدُذ على معنى جَدِيذٌ وجُدُذٌ؛ مثل جديد وجدد " انتهى.
ومما يجدرُ تسجيله في هذا المقام غلبة التوجيه الصرفي واللغوي عند ابن سيدة وندرة
غيرهما، واقترانهما في غالب الأحوال.

العناية بالنحو عند ابن سيدة في " المحكم "

لم يكن من مقصد ابن سيدة - في (المحكم) خاصة - أن يبيلور منهجاً محدّد المعالم في
التعامل مع المسائل النحوية محلّ البحث. بل من الواضح أنه يعتمد في مباحثه المتناثرة على
ما جمعه من أقوال العلماء ومباحثهم فهو يأخذ عن المبرّد، وثعلب، وأبي علي الفارسي، وأبي
الفتح ابن جني، ويصرّح بتتلّمذه على أبي عليّ الفارسي تصريحاً مباشراً- كما سبق ذكره في باب
التضاد اللغوي، وكذلك يظهر هذا التتلّمذ بتعبيره عن تبنيّ مقولات الفارسي التأصيلية والنقدية.
فمن تبنيه لمواقف الفارسي التأصيلية: موافقته إياه في القول بأنّ أل زائدة في الذي، وأنّ
الاسم الموصول يتعرّف بالصلة لابيها، فقال: " ولو كان (الذي) إنما حصل له التعريف من أجل
الألف واللام لا بالصلة لوجب أن تكون (من) و (ما) الموصولتين نكرتين، لأنه لا ألف، ولا لام
فيهما، وإن كان الظاهر من كلام سيبويه غير ما ذهب إليه الفارسي " ٢، ٣.
" وهو يتابع أبا علي فيقول إن الواو في " أبوك " حرف إعراب، ويورد العلل التي يسوقها الفارسي
لتأكيد رأيه " ٤.

" ومنهج ابن سيدة في تعامله مع الإرث النحوي في مؤلفاته يقوم على التخفف من ذكر المسائل
القياسية المطردة التي تكررت في كتب النحو قبله وعلى التنبيه على أمور أخرى شاذة، وعلى التمييز
بين الأمور المتشابهات التي قد يقع فيها الغلط، وقد ذكر كل ذلك حين بيّن منهجه ووضّحه في وصفه
لمنهجه العام في المحكم " ٥.

ويلحظ توزّع الاهتمامات ذات السمة المنهجية لدى ابن سيدة على الأمور التالية: -

١- وسائل التوجيه النحوي.

١- الزجّاج، المعاني، مرجع سابق ٢٠٢/٣

٢- ابن سيدة، المخصص ١٠١/١٤

٣- وانظر الكتاب لسيبويه، مرجع سابق، ٣٣٣/٣

٤- انظر هذا، والمزيد من الأمثلة في بحث الدكتورة ناديا حسكر، أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيدة
النحوية، موقع مجلة التراث العربي عدد ٨٣-٨٤، ٢٠٠٣. أيلول ١٦.

٥- نفسه، بتصرّف يسير، والمحكم ١٠/١.

٢- معاني الحروف.

٣- مسائل متفرقة لا تنتظم في مجموعات تمثل ظاهرة منهجية بارزة.

أولاً: وسائل التوجيه النحوي: وينفرع على الشكل الآتي.

١- الحمل على المعنى: وأبرز تطبيقاته في موضوع التعديّة وموضوع الممنوع من الصرف؛

- فمن استخدامه في موضوع اللازم والمتعدي قوله: " وقول أبي ذؤيب:

فهنَّ صُعرٌ إلى هدر الفنيق ولم يجفو ولم يسله عنهنَّ إلقاخُ

" عدّاه بإلى لأنه في معنى مَوائل؛ كأنه قال: فهنَّ مَوائلٌ إلى هدر الفنيق "١.

وقوله في تفسير قوله تعالى: {حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥] " وكأنه إنما جاز: حملت به لما

كان في معنى: علفت به، ونظيره قوله تعالى: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ أَصَيَّامٌ أَلرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ} [البقرة:

١٨٧] لما كان في معنى الإفضاء عدّي بإلى".

وقوله: " وقوله تعالى: {وَأَجَعَلْنَا مُسَلِّمِينَ لَكَ} [البقرة: ١٢٨] أراد مخلصين لك، فعّداه باللام؛ إذ

كان في معناه "٢.

ومن استخدامه في موضوع الممنوع من الصّرف قوله: "قوله تعالى: {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}

[الإنسان: ٥] قيل هي عين في الجنة فكان ينبغي ألا ينصرف، لأنه اسم مؤنث معرفة على أكثر من

ثلاثة أحرف، لكن إنما صرفه لتعديل رؤوس الأبي. وقال ثعلب: " إنما أجراه لأنه جعله تشبيها ولو

كان اسما للعين لم يصرفه، قوله جعله تشبيها أراد كان مزاجها مثل كافور... "٣.

وقوله: " وطوى، وطوى، وطوى: جبل بالشام، وقيل هو واد في أصل الطور، فمن لم يصرفه ترك

صرفه من وجهين أحدهما أن يكون معدولا عن طاو فيصير مثل عمر المعدول عن عامر. والوجه

الأخر أن يكون اسما للبقعة كما قال تعالى: {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ} [القصص: ٣]. ومن

قال: طوى فنون جعله اسماً للوادي أو للجبل مذكراً "٤.

وقوله: " وإرم: والد عاد الأولى، ومن ترك صرف إرم جعله اسماً للقبيلة، وقيل إرم عاد الأخيرة

وقيل إرم اسم لبلدتهم التي كانوا فيها... "٥.

١- ابن سيده، المحكم، مادة صعر، ٤٣٢/١ والبيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٦٨، ديوان الهذليين، الدار القومية بمصر.

٢- وانظر مزيد المحكم مادة: ثقل: ٣٥١/٦، ٢٥١/٨: أفضى

٣- ابن سيده، المحكم، مادة: كفر ٦/٧

٤- ابن سيده، المحكم، مادة: طوى ٢٥٣/٩

٥- المحكم ٢٩٦/١٠

٢- الحمل على النسبة، ومن أمثلته:

- قوله: " وقوله تعالى: {لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ} [الغاشية: ١١]: كلمة لاغية فاحشة، وأراه على النسب، أي ذات لغو " ^١.
- قوله: " والسماء التي تظلل الأرض أنثى، وقد تذكر، وعلى هذا حمل بعضهم قوله عزّ وجلّ ^٢: { السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } [المزمّل: ١٨] لا على النسب [يعني ليس بمعنى ذات انفطار] كما ذهب إليه سيبويه ^٣.
- وقوله: " وقوله تعالى: {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ: ٢٩]: قيل الباطل هنا إبليس، أراد ذو الباطل؛ أي صاحب الباطل، وهو إبليس ^{٤، ٥}.
- ومما تردد فيه بين الرواية والقياس في مجال الحمل على النسبة تبنيه لقول ابن جنّي: "... تفسير أهل اللغة أنّ استاف القوم بمعنى تسافوا، فتفسيره على المعنى، كعادتهم في أمثال ذلك؛ ألا تراهم قالوا في قوله سبحانه: {من مَاءٍ دَافِقٍ} [الطارق: ٦] أنه بمعنى مدفوق. فهذا لعمري معناه، غير أنّ طريق الصنعة فيه أنه ذو دفق" ^٦، {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود: ٤٣] أي ذا عصمة.
- ٣- الحمل على الحذف: وهو أكثر الوسائل المستعملة في التوجيه النحوي وكذلك هي عند ابن سيده. ومن ذلك:
- قوله: " وقوله عزّ وجلّ: {وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا} [الحج: ٤٨] أراد أخذها بالعذاب، فاستغنى عنه لتقدّم ذكره في قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [الحج: ٤٧]" ^٧.
- وقوله: " قوله تعالى: {قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف: ١٦]، قيل فيه: " من أجل آدم لأقعدنّ لهم صراطك، ومثله قوله: ضرب زيد الظهر والبطن المعنى: على الظهر والبطن" ^٨.

١- ابن سيده، المحكم، مادة: لغو ٦١/٦

٢- السماء منفطر به

٣- المحكم، ٦٢٥/٨

٤- ابن سيده، المحكم، ١٧٥/٩

٥- هذا اختيار الزجاج: المعاني، ١٤/٤

٦- المحكم، ٥٨٤/٨

٧- المحكم، ٢٣٣/٥

٨- المحكم، ٦١/٦

- وقوله: "... وقوله تعالى: {وَأَنَا مِمَّا لَصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ} [الجن: ١١] فإنه أراد: ومنا قومٌ دون ذلك، فحذف الموصوف " ١ .

- الحمل على التوهّم: ومنه قوله " والمتعبّد المنفرد بالعبادة والمعبد المكرّم، والمعظم كأنه يعبد:

تقول ألا تمسك عليك فإنني أرى المال عند الباخلين معبداً

سكن آخر تمسك لأنه توهّم (سكع) من تمسك عليك ٢ بناءً فيه ضمّة بعد كسرة وذلك مستقلٌ ٣

كقول جرير:

سيروا بني العمّ فالأهواز مسكنكم ونهر تبري ولا تعرفكم العرب " ٤

ثانياً: معاني الحروف، وهو - في الغالب- يذكر أقوال العلماء فيها، ويقدم قول أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح ابن جني، وهو أكثر تحرّزاً في نقد أقوالهم من تحرّزه من نقد أورد قول سيبيويه ومن أمثلة عنايته بمعاني الحروف:

- قوله: في تفسير قول الله تعالى: {جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} [يونس: ٢٧] " قال ابن جني: " ذهب الأخفش إلى أن الباء فيها زائدة، ... وإنما استدللّ على هذا بقوله [تعالى]: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: ٤٠] قال ابن جني: " وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح إلا أن الآية تحتل مع صحة هذا القول تأويلين آخرين:

أحدهما: أن تكون الباء مع ما بعدها هو الخبر كأنه قال: جزاء سيئة كائن بمثلها...

والوجه الآخر: أن تكون الباء في (بمِثْلِهَا) متعلقة بنفس الجزاء، ويكون الجزاء مرتفعاً بالابتداء، وخبره محذوف، كأنه جزاء سيئة بمثلها كائنٌ أو واقعٌ " ٥ . انتهى.

ويلاحظ عدم تعقيب ابن سيده بأي تعليق أو ترجيح، وكأنه اكتفى بما قدّمه ابن جني، وقال فيه: " إنه مذهب حسن واستدلالٌ صحيحٌ " . والراجح - والله أعلم - هو هذا الاختيار لكونه مستنبط من الشاهد القرآني، وهو من تفسير القرآن بالقرآن.

١- المحكم، ٤٣٤/٩، وانظر المزيد على سبيل المثال في: مادة قوم ٥٩٢/٦، ود: ٣٦٩/٩، موت: ٥٤٣/٩، أتي: ٥٤٦/٩، ظلم: ٢٤/١٠

٢- المقصود الحروف التي تحتها خط في (تمسك عليك)

٣- أنه توهّم السين والكاف والعين في (تمسك عليك) لفظة واحدة هي (سكع) وبنى تصرّفه بحركة الكاف على هذا التوهّم فأسكن الكاف وحققا الضم توهما أنها والسين المكسورة قبلها من لفظ واحد، والبيت لحاتم الطائي في ديوانه ص ٢٠٧ .

٤- المحكم، ٢٥/٢، والبيت لجرير في ديوانه ص ٤٤١، ديوان جرير. شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- ابن سيده، المحكم، ٣٢١/٣

وقوله: " سوف كلمة معناها التنفيس والتأخير، وأما قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} [الضحى: ٥]، فإن اللام داخلة على الفعل لا على الحرف... وقال ابن جنّي هو حرف، واشتقوا منه فعلاً فقالوا: سوفت الرجل تسويفاً... " ^١.

قوله: " و (ألا) حرف استفتاح واستفهام وتنبيه. نحو قوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ} [الصافات: ١٥١] وقوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} [البقرة: ١٢]، قال الفارسي: فإذا دخلت على حرف تنبيه خلصت للاستفتاح كقوله

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى " ^٢

- وقد يجمع أقوال بعض العلماء في معنى حرف من الحروف - خاصة في السياق القرآني، ومن ذلك قوله: " قال سيبويه: " وقالوا كآين رجلاً قد رأيت، زعم ذلك يونس، وكآين قد أتاني رجلاً، إلا أنّ أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع (من)... " وقال الخليل: " إن جرّ بها أحد من العرب فعسى أن يجرّ بها بإضمار (من)... قال ابن جنّي: والذي علقته عن أبي عليّ أنّ أصلها كأى... ثمّ إنّ العرب تصرّفت في هذه الكلمة لكثرة استعمالها... " .

ثم يتابع ابن سيده كلام ابن جنّي ذاكراً ما روي من كلام العرب في (كأى)، ويخطو مزيداً من الخطوات في تسويغه فيقول: " ومن قال: (كإ)بوزن (عم) فإثّه حذف الياء من كأى تخفيفاً أيضاً، فإن قلت إن هذا إجحافاً بالكلمة لأنه حذف بعد حذف، وذلك بأكثر من مصيرهم ب (أيمن الله) إلى (م الله) و (م الله) فإذا كثر استعمال الحرف حسن فيه ما لا يحسن في غيره من التغيير والحذف... وقوله عزّ وجل: {وَكَايِّنَ مِّنْ قَرْيَةٍ} [الحج: ٤٨] فالكاف زائدة كزيادتها في كذا وكذا؛ فإذا كانت زائدة فليست متعلقة بفعل ولا بمعنى فعل " ^٣.

ويتبع ابن سيده الكلام في (كآين) الكلام في إياك، فيسوق حشداً من أقوال العلماء فيها، ويورد قول ابن جنّي في كلّ واحدٍ منها، ثمّ يتبنى: موقف ابن جنّي في اعتماد كلام أبي الحسن الأخفش الذي مفاده أنّ " إيا اسم مبهم يكئى به عن المنصوب، وجعلت الكاف والهاء والياء بياناً عن المقصود ليُعْلَمَ المخاطبُ من الغائب، ولا موضع لها من الإعراب.. " وتبنى ابن سيده لهذا الموقف بعد نسبته

١- ابن سيده، المحكم، ٦١٧، ٤٢١/٨

٢- ابن سيده، المحكم، ٤٤٥/١٠ والبيت لذي الرمة في ديوانه تحقيق: مطبع بيلي - المكتب الإسلامي، ص ٥٥٩.

٣- المحكم، ٥٩١/١٠، ٥٩٢

لابن جني يضيف شاهداً على اعتراف ابن سيده بالفضل لابن جني، كما اعترف بالفضل لشيخه الفارسي، ومن ذلك ما سبق ذكره مما صرح به في باب الأضداد من كتاب المخصص.

ثالثاً: التفسير النحوي لبعض الآيات، والتوجيه النحوي للقراءات، ومن ذلك:

- قوله: " قال تعالى: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ} [مريم ٣٤] إنما هو على إضافة الشيء إلى نفسه وقرأ من قرأ: (فالحقُّ والحقُّ أقول)، برفع الحقِّ الأول، وإنما يريد: فأنا الحق. ومن قرأ: فالحقُّ والحقُّ أقول؛ بنصب الحقِّ الأول، فتقديره: فأحقُّ الحقِّ حقاً، وقال ثعلب: فأقول الحقِّ حقاً، ومن قرأ: (فالحقُّ أراد فبالحقِّ)، وهي قليلة؛ لأنَّ حروف الجرِّ لا تُضمَر. ^{٢، ١}
- وقوله: "في تفسير قوله تعالى: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ} [ص: ٥٠] قال الفارسي: " يجوز أن تكون الأبواب مفعولة بمفتحة، ويجوز أن تكون بدلاً من الضمير الذي في مفتحة" ^٣
- وقوله: في تفسير قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] ... ولا بدّ من اعتقاد زيادة الكاف ليصلح المعنى "، ثم ذكر كلاماً في التوجيه العقدي مستوحى من كلام الزجاج مع شيء من التوسع في الاستدلال المنطقي. على أن الذي يهّم هنا الاستدلال النحوي للمقصد العقدي؛ حيث يقول ابن سيده: " وذلك أن (أياً) إذا كانت استفهاماً لا يجوز أن يكون جوابها إلا من جنس ما أضيفت إليه؛ ألا ترى أنك لو قال لك قائل أيُّ الطعام أحبُّ إليك لم يجز لك أن تقول له: الركوب ولا المشي ولا غيره مما ليس من جنس الطعام. فهذا كله يؤكّد عندك أن الكاف في {كَمِثْلِهِ} لا بدّ أن تكون زائدة. ^٤
- وقد يقترن التفسير النحوي للآية بشيء من التعليل، ويكون التعليل مستنداً إلى القياس أو ذكر القاعدة كما في قوله في تفسير قوله تعالى: {جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} [يونس: ٢٧]-نقلاً عن ابن جني:

١- " اختلف في {قال فالحق} فعاصم، وحمزة وخلف، بالرفع على الابتداء، و {لأملأن} خبره، أو " مني " أو " قسمي " أو " يميني " أو على الخبرية؛ أي: أنا الحق، أو قولي الحق.
وعن المطوعي رفعهما، فالأول على ما مرّ، والثاني بالابتداء، وخبره الجملة بعده، على غير التقدير الأول، و " قولي " أو نحوه، عاند عليه، وحذف العائد على الأول. كقراءة ابن عامر: { وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى } [الحديد: ١٠] والباقون بنصبهما، فالأول إما مفعول مطلق، أي أحقُّ الحق [حقاً]، أو مقسم به، حذف منه حرف القسم فانتصب " انظر إتحاف فضلاء البشر، ٢/٢٥٥

٢- ابن سيده، المحكم، مادة: حق، ٢/٤٧٣

٣- المحكم، ٣/٢٧٦

٤- ابن سيده، المحكم ١٤٩/٧، ١٥٠، ويُفهم من كلام ابن سيده تصوّره لاستفهام محذوف هو (أي شيء مثله؟) وانظر المزيد من التوجيه والتفسير النحوي-على سبيل المثال أيضاً:- المحكم ٢٣٧/١ {ولا يخاف عقباها} [الشمس: ١٥]، ٧/٤٩٩: {جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} [يونس: ٢٧]، ٧/٤١٦: {لَا جَزَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} [النحل: ٦٢]، ٧/٤٨٩: {كُتِبَ مُوَجَّلاً} [آل عمران: ٤٥] أسلوب التوكيد، ٨/٥١٤: {وَأَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ} [البقرة: ١٢٨]؛ التوجيه الحمل على المعنى في الجملة.

" ويذكر على أن الظروف في هذا ونحوه أخبار عن المصادر قبلها تقدّمها عليها، ولو كانت المصادر قبلها واصلة إليها ومتناولة لها كانت من صلاتها، ومعلوم استحالة تقدّم الصلّة أو شيء منها على الموصول...^{٢١}. وقد يشمل التفسير النحوي للآيات شيئاً من التنبيه على بعض المناهي اللفظية النحوية ومن ذلك قوله: " وحملت المرأة تحمل: عقلت، قال ابن جنّي: يقال: حملته، ولا يقال حملت به، إلا أنه كثير، وحملت بولدها، وأنشد:

حملت به في ليلة مزوودة كرها وعقد نطاقها لم يحلل

وقال سبحانه: { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا } [الأحقاف: ١٥]...^٣

سمات منهجية بارزة في التفسير اللغوي في كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيدة

اعتماده التفسير بالمأثور في التفسير اللغوي للآيات، ومن مظاهره:

تصريح ابن سيدة بمصادره في المحكم في مقدمة الكتاب، وفي أثناء عرضه للمادة. أما في مقدّمة المحكم، فقد صرّح بالاعتماد على كتب كثير من علماء اللغة الأوائل، ثمّ العلماء السابقين على طبقتهم؛ قال: "وأما ما ضمنا كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنّف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجمهرة^٦،

١- قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، في تحقيقه لشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: جزء ١، ص ١٧٦، حاشية ١: " من أحكام صلة الموصول أنه يجب تأخرها عن الموصول، وأن تتصل به، أما تأخرها عنه؛ فلأنها كالجاء المتم له، ومن شأن الجاء المتم أن يقع بعد ما له التمام، وعلى ذلك يجب ألا تتقدم على الموصول، لا هي ولا شيء من متعلقاتها، ولهذا قدر النحاة في قوله تعالى: {وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} أن " فيه " متعلق بمحذوف تدلّ عليه صلة (ال) وتقدير الكلام: وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين، لنلا يتقدّم معمول صلة (ال) عليها وقال العكبري في تفسير قوله تعالى {وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة: ١٣٠] {في الآخرة} متعلق بالصالحين، أي وانه من الصالحين في الآخرة والألف واللام على هذا للتعريف لا بمعنى الذي، لأنك لو جعلتها بمعنى الذي لقدمت الصلّة على الموصول... ". وانظر إملاء ما من به الرحمن للعكبري، دار العلم للجميع، بلا رقم ولا تاريخ، جزء ٢، صفحة ٣٧.

٢- المحكم ٥٠٠/٧

٣- المحكم، ٣/٣٦٧ والبيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣/١٠٢٧، ديوان الهذليين، الدار القومية بمصر.

٤- القاسم بن سلام، ت سنة ٢٢٤، وكتابه (الغريب المصنّف).

٥- لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق المعروف بابن السكيت ت ٢٤٤ أو ٢٤٥، ٢٤٦ هـ، "قال المبرّد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطلق... وقال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق، ولاشك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة، ولا يعرف في حجمه مثله في باب، وقد عنى به جماعة فاختصره ابن الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي، ... وهذبته الخطيب أبو زكريا التبريزي، وتكلم على الأبيات المودعة فيه ابن السيرافي، وهو كتاب مفيد" عن وفيات الأعيان، ٦/ ٤٠١.

٦- لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، ت ٣٢١ هـ، انظر وفيات الأعيان، جزء ٤، ص ٣٢٣.

وتفاسير القرآن^١ وشروح الحديث^٢ وكتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠هـ - ١٧٣هـ) وكتب الأصمعي^٣، والفراء^٤، وأبي زيد^٥، وابن الأعرابي^٦، وأبي عبيدة^٧، والشيباني^٨، واللحياني^٩ وكتب أبي العباس أحمد بن يحيى^{١٠} وكتب كراع^{١١}، وكتبا أبي حنيفة^{١٢}، وقد اعتمد في ذلك على شرح السيرافي^{١٣}، وكتب أبي علي الفارسي: الحليّات، والبغاديات، والأهوازيات، والتذكرة، والحجة، والإغفال والإيضاح، وكتاب الشعر.

١- لم يصرّح بأسم واحد منها في المقدمة، وقد يتوهم البعض من ذكره لـ (ابن عرفة) أنه الورغمي صاحب التفسير المشهور! ولكن يدفع هذا الوهم كونه متأخراً عن عصر ابن سيده؛ حيث عاش ما بين ٧١٦ - ٨٠٣، والصواب أنّ (ابن عرفة) الذي ذكره ابن سيده في قوله: (المحكم ١٠ / ٣٧٦) "لم الشيء يلّمه لماً: جمعه، وقوله تعالى: {وتأكلون التراث أكلاً لماً} [الفجر: ١٩] قال ابن عرفة: أكلاً شديداً. وهو عندي من هذا الباب كأنه أكل يجمع التراث ويستأصله" هو أبو عبد الله محمد بن عرفة العتكي الأزدي، الملقب نبطويه، (٢٤٤هـ - ٣٢٣هـ) قال أبو منصور الثعالبي: وكان عالماً بالعربية واللغة والحديث، أخذ عن ثعلب والمبرد.

٢- اعتمد فيه على (غريب الحديث والأثر) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، (ت ٢٢٤هـ)، (الغريبيين) لأبي أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠٠هـ) المعروف بصاحب الأزهر.

٣- عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) من أبرز مؤلفاته: كتاب الأبل، كتاب الشاء، كتاب الأمثال، كتاب الأضداد، كتاب ما اتفقت ألفاظه واتفقت معانيه، انظر سير أعلام النبلاء جزء ١٠، صفحة ١٨٦، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- أبو زكريا، يحيى بن زياد من أئمة المدرسة الكوفية، ١٤٤ - ٢٠٧هـ له كتاب الحدود، وكتاب معاني القرآن، والمصدر في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب آية الكتاب، وكتاب المفخر.

٥- الأنصاري، ولد نيف ومائة وعشرين للهجرة أخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عمرو صالح بن إسحاق الجرمي، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عثمان المازني وحكى السيرافي أن أبا زيد كان يقول: كل ما قاله سيبويه: "أخبرني الثقة فأنا أخبرته" مات سنة ٢١٥هـ، عن سير أعلام النبلاء للذهبي ٩ / ٤٩٤.

٦- إمام اللغة، أبو عبد الله، محمد بن زياد الهاشمي - مولاهم - (١٥٠ - ٢٣٠هـ) تتلمذ على الكسائي، وتتلمذ عليه أبو العباس ثعلب، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، قال الأزهرى فيه: "حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد، وبني عقيل فاستكثر".

٧- معمر بن المثنى، صاحب (مجاز القرآن) ت ٢٠٩هـ وصفه الذهبي بـ "الإمام العلامة البحر، ونقل عن الجاحظ قوله فيه: لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة.

٨- أبو عمرو اسحاق بن مرارة الشيباني النحوي اللغوي... كان من الأئمة الأعلام في فنونه وهي اللغة والشعر، وكان كثير الحديث كثير السماع ثقّه، .. أخذ عنه جماعة كبار منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت في سنة ٢٠٦هـ له من التصانيف كتاب الخيل، وكتاب اللغات، وهو المعروف بالجيم ويعرف أيضاً بكتاب الحروف وكتاب النوادر الكبير، ثلاث نسخ وكتاب غريب الحديث، وكتاب النخلة وكتاب خلق الإنسان. وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب، انظر وفيات الأعيان، جزء ١، ص ٢٠١.

٩- علي بن المبارك، وقيل بن حازم، ويكنى بأبي الحسن أخذ عن أبي زيد، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبيدة، والأصمعي وعمدته على الكسائي، قال ابن جني في الخصائص: ذكرت يوماً أبا علي [الفارسي] بنوادر اللحياني فقال: كناسة، وكان أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم يقول إن كتابه لا يصله به رواية، وقدحا فيه وغضا منه. عن سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٠٦.

١٠- الملقب بثعلب، العلامة اللغوي النحوي المحدث. أخذ عن ابن الأعرابي والزيبر بن بكار، وعنه نبطويه، ومحمد بن العباس اليزيدي والأخفش الصغير، [علي بن سليمان بن الفضل البغدادي] وأبو عمرو الزاهد ... وابن مقسم الذي روى عنه أماليه. انظر سير أعلام النبلاء جزء ١٤، صفحة ١، دار المعرفة.

١١- علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع النمل ت ٣١٠ أو ٣١٦هـ، لغوي من أهل مصر، كان كوفياً وأخذ عن البصريين، من تصانيفه: (المنضد)، و(أمثلة الغريب على أوزان الأفعال)، (المصحف) و(المنظم) و(المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه، انظر مصادر ترجمته في: معجم المؤلفين، عمر كحالة، جزء ٧، صفحة ٧١).

وكتب أبي الحسن علي بن عيسى الرُّماني (المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة) كالجامع والأغراض.^٣ وكتب أبي الفتح عثمان بن جني^٤ كالمغرب، والتمام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، والتعاقب، والمحتسب.

توثيقه لما ينقله عن اللغويين والمفسرين: في متن المحكم

أولاً: الرواية عن اللغويين

وهو في هذه الصفة لم يسلك نهجاً منتظماً، فقد ينقل القول نقلاً حرفياً منسوباً إلى قائله، وقد ينقله حرفياً أيضاً من دون نسبة إلى قائله أو إشارة إلى أنه منقول. وقد ينقله بالمعنى أو بشيء من التصرف دون الإشارة إلى مصدره أيضاً، وأبرز ما يكون ذلك واضحاً في منقولاته عن معاني القرآن للزجاج؛ فالأغلب أن يقول في ذلك: "قال أبو إسحاق" ثم ينقل كلامه حرفياً، إلى درجة أن المحكم يصلح مصدراً لتحقيق كتاب الزجاج.

فمما نقله حرفياً مع نسبته إلى الزجاج قوله في تفسير قوله تعالى: {أَكَاوُنَ لِلسُّحُوتِ} [المائدة: ٤٢]

قال ابن سيدة: قال أبو إسحاق: "تأويله أن الرِّشَا التي كانوا يأكلونها يعقبهم الله بها أن يسحتهم بالعذاب، وسحت الشيء يسحُّه سحّاً قشراً قليلاً. وأسحت الرِّجْلُ استأصل ما عنده".^٥

- ومن ذلك أيضاً قوله في تفسير قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم: ١٧] "يأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين، قال الزجاج: "وسميت تسبيحاً لأنَّ التسبيح تعظيم الله وتبرئته من سوء. والصلاة يوحدُ الله فيها ويحمد ويوصف بكل ما يبرئه من سوء."^٦

١- الدينوري، "عالم مشارك في كثير من العلوم كاللغة، والأدب، والتاريخ، والنبات، والفلك، والهندسة، والجبر، والحساب، ولد في العشر الأول من القرن الثالث الهجري تقريباً بدينور. من مؤلفاته: كتاب النبات في ست مجلدات كبار، و الجبر والمقابلة، والأخبار الطوال، و كتاب ما يلحن فيه العامة، والشعر والشعراء" عن معجم المؤلفين، كحالة، جزء ١، ص ٢١٩.

٢- الحسن بن عبد الله بن المرزبان ٢٩٠ - ٣٦٨ كان من أعلم الناس بنحو البصريين، قرأ النحو على أبي بكر بن السراج وعلى أبي بكر المبرمان (تلميذ الزجاج). انظر إنباه الرواة على أنباء النحاة، جزء ١، ص ٤٨، دار الفكر القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٣- من تصانيفه (شرح كتاب سيبويه) و (شرح الأصول لأبي بكر بن السراج) وشرح الجمل لابن السراج، ... شرح المقتضب للمبرّد... انظر أسماء مصنّفاته، ومصادر ترجمته في: إنباه الرواة على أنباء النحاة، جزء ٢، صفحة ٢٩٥.

٤- تلميذ أبي علي الفارسي، (ت ٣٧٢ هـ)، انظر ترجمته وأسماء مصنّفاته ومصادر ترجمته، إنباه الرواة على أنباء النحاة، جزء ٢، ص ٣٣٥ - ٣٤٠.

٥- ابن سيدة، المحكم: ١٧٨/٣، الزجاج: المعاني ١٠٧/٢.

٦- ابن سيدة، المحكم: ٢١٠/٣، الزجاج: المعاني ٣٤٩/٣.

- وهو يعتمد على الزجاج اعتماداً رئيساً في ما يورده من قصص الأنبياء، فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} [النمل: ٣٥] "قال الزجاج: جاء في التفسير أنها أهدت إلى سليمان لبنة من ذهب، وقيل لبن ذهب في حرير...".^١

- ومما نقله عن الزجاج بتصريف دون نسبة قوله في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر: ١٢] "جاز أن يخبر عنها بذلك لاختلاطها، وإلا فالحلية إنما تستخرج من الملح دون العذب"^٢ وقال الزجاج في تفسير هذه الآية: "الحلية من الملح دون العذب، إلا أنهما لما كانا مختلطتين: العذب والمالح جاز أن يقال، تستخرجون الحلية، وهي اللؤلؤ والمرجان، وما أشبه ذلك منهما كما قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٢٢] وقوله تعالى: {يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا} [الحج: ٢٣، وفاطر ٣٣]".^٣

- وقد يذكر كلام الزجاج دون نسبة مع زيادة بيان وشواهد، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف: ١٣١] "المعنى: أن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم: طائرهم: حظهم" انتهى. وهذا كلام الزجاج بحروفه وزاد ابن سيدة: "وقال أبو ذؤيب:

زجرت لهم طير الشمال فإن تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها"^٤

- ومع أن هذا المنهج غير المنتظم في توثيق الرواية عن العلماء في متن المحكم أكثر ما يكون واضحاً في منقولاته عن الزجاج إلا أنها تظهر بقدر من الوضوح مع غيره من العلماء، وقد استقرأ أحد الباحثين أمثلة لذلك في منقولاته عن ابن دريد والخليل بن أحمد، وأبي العباس ثعلب، وكتاب سيبويه بشرح السيرافي، وكتاب الإصلاح لابن السكيت والخصائص لابن جني^٥ فوجده يغلب عليه التوثيق في مروياته عن ثعلب في (المجالس) وكتاب سيبويه بشرح السيرافي، وينقص عن ذلك القدر من التوثيق نقله عن الخليل في (العين) وربما زاد إغفاله التوثيق فيما ينقله عن ابن السكيت في (إصلاح المنطق) وكذلك "لم يصرح ابن سيدة بنسبة كل ما نقله عن ابن دريد، فقد كان يحيل إليه في أغلب الأحيان، ويغفل ذلك أحياناً..." وكذلك سجّل على ابن سيدة فيما نقله عن الخصائص لابن جني "أنه

١- ابن سيدة، المحكم: ٤٣/ ٣٧٣.

٢- ابن سيدة، المحكم، ٤٢ / ٣.

٣- ابن سيدة، المحكم ٤٢٢ / ٣.

٤- الشاهد ذكره ابن منظور في لسان العرب، والزبيدي في تاج العروس مادة طير.

٥- سلامي، عبد القادر، ابن سيدة اللغوي، ص ٧٢ - ٧٦.

ينقل عنه بأمانة كاملة أحياناً ويُغيّرُ على أقواله وتعريفاته في أحيان كثيرة^١. وهذا الوصف هو الأكثر مطابقة لصنيع ابن سيدة فيما نقله عن الزجاج!

فإذا قام المرءُ بقدر مناسب من استقراء توثيق ابن سيدة لمروياته في التفسير اللغوي، فإنه يجدُ منقولاته عن ثعلب تحتلُّ المرتبة الثانية بعد الزجاج، وهو يستخدم في روايتها العبارات الآتية:

١. "فسره ثعلب": وهي عبارة اختصَّ بها نقل فهم ثعلب للمعنى القرآني في سياقه، ومن ذلك: قوله في تفسير قوله تعالى: {يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيَحَرِّمُونَهُ عَامًا} [التوبة: ٣٧] "فسره ثعلب فقال: هو النسيء كانوا في الجاهلية يجمعون أياماً حتى تصير شهراً، فلما حجَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال: الآن استدار الزمانُ كهيئته"^٢.

- وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَأَخْرَانَ يَوْمَانَ مَقَامَهُمَا} [المائدة: ١٠٧] "فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما اختانا، ثم يرتجع عن النصرانيين"^٣. وقد استخدمها في بعض الغريب، ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى: على لسان مريم {... وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا} [مريم: ٢٣] "فسره ثعلب فقال النَّسِيُّ: خَرَقُ الحَيْضِ التي يرمى بها فتتسى"^٤.

- وقوله في تفسير قوله تعالى: {يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [الحج: ٧٢] "فسره ثعلب فقال: معناه يبسطون أيديهم إليهم، أي يكادون يبطشون بسطوة على النبي وأصحابه الذين يتلون عليهم القرآن"^٥. ويلاحظ بأنه لم يستخدم صيغة (فسره) مع غير ثعلب! وفي ذلك شهادةٌ ضمنيّةٌ بمكانة ثعلب في التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

٢. وقد استخدم إلى جانب هذه العبارة عبارة: (قال ثعلب)، ويغلب استعمال هذه الصيغة عند ابن سيدة في المعاني المروية أو المستنبطة من السياق أيضاً وقليلاً ما استخدمها في بيان المعنى المعجمي للألفاظ الغريبة،

فمن الأول: قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} [الحجر: ٢٤]: "وقال ثعلب: علمنا من يأتي منكم إلى المسجد متقدماً ومن يأتي متأخراً"^٦

١- نقلًا عن: سلامي، عبد القادر، ابن سيدة اللغوي، صفحة ٧٥.

٢- ابن سيدة، المحكم، ٢/ ٥٢٧.

٣- المحكم، ٥/ ٢٣٦.

٤- ابن سيدة، المحكم، ٨/ ٥٨١.

٥- ابن سيدة، المحكم، ٨/ ٥٩٢.

٦- ابن سيدة، المحكم، ٥/ ٣٥.

- وقوله في تفسير قوله تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧] "قال ثعلب: لا ينسى الله جلَّ وعزَّ، إنما معناه تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه" ^١.
- وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا} [الأعراف: ٢٠٤] "قال ثعلب: معناه: إذا قرأ فاستمعوا إلى قراءته ولا تتكلموا" ^٢.
- ومن الثاني: قوله في تفسير قوله تعالى: {الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النمل: ٢٥]: "أي المخبوء، وقال ثعلب: الخبء هو المطر، والخبء الذي في الأرض هو النبات..." ^٣.
- وقوله في تفسير قوله تعالى {... وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...} [القصص: ٨٢] "...وقال ثعلب: بعضهم يقول معناه اعلم وبعضهم يقول معناه ويملك، وحكى أبو زيد عن العرب ويك بمعنى ويملك، وهذا يقوي ما رواه ثعلب" ^٤.

٣. صيغة (زعم ثعلب): وهي عبارة قد توحى بضعف الثقة بالمنقول، ولكنه استخدمها أحياناً في وصف قول سيبويه؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: {وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ} [القصص: ٨٢] "فزعم سيبويه أنها (وي) مفصولة من كأن... " ولم يعقب ابن سيدة على قول سيبويه بنقد. ° في حين أنه في موقف آخر يعتمد قياس سيبويه في الحكم على القراءة ويضرب صفحاً عن رواية الأصمعي ويخطئها، حيث يقول: "... وحكاه سيبويه الصراط على المضارعة أيضاً، فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم اهدنا الزرراط - بالزاي - المخلصة خطأ؛ إنما اسمع المضارعة فتوهمها زايًا، ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمن على هذا" ^٥!

وكذلك استخدم ابن سيدة صيغة (زعم) في وصف اختيار الأخفش ولم يعقب عليه بنقد في قوله: "أنَّ السماء جائز أن يكون واحداً يراد به الجمع كما تقول كثر الدينار والدرهم بأيدي الناس" ^٦.

واستخدام ابن سيدة الصيغة (زعم) مع عدم إتباعها بالتعقيب - رغم ما عرف عنه من حرص على نقد أقوالهم - يدلُّ على أنَّ هذه العبارة هنا لا تحمل في طياتها نقداً. خاصة وأنَّ ابن سيدة لم يتوان عن نقد ثعلب في بعض أقواله، كقوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ}؛ "قال ثعلب كانوا

١- المحكم ٨ / ٥٨١.
 ٢- المحكم ٨ / ٩٣، وانظر ٨ / ٥٤٤، توجيه قوله تعالى: {كَانَ عَلَى رُبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا} [الفرقان: ١٦]
 ٣- المحكم ٥ / ٢٤٠.
 ٤- المحكم ١٠ / ٥٩٥.
 ٥- المحكم، ١٠ / ٥٩٥.
 ٦- ابن سيدة، المحكم، ٨ / ٤٣٤.
 ٧- المحكم، ٨ / ٦٢٢.

يقولون لليهودي والنصراني يا يهودي يا نصراني، فهى الله عن ذلك، وليس هذا بشيء" ويلاحظ أن ابن سيده هنا أيضاً لم يعقب بتصويب!

ومما انتقد به ابن سيده ثعلبا قوله "قال أحمد بن يحيى: التتور نُفَعول من النار. وهذا من الفساد بحيث تراه وإنما هو أصل لم يستعمل إلا في هذا الحرف وبالزيادة، وصاحبه تتار" ومع ذلك تراه يرجح كلام ثعلب على كلام سيويه في تفسير قوله تعالى "وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرُّزْقَ" [التقصص: ٨٢] فيقول: "وقال ثعلب: "بعضهم يقول معناه أعلم، وبعضهم يقول معناه ويلك، وحكى أبو زيد^١ عن العرب ويك بمعنى ويلك، وهذا يقوي ما رواه ثعلب".

وفي استخدام ابن سيده لصيغة زعم فيما نقله عن ثعلب دون أن يكون المنقول محلّ نقد شيء من التأثير بطريقة الزجاج حيث أكثر الزجاج النقل من كتاب سيويه مستخدماً صيغة (زعم)، ومن ذلك استخدامه هذا اللفظ في وصف قول سيويه بالرغم من نصّه على إجماع النحويين على قول سيويه، قال الزجاج:^٢ وقد روى سيويه عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنّه قال: "الأصل في لن: " لا أن " ولكنّ الحذف وقع استخفافاً . وزعم سيويه أنّ هذا ليس بجيد؛ لو كان ذلك لم يجز " زيدا لن أضرب " وعلى مذهب سيويه جميع النحويين، وقد حكى هشام^٣ عن الكسائي في (لن) مثل هذا القول الشاذ عن الخليل ولم يأخذ به سيويه ولا أصحابه .

أما في مروياته عن اللحياني:^٤، فقد اكتفى ابن سيده بتوثيق الرواية عنه بعبارة: قال اللحياني، وهي العبارة الغالبة على منقولاته وبها روى غريب اللغة^٥ وكذلك استخدم ابن سيده هذه العبارة في ما نقله عن اللحياني من رواية بعض القراءات، كقراءة {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا} [طه: ١٥] .^٦

واستخدم ابن سيده اللفظ (قال) أيضاً في ما نقله عن اللحياني من لغات العرب، وهو في كلّ ذلك لا يسمي كتاب اللحياني (النوادر) والغريب مع أن نقولاته عن اللحياني تقارب ما نقله موثقاً عن ابن جنّي، وتزيد عما رواه عن أستاذ شيخه أبي علي الفارسي، وذلك على الرغم مما رواه ابن جنّي من أن شيخه الفارسيّ قال في (نوادير اللحياني): "كناسة" ! ولعلّ في كثرة ما نقله عن اللحياني رغم

١- أبو زيد الأنصاري، سبقت ترجمته.

٢-الزجاج، المعاني، بعناية احمد فتحي عبد الرحمن، مجلد ١، ص ١٢٨، مرجع سابق

٣- من نحوي الكوفة، توفي ٢٠٩ هـ

٤- سبقت ترجمته

٥- انظر ابن سيده، المحكم، ٤٩٥/٢: حسن، ٧٧٦/٦: كتب، ٥٧١/٧: وجب، ٢٣٤/٨: فيض

٦- قال: " قال اللحياني: وهي قراءة العامة، وفي حرف أبيّ أكاد أخفيها من نفسي، ويلاحظ أن ابن سيده استخدم عبارة: حكاه اللحياني في قراءة {أكاد أخفيها} بفتح الهمزة الثانية ؛ قال: " حكاه اللحياني عن الكسائي عن محمد بن سهل، عن سعيد بن جبير "

قدح الفارسي فيه، والفارسيُّ مقدّمٌ لديه، دليلاً على ولعه بالجمع، وهو ما سيظهر- إن شاء الله - من خلال الكلام عن موقف ابن سيدة من نقد الرواية .

أما منقولاته عن أبي علي الفارسي، فمع أنّ الذي اعتنى بتوثيقه منها قليل، إلا أنه غالباً ما يحملها للقارئ محفوفةً بعبارات التقدير، كقوله في (حجى ومشتقاتها) ^١: " وإنما حملنا هذا كله على الياء لأننا لا نعرف من أيّ شيء انقلبت ألفه، فجعلناه من الأغلب عليه، وهو الياء، وبذلك أوصانا أبو علي الفارسيّ " وقد يذكر المرجع الذي نقل عنه كالبصريّات ^٢ والتذكرة ^٣ .

وأما مروياته عن أبي حنيفة الدينوري، فبالرغم من وصف ابن سيدة له بالتزويد ^٤ فقد أكثر من النقل عنه فيما يتعلّق بالنبات، والأنواء، كقوله: "والراتق الملتئم من السحاب، وبه فسّر أبو حنيفة قول أبي ذؤيب يضيء سناه راتق متكشف" ^٥

وبعض الغريب، ^٦ وهذه النقولات عن أبي حنيفة، رغم ما أبداه من القول في " تزئيد " يضيف دليلاً آخر إلى أدلة ولع ابن سيدة بالجمع.

مروياته عن ابن الأعرابي:

كذلك فإنّ ما وثقه من المنقولات عن ابن الأعرابي لا يتناسب من حيث العدد مع ما صرح به في مقدّمة (المحكم من اعتماده على نوادر ابن الأعرابي) ومع ذلك تجد منقولاته عنه متنوعة، تشمل الغريب، والصرف، وتفسير الشواهد .

- فمما نقله عن ابن الأعرابي من الغريب قوله: " مَحَلَّ به: كاده " قال: " ولم يعين أعند السلطان أم عند غيره، وأنشد:

ألم ترَ أنّ الله يمحَلُّ بالإلفِ " ^٧

- ومما نقله من لغات العرب قوله في تفسير قوله تعالى: { وَقدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } [الشمس: ١٠]

" وأنشد ابن الأعرابي لرجلٍ من طيء:

وأنت الذي دسّيتَ عمراً فأصبحت
نساؤهم منها أراملُ ضيِّعٌ ^١، ^٢

١- المحكم، ٤١٣/٣

٢- المحكم، ٣٢١/٣

٣- المحكم، ٣٧٩/٨

٤- قال : وقال أبو حنيفة: قد بالغوا في تجهير صوت القوس، فلا أدري أسمعته من العرب، أم رواه عن شيوخه، أم هو إدلالٌ منه وتزويدٌ، فإنه ذو زوائد في كثير من كلامه، انظر المحكم ١٦١/٤ كقوله: قال أبو حنيفة: أخبرني أعرابي من

٥- ابن سيدة، المحكم، ٣٣١ / ٦

٦- كقوله " قال أبو حنيفة: المهل بقيّة جمر في الرماد تبيّنه إذا حرّكته ، ابن سيدة ،المحكم، ٣٣٠/٤
٧ المحكم ٣٧٥/٣، وصدر البيت لم أعثر له على نسبة.

- ومما نقله عن ابن الأعرابي مما يرتبط بالتصريف قوله في تفسير قوله تعالى: {إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢] " أي تقتلونهم، والاسم الحُساس "٣.

ومما نقله ابن سيدة عن ابن الأعرابي في تفسير الشواهد:
تفسير قول الشاعر:

للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

قال: " فسره ابن الأعرابي فقال: إن اهتدى لرشدٍ علم أنه عاقل وإن اهتدى لغير رشدٍ علم أنه على غير رشدٍ ٤ وقد ينقل ابن سيدة عن ابن الأعرابي بعض الشواهد المرتبطة بالفروق اللغوية، ومن ذلك قوله: " والضَّعْفُ لغةٌ في الضَّعْفِ عندَ ابن الأعرابي، وأنشد:

ومن يلق خيراً يغمزُ الدهرُ عظمه على ضَعْفٍ في حاله وفتور

فهذا في الجسم، وأنشد في الرأي والعقل:

ولا أشارك في رأي أخا ضَعْفٍ ولا ألينُ لمن لا يبتغي ليني "٥

منقولاته عن كراع النمل الهنائي

وممن تكررت نقولاته عنهم في متن المحكم: كراع النمل الهنائي(ت ٣١٠-٣١٦هـ، سبقت ترجمته) وهو ينقل عنه الغريب، والنادر اللغوي، ولغات العرب، وله مواقف نقدية مما يروي عنه. فمما رواه عنه من الغريب:

- قوله: " والرَّجْمُ الإخوان، عن كراع وحده واحدهم رَجَمَ ، ورُجِمَ، ولا أدري كيف هذا، وقال ثعلب: الرَّجْمُ الخليل والنديم"٦، ويلاحظ هنا تحفظه على رواية كراع، والغريب أنه يصفه بالتفرد مع أنه ينسب مثل قوله إلى أبي العباس ثعلب !

١ في ذكر هذا الشاهد إشارة إلى انقلاب الألف عن ياء، وقد بين الزَّجَّاج في شرح هذه الآية أنّ الياء مبدلة من سين؛ قال: والأصل: دسسهأ، ولكنّ الحروف إذا اجتمعت من لفظٍ واحد بَدَل من أحدها ياء، واستشهد بقول الشاعر:
تَقَضَّيَ البازي إذا البازي كسر .

قالوا: معناه تَقَضَّضَ

٢- انظر الزَّجَّاج، معاني القرآن، ٣٤٢/٤

٣- المحكم، ٤٩٥/٢

٤- ابن سيدة ، المحكم، ٥٢٥/٦، والبيت لطرفة بن العبد في ديوانه، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، دار صادر، بيروت وطبع مجمع اللغة العربية.

٥- المحكم، ٤١١/١، ولم أعثر لأبي من البيتين على نسبة.

٦- المحكم، ٤٢٠/٧

- ومما أبدى فيه جرأة أكبر في نقد رواية كراع قوله: " والذبيان: بقيّة الوَبَر - عن كراع- ولستُ منه على ثقة" ^١ (يعني - والله أعلم - من القول المنقول، لا من القائل) .

- ومما رواه من النادر اللغوي قوله: " وعثى يعثى، عن كراع: نادر، كلُّ ذلك: أفسدَ، وقال كراع: " عثى يعثى مقلوب من عاث يعيث، فكان يجب على هذا يعثى، إلا أنه نادر، والوجه عثى في الأرض يعثى، وفي التنزيل: {وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥، والشعراء ١٨٣]" ^٢ .

الرواية عن غير مسمى

كثيراً ما يستخدم ابن سيده صيغ الرواية عن غير مسمى في (المحكم) في الرواية عن أهل اللغة أو المفسرين .

- قوله: " الحرور حرُّ الشمس، وقيل الحرور استيفاد الحرِّ ولفحه، هو يكون بالنهار والليل، والسموم لا يكون إلا بالنهار " ^٣ .

- قوله في تفسير قوله تعالى: {يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: ٢١٢ ، آل عمران: ٣٧، النور: ٣٨]: "اختلف في تفسيره: فقال بعضهم بغير تقدير على أحدٍ بالنقصان وقال بعضهم بغير محاسبة، أي لا يخاف أن يحاسبه أحدٌ عليه وقيل: ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه، ولا يرزق الكافر على قدر كفره، أي ليس يحاسب بالرزق في الدنيا على قدر العمل، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل وما يتفاضل به، وقيل بغير مئة عليه، وقيل بغير جزاء " ^٤ .

وقوله في تفسير قوله تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان: ٢٥] " قيل المقام الكريم - هنا - المنبر وقيل المنزلة الحسنة " ^٥ .

- وقد يستخدم عبارة " قال بعضهم " في بعض ما ينقله عن الزجاج ! ومن ذلك قوله: " وقال بعضهم: " أبواب السماء أبواب الجنة ؛ لأنَّ الجنة في السماء، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} [الأعراف: ٤٠] فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة " ^٦ .

١- المحكم، ١٠٣/١٠

٢- المحكم، ٢٣٠/٢

٣- ابن سيده، المحكم، ٥١٦/٢

٤- ابن سيده، المحكم، ٢٩٣/٣ ، وانظر المزيد من مثل هذه العبارات في النسبة إلى غير مسمى في ٣٧٦/٣، ٤٤٦/٣، ٥٦/٦، ٣٢٥/٦، ٥٨٧/٦، ٣٧١/٨، ٥٦٤/١٠، على سبيل المثال لا الحصر.

٥- ابن سيده، المحكم، ٥٨٧/٦

٦- المحكم ٢١٨/٢، ومعاني القرآن، بعناية أحمد فتحي عبد الرحمن، ٢١٠/٢

ثانياً: رواياته عن أهل التفسير

من الواضح أنّ ابن سيدة يتعامل مع روايات أهل التفسير كمصدر مستقلّ عن روايات أهل اللغة ؛ فهو ينقل عن أهل اللغة بوصفهم، ومن ذلك قوله: " واستهزأ: سخر"، وقوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥] ... ويجوز - وهو الوجه المختار عند أهل اللغة - أن يكون معنى {يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسَمِيَ جزاء الذنب باسمه... " ٢٠١ .

وهو ينقل عن المفسرين بوصفهم، ومن ذلك: قوله في تفسير: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} [المؤمنون: ١٠١] " والصور القرن، ... وبه فسّر المفسرون قوله عزّ وجلّ {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} " ٣، علماً بأن ابن جني في المحتسب نسب قراءة " ونفخ في الصُّور " إلى قتادة ٤ وإلى عياض قال: " ومن ذلك قراءة عياض في الصُّور بفتح الواو . قال أبو الفتح وهذا جمع صورة . وقد يقال فيها: صير، وأصلها صور . فقلبت الواو ياء للكسرة قبلها استحساناً . قال ذو الرمة:

اشبهت من بقر الخلاء أعينها
وهنّ أحسن من صيرانه صيرا

وصور قال أبو عبيدة: الصور جمع صورة، كصوف جمع صوفة، ويقال: الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد أنف البشر فإذا نفخ فيه قام الناس بالأرماس.

- وقوله: " والمحال من الله العقاب، وبه فسّر بعضهم قوله تعالى: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} {الرعد: ١٣} ، وهو من الناس العداوة ومآحلّه مُمآحلّه: عاداه " ٦٥ .

- وقوله: " قال بعضُ المفسرين: " كانت السموات رتقاً لا ينزل منها رجع، وكانت الأرض رتقاً ليس فيها صدع ففتقها الله بالماء والنبات رزقاً للعباد " ١ .

١- المحكم، ٣٥٠/٤

٢- هذا من المواضع التي استخدم فيها لفظ أهل اللغة وهو ينقل كلام الزّجاج، وعبارة " وهو الوجه المختار عند أهل اللغة " هي كلام ابن سيدة الذي يتوسط الأقوال التي رواها الزّجاج في المسألة، ولعلّ ابن سيدة يشير بهذه العبارة إلى أنّه يقصد المصادر التي أخذ عنها الزّجاج ؛ فكثيراً ما يتجاوز كلام الزّجاج فينقله بحروفه عن بعض مصادر الزّجاج، كمجالس ثعلب .

٣- أشار الزّجاج قبل ابن سيدة إلى الخلاف بين المفسرين وأهل اللغة في تفسير لفظ {الصور} ؛ قال الزّجاج: " وقال أهل اللغة - كثير منهم - " الصور جمع صورة (انظر المعاني ٢٤٤/٣ بعناية أحمد فتحي عبد الرحمن) وقد نسب ابن سيدة كلام اللغويين إلى أبي علي الفارسي تلميذ الزّجاج !

٤- ابن جني، المحتسب، ٢١٢/١

٥- المحكم، ٣٧٦/٣

٦- ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية ما يزيد على ثمانية أقوال تدور حول معنى اللفظ محال، بعضها منسوب إلى اللغويين، وبعضها منسوب إلى المفسرين من الصحابة والتابعين، وذكر فيه خلافاً بين اللغويين في ميم محال: هل هي أصلية أم زائدة مما له أثر في المعنى؛ فتكون إما مشتقة من المحلّ أو من الحول، انظر الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر جزء ٩، صفحة ٢٨٥.

- وقد يصرّح بأسماء من نُقل عنهم تفسير بعض الآيات أو الألفاظ القرآنية، ومن ذلك قوله في تفسير {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [القلم: ٤٢] " إنما يراد به شدة الأمر، لقولهم: قامت الحرب على ساق، ولسنا ندفع مع ذلك أنّ الساق إذا أريدت بها الشدة، فإنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلق القدم،... وأنه إنما قيل ذلك لأن الساق هي الحاملة للجملّة والمنهضة لها، فذكرت هنا لذلك تشبيها وتشنيعا. وقال ابن مسعود: " يكشف الرحمن جلّ ثناؤه عن ساقه، فيخر المؤمنون سُجّدا، وتكون ظهور المنافقين طبقا طبقا كأنّ فيها السفايد "٢ .

منهج ابن سيدة بين الرواية والقياس

- يتضح لقارئ المحكم بمجرد قراءة مقدّمة المؤلف أن هذا العمل الضخم الذي قام به في الكتاب يعتمد بالدرجة الأولى على جمع مرويات اللغويين والمفسرين الواردة في كتبهم المنصوص عليها في المقدّمة أو غير المنصوص عليها-أحيانا- كما يتضح بمجرد قراءة المقدّمة أنه يضع نصب عينيه القياس اللغوي كمعيار رئيس في نقد المرويات . ومع أنّ ابن سيدة لم ينصّ على تبني سياسة واضحة في الموازنة بين الرواية والقياس، إلا أنه يمكن تأمل بعض الملامح البارزة التي تقترب من إنجاز صورة واضحة لهذه السياسة .

- فهو يعتمد الرواية إذا كانت موثوقة، وينبّه إلى المكامن التي يؤتى منها ضعف الرواية فيقول: " إن صاحب اللغة إن لم يكن له نظر فيها أحال كثيرا منها وهو يرى أنّه على صواب، وإن لم يؤت من أمانته، إنما أتى من معرفته "٣ ؛ فهو يشترط إلى جانب الأمانة والحفظ، شرطا ثالثا هو القدرة على النظر في المرويّ، وهي قدرة تزيد على مجرد الفهم، فتصل إلى الرتبة لأعلى من رتب النشاط العقليّ . وهي رتبة المحاكمة ونقد المروي .

١- ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية خمسة أقوال رجّح منها القول بأنهما كانتا رتقا بمعنى أنّ السماء لا ينزل منها مطر والأرض لا تنبت شيئا، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات، باعتبار أنه قد دلت = عليه قرآن من كتاب الله تعالى . انظر هذه الأقوال والقرائن في أضواء البيان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٦م، جزء ٤، صفحة ٣٩٥، ٣٩٦.

٢- ابن سيدة، المحكم، ٥٢٣/٦

٣- ابن سيدة، المحكم، ٥٠٩/٢

- وبناء على منهجه في اعتماد الرواية فهو يصرِّح - ولعله متأثر في ذلك بشيوخه البغداديين- بـ " أن أهل الكوفة أكثر معرفة بالشعر من أهل البصرة، وسبب ذلك أن النعمان أمر بأن تجمع له أشعار العرب، ودفنها تحت قصره، فاستخرجت في زمن المختار الثقفي " .^١

وهو ينقل من كبار علماء اللغة رفضهم لاعتماد القياس في قبول القراءة: قال: " وحكى أبو العباس^٢ عن أبي زيد^٣ قال: " سمعتُ عمرو بن عبيد يقرأ: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩] بهمز جانّ، فظننته قد لحن، حتى سمعت العرب تقول شأبة، ومأدة . قال أبو العباس: فقلت لأبي عثمان^٤ أنقيس ذلك ؟ فقال: لا ولا أقبله"^٥ .

وقد ترجح عنده كفة الرواية إذا رجحت كفة موثوقيتها، ومن ذلك:

قوله: " وفي التنزيل: {وَعَلَّتِ الْأَبْوَابُ} [يوسف: ٢٣] قال سيبويه: غلقت الأبواب للتكثير، وقد يقال أغلقت يراد بها التكثير . قال: وهو عربيٌّ جيد "^٦ .

ومن مظاهر اهتمامه بالرواية الموثوقة استخدامه مصطلحات المُحدثين في وصف الأسانيد، فمن ذلك: قوله: " قرّت عينه تقرأ، هذه أعلى ؛ أعني فعلتُ تَعْلُ "^٧ .

- قوله: " وتله يتلّه تلاً، فهو متلّول وتليل: صرّعه، وقيل: ألقاه على عنقه وخذه، والأوّل أعلى، وبه فسّر قوله تعالى: {وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣] "^٨ .

وهو يصرِّح بأن ليست الأسماء تؤخذ بالقياس، " ألا ترى أن رجلاً وحائطاً وأشباه ذلك لا تؤخذ بالقياس إنّما ينظر ما سمّته العرب "^٩ .

وقد يسوق من الكلام ما يوحي باعتماده الرواية عن الفصحاء، كقوله: " والقلم الذي في التنزيل لا أعرف كيفيته، قال أبو زيد: سمعتُ أعرابياً محرماً يقول: سبق القضاء وجّقت الأقلام، والقلم إلزام "^{١٠}

١- المحكم، ٣/ ٣١٦

٢- يعني ثعلباً

٣- الأنصاري، سبقت ترجمته

٤- المازني، شيخ البصريين، ت ٢٤٨هـ أو ٢٤٩ هـ، له من التصانيف: كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الألف واللام، وكتاب (التصريف) وكتاب (العروض) وكتاب (القوافي) وكتاب (الديباج) على خلاف كتاب أبي عبيدة، انظر ترجمته في إنباه الرواة - مرجع سابق - جزء ١، صفحة ٢٨١ وفي حاشيتها ذكر مزيد من مصادر ترجمته .

٥- ابن سيده، المحكم، ٧/ ٢١١

٦- ابن سيده، المحكم، ٥/ ٣٨٥

٧- المحكم، ٦/ ١٢٢

٨- المحكم، ٩/ ٤٦٢

٩- المحكم، ٦/ ٥٧٢

١٠- المحكم ٦/ ٤٣٨ وأبو زيد هو الأنصاري، سبقت ترجمته.

وقد يصرّح بتقديم الرواية الخالية من التكلف، حين يكون القياس متكلفاً، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا } [النبأ: ١٤] " قال ابن دريد: هذا مما جاء على لفظ فاعل والموضع مفعول، لأنّ السحاب يثجّ الماء، فهو مثجوج" ، وقد قدّمت من قول بعض أهل اللغة ثجبت الماء، وثجّ الماء نفسه، فإذا كان كذلك فإن يكون ثجاج في معنى ثاج أحسن من أن يتكلف وضع الفاعل موضع المفعول – وإن كان ذلك كثيراً^١ .

وقد ترجّح عنده كفة القياس فيقدمه على الرواية، ومن ذلك قوله " قال الأصمعي: " لم نسمع الحيرم إلا في شعر ابن أحمـر " . وله نظائر، سيأتي ذكرها - إن شاء الله -، قال ابن جنّي: والقول في هذه الكلمة ونحوها وجوب قبولها، وذلك لما ثبتت به الشهادة من فصاحة ابن أحمـر، فإما أن يكون شيئاً أخذه عن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه - على حد ما - فيمن خالف الجماعة، وهو فصيح، كقوله في الدرّح: الدرّح، ونحو ذلك، وإما أن يكون شيئاً ارتجله ابن أحمـر، فإنّ الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، فقد حكي عن رؤية وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها، ولا سبقا إليها، وعلى هذا قال أبو عثمان: ما قيس على كلام العرب، فهو من كلام العرب " ^٢ .

ومن ذلك أيضاً تغليطه بعض أصحاب اللغة جرياً وراء القياس، كقوله: " والذّكر أيضاً لغة لربيعه في الذّكر، وهو غلط حملهم عليه الذّكر، حكاه سيبويه " !

وقد يسوق ما يشعر بقبوله الجمع بين الرواية والقياس في التحليل الصّرفي لبعض الألفاظ، كقوله: " اختار بعضهم أن يكون قرّت فعلت ليجيء به على بناء ضدها " ^٣ .

وهو ينبّه إلى ما ورد مخالفاً للقياس، ومن ذلك قوله: " واتخذ حاجته ظهرياً استهان بها، كأنه نسبها إلى الظهر على غير قياس، كما قالوا في النسب إلى البصرة بصري " ^٤ وهو عملياً يطبق قواعد القياس في تفسير بعض الآيات أو توجيهها؛ كقوله في توجيه { حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا } [الأحقاف: ١٥] ؛ قال: " وكأنه إنما جاز حملت به لما كان في معنى علقت به " ونظيره قوله تعالى: { أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ } [البقرة: ١٨٧] [لما كان في معنى الإفضاء عُدّي بآلى " ^٥ .

١- ابن سيّدة، المحكم، ١٩٤/٧

٢- ابن سيّدة، المحكم، ٣٢٩/٣، وأبو عثمان هو المازني، سبقت ترجمته.

٣- لعلّ المقصود بضدها(كلت)

٤- المحكم، ٢٨٧/٤

٥- المحكم، ٣٦٧/٣

ومن ذلك أخذه (بالقياس على الأغلب) ؛ كقوله في حجي ومشتقاتها: " وإثما حملنا هذا كله على الياء لأننا لا نعرف عن أي شيء انقلبت ألفه، فجعلناه من الأغلب عليه وهو الياء، وبذلك أوصانا أبو علي الفارسي^١ .

- قوله: "قال ابن جنّي: جعل الخليل باء جليب الأولى كواو جهور ودهور، وجعل يونس^٢. الثانية كياء سلقيت وجعبيت، قال: وهذا قدر من الحجاج مختصر ليس بقاطع، وإنما فيه الأناج بالظنير لا القطع باليقين ولكن من أحسن ما يقال في ذلك ما كان أبو علي - رحمه الله - يحتج به لكون الثاني هو الزائد، قولهم: اقعنسس، واسحنكك ؛ قال أبو علي: ووجه الدلالة من ذلك أن نون افعلل بابها إذا وقعت في بنات الأربعة أن تكون بين أصلين نحو: احرنجم واخرنطم، فاقعنسس ملحق بذلك، فيجب أن يحتذى به طريق ما ألحق بمثاله، فلتنك السين الأولى أصلاً كما أن الطاء المقابلة لها من آخر نظم أصل ..."^٣

وقد يتردد ابن سيده بين الرواية والقياس، ومن ذلك تلقيه بالقبول من غير نقد قول ابن جنّي: " استافوا: تناولوا السيوف، كقولك: امتشقوا سيوفهم وامتخطوها . قال: " فأما معنى تسافوا فتفسيره على المعنى كعادتهم في أمثال ذلك، ألا تراهم قالوا في قول الله سبحانه: {خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ} [الطارق: ٦] أنه بمعنى مدفوق، فهذا لعمرى معناه، غير أن طريق الصنعة فيه أنه ذو دفق... "^٤ .

مصادر التفسير بالمأثور عند ابن سيده

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

وهو قليل بالنسبة إلى حجم المحكم، وقليل أيضاً بالنسبة لما ورد في كتاب الزجاج، وكتاب الرّاغب. وهو على أربعة أوجه:

١. الاستشهاد بالقرآن على سبيل الاستدلال، وهو الجدير بأن يسمى (تفسير القرآن بالقرآن)، وهو أقلُّ وروداً في المحكم، يكاد يُعدُّ على أصابع اليد، كقوله في تفسير قول الله تعالى: {كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ} [هود: ١] "جاء في التفسير: أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثم

١- المحكم، ٣/ ٤١٣

٢- ابن حبيب، من أوائل شيوخ مدرسة البصرة ت ١٨ هـ أخذ عنه سيبويه، والكساني والفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى انظر انباه الرواة، ٤/ ٧٤-٧٨

٣- المحكم، ٧/ ٤٣٩

٤- ابن سيده، المحكم، ٨/ ٥٨٤

فصلت بالوعد، والمعنى - والله أعلم - أن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد وتثبيت النبوة وإقامة الشرائع، والدليل على ذلك قوله تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} [يوسف: ١١١] وقوله تعالى: {فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُحْكَمَةً} [محمد: ٢٠].

والعجيب أنه يعقب ما نقله عن الزجاج من غير نسبة بعبارة توهم أن ما قبلها غير منقول، فيقول: قال الزجاج: "معنى محكمة: غير منسوخة"^١

٣- وقوله في تفسير قول الله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء: ١١] معناه يفرض عليكم، لأن الوصية من الله إنما هي فرض، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَقْنُتُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ} [الأنعام: ١٥١].^٢

٢. ما كان الاستشهاد به من باب توارد المعاني القرآنية أو جمع النظير إلى النظير، ومن ذلك:

قوله: "وحصره حصراً، فهو محصور وحصير، وأحصره، وكلاهما: حبسه عن السفر وغيره، وفي التنزيل: {فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} [البقرة: ١٩٦]، وقوله عز وجل: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا} [البقرة: ٢٧٣] قيل: أحصرهم فرض الجهاد: أي منعهم من التصرف، وقيل: معناه أحصرهم عدوهم لأنه شغلهم بجهادهم له"^٣.

٣. جمعه الآيات التي تشتمل على تصاريف المادة، تأكيداً على المعنى الجامع

كقوله "وقوله تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان: ٢٥]"^٤
"قيل المقام الكريم هنا المنبر، وقيل المنزلة الحسنة"^٥.

وقوله تعالى: {وَأَنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُقِيمٌ} [الحجر: ٧٦] أراد أن مدينة قوم لوط لبطريق بين واضح... واستقام: اعتدل واستوى، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف: ١٣] معنى استقاموا عملوا بطاعة الله والتزموا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم..."^٦

١- المحكم، ٣/ ٥٠، ومعاني القرآن للزجاج، بعناية أحمد فتحي عبد الرحمن، مجلد ٤، صفحة ٣٢٠.

٢- ابن سيده، المحكم، ٨/ ٣٩٥، ومعاني القرآن للزجاج، ٢/ ١١.

٣- المحكم، ٣/ ١٤٣.

٤- المحكم ٦/ ٥٨٩.

٥- قال القرطبي - رحمه الله -: "ومقام كريم" قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد: المقام الكريم المنابر؛ وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه، وقيل مجالس الرؤساء والأمراء، حكاة ابن عيسى وهو قريب من الأول، وقال سعيد بن جبیر: المساكن الحسان، وقال ابن لهيعة: سمعت أن المقام الكريم القيوم، وقيل: كان يوسف عليه السلام قد كتب على مجلس من مجالسه (لا إله إلا الله، إبراهيم خليل الله) فسامها كريمة بهذا. وقيل مرابط الخيل لتفرد والزعماء بارتباطها عدة وزينة، فصار مقامها أكرم منزل بهذا - ذكره الماوردي - والأظهر أنها المساكن الحسان كانت تكرم عليهم...".

٤. وقد يجمع الآيات المشتملة على جامع مع التنبيه على ذلك المعنى، ومن ذلك قوله: "وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ" [ق: ٤٥] أي مسلط تقهرهم على الإسلام، والجبار المتكبر عن عبادة الله، وفي التنزيل: {وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} [مريم: ١٤] وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: {وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم: ٣٢]: أي متكبراً عن عبادته، والجبار القتال في غير حق، وفي التنزيل: {وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ} [الشعراء: ١٣٠] وفيه {إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} [القصص: ١٩]: أي: قتالا في غير الحق، وكله راجع إلى معنى التكبر^٢.

٥. وقد يجمع الآيات المشتملة على اللفظ، ويكون بينها معنى جامع، فيغفل عن ذكره ومن ذلك: "وزجا الشيء وأزجاه: ساقه، ودفعه، وفي التنزيل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا} [النور، ٤٣] وبضاعة مزجاة: قليلة، وفي التنزيل: {وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ} [يوسف: ٨٨] وقال ثعلب:

بضاعة مزجاة: فيها إغماض: لم يتم إصلاحها^٣ فابن سيدة وإن بدأ الكلام ببيان معنى أصل مادة معنى اللفظ، إلا أنه جاء في تفسير للآيات بمعان تبدو في الظاهر بعيدة عن معنى مادة اللفظ، مع أنه يفهم من قلة البضاعة أنها قابلة للسوق والدفع بسهولة، كما أن تفسير ثعلب يتضمن ذلك المعنى؛ فعدم اكتمال صلاح البضاعة يجعلها تساق وتدفع بزهدٍ من صاحبها، يجسها المتسوقون وينحونها ثانية بأطراف أصابعهم!

ثانياً: التفسير بالحديث المأثور.

أورد ابن سيدة في أرجوزته المشهورة التي وصف فيها مسيرته في طلب العلم ذكر شيخه الذي تلقى عليه الحديث، والكتب التي قرأها عليه، فهو يقول فيها:

وكلُّ ما أحمله من سندٍ	عن الفقيه الطلمنكي أحمد
ثم قرأتُ كتب (الموطأ)	عليه دون كسل مستبطاً
ثم أشبعت من البخاري	رواية فتّم لي فخاري
ولم أضع كتب أبي عبيد	جميعها في ربقتي وقيدي

ولعلّ ابن سيدة في بيته الأخير-هنا- يشير إلى إخراج ما حفظه قبل قدوم أبي عمر الطلمنكي باستثنائه من ربقته وقيده، ومن ذلك الغريب المصنّف لأبي عبيد، وقد اعتنى فيه بغريب اللغة عامّة. كما أنّ

١- المحكم، ٥٨٩/٦ - ٥٩٢/٦.

٢- المحكم ٤٠٦/٧.

٣- ابن سيدة، المحكم، ٥٢٤/٧، وانظر المزيد من الأمثلة في: مادة خطف: ١١٨/٥، بغى: ١٨/٦، ذكر: ٧٨٦/٦ - ٧٨٨، ركن: ٨٠٣/٦، بيت: ٥٢٧/٩.

ذكره لأبي عبيد في هذا السياق يشير إلى ربط علم اللغة بعلم الحديث في إطار علم (غريب الحديث) الذي جمع فيه أبو عبيد جهود من سبقوه وزاد وأصلح، حتى ظنَّ أنّ أحداً لا يستطيع أن يأتي بجديد، " ثم جمع ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ما فات أبا عبيد وقال: " أرجو أن لا يكون بقي بعد كتاب أبي عبيد وكتابي من الغريب ما فيه مقال"، وقويت الظنون بأنه لم يبق شيء، وإذا أشياء قد فاتتهما ألف فيها أبو سليمان الخطابي" ^١.

وابن سيده- على الرغم من إفراده أبا عبيد بالذكر في أرجوزته- إلا أنه لم يقتصر على كتبه في شرح الغريب. "فقد صرح بالنقل عن أبي إسحق إبراهيم بن إسحق الحربي، (ت ٢٨٥هـ) ^٢، وفي حديث كسوف الشمس، وفيه وأما حديث سمرة؛ كسفت الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانتهيتُ إلى المسجد فإذا هو يأزر" فإن أبا إسحق الحربي قال في تفسيره: "الأرز الامتلاء" ^٣.

كما صرح بالنقل عن ابن قتيبة: ففي تفسيره لقوله تعالى: "والعاديات ضبحا" يقول: "وقال ابن قتيبة في حديث أبي هريرة: "تعس عبد الدينار والدرهم، إن أعطي مدح وضح،... "معنى ضبح: صاح... " ^٤،^٥ وكذلك صرح بالنقل عن الغريبيين في مواقع من المحكم.

وقد ينقل عنه بعض أقوال التابعين، ومن ذلك:

- قوله "وطاخية: فيما ذكر عن الضحاك اسم النملة التي أخبر الله عنها أنها كلمت سليمان عليه السلام، حكاه الهروي في الغريبيين" ^٦.

١- انظر ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد المعطي أمين قلعي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، المقدمة، صفحة ٣.

٢- له في اللغة كتاب غريب الحديث، قال القفطي في (تاريخ النحاة). له في اللغة كتاب (غريب الحديث) وهو من أنفس الكتب وأكبرها في هذا النوع... قال سليمان بن الخليل: سمعت الحربي يقول: "في كتاب أبي عبيد (غريب الحديث) ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل انظر سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج ١، صفحة ٣٦٣ - ٣٦٦"

٣- حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - "انكسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -... وفيه " فدخلت المسجد فإذا هو يأزر": أخرجه الشافعي في (السنن المأثورة عنه) حديث رقم ٤٩، وإبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ). الأول من حديث عبد الكريم بن محمد الجرحاني، والثاني عن أحمد بن يونس: عن زهير بن معاوية عن الأسود بن قيس، عن ثعلبة العبدي، ولم يُخرَج في كتب الأصول بهذا اللفظ.

٤- ابن سيده، المحكم ٣ / ١٣٦.

٥- الحديث مروى في صحيح البخاري برقم ٥٩٨٤، ٢٦٨٨، ٢٦٨٧، وسنن ابن ماجه برقم ٤١٣٣، وفي جامع الترمذي بلفظ: لعن، والسُنن الكبرى للبيهقي برقم ١٧٠٢٤. ولم يرد في الكتب الأصول بزيادة (مدح وضح) واقتصر وجود هذه الزيادة على بعض كتب غريب الحديث، وفي غريب الحديث لابن قتيبة، (تحقيق د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧، جزء ٢، صفحة ٢٩٧)، وقد أورد سند الحديث، وفيه مجهول، وقال أبو محمد في حديث عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال: لا يخرجن أحدكم إلى صحبة بدين، قال: يرويه وكيع عن ابن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني. الحديث فيه (أبو محمد) مجهول.

٦- ابن سيده، المحكم، ٥ / ٢٥١.

وقوله: "والدولسيُّ الذريعة المدلّسة، ومنه حديث ابن المسيّب: "رحم الله عمر؛ لو لم ينه عن المتعة لاتخذها الناس دولسياً"؛ أي ذريعة إلى الزنا، حكاه الهرويُّ في الغريبين" ٢٠١ .

صيغ رواية الحديث عند ابن سيده

الصيغة الأغلب في الدوران هي قوله: "وفي الحديث" - وكأنه يشعر باستخدامها بالاكْتفاء بالعزو الإجمالي للكتب في المقدمة، والعزو العارض في متن الكتاب كما أنه يشعر بقصده إلى الاختصار بما يناسب المقصد المعجمي.

وإلى جانب ذلك، فقد استخدم صيغاً أخرى قليلة الورد عنده، كقوله:

١. "روي عن النبي صلى الله عليه وسلم"، ومن ذلك قوله: "وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له" ٣٠٣ .

٢. وقد يستخدم اللفظ (روي) مع الاكتفاء بالإسناد إلى الصحابي، كقوله: "وقوله تعالى {غَيْرَ مُضَارٍّ} [النساء: ١٢]: منع من الضرر في الوصية، وروي عن أبي هريرة: "من ضارَّ في وصيته ألقاه الله في واد من جهنم، أو من نار" ٥ ٦ .

١- ابن سيده، المحكم، ٨ / ٤٥٢ .

٢- انظر في شرح اللفظ في الحديث نفسه؛ الخطابي، عبد الكريم أبو سليمان (ت ٣٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ، جزء، صفحة ٤٢، ٤٣ .

٣- ابن سيده، المحكم، ٦ / ٢٤٥ .

٤- قال البيهقي في (البعث والتشور) حديث رقم ٥٩ من رواية ميمون بن سياه عن عمر، ونقل قول البيهقي: "فيه إرسال بين ميمون وعمر" وأنه "قد روي موقوفاً من وجه غير قوي، ثم أخرجه عن سعيد بن منصور موقوفاً لم يرفعه، قال الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف ١٩٩/١ رقم ١٠٦١" ورواه العقيلي في كتاب الضعفاء، وابن مردويه في (التفسير) والواحد في (الوسيط) وذكر أن فيه الفضل بن عميرة الظفاري، قال: وأعله به وقال: لا يتابع على إسناده، وأورده الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث ١٩٩، وضعفه. وبالرجوع إلى الضعفاء الكبير للعقيلي نجده يقول: "الفضل بن عميرة الظفاري عن ميمون بن سياه، ولا يتابع على حديثه، ويروى من غير هذا الوجه بهذا اللفظ بإسناد أصلح. انظر ٣/٤٤٢ حديث رقم ١٤٩٠

٥- أورده الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١ / ٣٥٤ ولم يذكر سنده إلى أبي هريرة. الحديث أورده أبو داود في كتاب (الوصايا)، باب كراهية الإضرار في الوصية، الحديث رقم ٢٨٦٧ والثرمذي في سننه كتاب الوصايا الحديث رقم ٢١١٧ الأول عن شيخه عبدة بن عبد الله والثاني عن نصر بن علي الجهضمي والتقياً في بقية السند عن عبد الصمد عن نصر بن علي الحداني عن الأشعث بن جابر عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أنه حدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ونصر بن علي الذي روى عن الأشعث بن جابر هو جد نصر بن علي الجهضمي. ونقل الإمام ابن كثير في تفسيره، طبعة دار المعرفة، الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ١، ص ٤٧٢ زيادة من كلام الثرمذي غير واردة في المطبوع وهي: "وسياق الإمام أحمد أتم وأكمل".

٦- ابن سيده، المحكم، ٨ / ١٤٧ .

توظيف ابن سيدة للحديث الشريف في التفسير اللغوي للقرآن الكريم في كتاب (المحكم)

بلغ عدد الأحاديث التي استخدمها ابن سيدة في شرحه للألفاظ في معجم (المحكم والمحيط الأعظم) تسعمائة وستين حديثاً، يستخلص من استقرائها أنّ جُلّها كان المقصد من إيرادها مقصداً لغويّاً - بالمعنى المعجمي -^١

ومن أمثلة ما استخدمه ابن سيدة في المعجم في المقصد التفسيري اللغوي لآيات القرآن المشتملة في المحكم:

١. ما أورده على سبيل التمثيل للمعنى: ومن ذلك قوله: "وسفع بناصيته ويده ورجله يسفع سفعاً: جذب وقبض، وفي التنزيل: {لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق: ١٥] وحكى ابن الأعرابي: "سفع بيده: أي أخذ بيده، والسفعة العين، وامرأة مسفوعة بها سفعة أي إصابة عين، ... "وفي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في بيت أم سلمة جارية بها سفعة، فقال: إنّ بها نظرة، فاسترقوا لها" وقوله سفعة يعني أنّ الشيطان أصابها"^٢ انتهى المنقول من المحكم"^٣.

وقوله: "وحسهم يحسهم حساً: قتلهم قتلاً كثيراً ذريعاً مستأصلاً، وفي التنزيل، {إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢]: أي تقتلونهم كذلك ... وجراد محسوس: قتلته النار وفي الحديث: "أنّه أتى بجراد محسوس"^٤.

وقوله: "جاء في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم: "طوبى شجرة في الجنة"^٥.

١- وقد صنع محقق المعجم، الدكتور عبد الحميد هنداي، فهرساً للأحاديث الواردة في المحكم ذكر فيه أطراف هذه الأحاديث، ولم يزل الكتاب بحاجة إلى من يخدم هذه الأحاديث بتخريجها. أنظر: المحكم والمحيط الأعظم، طبعة دار الكتب العالمية، الجزء الحادي عشر، الصفحات ٨٥ - ١١٧.

٢- الحديث: رواه البخاري - رحمه الله - في كتاب الطب، باب رقية العين، حديث ٥٤٠٧ وهو حديث الباب. انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني حيث قدّم دراسة مفصلة لأسانيد الحديث، دار الريان، ١٤٠١هـ - ١٩٨٦م، صحيح مسلم. مكتبة الإيمان، بلا رقم ولا تاريخ، كتاب السلام، باب (٢١): استحباب الرقية من العين والنملة والحمة، والنظرة. حديث ٢١٩٧، صفحة ١١١٠، وأورده الزمخشري في (الفائق في غريب الحديث)، انظر طبعة دار المعرفة، الثانية، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٨٢/٢، والنهية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، جزء ٢، صفحة ٩٤٤.

٣- ابن سيدة، المحكم، ١٤٧/٨.

٤- الحديث: أورده القاسم بن سلام في (غريب الحديث والأثر)، انظر طبعة دار الكتاب العربي، ١، تحقيق د. محمد انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني حيث قدّم دراسة مفصلة لأسانيد الحديث، دار الريان، ١٤٠١، ١٩٨٦، صحيح مسلم مكتبة الإيمان، بلا رقم ولا تاريخ، كتاب السلام، باب (٢١): استحباب الرقية من العين والنملة والحمة، والنظرة. حديث ٢١٩٧، صفحة ١١١٠، وأورده الزمخشري في (الفائق في غريب الحديث)، ص ١٨٢/٢، والنهية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري، صفحة ٩٤٤. عبد المعيد خان، جزء ٤، صفحة ٣٧٨، و(العباب الزاخر) للصاغاني، مادة: حسس وجعله من حديث عمر رضي الله عنه، والفائق في غريب الحديث للزمخشري، الحاء مع السين.

٥- الحديث: "طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها".

٢. ما أورده على سبيل الاستدلال، ومن ذلك:

قوله: "قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر: ٣٢]: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"، فذلك ذلك على أن المؤمنين مغفور لمقتصدهم، وللظالم لنفسه"^٢.

وقوله: "والجدُّ: العظمة، وفي التنزيل: { وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا } [الجن: ٣]؛ قيل جدُّه عظمته، وقيل غناه، وفي حديث أنس [رضي الله عنه]: كان الرجل منا إذا حفظ البقرة وآل عمران جدًّا فينا؛ أي عظم في أعيننا؛ وخصَّ بعضهم بالجدِّ عظمة الله عزَّ وجلَّ، وقول أنس - هاهنا - يرُدُّ هذا؛ لأنه قد أوقعه على الرجل"^٣.

ثالثاً: الشاهد الشعري عند ابن سيدة في (المحكم)

تتوزع شواهد (المحكم) زمانياً فتشمل العصر الجاهليّ، وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية، وقليل نادر من مخزومي الدولة العباسية كأبي دلامة وأبي حية النميري وبتتبع أسماء الشعراء في المجلد الأول، وقرابة مائتي صفحة من المجلد الثاني يتبين للدارس تفوق شعراء الجاهلية على شعراء صدر الإسلام، ثم على شعراء العصر الأموي من حيث العدد، وكذلك تفوق شعراء صدر الإسلام على شعراء العصر الأموي. وهذا التدرج يعكس مدى تتبع العلماء للنقاء اللغوي الذي تزداد فرصة الحصول على شواهد كلما قدّمت الفترة.

كما أنه من اللافت للنظر استثناء بعض شعراء صدر الإسلام بنصيب أكبر من الشواهد تزيد على غيرهم من أبناء عصرهم، وهو تفاوت لا تلحظه بين شعراء العصر الجاهليّ، ثم تزداد ظاهرة استثناء بعض الشعراء بنسبة عالية من الشواهد في العصر الأموي؛ ففي عصر صدر الإسلام يتفوق

أورده الألباني في (السلسلة الصحيحة ٤ / ٦٣٩) وقال: "أخرجه أحمد (٣ / ٧١) وابن جرير في تفسيره (١٣) / (١٠١) وابن حبان (٢٦٢٥) من طريق دراج أبي السمع أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به . [قال الألباني]: "قلت وهذا سند لا بأس به في الشواهد، لسوء حفظ دراج" ثم ذكر له كثيراً من الشواهد".

١- ابن سيدة، المحكم، ٩ / ٢٢٥.

٢- ابن سيدة، المحكم، ٦ / ٢٤٥.

٣- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الرقاق) انظر: فتح الباري، طبعة دار الریان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، حديث رقم ٦٠٩٤ ومسلم في صحيحه، انظر شرح النووي، دار الخير، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، رقم ٢٩٧٢ وهو في مسند أحمد ١٢٢٣٦، ١٢٢٣٧، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في كل منهما: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

رؤية بن العجاج التميمي بعدد ضخم من الشواهد يتبعه في ذلك والده العجاج ؛ عبدالله بن رؤية التميمي ثم الطرماح بن الحكيم الطائي، وأبو ذؤيب الهذلي، ويتصدّر الشعراء الأمويين شعراء النقائض: جرير والفرزدق والأخطل ثم ذو الرمة والراعي التميمي.

وقد غاب عن الساحة في كلّ شواهد (المحكم) أي أثر للشعر الأندلسي في عهد صدر الإسلام، والدولة الأموية، ولم يرد أي ذكر لأيّ شاعر من شعراء الأندلس. ولعلّ انحسار هذه الشواهد مكانياً عن مثل هذه الساحة الحضارية الخصبة، وما فيها من تجارب إنسانية جديدة بالاعتبار، وكذلك في انحسارها زمانياً في عصر غلبت فيه مظاهر البداوة ما ينطوي من زوايا كثيرة على شيء من التفريط ببعض البصمات التي يتركها الشعر في سجّلات العلوم اللغوية، كان يمكن أن تضاف إلى ما جمعه العلماء في مروياتهم من معارف عن الأمثال، والأحوال، ووصف الحيوان والنبات. ولعلّ قدراً من الوعي بهذه المسألة هو الذي دفع بشواهد كثيري الأسفار، المعروفين باختلاطهم بالعجم كالأعشى لاحتلال مساحة مرموقة في معرض الاستشهاد بالشعر على اللغة وعلومها، في نفس الوقت الذي أبدى فيه علماء الرواية قدراً كبيراً من الحذر في نقل الشواهد اللغوية من الأرياف، ناهيك عن الحواضر. وكذلك فقد كان غياب التوظيف الوجداني الفردي أو الجمعي عن هذه الشواهد سلاحاً ذا حدّين، حيث حافظ على حياديتها من جهة، وحوّلها من جهة أخرى إلى أعضاء مجففة تتفحصها عيون الدارسين!

ومع أنّ هذه الشواهد تتوزّع جغرافياً على قبائل العرب، فإنّ نظرة عجلت إلى هذه الشواهد تكفي للحكم على تفوّق الهذليين من حيث عدد الشعراء وكذلك عدد الشواهد، وتفوّق شعراء بني تميم ورجّازهم.

ومن الظواهر المهمة التي تسترعي الانتباه تلك النسبة الكبيرة التي تحتلها الشواهد غير المنسوبة، وهي ظاهرة تستدعي انشغال الباحثين في دراسة الشواهد اللغوية في تضيق هذه الظاهرة؛ لما يترتب عليه من سدّ ذرائع ذات آثار لغوية وشرعية عظيمة الأهمية. وقد حاول ابن سيدة إلى- حدّما-

تضييق هذه الظاهرة بنسبة الشاهد إلى الراوي، ومن ذلك :

- قوله: " واستعمل بعضهم العَلّ في الإطعام، وعدّاه إلى مفعولين، أنشد ابن الأعرابي:

فباتوا ناعمين بعيش صدق يعلّمهم السديف مع المحال^١

١- السديف لحم السنام... والمحالّ جمع محالة وهي الفقرة من فغار البعير، انظر اللسان، طبعة دار صادر، بيروت، اللسان، بدون تاريخ جزء ١٤، ص ٣١.

وأرى أنه إنما سوَّغ تعديته إلى مفعولين أنّ عللت هنا بمعنى أطعمت، فكما أنّ أطعمت متعدية إلى مفعولين كذلك عللت هنا متعدية إلى مفعولين^١.

- وقوله: وذنب عَسَسٌ، وعَسَعَس: طلب للصيد بالليل، وقيل إنّ هذا الاسم يقع على كلّ السباع إذا طلب الصيد بالليل، وقيل هو الذي لا يتقار، أنشد ابن الأعرابي:

مقلقلة للمستنيح العسعاس^٢

ومن مظاهر عناية ابن سيده بتحقيق ألفاظ الشواهد الشعرية:

١. المقارنة بين روايات الشاهد.

- ومن هذه المقارنات ما لم يذكر فيها اسم الراوي، ومن ذلك ذكره لروايات اللفظ (أعشاش) في شاهد الفرزدق:

عزفت بأعشاش وما كنت تعزفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
قال: "ويروى: وما كدت تعزف. أراد عزفت عن أعشاش فأبدل الباء مكان "عن". ويروى: بإعشاش، أي بكره"^٣.

- ومنها ما ذكر فيها اسم الراوي المخالف، كقوله: "... قول القطامي:

كأنها بيضة غراء خذ لها في عثعث ينبئ الحوذان والغزما
ورواية أبي حنيفة: خط لها"^٤.

٢. تعقبه تفسير الرواة لشواهدهم، ومن ذلك:

- وقوله في تفسير قوله تعالى: {فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْتَاهَا بِإِسْحَاقِ} [هود: ٧١] "قال (ابن الأعرابي) في قول ابن أخت (تأبط شراً):

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهلّ

أي أنّ الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمئت، وقد أضحكها الدم... وكان (ابن دريد) يردُّ هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنّها تحيض؟ وإنما أراد الشاعر أنّها تكثّر لأكل اللحوم"^٥.

- وقوله: "والواديّ الحديد، قال أبو قيس بن الأسلت

١- ابن سيده، المحكم، ٩٢/١.

٢- ابن سيده، المحكم، ٧٠/١.

٣- المحكم، ٦٤/١، والبيت للفرزدق بديوانه: تحقيق: محمد علي الفاروق، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٢٣.

٤- المحكم، ٨٧/١، العثعث: الكثيب السهل، أنبت أم لم ينبئت، اللسان: عث.

٥- ابن سيده، المحكم، ٣٣/٣.

صرق حسام وادق حدّه ومجنأ أسمر قراع

وحكاه أبو عبيد في باب الرّماح، وقد غلط، إمّا هو سيف وادق"¹.

٣. إطلاقه أحكاماً تتعلّق بتوثيق أو توهين ألفاظ رواها راو معين،

- فمن قوله: "والطوفان: الماء الذي يغشى كلّ مكان، وقيل المطر الذي يُغرق من كثرته، وقيل الطوفان: الموت العظيم... وبذلك كله فسّر قوله عزّ وجل: { فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [العنكبوت: ١٤]... قال:

غير الجدّة من عرفانه خرق الرّيح وطوفان المطر

وقال الأخفش: الطوفان: جمع طوفانة، والأخفش ثقة، وإذا حكى الثقة شيئاً لزم قبوله"².

مجالات توظيف الشواهد الشعرية في (المحكم):

١. الاستشهاد للغة، وقد استأثر هذا المجال بغالبية شواهد (المحكم)، ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ } [الواقعة: ١٧] "... وقال أبو عبيدة: مسوّر، يمانية، وأنشد:

ومخلّدات باللجين كأنما أعجازهنّ أقارز الكتبان"³

ذكر المفسرون للفظ (مخلّدون) معان عدّة منها الذي ذكره المصنّف هنا وهو قول سعيد بن جبيرة رحمه الله، ومنها قول ابن كيسان: "يعني ولداناً لا يحوّلون من حالة إلى حالة". ومنها قول

الحسن: "هم أولاد أهل الدّنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها..."⁴

- وقوله: "والقِطُّ: الصّكّ، وقيل: هو كتاب المحاسبة، وفي التنزيل: { عَجَلْنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ } [ص: ١٦] والجمع قطوط. قال الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغيظته يعطي القطوط ويأفق"⁵

أمّا أقوال المفسرين في تفسير (قِطْنَا): فمنها:

- قول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، يعني كتابنا، والقِطُّ الصحيفة التي أحصت كل شيء...
وقال سعيد بن جبيرة أيضاً: يعنون حظنا ونصيبنا من الجنّة التي تقول.

١- ابن سيّدة، المحكم، ٥٣٩/٦، الصّرق: الرّقاقة، اللسان، مادة: صرق.

٢- ابن سيّدة، المحكم، ٢٤٤/٩ والبيت لأبي حنبل بن عرفة في نوادر أبي زيد، ص ٧٧.

٣- المحكم، ٣٨/٥ والقوز بالفتح: الكتيب الصّغير، والبيت لم أعثر له على نسبة، عن اللسان، جزء ٥، صفحة ٣٩٩

٤- انظر: تفسير البغوي، جزء ٨، صفحة ١٠

٥- المحكم، ١١١/٦، والبيت للأعشى في ديوانه، طبع دار صادر، بيروت، صفحة ٢١٩.

- قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب.

- قول أبي عبيدة والكسائي: القَطُّ الكتاب بالجواز^١

٢. الاستشهاد للقراءات، ومن ذلك:

- قوله: "وصل اللحم يصل صلواً، وأصل: أنتن، وقيل لا يستعمل ذلك في النيء، وفي التنزيل:

{وقالوا أءذا صلنا في الأرض} [السجدة: ١٠] أي أنتنا وتغيرت صورنا.

وقول زهير:

تلجح مضغة فيها أنيض^٢ أصلت فهي تحت الكشح داء^٣

- ومنه قوله: "وفي التنزيل {إنا وجدنا آباءنا على أمة} [الزخرف: ٢٣] قال اللحياني: وروي عن

مجاهد وعمر بن عبد العزيز (على إمة) والإمة النعمة، هذه القراءة شاذة نسبها القرطبي في

الجامع^٤ إلى عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وفسر (الإمة) بالطريقة، ونقل عن الجوهري:

" والإمة بالكسر: النعمة والإمة أيضاً لغة في الأمة، وهي الطريقة والدين. عن أبي عبيدة...

" وبذلك تتوافق هذه القراءة الشاذة في معناها مع المتواترة في بعض احتمالاتها.

قال الأعشى:

ولقد جررت إلى الغنى ذا فاقة وأصاب غزوك إمة فأزها^٥

٣. الاستشهاد للمسائل الصرفية، ومن ذلك:

- قوله: القدرُ: القضاء والحكم...، قال الله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر: ١] أي

الحكم... وقال اللحياني: القدرُ الاسم، والقدرُ المصدر، وأنشد:

كل شيء حتى أخيك متاع وبقدر تفرق واجتماع

" قال ابن قتيبة: وكان الأصمعي ينشد أبياتاً من الشعر في القدر في... قال: أنشدني عيسى بن

عمر البدوي: وذكر البيت^١.

١- انظر: تفسير البغوي، جزء ٧، صفحة ٧٥، والجامع بين هذه الأقوال، هو أن القَطُّ مصدر قَطُّ بمعنى قطع وبذلك يعني القسمة.

٢- الأنبيض من اللحم الذي لم ينضج، يكون ذلك في الشواء والقديد. والبيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه، طبع دار صادر، بيروت، صفحة ٨٢.

٣- المحكم، ٢٦٨/٨، والقراءة (صللنا) بالصاد مكسورة اللام: قراءة شاذة، "قرأ بها علي وبن عباس - رضي الله عنهما - وأبان بن سعيد بن العاص والحسن"، وقوله "في التنزيل" عبارة توهم بأنها مثبتة في المصحف. انظر: ابن جني، المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، صفحة ١٧٣، وقوله "في التنزيل" عبارة توهم بأنها مثبتة في المصحف.

٤- الجامع، جزء ١٦، صفحة ٦٩.

٥- المحكم، ٣٦٢/٤.

وقد يردّ بعض الشواهد المخالفة لما جرى عليه القياس، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} [البقرة: ٨٨]: "أراد جمع: غلاف؛ أي أنّها أوعية للعلم، ولا يكون جمع أغلف لأنّ فعلاً لا يكون جمع أفعل عند سيبويه إلا أن يضطرّ شاعر، كقول طرفة: جرّدوا منها وراداً وشقراً" ^٢

الذي ذكره ابن سيده هو المعنى المرجوح عند جمهور المفسرين وعلى رأسهم ابن جرير - وإن كان يتماشى مع ما يعرف من طبع اليهود في التعالي، وفيه معنى الاستغناء عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم - والراجح ما نقله ابن كثير في تفسيره للآية عن محمد بن إسحق، وعلي بن أبي طلحة، والعمري، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية وغيرهم أنّها بمعنى الطبع على القلب ^٣

٤. الاستشهاد بالشعر لحلّ الإشكال، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٤، ١٥]. "والاستهزاء من الكفار حقيقة، وتعليقه بالله عزّ وجلّ مجاز، جلّ ربّنا عن الاستهزاء، بل هو الحق ومنه الحق... إنما الاستهزاء والخدع مكافأة لهم، ومثله قول عمرو بن كلثوم: ألا لا يجهلن أحدّ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا..." ^٤

٥. الاستشهاد لأسلوب القرآن:

وهو مما يصلح الشاهد السابق للتمثيل عليه، ومنه - أيضاً - قوله في تفسير قوله تعالى {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ} [الكهف: ٧٧]: "وقال يريد، والإرادة إنما تكون من الحيوان، والجدار لا يريد إرادة حقيقية لأنها تهيوه للسقوط، قد ظهر كما تظهر أفعال المريرين... ومثل هذا كثير في اللغة والشعر، قال الراعي: ^٥

١- انظر المحكم، ٣٠٠/٦، وانظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت، صفحة ١٢٦. ولم أعثر للبيت على نسبة.
٢- المحكم، ٥٢٨/٥ وقال المحقق في الحاشية: هذا عجز بيت لطرفة في ديوانه، ص ٥٧، وصدرة: أيها الفتيان في مجلسنا.
٣- تفسير ابن كثير، جزء ١، صفحة ٣٢٤
٤- ابن سيده، المحكم، ٢٧/٨. البيت لعمرو بن كلثوم في ديوانه، صفحة ٧٨.
٥- الراعي التميري من شعراء العهد الأموي اشتهر بالمهاجاة بينه وبين جرير، وفيه قال جرير بيته المشهور في الهجاء:

فغضّ الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
وهو أهجى بيت قالته العرب، انظر: ديوان جرير، تحقيق: محمد بن إسماعيل الصاوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بلا رقم طبعة ولا تاريخ، ص ٢٧٥.

في مهمّة قلقت به هاماتها

قلق الفؤوس إذا أردن نصولاً

ويلاحظ أن إسناد الإرادة إلى غير العاقل ضرب من المجاز، يسمى في البلاغة المجاز العقلي، ولم يذكر ابن سيده هذا المصطلح، حيث لم تكن مثل هذه المصطلحات مستقرّة أو متداولة في عهده ومثّل له باستخدام لفظ القلق في وصف حركة الفؤوس لمجاورته استخدام اللفظ نفسه في وصف حركة الهامات، ومنه في القرآن الكريم {فَمَنْ أَعَدَّىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ} [البقرة: ١٩٤] والأسلوب المتضمّن في هذا البيت هو أسلوب المشاكلة ويعرّف بأنه: " هو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، فهي مجاز لغوي علاقته المشابهة"^١

٦. الاستشهاد لما يخطئ به العامّة وتوجيه ما وقع منه في الشعر.

ومن ذلك قوله: ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوان. والجمع جمالٌ وأحمال. وفي التنزيل: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ} [الطلاق: ٤]... قال "ابن جني": حَمَلْتَهُ، ولا يقال حَمَلْتُ بِهِ، إلا أنه كثر (وحَمَلْتُ المرأة بولدها) وأنشد:

حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرُّهَا وَعَقْدُ نَاطِقِهَا لَمْ يَحِلْ

...وكأنه إنما جاز (حملت به) لما كان في معنى علقته به^٢، مزوودة: خانفة.

وجوه توظيف ابن سيده للشواهد الشعرية في المحكم.

١. ما كان على سبيل التمثيل من معنى، وهو ما تصلح الشواهد السابقة أمثلة له.

٢. ما كان على سبيل الاستدلال، ومن أمثلته:

- ومنه قوله: "والمثاني - من القرآن ما تُتّى مرّة بعد مرّة، وقيل: فاتحة الكتاب، قال ثعلب: لأنها تنثى مع كلّ سورة. وقيل: المثاني سورٌ أوّلها البقرة وآخرها براءة، وقيل ما كان دون المثني، وقيل القرآن كله، وقول حسان - أنشده ثعلب - :

من للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت^٣

١- انظر مزيداً من التفصيل والأمثلة: فريد البيدق، مقال بعنوان المشاكلة عرض ونقد، استرجع في الثامن والعشرين

من نيسان ٢٠١٢ من الموقع: <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=١٢٨>

٢- ابن سيده، المحكم، ٣/٣٦٧ وفيه إشارة إلى أسلوب الحمل على المعنى، والبيت لأبي كبير الهذلي، انظر: تفسير القرطبي، ج٢، ص ٢٩٤.

٣- ابن سيده، المحكم، ١٠/١٩٦، ١٩٧، والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٣٧٤، وقد يغيّر على هذا الاستدلال أن يُحمل الكلام على التغليب، أي أن يطلق اسم الجزء على الكلّ، وهو كثير في كلام العرب! وانظر: تفصيل أقوال العلماء في تفسير ابن كثير، ٤/٥٤٧، ٥٤٨، وترجيحه لما اختاره ابن جرير الطبري بناءً على حديثين رواهما البخاري في صحيحه، هما حديث أبي سعيد بن المعلى المشهور وفيه: " الحمد لله رب العالمين، هي =

تصرف ابن سيدة تجاه شواهد الزّجاج:

- يولي ابن سيدة باستشهاده على تفسير الآيات القرآنية الواردة في المحكم عناية خاصة بشواهد الزّجاج، ومع ذلك، فقد يُغفل ما أورده الزّجاج من شواهد.
- فمن ذكر ابن سيدة كلام الزّجاج، وحذف شواهد في تفسير قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧]، حيث نقل في آخره قول الزّجاج بأنّ العرب تسمي المرأة لباساً وإزاراً وأغفل شاهدين أوردهما الزّجاج على ذلك.^١
 - ومع ذلك فإنّه قد يسرد كلام الزّجاج ويضيف عليه شاهداً لم يذكره الزّجاج، ومن ذلك إيراده كلام الزّجاج في تفسير قوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥] من دون نسبة، ثم إتباعه بشاهد، وهو قول الشاعر:

وكم من سَمِيٍّ ليس مثلَ سَمِيّه
وإن كان يدعى باسمه فيجيب^٢

رابعا: الأمثال العربية في (المحكم) لابن سيدة

اشتمل كتاب (المحكم) على ثلاثمائة وستين مثلاً من الأمثال النثرية، استخدمها ابن سيدة كشواهد على معاني الألفاظ الواردة في هذا المعجم.^٣ وأكثر ما يستخدم ابن سيدة هذه الأمثال ك(شواهد مُصاحبة)، أو على سبيل التمثيل، ونادراً ما يستخدمها على سبيل الاستدلال، أمّا توظيف هذه الأمثال في تفسير الآيات الواردة في المعجم فهو من النادر النادر!

ملاحح بارزة في تعامل ابن سيدة مع أمثال العرب في (المحكم)

السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"، والثاني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أمّ القرآن هي: السبع المثاني والقرآن العظيم".
ومع ذلك قال ابن كثير - رحمه الله - : " ولكن لا ينبغي وصف غيرها من السبع الطوال بذلك...".
١- انظر المحكم، ١١٥/٨، ومعاني القرآن للزّجاج، ٢٠٠/١، طبعة دار الكتب العلمية، مرجع سابق.
٢- المحكم، ٦٢٤/٨، ومعاني القرآن للزّجاج، ٩٢/١. والبيت بلا نسبة.
٣- انظر فهرس الأمثال، صنعة المحقق د. عبد الحميد هنداوي، المحكم، جزء ١١، ص ١٢١.

١. نبه ابن سيده على أن "الأمثال تؤدى على ما فرط به أول أحوال وقوعها، كقولهم: "أطري إلك ناعلة" و"الصيف ضيغت اللبن" و"أطرق كرا" و"أصبح نومان" يؤدي ذلك على صورته التي أنشئ في مبدئه عليها".^١
٢. كثيراً ما يتوقف لبيان قصة المثل، ومن ذلك قوله: "والخرافة الحديث المستلح من الكذب، وقولهم: حديث خرافة: ذكر الكلبى أنه من بني عذرة، ومن جهينة، اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه، فكان يحدث بأحاديث مما رأى يُعجب منها، فجرى على ألسن الناس".
٣. وقد يسمي من صدر عنه المثل أو قيل بحقه أول مرة، ومن ذلك: قوله في بيان أصل المثل الشعري:
 " هذا أوان الشد فاشتدي زيم"
 "وزيم اسم فرس جابر بن حني وإياها عن الراجز بقوله..."
 صح "وجرول بن مجاشع: رجل من العرب، وهو القائل: "مكره أخوك لا بطل".^٢
٤. وهو يعنى - أحياناً - بشرح هذه الأمثال، فمن شرحه للأمثال الشعرية: قوله في شرح الشاهد:
 فإن عدّ مجدّ أو قديمّ لمعشر فقومي بهم تحنى هناك الأصابع
 حيث قال في تفسيره: "...وقال ثعلب: معنى قوله: "حيث تحنى الأصابع" أن تقول: فلان صديقي، وفلان صديقي فتعدّ بأصابعك، وقال: فلان ممن لا تحنى عليه الأصابع، أي لا يُعدّ في الإخوان.
 ومن شرحه للأمثال النثرية قوله: "وعقر الحوض وعقره: مؤخره وقيل: مقام الشاربه منه. وفي المثل: إنما يهدم الحوض من عقره": أي إنما يؤتى الأمر من وجهه"^٣.
٥. والديباج: ضرب من الثياب مشتق من ذلك، بالكسر، والفتح مولد... وسمى ابن مسعود رضي الله عنه الحواميم ديباج القرآن. و"ما للدار ديبج" أي ما بها أحد.
٦. وقريب من ذلك أيضاً قوله في تفسير قوله تعالى: {حَتَّىٰ يَصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} [القصص: ٢٣] "والصدر نقيض الورد... و(ماله صادر ولا وارد) أي ماله شيء، وقال اللحياني: ماله شيء ولا قوم".

١- ابن سيده، المحكم، ١٠٥/٩.

٢- الأشهر في لفظ هذا المثل: "مكره أخاك"، كما أثبتته المحقق في فهرس الأمثال من المحكم، ويوجه النصب على أنه لغة من يلفظ الأفعال الخمسة بالألف في كل الأحوال - وهي لغة تميم - ؛ فيكون (أخاك) مبتدأ مؤخرأ مرفوعاً، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر. وينسب البعض المثل لبهس بن هلال؛ من شعراء الجاهلية، في قصة له وخاله يطلب فيها ثأر بعض إخوانه.

٣- ابن سيده، المحكم، ١٨٢/١.

وقد يذكر المثل في معرض تفسير بعض الآيات كـ (شاهد مصاحب) كقوله بعد ذكر مجموعة من الآيات المتضمنة لفظ الرحمة: ^١ "وفي المثل: رهبوتٌ خيرٌ من رحموت. وبعدُ فباستعراض متأمل في فهرست الأمثال، ومطابقة ما هو مظنة الارتباط بتفسير ألفاظ القرآن الكريم يجد توظيف ابن سيده لأمثال العرب - سواء الشعرية منها أو النثرية - قليل لا يمثل نسبة تستحق التسجيل بقدر ما تستحق التأمل الناقد!

مأخذ على نقد الرواية عند ابن سيده

اعتمد ابن سيده بشكل رئيس في تصنيف معجمه على جمع أبرز كتب العلماء في فنون اللغة، وما اختصّ به بعضهم مما له ارتباط بالحقول الدلالية التي اعتمدها في (المخصص) وبناه على أساسه ونثرها في (المحكم).

وبين ميدان الرواية وميدان الدراية مساحة يصعب وصفها بالمنطقة الفاصلة أو المحايدة - على أنه وصف لا يزيها -؛ فهي أميل إلى الرواية إذا أغفل فيه أعمال الدراية في نقد المرويات، وهي أقرب إلى الدراية إن مُحصت فيها الروايات، وهناك يزدان فيها ميدان البحث العقلي بقدر كفاءة ميزانه ونباهة وُرّانه.

وقد نبّه ابن سيده في مقدّمته إلى وقوفه موقف الناقد من المرويات، وقد صحّ ذلك كثيراً فيما يتعلّق بنقده لاختيارات العلماء في القضايا اللغوية بعامّة، وقضايا الصرف والاشتقاق بخاصة - وهي ألصق بجانب التفسير اللغوي - ولكنه كثيراً ما غضّ الطرف فأمرّ بعض المقولات المتعلقة بالأوصاف و الأخبار مما أوقعه في مجازات فظيعة كان يحسن انتباؤها بعيداً عن هذا العمل الفني الضخم، الذي لا ينقص من قدره اعتماده منهج الجمع، وقد لا يسيء إلى فوائده العلمية - من الوجهة الفنية - ولكنه يكون كالنكتة السوداء في كساء أبيض ضافٍ... على أن بعضها لا يمكن التجاوز عنه بأبسط المعايير، ومن ذلك:

- قوله في تفسير قوله تعالى {أَقْلَمُ يَبَّاسُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الرعد: ٣١] بعد أن ساق أقوال العلماء فيها: "وقال ابن عباس: كتب الكاتب {أَقْلَمُ يَبَّاسُ الَّذِينَ آمَنُوا} وهو ناعسٌ عين". ومع أنه أورد هذا القول في آخر ما أورده من أقوال، مما يعني أنه يقدم عليه ما سبقه؛ حيث من عادته أن يؤخّر القول المرجوح إلا أنه لا يعفيه ذلك من أنه لم يعترضه برّد، ولم يتكلف له نقداً!

١- ابن سيده، المحكم، ٢٨٢/٨، ابن سيده، المحكم، ٣٣٦/٣.

- قوله في تفسير قوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ} [البقرة: ١٤٨]: "وقال بعضهم: كان النصارى تغمس أبناءها في ماء ينصرونهم، وهذا ضعيف!" والغريب أنه هنا يردّ رواية ابن عباس في أمر معروف لمن جاور النصارى في بلد من البلدان فكيف به إذا كان من أهل الأندلس؟ وهناك أمرٌ رواية ابن عباس دون تنويه بنقد، وهي تتعلق بموثوقية الكُتّبة الأولى للقرآن!
- قال القرطبي^١: "وقال ابن عباس هو أنّ النصارى كانوا إذا وُلد لهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسه في ماء لهم يقال له ماء المعمودية، فصبغوه فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً فردّ الله ذلك عليهم بأن قال: {صِبْغَةَ اللَّهِ} أي صبغة الله أحسن صبغة وهو الإسلام..."
- ومن المجازفات المستمدة من ثقافة ذلك الزمان - ومع ذلك فهي لا يليق أن تدرج في تفسير القرآن - قوله: "فأما قوله تعالى: {إِذْ أَنْدَرَّ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} [الأحقاف: ٢١]"^٢ فقيل من الرمال أي أنذرهم هناك، وقيل الأحقاف - هاهنا - جبل محيط بالدنيا من زبرجد خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كلّ أفق، فإن كان ذلك فإنما خوفهم بالتهاب ذلك الجبل"^٣. ولعلّ أصوب وصف ينطبق على تصرف ابن سيدة في تمرير الأخبار من دون حزم في الحكم عليها قوله في رواية اللغة:^٤ "ومن هنا قلنا إنّ صاحب اللغة إن لم يكن له نظر أحال كثيراً منها وهو يرى أنه على صواب، ولم يؤت من أمانته وإنما أتى من معرفته!"

١- الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، مرجع سابق، مجلد ١، جزء ٢، ص ١٣٥.

٢- وهو هنا يفسر استخدام حرف الباء في الآية.

٣- ابن سيدة، المحكم، ١٧/٣، ويلاحظ أن تأخير الاختيار الثاني- بحسب عادة ابن سيدة - في (المحكم) يعني تضعيفه، ومع ذلك فهذا لا يكفي في مقام التفسير .

٤- ابن سيدة، المحكم، ٥٠٩/٢.

الفصل الخامس

الدراسة المنهجية المقارنة

للتفسير اللغوي عند الزجاج والراغب وابن سيدة

أولاً: عناصر التفسير اللغوي عند العلماء الثلاثة: دراسة مقارنة

١. الظواهر الدلالية:

كانت للعلماء الثلاثة عناية بالظواهر الدلالية، وقد سبق الكلام عن مساهمة كلّ منهم في هذا المجال في الفصل المخصّص لمنهجه في التفسير اللغوي، وكما أنّ من عادة المصوّر أن يجمع صوراً التقطها في مواقع متفرقة من جولته، فإنّه يغلب على الظنّ كذلك فائدة هذا الإجراء في نهاية البحث المقارن، بحيث يقرب الخصائص المنهجية التفصيلية للعلماء الثلاثة فتكون الواحدة منها بمثابة المرآة للثانية، ويكون في الثالثة حافزاً على تقصي أوجه الشبه والفرق واستخلاص العبرة. فمما تناوله البحث من الظواهر الدلالية:

الترادف والفرق اللغوية عند الزّجاج

تبيّن ممّا سبق أنّ الزّجاج لم يقدم في سيرته العلمية ما يدلّ على تأييده القول بالترادف بل يجد إغفالاً يغلب على الظنّ أنّه مقصود مما قد يفسّر بأنّ هذه (الظاهرة) من باب تحصيل الحاصل في نطاق محدود. على أنّ الدارس لآثار الزّجاج ولو بمجرد استعراض مؤلفاته يجد ما يشجّعه على اعتبار الزّجاج من القائلين بالفرق؛ فقد ألف كتاباً باسم (الفرق) ومن طبيعة منهج الكتب المسماة بهذا الاسم أنّ تتناول الفرق في التسميات التي تطلق على الإنسان والحيوان، كأعضاء الجسم، وما يصدر عنها من حركات، وأصوات وسلوك. وفي إدخال مثل هذا العمل في حيّز الفرق ما لا يخفى من التساهل ومثله يقال في بقية المباحث التي صنّفها الزّجاج كعمله في كتاب (فعلت وأفعلت)؛ وفيه مبحث بعنوان: (فعلت وأفعلت والمعنى مختلف) وهو يعتني بالفرق ذات المنشأ الصّرفي؛ حيث خصّص ثمانية وعشرين باباً لما هو مختلف المعنى، ومن ذلك قوله: "يقال: بارّ الرّجل الشيء: إذا اختبره، وأباره إذا أهلكه، بسّ الرّجل الشيء إذا خلطه، وأبسّ بالناقّة: إذا دعاها لثخّلب، وبسّ سويقهُ إذا خلطه بشيء، أو بسمن حتى يجتمع".

وقد سبق الكلام عن تصرّف الزّجاج تجاه الألفاظ التي تقبل أو تقارب الوصف بالترادف، فهي تعتبر شواهد ضمنية على اعتراف الزّجاج العملي بالترادف - وإن كان على نطاق محدود وأمثلة محدودة - كتفسيره ختم بمعنى طبع، والرأفة بمعنى الرّحمة، والسلطان: بالحجّة، والأصفاة: بالأغلال، والعروج بالصعود.

وكذلك فإنّ القول بالفرق عند الزّجاج ينحو منحىً ضمناً تطبيقياً، يكاد ينحصر بالفرق التي منشؤها الصّرف أو الاشتقاق، كالفرق بسبب اختلاف صيغ الفعل، أو زيادات الفعل، أو

١- الزّجاج، أبو إسحاق، إبراهيم ابن السّري، فعلت وأفعلت، تحقيق د. رمضان عبد التّواب، و د. صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

الفروق الناشئة عن اختلاف صيغ المصادر، أو الناتجة عن اختلاف ضبط الألفاظ، وقد سبق القول أنّ الأصناف الواردة في كتاب الزّجاج يعدّ إدخالها في إطار الترادف والفروق إنّما يكون من باب التوسّع، وإنّنا إذا قصدنا الفروق بين المفردات في أصل وجودها - بغضّ النظر عن القول بالتوقيف أو الوضع، فلا نجد من الزّجاج صولة أو جولة ذات اعتبار في هذا الميدان!، ومع ذلك فإنّك تجد بعض بذار لمنهج النظر في الفروق لطيفة خفية - ربّما استنبتها من جاء بعده - وبخاصّة الراغب - فنمت وأنت أكلها طيبة، وهو النّظر إلى معنى اللفظ في ضوء اعتبارات تحلّ بالمسمّى أو الموصوف أو تحفّ به، ومن ذلك - على ندرته - :

- الفروق الناشئة عن اختلاف الاعتبار: كقوله في تفسير قوله تعالى: {غَيْرَ مُسَوِّحِينَ} [النساء: ٢٤] قال: أي عاقدين التزويج، أي غير زناة، والمسافح والمسافحة الزّواني غير [الممتنعين] من الزنا، فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن، فحرّم الله الزنا على الجهات كلّها على السّفاح وعلى اتّخاذ الصّديق.

- الفروق الناشئة عن اختلاف زمن وقوع الحدث:

قال: "الحرور استيقاد الحرّ ولفحه بالنهار والليل، والسّموم لا يكون إلا بالنهار".

- الفروق الناشئة عن تغيير حال الشيء كقوله: "والكأس في اللغة الإناء المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس" وقال: ما كان عليه من الأخونة طعام فهو مائدة.

- الفروق بسبب تغيير طبيعة الشيء: قال: "والضّرّيع الشّبّرق، وهو جنس من الشوك، إذا كان رطباً فهو شبرق، وإذا يبس فهو الضّرّيع". ومن ذلك ما ذكره من تغيير أسماء القمر بحسب الليالي التي تأتي عليه^١.

الترادف والفروق اللغوية عند الراغب: أمّا الراغب الأصفهاني، فموقفه من الترادف والفروق في غاية الوضوح، وهو يصرّح في مقدّمة (المفردات) بمقصد الكشف عن الإعجاز القرآني؛ حيث يفهم من سياق كلامه أنّ المقصود بذلك الإعجاز اللغوي على مستوى اللفظة القرآنية وهذا ما تجلّى حقاً في تتبع استعمالاتها وما تتضمنه من خصائص تعبيرية وعلاقات دلالية، وما برع فيه من تقسيمات، ونظر فيه من اعتبارات ، وهو يعبر عن العلاقات الدلالية المتضمنة للترادف أو الفروق بالمناسبات ويربطها بالاشتقاق، كما ورد في مقدّمة (المفردات) أيضاً^٢.

١- الزّجاج، المعاني، ٢٠٣/١.

٢- صفحة ٥٥.

ومع أنّ عبارته التي تحيل في ذلك إلى كتاب موعود يتخصّص بتحقيق الفروق، تعطي انطباعاً بأنّ البحث في الترادف، أو الفروق الدلالية سيكون في كتاب (المفردات) على وتيرة غير مكثفة، فإنّ واقع الكتاب يشهد بكونه أبرز ما ألف من الكتب في العناية بالفروق الدلالية بين المفردات اللغوية، وبخاصّة مفردات القرآن الكريم، مع أنّه لم يُغفل الكشف عن العشرات من الكلمات المترادفة وقد سبق ذكر ما يقارب السبعين لفظة منها.

ومن بديع ما اشتمل عليه كتاب (المفردات) تلك الاعتبارات التي اعتمدها الرّاعب في تقسيمه للمعاني المحتملة للفظ :

ملحظ الحال: ومنه قوله: " الزلّة: استرسال الرّجل من غير قصد ".

وقوله: " السّغب: الجوع: مع التّعب ".

ملحظ التركيب من عنصرين أو أكثر؛ ومن ذلك قوله:

- " الإلف: اجتماع مع التّنام ".

- " السجود: أصله التّطامن والتّذلل ".

ملحظ الوصف المخصوص؛ ومن ذلك قوله:

- " الحدّ: قطع الأرض المستوية ".

- " الحظّ: النصيب المقدّر ".

ملحظ السبب: كقوله:

- " الحرد: المنع من حدّة وغضب ".

- " يقال للعبد: أبق يأبق إذا هرب ".

ملحظ مجال استعمال اللفظ: ومنه قوله:

- " السبب: الحبل الذي يصعد به النخل ".

- " السرى: سير الليل، " ^١

وتجد في كتاب (المفردات) للرّاعب، من أنواع الفروق ما تجده في كتاب (معاني القرآن) للزّجاج:

- فمن الفروق المرتبطة باختلاف صيغة الفعل قوله: " يقال: رشد يرشُد، ورشيدٌ، ثم أشار إلى ما

يرتبط باختلاف الأفعال من اختلاف المصادر فقال: " الرّشُدُ أخصُّ من الرّشُد، فإنّ الرّشُد يقال في

الأمر الدنيوية والأخروية، والرّشُد يقال في الأمور الأخروية لا غير ".

١ - تراجع كل لفظة تحت مادتها في المفردات.

- ومن الفروق المرتبطة بضبط الألفاظ قوله: "وقيل أمر القوم: كثروا؛ وذلك لأن القوم إذا صاروا ذوي أمير... وقال أبو عمرو: لا يقال: أمرت بالتخفيف في معنى كثرت وإنما يقال: أمرت. وقال أبو عبيدة: قد يقال: أمرت بالتخفيف"^١
- ومنه ما يتعلق بصيغ المصادر كقوله: "فالبكاء بالمدّ: سيلان الدمع عن حزن وعويل، يقال إذا كان الصوت أغلب كالرّغاء والثغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت، وبالكسر يقال إذا كان الحزن أغلب"^٢
- ومن الفروق المرتبطة بحروف التعدية قوله في التفريق بين تعليق الفعل (غضب) بالجار والمجرور (له) أو (به) قال: "وحكي أنه يقال: غضبت لفلان: إذا كان حياً، وغضبت به إذا كان ميّتاً"^٣.

وتجد هذا التصنيف متضمناً في تطبيقات ابن سيدة، ومن ذلك:

- فروق الناتجة عن اختلاف الصنف أو الحال، ومن ذلك قوله: "والمعرار من النخل التي يصيبها الجرب، حكاها أبو حنيفة^٤ قال: وحكى التوزي^٥: إذا ابتاع الرّجل نخلاً اشترط على البائع فقال: ليس هي مقمار ولا منخار، ولا مبسار، ولا معرار، ولا مغبار. فالمقمار البيضاء البسر، والمبسار التي يبقى بسرهما لا يرطب، والمنخار التي تؤخّر إلى الشتاء، والمغبار التي يعلوها الغبار..."^٦

- فروق مرتبطة بإبدال بعض الحروف، فما أبدل فيه حرف قوله: "وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أنّ الخضوع في البدن؛ وهو الإقرار بالاستخاء. والخشوع في الصوت والبصر، كقوله تعالى: {خَشَعَةَ أَبْصَارُهُمْ} [المعارج: ٤٤] {وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} [طه: ١٠٨] "^٧.
- فروق مرتبطة بزيادة بعض الحروف ومنه:

١- الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ، ص ٨٩.
 ٢- الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، ١٤١.
 ٣- المفردات، ٦٠٨، وهذا المعنى أقرّه ابن منظور في (لسان العرب)، مادة غَضِبَ.
 ٤- الدينوري (٢١٥-٢٨٢ هـ) صاحب كتاب النبات، رتبته على حروف المعجم ، انظر الأعلام للزركلي دار العلم للملايين بيروت ط ٧، ١٩٨٦، ١/١٢٣.
 ٥- عبد الله بن محمد بن هارون التوزي، مولاها النحوي، قرأ كتاب سيبويه على أبي عمرو الجرمي وحمل عن الأصمعي وغيره وله كتاب (الخيال) وكتاب (فعلت وأفعلت) وغير ذلك توفي سنة ٢٣٠ هـ وهو كهل، انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/١٧١٥.
 ٦- المحكم ١/٨٨.
 ٧- المحكم ١/١٢٩.

قوله: " وكأنه إنما جاز حملت به لما كان في معنى علفت به، ونظيره قوله تعالى: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ
الصَّيَّامِ أَلرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ} [البقرة: ١٨٧] لَمَا كَانَ فِي مَعْنَى الْإِفْضَاءِ عُدِّي بِإِلَى "١.

فروق في الفعل بحسب الفاعل، ومنه:

قوله: " {إِذْ نَفَسْتُمْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ} [الأنبياء: ٧٨]، خَصَّ بَعْضَهُمْ بِهِ دُخُولَ الْغَنَمِ فِي الزَّرْعِ، وَقَدْ يَكُونُ
النَّفْسُ فِي جَمِيعِ الدَّوَابِّ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الْغَنَمِ، وَأَمَّا مَا يَخْصُ الْإِبِلَ فَعَشَّتْ عَشْوًا "٢.

الترادف والفروق عند ابن سيدة:

لا بدّ للحكم على موقف ابن سيدة من مسألة (الترادف) و (الفروق) من النظر إلى أدائه
المنهجي نظرة تفصيلية تفحص موقفه النظري وتطبيقاته العملية، فنجده على المستوى النظري لا
يكتفي بالإقرار بالترادف، ولكن ينيّه إلى قيمته في إكساب الأداء اللغوي قدرًا من المرونة والانتساع
يضرّ بهما انحصار المعنى الواحد باللفظ الواحد.

وكذلك أظهر ابن سيدة عناية بالترادف على مستوى التطبيق، ومن ذلك:

- قوله: " والعَلْقُ: الدَّمُ - ما كان -"، حيث قدّم الراجح عنده، ثم روى أقوالاً أخرى: " وقيل: هو
الجامد قبل أن يبیس وقيل هو ما اشتدت حرته، والقطعة منه علقة... "٣

- وقوله: " قوله تعالى: {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا} [الأعراف: ١٦٣]: قيل معناه: رافعة
رؤوسها، وقيل خافضة لها للشرب، والشراع العنق "٤.

ومنهجه في كتابه (المخصّص) يعدّ دليلاً على الأخذ بالفروق. فهذا تداخل ظاهريّ في منهج ابن
سيدة، ظهر مثله عند الزّجاج، كما ظهر مثله عند الرّاعب. أمّا عند الزّجاج فالظاهر فيما أورده من
مباحث الفروق أنّه - في الغالب - لا يتعلّق بفروق موجودة في أصل الوضع - هي التي أنكرها القائلون
بالترادف - وأثّه، وإن أُلّف كتاباً بالفرق، فهو أشبه بتصويب أخطاء قد يقع بها العوامّ من إطلاق أسماء
تصلح لمسمّيات داخلة في صنف معين على مسمّيات تنتمي لصنف آخر، وهو بذلك التصنيف يمكن
أن يعدّ من الممهّدين لمعاجم الموضوعات التي إن قامت - من هذه الزاوية - على الفروق إلا أنّ كونها
ليست فروقاً في أصل الوضع أو أصل الاستخدام، يخفّف إن لم يُلغ دعوى التناقض في النظرة إلى
المسألة، فيكون الزّجاج - وبدليل التطبيقات المقارنة على المفردات السابق ذكرها كأمثلة شائعة

١- المحكم: ٣/٣٦٧ وفي ذلك إشارة إلى أسلوب التضمين؛ الذي تتكرر إشارة ابن سيدة إليه في كتابه المحكم.

٢- المحكم، ٨/٧٢، وانظر بقية الأمثلة في مطلب العناية بالترادف والفروق اللغوية عند ابن سيدة.

٣- ابن سيدة، المحكم: ١/٢١٢

٤- ابن سيدة، المحكم: ١/٣٧٠

للفروق - أقرب إلى القول بالترادف، وكذلك ابن سيدة بدليل تصريحه في مقدّمة (المخصّص) - من جهة - وبدليل توضيحه القول بالفروق في الألفاظ محلّ المقارنة، وبمنظور أنّ القائلين بنفي الفروق لا يعترفون بما يدخل في دائرتها نتيجة تطوّر الاستعمال، أو لأسباب صرفية أو اعتبارات أخرى تصرف المسألة عن محور حدّها النظري المعترف به عندهم.

وكذلك يقال بالنسبة للراغب؛ فهو لم يصرّح بنفي الترادف، وغلب على منهجه الأخذ بالفروق، وربطها بالبحث الاشتقائي، والمنطقي ولكنه وسّع دائرتها، ومع ذلك فإنّ إيراده الكثير من الألفاظ بصيغة ظاهرها القول بالترادف، هو عمل إجرائي تفرضه طبيعة التصنيف المعجمي، وما تستدعيه من اختصار أو ما يشبهه من كتب الغريب. على أنه ليس بالضرورة أن يفهم من ذلك أنّ نفي الفروق كان توجهاً عاماً عند أصحاب المعاجم بل عملاً إجرائياً حتى عند من اعتنى بالفروق.

ويحسن أن نتوقف بشيء من التأمل لما قاله في الفصلين الذين عقدهما للمشارك في (مقدمة جامع التفاسير) لعلاقة ذلك الوثيقة بمنهجه العملي في المفردات؛ فهو يرى أنّ "اللفظ إنّما يحصل فيه التشارك بأن يستوي اللفظان في ترتيب الحروف، وعددها وحركتها، ويختلفان في المعنى" وهذا يُضَيِّقُ باب الاشتراك اللفظي فيحصره بألفاظ تعدّ على أصابع اليدين. وبناء على ذلك ينسجم موقفه هناك مع موقفه في (المفردات) فتضييق القول بالاشتراك يعني تضييق القول بالتضادّ - إذا سار المرء بعكس الاتجاه - ، ويعني تضييق القول بالترادف إذا سار بعكس الاتجاه أيضاً مع قابليّة الطريق للتوسّع في أكثر من مسربين!. وبناء عليه يحسن بالدارس لموقف الراغب مما يسمّى بالمشارك أن لا ينظر إلى كثرة ما يَشْتَبِهُ أنّ الراغب قصد إلى ذكر أمثله؛ حيث عليه أن ينتبه إلى ما حَفَّه به من تنبيهات صريحة أو ضمنية تُخْرِجُهُ من الحدّ النظري للمشارك الذي ذكره الراغب في هذين الفصلين. إذ من حيث عدد هذه الأمثلة فإنّها تبلغ العشرات عند الراغب، بينما تكاد لا تبلغ عند الزجاج وابن سيدة ما يُعَدُّ على أصابع اليد وقد سبق ذكر جُلّها فيما سبق من ذكر الظاهرة عند العلماء الثلاثة.

ولعلّ في قول الراغب: "والأصل في الألفاظ أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، لكنّ ذلك لم يكن بالإمكان؛ إذ كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تراكيبها، ذات نهاية... فلم يكن بُدٌّ من وقوع اشتراك في الألفاظ"^١ ما يكفي لتسوية كثرة أمثلة المشارك، مع تقييدها بما يُخْرِجُها عن المشارك في أصل الوضع.

١- الراغب، مقدمة جامع التفاسير، ص ٢٩.

ويحسن في ختام هذا المطلب أن يحاول المرء المقارنة بين نظرة العلماء الثلاثة بين بضعة أزواج من المفردات التي ظاهرها الترادف، وقيل فيها بالفروق، انطلاقاً من (مفردات الرّاعب)، فمروراً بـ(المحكم لابن سيدة)، ثمّ انتهاءً بالزجاج، التماساً لسهولة الانتقال من معجم إلى معجم، ثمّ من (المحكم) إلى الكتاب الذي استقى مادّته التفسيرية منه بشكل رئيس؛ وذلك للربط بين معنى الآية المذكور في المحكم، ومعناها المذكور عند الزجاج بحيث يرجى أن تكون المقارنة أسهل.

الإيمان والتصديق:

قال الرّاعب: "والإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام... ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مؤمراً بالله وبنبوته... وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحقّ على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكلّ واحد من الاعتقاد والقول الصدق، والعمل الصالح إيمان^١."

أمّا تفسيره للفظ (الصدق) فقد استفاض فيه بتفصيلات يصعب تلخيصها لما قد يفوته ذلك على القارئ من تفاصيل مهمّة، وأبرز ما فيها قوله: والصدق مطابقة القول الضمير والمُخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً. بل إمّا أن لا يوصف بالصدق وإمّا أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين...^٢

وقال ابن سيدة في الإيمان: "ذاكراً تعريف الزجاج، موافقاً - ضمناً - عليه: "وحدّ الزجاج الإيمان فقال: "إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاده، وتصديقه بالقلب، ومن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاكّ، وهو الذي يرى أنّ أداء الفرائض واجبٌ عليه، لا يدخله في ذلك ريب" انتهى. وقال ابن سيدة في الصدق: الصدق نقيض الكذب، ويلاحظ استفاضة كلّ من الزجاج والرّاعب في تحديد معنى الإيمان والاحتراز له من أن يدخل في حدّه من لا يستحقّ ذلك أو يخرج من حدّه من يستحقّ الوجود في هذا الحدّ، وقد كان الزجاج أكثر احترازاً من الرّاعب باشتراط "الإظهار، والإلزام بواجبات الشرائع من غير شكّ". كما أنّ الرّاعب لفت إلى مسألة اعتنى بها علماء الكلام: هي تعريف الصدق، ووقف بها موقفاً وسطاً بين قول الجمهور، وقول النظام من المعتزلة، ويطابق قول الجاحظ، فالخبر عند الجمهور وعند النظام واحد

١- الرّاعب، المفردات، ص ٩١.

٢- انظر هذا الكلام وشواهد من القرآن، ص ٩١ من (المفردات).

٣- الرّاعب، المفردات، ٤٧٩.

من إثنين: إما صدق أو كذب، واشترط الجمهور في الصدق مطابقة الواقع، فإن خالفه فهو كذب. في حين اشترط النظام في الصدق مطابقة الاعتقاد - فإن خالفه فهو كذب، أما الجاحظ فيرى أنّ الخبر الصادق ما طابق الواقع والاعتقاد معاً، وأنّ الكذب ما خالف الواقع والاعتقاد معاً، أما ما طابق أحدهما وخالف الآخر فلا يسمّى عند الجاحظ صدقاً ولا كذباً.^١ ومع أنّ تحديد الجاحظ فيه احتراز حازم للحدّ - من جانب اللغة - إلا أنّ اختيار الجمهور أحوط للدين لما فيه من سدّ لذريعة التكفير لمجرّد الشبهة، وهي حازمة في نفس الوقت مع من نطق بالشهادة لاعباً، فهو إن لم يلتزم بما يلزمه به مضمونها لا ينفعه مجرد النطق بها، فهو في موضع تهمة يستتاب منها، وإن أبقى فهو يعاقب.

التلاوة والقراءة:

التلاوة عند الرّاعب: "تختصّ باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخصّ من القراءة؛ فكل تلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة؛ لا يقال: تلوت رقعتك، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتّباعه".^٢ وقال ابن سيّدة: "وتلوت القرآن: قرأته. وعمّ به بعضهم كلّ كلام" ^٣ هذا على الرّغم ممّا أورده في مادة (تلى) مكرراً بمعنى (تبع) بحسب تصريفات المادة ونظيرتها! ومع ذلك فقد أشار في بعض تصريفات مادة (قرأ) إلى ملمح يقرب بين اللفظين لاعتبار التخصيص: قال: والقارئ، والمتقريء والقراء، كله التأسك".^٤

أما الزّجاج فيلحظ من تتبّع الكلمة في الكتاب أنّه أهمل الفرق.

الحلف والقسم:

الزّجاج: لم يفرّق بين الحلف والقسم كما يستخلص من تتبّع اللفظين في أماكن ورودها في (المعاني) الرّاعب: فرّق بين معنى اللفظين في أصل استخدامهما وبين ما جرى عليه الاستعمال فقال: "[الحلف] أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثمّ عبّر بها عن كلّ يمين".^٥ و"أقسام: حلف، وأصله من القسامة، وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول، ثمّ صار اسماً لكلّ حلف".^٦

١- عبّاس، فضل حسن، انظر البلاغة: فنونها وأفانها/ علم المعاني، دار الفرقان، عمّان، الأردن، الطبعة السابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢- الرّاعب، المفردات، ص ١٦٧.
٣- ابن سيّدة، المحكم، ٥٣٥/٩.
٤- ابن سيّدة، المحكم، ٤٦٩/٦.
٥- كذا بكسر اللام، والصواب سكون اللام.

الحمد والشكر:

الزجاج: لم يفرّق بين الحمد والشكر؛ قال: "قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]: معنى {الْحَمْدُ}: الشكر والثناء على الله تعالى.

الراغب: "الحمد لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخصّ من المدح وأعمّ من الشكر، فإنّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يكون منه وفيه بالتسخير فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله، وسخائه، وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يكون إلا في مقابلة نعمة، فكلّ شكر حمد وليس كلّ حمد شكر، وكلّ حمد مدح وليس كلّ مدح حمداً^٣ ابن سيّدة: نقل عن ثعلب التفريق بينهما، ونقل عن اللحياني عدم التفريق^٤ وخلاصة قوله تبيينه لموقف ثعلب فإنّ "الشكر لا يكون إلا عن يد، وأنّ الحمد يكون عن يد وعن غير يد، وهذا الفرق بينهما"^٥

الخضوع والخشوع:

قال الزجاج: الخاشع المتواضع المطيع، وفسر الخضوع باللين في تفسيره لقوله تعالى: {فَطَلْتُ أَعْنَأْفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} [الشعراء: ٤]؛ قال: "فإنّما أنزل الله الآيات التي يفكر الناس بها فيؤجر ذو البصر ويثاب على الإيمان بالآيات، ولو كانت ناراً تنزل على من يكفر أو يرمى بحجر لان كلّ واحد"^٦.

ابن سيّدة: "الخشوع: قريب من الخضوع، إلا أنّ الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخاء والخشوع: في الصوت والبصر... والتخشع نحو التضرّع"^٧.

الراغب: "الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب"^٨، "الخضوع: الخشوع"^٩. ويلاحظ كيف كان الراغب أكثر احترازاً لاستنباط عادات القرآن، وذلك تلافياً للاعتراض بمثل قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} [الغاشية: ٢] ويفهم من تصرّفه بأنّه لم يتأوّل الوجوه بالأبصار التي في الوجوه.

الخوف والخشية:

- ١- الراغب، المفردات، ٢٥٢.
- ٢- الراغب، المفردات، ٦٧٠.
- ٣- الراغب، المفردات، ٢٥٦.
- ٤- ابن سيّدة، المحكم، ٢٦٦/٣.
- ٥- ابن سيّدة، المحكم ٦٨٠/٦.
- ٦- الزجاج، المعاني، ١٥١/٢.
- ٧- ابن سيّدة، المحكم، ١٢٩/١، وفي اللسان: خذاً، خذيء له خذءاً وخذوءاً: خضع وانقاد وكذلك استخذأت له، وترك الهمز فيه لغة.
- ٨- الراغب، المفردات، ٢٨٣.
- ٩- الراغب، المفردات، ٢٨٦.

الزجاج: أغفل الفرق بين اللفظتين فيما يستخلص من تتبع اللفظتين في (المعاني).
الراغب: "الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه ولذلك حُصّ العلماء به في قوله [تعالى]: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨].
ابن سيده: "الخوف: الفرع"^١، "خشيه خشياً... وتخشاه كلاهما: خافه"^٢، فيلاحظ أن ابن سيده لم يفرّق بين اللفظتين، ولعله تبع في ذلك الزجاج، في حين فرّق الراغب.
السنة والحوّل:

الزجاج: إغفال الفرق، بحسب ما يستخلص من تتبع اللفظتين في (المعاني).
الراغب: الحول: السنة اعتباراً بانقلابها، ودوران الشمس في مطالعها ومغربها "وفي ذلك إشارة للفرق.
ابن سيده: "الحول: سنة بأسرها"^٣، "السنة: العام منقوصة"^٤.
البخل والشح:

الزجاج: الإغفال للفرق.^٥
الراغب: "البخل: إمساك المقتنيات عمّا لا يحقّ حبسها عنه،..."^٦ و"الشحّ بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة"^٦.
 فيتبيّن من هذه المقارنة ميل الزجاج إلى إغفال الفروق، كما يتبيّن توسط ابن سيده في ذلك، مع اعتماده على الرواية، وتميّز الراغب في العناية بها في كتبهم الثلاثة محلّ المقارنة.

مقارنة مواقف العلماء الثلاثة من المشترك اللفظي

أولاً : على المستوى النظري :

الزجاج: لم يتطرّق - على المستوى النظريّ - لبحث موضوع المشترك اللفظي ومع ذلك فإنّ له كتاب في إفساد الأضداد، قال فيه: "ذهب الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم. والذي كان عليه شيخا البصريين والكوفيين محمد بن يزيد المبرّد، وأحمد بن يحيى ثعلب دفع أن تكون العرب وضعت اسماً واحداً للشيء وضدّه، إلا ما وضعت من أسماء الأجناس نحو (لون) فإنّه

١- ابن سيده، المحكم، ٣٠٥/٥.

٢- ابن سيده، المحكم، ٢٤١/٥.

٣- ابن سيده، المحكم، ٤/٥.

٤- ابن سيده، المحكم، ٢١٩/٤.

٥- الزجاج، المعاني، ٣٨٣/١، ٣٠/٢، ٦٨/٢.

٦- الراغب، المفردات، ص ١٠٩.

اسم ينطبق عليه السواد والبياض وكذلك الفعل يطلق على القيام والقعود" ^١ وهذا بحد ذاته يعطي فكرة أكيدة عن موقفه من ظاهرة الاشتراك اللفظي؛ حيث التضاد شكلاً من أشكال المشترك اللفظي . ومع ذلك فكون الكتاب لم يبرز إلى حيّز الوجود لا يعطي المرء فكرة كافية عن موقف الزجاج العملي من التضاد ، مما يفيد في قياس ذلك على بحث المشترك اللفظي .

أما الراغب: فقد أبدى عناية واضحة بظاهرة المشترك في بحثه في أصول التفسير المعروف بـ (مقدمة جامع التفسير)، وعقد لبحثه فصلين - كما سبق ذكره- في مطلب موقف الراغب من المشترك اللفظي .

وأما ابن سيده : فقد أبدى أيضاً عناية نظريّة بالمشارك اللفظي ، فنقل عن سيبويه تقسيمه لعلاقة الألفاظ بالمعنى ، وتوقف عند القسم الثالث المتعلق بالمشارك اللفظي ، فنفى عنه أن يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ، وعزا نشأته إلى تداخل اللغات ، أو تحوّل الدلالة ، وصرّح باتباعه في كلّ ذلك موقف أبي عليّ الفارسي الذي تتلمذ ابن سيده على كتبه على يد شيخه (صاعد البغدادي) ^٢ ثانياً : على المستوى التطبيقي:

الزجاج : يستخلص من تتبّع تطبيقات الزجاج على ما يسمى عادة بالمشارك اللفظي توضيحه لدائرة هذا الموضوع سواء بإغفال التصريح بالمصطلح، أو ما يتبعه من إجراءات عمليّة تصبُّ في مجرى التضييق والإغفال، أبرزها :

- حصر الأوجه المحتملة فيه في أدنى حدود ما يقتضيه تفسير الآية، خاصة حين يستدعي الأمر ذلك في مجال تفسير آيات العقيدة والأحكام ومن أمثلة ذلك - مما سبق ذكره - لفظ الدين في تفسيره لسورة الفاتحة ، ولفظ الأمة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥]؛ حيث بالغ في حصر الأوجه المحتملة فيه في أدنى حدود ما يقتضيه تفسير الآية.

- إرجاع ألفاظ المشترك إلى أصل واحد : كإرجاعه الاشتراك في كلمة الانفطار بأنها تعني الخلق ، وتعني الانشقاق بـ " أن معنى فطرهما "خلقهما خلقاً قاطعاً ، والانفطار والفطور تقطُّع وتشقُّق . وقد سبق القول بأنه قد يسلك في إرجاع المعاني المتفرعة عن اللفظ المشترك إلى أصل جامع مسلكين ؛ هما مسلك التصريح ، ومسلك التلميح .ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى:

١- الزركشي، البحر المحيط، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٩م، جزء ١، صفحة ٤١١
٢- انظر: ابن سيده، المخصّص، سفر ١٣، صفحة ٢٥٨، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، مرجع سابق.

{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلِّمْ} [الأنعام: ٥٤] قال- رحمه الله- سمعت أبا العباس محمد بن يزيد، يذكر أنّ السلام في اللغة أربعة أشياء: فمنها "سَلِّمْ"، ومنها "السَّلَام" جمع: "سَلَامَةٌ" ومنها "السَّلَام" اسم من أسماء الله تعالى، ومنها: "السَّلَام" شجر، ومنه قوله إلا سَلَامٌ وحرملٌ".

ثم يأخذ في بيان رجوع هذه المعاني إلى معنى رئيس يجمعها فيقول:
ومعنى "السَّلَام" الذي هو مصدر سلمت، أنه للإنسان أن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله: التخلص.

والسَّلَام اسم من أسماء الله [تعالى] تأويله - والله أعلم - ذو السلام أي: هو الذي يملك السلام الذي هو تخلص من المكروه.

- فأما "السَّلَام" الشجر فهو شجر عظام قوي أحسبه سمي بذلك لسلامته من الآفات و "السَّلَام" الحجارة الصلبة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة، والصُّلْح يسمى " السَّلْم والسَّلْم، والسَّلْم" وسمي بهذا لأنّ معناه السلامة من الشر و "السَّلْم" الذي يرتقى عليه؛ سمي بهذا لأنه سلمك إلى حيث تريد، و "السَّلْم" السبب إلى الشيء، سمي بهذا لأنه يؤدي إلى غيره، كما يؤدي السَّلْم الذي يرتقى عليه.^١

- ومن ذلك قوله في تفسير الآية: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَايَةَ} [التوبة: ٨]

"قال أبو عبيدة "الإل": العهد، و "الذمة" ما يتذمم منه، وقال غيره: "الذمة" العهد، وقيل في "الإل": غير قول:

قيل: "الإل" القرابة، وقيل: "الإل" الحلف، وقيل: "الإل" اسم من أسماء الله، وهذا عندنا ليس بالوجه، لأن أسماء الله - جلّ وعزّ - معروفة معلومة كما سمعت في القرآن، وتليت في الاخبار، قال الله - جلّ وعزّ - : {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠] فالداعي يقول: يا الله، يا رحمن، يا رب، يا مؤمن يا مهيمن. ولم يسمع "يال" في الدعاء. وحقيقة "الإل" عندي على ما توجه اللغة تحديد الشيء، فمن ذلك "الإله": الحربة؛ لأنها محدّدة، ومن ذلك "إنذ مؤللة" ، إذا كانت محدّدة الأَل يُخْرَجُ في جميع ما فسر من العهد والجوار على هذا، كذلك

١- الزجاج، المعاني، ٢/ ١٥٥، ١٥٦.

القراية، فإذا قلت في العهد بينهما "إل" فمعناه جوار يحاد الإنسان، وإذا قلته في القراية فتأويله القراية الدانية التي تحاد الإنسان".^١

- وقد يذكر المعنيين دون إرجاعهما إلى أصل واحد ومن ذلك قوله في تفسيره لقوله تعالى: {إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً} [التوبة: ٦٦] فقدم للمعنى المختار في الآية بذكر سبب النزول - وهذا شاهد على أهمية سبب النزول في تحديد معنى اللفظ القرآني من بين المحتملات الواردة -؛ قال: "ويروى أنّ هاتين الطائفتين إنما كانوا ثلاثة نفر فهزيء اثنان، وضحك واحد، فجعل طائفة للواحد...".

والطائفة في اللغة أصلها "الجماعة" لأنها المقدار الذي يطيف بالشيء. وقد يجوز أن يقال للواحد "طائفة" يراد به نفس طائفة"^٢

- وكذلك يلح إلى أصل يجمع المعنى المشترك. الذي تؤديه لفظة أجاج، في تفسيره لقوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ} [فاطر: ١٢] قال: الأجاج الشديد المرارة، والأجاج أيضاً الشديد الحرارة". في تلميح إلى معنى جامع هو شدة الإحساس. - ومما صرح فيه بالقول بالاشتراك قوله: "الشيء: قيل: هو الذي يصح أن يعلم ويُخبر عنه، وعند كثير من المتكلمين هو اسم مشترك المعنى إذا استعمل في الله وفي غيره ويقع على الموجود والمعدوم..."^٣ وقد يلاحظ أن الموصوف بـ "المشترك في هذين المثالين هو أقرب إلى الاسم الشامل لأصناف من المسميات تشترك في وصف جامع منه إلى اللفظ الذي يدل على معنيين مختلفين، وهذا يستدعي استقراء منهج الراغب في التعامل مع "المشترك اللفظي" في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن)، حيث لا تكاد تخلو مادة من مواد الكتاب من وجود نماذج للمشترك اللفظي^٤.

١- المعاني: ٢/ ٢٧٢.

٢- الزجاج، المعاني، ٢/ ٢٨٩، انظر في سبب نزول هذه الآية ما ورد في السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: احمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بلا رقم ولا تاريخ، صفحة ١٠٦.

٣- الراغب، المفردات، ٤٧١.

٤- لعل أبرزها مادة أبل/ صفحة ٦٠، أذن/ ٧٠، أسف/ ٧٦، أنف/ ٩٥، أيم/ ٦٠، أي/ ١٠١، برد/ ١١٧، بلد/ ١٤٢، ١٤٣، ثمر/ ١٧٦، رق/ ٣٦١، رهط/ ٣٦٧، سما/ ٤٢٧، شيء/ ٤٧١، ظهر/ ٥٤١، عجب/ ٥٤٨، عير/ ٥٩٦، عين/ ٥٩٩، فور/ ٦٤٧، قبل/ ٦٥٣ - ٦٥٥، قدر/ ٦٥٧ - ٦٦٠، قرض/ ٦٦٦، قرن/ ٦٦٧، قص/ ٦٧٢، كعب/ ٧١٣، منن/ ٧٧٧ - ٧٧٨، نعم/ ٨١٥، نقض/ ٨٢١ - ٨٢٢، هلل/ ٨٤٣، ودد/ ٨٦٠ - ٨٦١، وصل/ ٨٧٣، وفد/ ٨٧٧، يد/ ٨٨٩ - ٨٩٠.

- ومما أغفل فيه التصريح بالاشتراك وصرح بالأصل الجامع ومنه قوله: "... قيل للحساب الذي لم يفصل والكلام الذي لم يبين تفصيله: مجمل، وقد أجملت الحساب، وأجملت في الكلام.... وقول الفقهاء: المجمل: ما يحتاج إلى بيان، فليس بحد له ولا تفسير، وإنما هو ذكر بعض أحوال الناس معه، والشيء يجب أن تبين صفته في نفسه التي بها يتميز، وحقيقة المجمل: هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصه"^١.

- وقريب منه قوله: "وسمي سبر الجراحة حجاً، قال الشاعر: يحج مأمومة في قعرها لجف؛ حيث عرف الراغب المنقول - كما سبق ذكره - بأنه "هو الذي ينقله أهل صناعة ما عن المعنى المصطلح عليه..." وهو هنا منقول من قبل أهل صناعة الطب، عما تعارف عليه الناس من معنى الحج. فصار في صناعة الطب له معنى يبدو- في ظاهر الأمر - مختلفاً. وقد يعزو توحيد المشترك إلى انتقال الدلالة أو الاستعارة، ومن ذلك:

- قوله: "ويستعار العين لمعان هي موجودة في الجراحة بنظرات مختلفة واستعير للثقب في المزايدة تشبيها لها في الهيئة، وفي سيلان الماء منها، فاشتق منها سقاء عين أو متعين إذا سأل منها الماء... وقيل للمتجسس عين تشبيها بها في نظرها... وقيل للذهب عين تشبيها بها في كونها أفضل الجوارح، ومنه قيل أعيان القوم لأفاضلهم..."^٢.

- قوله: "الهلال القمر في أول ليلة والثانية...، وشبه به في الهيئة السنن الذي يصاد به وله شعبتان كرمي الهلال، وضرب من الحيات، والماء المستدير القليل في أسفل الركي، وطرفا الرحي؛ فيقال لكل منهما هلال"^٣.

ومما أغفل التعليق عليه أو عزوه إلى أصل جامع قوله: "الأيامى: جمع أيم، وهي المرأة التي لا بعل لها، والأيامى الحية"^٤.

- فمن أمثلة ما جاء مقتضياً - على شاكلة مشابهة - لفظ العنان؛ قال: "والعنان السحاب، وقيل هي السحاب التي تمسك الماء، وأعنان السماء نواحيها، وعنانها ما بدا لك منها إذا نظرت إليها وأعنان الشجر أطرافه ونواحيه وعنان الدار جانبها، يعن لك أي يعرض..."^٥

١-الراغب، المفردات، صفحة ٢٠٣.

٢- قال الراغب: وقولهم أمه: شجّه، فحقيقته إنما هو أن يصيب أم دماغه وذلك على حد ما بينون من إصابة الجراحة لفظ فعلت منه وذلك نحو رأسته، ورجلته، وكبدته، وبطنته، إذا أصيب هذه الجروح، وأجف الضرب الشديد زنة ومعنى، انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، ١٩٥٢م، جزء ٣، صفحة ٢٠١.

٣-الراغب، المفردات، ٥٩٩.

٤- الراغب، المفردات، ٤٨٤.

٥- الراغب، المفردات، مادة ايم، ص ١٠٠.

- ومنه اللفظ القرآني {حُسْبَانٌ} في قوله تعالى: {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ} [الكهف: ٤٠] قال: يعني ناراً، والحسبان أيضا الجراد والعجاج، والحسبان سهام صغار يرمى بها عن القسي الفارسيّة، واحدها حسبانة، قال ابن دريد: " هو مولد "، وقال ثعلب: الحسبان المرامي، وبه فسر قوله تعالى: [... الآية] الحسبان: الوسادة الصغيرة^٢.

ويلاحظ أنه هنا لم يصرّح أيضاً بأنّ اللفظ من المشترك، مع أنّ الجمع بين النار، والوسادة، والسهم أمرٌ غير ممكن !.

- ومما بالغ في الاستفاضة في ذكر الوجوه فيه، فزادت على العشرين وجهاً لفظ (القرن)؛ فذكر من معانيه: الروق - وهو قرن الدابة، والدؤابة وقرنا الجرادة، وحدّ رأس الرّجل، وأعلى الجبل، والبكرة، وأول الكلاء، والدّفعة من العرق - للخيل - والجبل المتفرّد، وشيء من الشجر والحبل، والسيف، والنبيل، والجعبة من الجلود تكون مشقوقة لتصل الرّيح إلى الرّيش فلا يفسد^٣.

- ومما توسّط فيه في ذكر الوجوه قوله: " في تفسير لفظ الذكر من قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: ٤٤] قال: والذّكرُ الشيء يجري على اللسان، ... والذكر الصيت يكون في الخير والشر، والذكر الشرف...، والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدّين ووضع الملل، والذكر الصلاة والدعاء إليه والثناء عليه... " ^٤.

الراغب: التزم الراغب التزاماً قد يبدو خفياً بإنكاره لوجود المشترك اللفظي في (أصل الوضع اللغوي) ومع ذلك فهو يستخدم- نادراً- الوصف بـ " الألفاظ المشتركة " أو " اسم مشترك المعنى " وهو ضامنٌ - بما سلكه من مسالك- الاحترازَ للحدّ الذي اشترطه في (مقدّمة جامع الأصول) ومن هذه المسالك التصريح بأنّ الاشتراك ناتج عن اختلاف اللهجات ، أو عن انتقال الدلالة ، أو بقرينة أشكال التحوّل الدلالي بالتعميم أو التخصيص ... ^٥

ابن سيّدة: يتفق موقف ابن سيّدة العمليّ، كما اتفق موقفه النظريّ مع موقف الراغب - مع أنّه يغلب على الظنّ أنّه لم يطلع على كتابه؛ لعدم ورود أي ذكر للراغب في كتاب (المحكم) ، - على الأقل - على أنّه يسلك مسلكاً أكثر توسطاً من الزّجاج، وأدنى توسطاً من الراغب، حيث يراوح في

١- ابن سيّدة، المحكم ١/١٠١

٢- ابن سيّدة، المحكم ٣/٢٠٥

٣- ابن سيّدة، المحكم، ٦/٣٦١-٣٦٨

٤- ابن سيّدة، المحكم ٦/٧٨٦-٧٨٨

٥- انظر ذلك مفصلاً بأمثله في مطلب المشترك اللفظي عند الراغب .

ذكره للأوجه المحتملة بين الإيجاز والبسط ، بل إنه قد يبلغ أحياناً في بسط الوجوه التي يأتي عليها معنى اللفظ ، حيث سلك في كل ذلك مسلك إغفال الإشارة صراحة إلى علاقة الاشتراك - إلا ما ندر - كما أنه أغفل الإشارة إلى الأصل الجامع للمعاني المشتركة^١ .

المواقف العملية للعلماء الثلاثة من المشترك اللفظي ويستحسن استكمالاً للمقارنة بين مواقف العلماء الثلاثة من (المشترك اللفظي) إجراء مقارنة بينهم في تعاملهم مع ألفاظ فيها ملحظ الاشتراك مع مراعاة شمول هذه العينة على خصائص مواقفهم المنهجية من دون القصد إلى إبراز صورة على حساب صورة، أو سمة على حساب سمة، وهذه الألفاظ هي:

١. أمة:

الزجاج: "والأمة الطريقة، من أمت الشيء إذا قصدته"^٢، وقال في تفسير قوله تعالى: {وَلئنْ أَحْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} [هود:٨]: "معناه إلى أجل وحين معلوم، كما قال الله - تعالى - {وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف:٤٥]: أي بعد حين"^٣ وفي تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل:١٢٠] كآته اكتفى في تفسير {أُمَّةٍ} بالتلميح إلى معنى (القصد)؛ قال: وفي أكثر التفسير أنه كان معلماً للخير وإماماً^٤.

الراغب: جمع الآيات المشتمة على اللفظة - على عادته - ، وبيّن معناها في سياقها، وحرص على ردها إلى أصل جامع؛ قال في تفسير قوله تعالى: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ مِّمَّنْ أُمَّتِكُمْ} [الأنعام:٣٨] "أي كلّ نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع"، وقوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} [البقرة:٢١٣] أي صنفاً واحداً على طريقة واحدة في الضلال والكفر..."^٥، وقوله: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ} [الزخرف:٢٢]: أي على دين مجتمع"، "وقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل:١٢٠] أي قائماً مقام جماعة..."^٦ واستشهد بقول الزجاج في تفسير قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ} [آل عمران:١١٣] فقال: "أي جماعة، وجعلها الزجاج هاهنا للاستقامة"^٧.

ابن سيده: "والأمة الجيل والجنس من كلّ حيّ،... وكلّ من كان على دين الحقّ مخالفاً لسائر الأديان فهو أمة وحده، وكان إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - أمة. وقيل الأمة: الرجل الجامع

١- انظر تفصيل ذلك في مطلب المشترك اللفظي عند ابن سيده.

٢- الزجاج، المعاني، ٣٥٥/١.

٣- الزجاج، المعاني، ٣٢٢/٢.

٤- الزجاج، المعاني، ٩٢/٣.

٥- الراغب، المفردات، ص ٨٦.

للخير، والأمة الحين، والأمة القائمة والوجه،...وأمة الوجه سنته، وهي معظمه ومعلم الحسن منه. والأمة: الطاعة، والأمة العالم، وأمة الرجل: قومه، وأمة الله: خلقه، وقوله تعالى: {وَلَيْزُنْ أَحْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} [هود: ٨] معناه إلى أجل مسمى وحين معلوم كما قال تعالى: {وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥] أي: بعد حين، وأمة الطريق وأمة معظمه".^١

٢. تَعَسَ:

الزجاج: "التعس في اللغة الانحطاط والعتور"^٢.

الراغب: "التعس أن لا ينتعش من العثرة وأن ينكسر في سقال..."^٣.

ابن سيده: "التعس العثر، والتعس ألا ينتعش العائر من عثرته، وقيل: التعس: الانحطاط والعتور،... والتعس أيضاً الهلاك، وقال الهروي في (الغريبين): الفراء إذا خاطب بالدعاء قال: تَعَسَتْ بفتح العين، وإذا دعا على غائب كسرهما. وهذا من الغرابة بحيث تراه. والتعس السقوط على أي وجه كان"^٤. انتهى، ويلاحظ أن توسع ابن سيده كان لمقصد معجمي، وأنه لا يعني خروجه على موقفه النظري، من إنكار أن يكون المشترك قائماً في أصل الوضع، وعزو نشأته إلى تداخل اللغات أو تحوّل الدلالة.

ويلاحظ أن ثلاثتهم لم يذكروا لفظ المشترك في تفسير الكلمة وأن الزجاج لم يقدم لها غير معنى واحد. وهو ما يترجح أنه المحور الذي دار حوله تطور الاستعمال.

٣. جَرَمَ:

الزجاج: "وقوله تعالى: {لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} [هود: ٢٢]: قال المفسرون: المعنى: جزاء حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون، وزعم سيبويه أن جرم بمعنى حق،... كأن المعنى:... أي كسب ذلك الفعل أن لهم الخسران"^٥.

الراغب: "أصل الجرم: قطع الثمرة عن الشجر،... ومعنى جرم: كسب، أو جنى، و{أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} [النحل: ٦٢] في موضع المفعول، كأنه قال: كسب لنفسه النار،... وقيل: جرم، وجرم بمعنى، ولكن خص بهذا الموضع جرم، كما خص (عمز) بالقسم..."^٦ انتهى. فالراغب - وإن توسع في

١- ابن سيده، المحكم، ٥٧٤/١٠.

٢- الزجاج، معاني القرآن، ١٣٢/٤.

٣- الراغب، المفردات، ١٦٦.

٤- المحكم، ٤٧٢/١، الهروي أحمد بن محمد، الغريبين في القرآن والحديث.

٥- المعاني، ٣٢٥/٢.

٦- الراغب، المفردات، ١٩٢، ١٩٣.

تفسير هذا اللفظ - ، إلا أن توسّعه لم يكن لذكر مزيد من المعاني التي يأتي عليها اللفظ، ولكن لضرب الأمثلة لتحقيق الفهم. وهو حريص - قبل البدء بتفسير اللفظ - على بيان الأصل الذي اشتق منه، وهو ما يعني ضمناً نفي الاشتراك.

ابن سيده: "جَرَمَهُ يَجْرُمُهُ جَرَمًا: قطعُهُ...ولا جَرَمَ: أي لا بدّ، وقيل: معناه: حقاً"، وقال بعد أن ساق كلام سيبويه: وزعم الخليل أن جَرَمَ ربما تكون جواباً لما قبلها من الكلام، يقول الرجل: كان كذا وكذا، وفعلوا كذا فتقول، لا جَرَمَ أنهم سيندمون...^١ انتهى، فهو هنا أيضاً يفعل مثل فعل الراغب، فيبدأ بذكر الاسم الجامع، ثم يذكر ما آل إليه الاستعمال - على أنه لم ينصّ على أن ذلك من أثر تطوّر الاستعمال، ولكن يفهم ذلك من كلامه ضمناً - .

٤. الخوف:

الزجاج: يغلب على الظنّ من تفحص كتاب (المعاني) أن الزجاج لم يتطرق في هذا الكتاب إلى معانٍ مشتركة للفظ الخوف. وقد يؤكّد هذا الأمر أنه أغفل بيان ذلك في مكان هو الأنسب لبيانه، حيث وقف وقفة تأمل في البيان القرآني لاستخلاص العبرة من قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ} [البقرة: ١٥٥]^٢ فإذا ثبت هذا الظنّ الغالب، فهو يعني إنكار الزجاج لما ورد عن العلماء من معانٍ زعموا أنّها من المشترك في لفظ الخوف.

الراغب: يضع في بداية مدخل: (خوف) تعريفاً دقيقاً للخوف، كعادته ينطلق منه في تفسير اللفظ في مواقعه التي يختارها كشواهد دلالية، أو موضوعات جزئية لما يصلح أن يكون نواة بحث موضوعي فيقول: "الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة... وفي ضوء ذلك يغلق - ضمناً - طريق القول بالمشترك عند من جعل خاف بمعنى عرف، في مثل قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} [النساء: ٣٥] حيث يرى أن "حقيقته: وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم. وكذلك عند من فسّر التخوّف: بالتنقص؛ حيث: (تخوفناهم) - عنده - تعني: تنقصناهم تنقصاً اقتضاه الخوف..."^٣.

ابن سيده: "الخوف: الفرع... والخوف: القتل، والخوف: القتال،... والخوف العلم، وبه فسّر اللحياني قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا} [البقرة: ١٨٢]، {وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} [النساء: ١٢٨]، والخوف أديم أحمر تقدّم منه أمثال السيور، ثم يجعل على

١- ابن سيده، المحكم، ٤١٣/٧.

٢- الزجاج، المعاني، ١٨١/١.

٣- الراغب، المفردات، ص ٣٠٣.

تلك شَدْرٌ [قطع رقيقة من الذهب أو الفضة] تلبسه الجارية عن كراع. والحاء أعلى^١ انتهى، وقوله في اللفظة الأخيرة (والحاء أعلى) مقصود بها إخراج اللفظة من مدخل (خوف) وبالتالي من دائرة الاشتراك اللفظي معها. أمّا تفسيره لـ {خَافَتْ} في آية الوصية، {وَخَافَتْ}، في أحكام التَّشْوِيز بالعلم، فالحكم فيه راجع إلى ما اعتمد من تأصيل شيخه أبي علي الفارسي من نفي وجود الاشتراك في أصل الوضع، واعتبار ما ورد منه من باب تداخل اللهجات أو تطوّر الاستعمال.

٥. خَمَطٌ:

الرَّجَاجُ: "ومعنى خمط: يقال: لكلّ نبات قد أخذ طعماً من مرارة، حتى لا يمكن أكله خمط، وفي كتاب الخليل: الخمط: شجر الأراك"^٢. انتهى، فهو هنا يذكر أقوالاً للعلماء في معنى اللفظ، وهذا لا يعني القول بالاشتراك.

ابن سيده: الخمط الحمل القليل من كلّ شجرة، والخمط شجر مثل السدر، وحمله كالتوت، وقيل هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل. وقيل هو ثمر الأراك، وقيل شجر له شوك، وفي التنزيل: {ذَوَاتِي أَكُلِ خَمَطٍ} [سبأ: ١٦] وقيل الخمط هنا شجرٌ قاتل، أو سمّ قاتل^٣.

الرَّاعِبُ: كان أكثر حزمًا ومهارة في إغلاق الطريق في وجه القول بالاشتراك، فاختصر القول بالبرهان اللغوي غير المباشر؛ فقال مرجعاً المعاني إلى أصل واحد ملحوظ: "الخمط: شجر لا شوك فيه، قيل: هو شجر الأراك، والخمط الخمر إذا حمضت، وتخمط: إذا غضب، ويقال: تخمط الفحل: هدر"^٤.

٦. دِينَ:

الرَّجَاجُ: "الدين في اللغة الجزاء، يقال: "كما تدين تدان": المعنى: كما تعمل تعط وتجازى، قال الشاعر:

واعلم بأنّ كما تدين تدان اعلم وأيقن أنّ مُلكك زائل

أي تجازى بما تفعل، والدين أيضاً في اللغة العادة، تقول العرب: "ما زال ذلك ديني" أي عادتي. قال الشاعر:

١- ابن سيده، المحكم، ٣٠٥/٥، ٣٠٦.
٢- الرَّجَاجُ، المعاني، ٨/٤.
٣- ابن سيده، المحكم، ١٣٠/٥.
٤- الرَّاعِبُ، المفردات، ٢٩٩.

تقول إذا درأت لها وضيئي

أهذا دينه أبدأ وديني"^١

الرَّاعِبُ: "والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة. والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة..."^٢.

ابن سيدة: "والدين الجزاء، ودينه بفعله ديناً وديناً جزيته، وقيل: الدين المصدر، والدين الاسم... ويوم الدين: يوم الجزاء... والدين الحساب... والدين الطاعة، والدين الإسلام، والدين العادة، والدين الذلّ، ودينه أدينه ديناً: سسئله، والدين الحال... والدين الداء، عن اللحياني، وأنشد:

يا دين قلبك من سلمى وقد دينا"^٣

فيلاحظ اختصار الزجاج للوجه المحتملة، وكذلك فعل الرّاعِبُ إلا أنه حرص على نفي الاشتراك، وعزاه إلى تطوّر الاستعمال الذي سمّاه (الاستعارة) أما ابن سيدة فقد توسّع في ذكر المعاني المحتملة، ولم يتدخّل في عزو ذلك إلى الاستعارة، ربّما اعتماداً على ما أصله في المخصّص.

٧. صعيد:

الزّجاج: "والصعيد وجه الأرض، فعلى الإنسان في التيمّم أن يضرب بيديه ضربة واحدة فيمسح بها جميع وجهه، وكذلك يضرب ضربة واحدة فيمسح بها يديه... ولا يبالي أكان في الموضع تراب أم لا، لأنّ الصعيد ليس هو التراب إنّما هو وجه الأرض، تراباً كان أو غيره، ولو أنّ أرضاً كانت كلها صخراً، لا تراب عليها ثم ضرب التيمّم يده على ذلك الصخر لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه. والصّعدّات الطرقات، وإّما سمّيت "صعيداً" لأنّها نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض"^٤.
الرّاعِبُ: "والصّعيدُ يقال لوجه الأرض، قال تعالى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} [النساء: ٤٣] وقال بعضهم الصعيد يقال للغبار الذي يصعد، من الصّعود؛ ولهذا لا بدّ للتيمّم أن يعلق بيده غبار"^٥.
ابن سيدة: "والصّعيدُ: المرتفع من الأرض. وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة، وقيل: ما لم يخالطه رمل ولا سبخة، وقيل هو وجه الأرض، وقيل الأرض الطيّبة، وقيل: هو كلّ تراب طيّب"^٦.

١- المعاني، ٤٣/١، ٤٤، "الوضيين الحزام أو ما يقوم مقامه، درأه شدّ به الرّحل" انظر: أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح الأمثال، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الباب الثالث عشر، ط ١٩٧١، ١م جزء ١، صفحة ٣٩٦

٢- الرّاعِبُ، المفردات، ٣٢٣.

٣- ابن سيدة، المحكم، ٣٩٧/٩.

٤- الزّجاج، المعاني، ٣٣/٢.

٥- الرّاعِبُ، المفردات، ٤٨٤.

وواضح من تصرف العلماء الثلاثة الارتباط الوثيق لمعنى اللفظ بالتعريف الشرعي الذي يتأسس على الفهم أو الرواية اللغوية؛ حيث "يرى ابن عباس - رضي الله عنهما - ، والشافعي وإسحاق وأبو يوسف وداود أنه لا يجوز التيمم إلا بتراب طاهر ذي غبار يعلق باليد، ويرى مالك وأبو حنيفة جوازه بكلّ حال ما كان من جنس الأرض...ونقل عن أحمد جواز التيمم بالسبخة والرمل، وأنّ الرمل أحبّ إليه... وأجاز مالك، وأبو حنيفة التيمم بصخرة لا غبار عليها، وتراب ندي لا يعلق بالأرض منه غبار، وأجاز مالك التيمم بالثلج والجبس".^٢

ويلحظ من تصرف ابن سيدة أنّ ما ذكره من أقوال هي وجوه اختلاف في تحديد المعنى وليست وجوه اشتراك كما قد يعرض لفهم القارئ.

٨. العرجون:

الزجاج: لم يذكر إلا معنى واحداً لهذا اللفظ ؛ قال: "العرجون عود العذق الذي يسمّى "الكباسة" وحقيقة العرجون أنه العود الذي عليه العذق، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق، فإذا جفّ وقدم دقّ وصعّر، فحينئذ يشبه الهلال في آخر الشهر وفي أوّل مطلعته"^٣.

الراغب: "قال تعالى: {حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: ٣٩] أي الطاقة من أغصانه"^٤.

ابن سيدة: "العرجون: العذق عامّة، وقيل: هو العذق إذا يبس واعوجّ، وقيل هو أصل العذق، وقال ثعلب، هو عود الكباسة،... والعرجون أيضاً ضرب من الكمأة قدر شبر- وهو طيب ما دام غضاً - ، وقال ثعلب: العرجون كالقطن يبيس وهو مستدير"^٥.

ويلاحظ هنا اتفاق الزجاج والراغب وابن سيدة على المعنى الإجمالي. وزيادة ابن سيدة، كما يلاحظ في كلّ ما سبق من هذه الألفاظ أنّ الغالب على سلوك العلماء الثلاثة عدم التصريح بالاشتراك أو بالمعنى الجامع.

مقارنة مواقف العلماء الثلاثة من التضاد اللفظي:

أولاً- على المستوى النظري: أمّا بالنسبة لموقف الزجاج، فقد سبق الكلام في أنّ الزجاج ذكر كتاباً ألفه في الأضداد^١ ذكره في تفسير قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ

١- ابن سيدة، المحكم، ٤٢٣/١.

٢- عن المغني لابن قدامة، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م جزء ١، ص ١٥٦-١٥٨.

٣- الزجاج، المعاني، ٣٢/٤.

٤- الراغب، المفردات، صفحة ٥٥٨.

٥- ابن سيدة، المحكم، ٣١١/١.

{[العنكبوت: ٥]} حيث نفى وجود التضاد بين الخوف والرّجاء، وأحال إلى كتاب ألفه ذكره باسم (كتاب الأضداد) وكانت هذه التسمية بهذه الصيغة محلّ إشكال، حيث يفترض المرء أنّ الرّجاج لا ينفي فكرة التضادّ اللفظي، ولكن يقيدّه، وقد تبين بعد أن اسم هذا الكتاب هو (إفساد الأضداد)، وهو الذي ذكره الزركشي في كتابه (البحر المحيط) في أصول الفقه، فنسب فيه^٢ إلى أبي إسحاق الرّجاج قوله: "ذهب الخليل وسيبويه، وجميع النحويين، الموثوق بعلمهم، والذي كان عليه شيخا البصريين والكوفيين، محمّد بن يزيد المبرّد، وأحمد بن يحيى ثعلب إلى دفع أن تكون العرب وضعت اسماً واحداً للشيء وضده، إلا ما وضعت من أسماء الأجناس، نحو: "لون" فإنّه لمعنى ينطبق على السواد والبياض، وكذلك "الفعل" ينطبق على القيام والعود"^٣.

أمّا الرّاعب الأصفهاني فلم يذكر شيئاً على المستوى النظري يتعلّق بالتضاد سواء من خلال حديثه عن المشترك اللفظي في مقدّمة الجامع، أو في مقدّمته التي بالغ في اختصارها في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن)، ولم يترك للدارس سوى تفحص اللفظ الذي هو مظنة الكلام عن الأضداد، وهو مدخل: (ضدّ) فيجدها. حتى هناك - يكتفي بنقل أقوال العلماء في تحديد مفهوم الضد، كمفهوم منطقي يتداوله المنطقيون وعلماء الكلام لا كمفهوم لغوي يتجاذبه علماء اللغة في تأصيلاتهم وتطبيقاتهم نفيّاً وإثباتاً!

أمّا ابن سيّدة فقد قال في المخصص: "أما في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً لكنّه من تداخل اللغات، أو يكون لفظه يستعمل لمعنى، ثمّ يستعار لشيء، فيكثر ويغلب، فيصير بمنزلة الأصل" ثم هو ينطلق من هذه النتيجة - أي كونه يصير بمنزلة الأصل - فيتصدّى لشيخ من شيوخه أنكر الأضداد، ويسمّي محمّد بن السري، وهو يقصد الرّجاج (إبراهيم بن محمد بن السري) فينكر عليه تبيّنه لموقف شيخه المبرّد من إنكار الأضداد، ثمّ قام ابن سيّدة بدفع هذا الموقف من جهة السماع، ومن جهة العقل، ويستشهد لذلك باستخدام القرآن لبعض الألفاظ المشتملة عليه حيث وردت بمعنيين مختلفين، كلفظ (ظنّ)، و(طمع) في مواطن لا يحتمل المواطن منها إلا استعمالاً واحداً، وإلا فإنّ من حمله على غير ذلك المعنى لا يأمن أن يقع في المحذور العقدي!...^٤

ثانياً- على المستوى التطبيقي:

- ١- انظر مبحث التضاد اللفظي في فصل: التفسير اللغوي عند الرّجاج.
- ٢- الزركشي، بدر الدين، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، جزء ٢، ص ٤١١.
- ٣- انظر: مقال الدكتورة وفاء رفعت العزّي، فلسفة الأضداد، (الحب والكراهية)، استرجع في العشرين من كانون الثاني ٢٠١١ من الموقع: www.alnoor.se/article.asp?id=110220 وكتاب (إفساد الأضداد) مطبوع في الكويت، بتحقيق عبد العزيز مطر، ١٣١٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٤- ابن سيّدة، المخصص، تحقيق: إبراهيم جقال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م، جزء ٤، صفحة ١٧٣.

الزجاج: لا يجد المتتبع لكتاب الزجاج أمثلة كثيرة على موقفه من (التضاد اللفظي)؛ فهي تعدّ على أصابع اليد، ولكن موقفه منها واضح بحيث إنها لو انتصبت أشخاصاً في موقف شهادة لكان مجرد حضورها كافياً للحكم المستخلص من شهود عدول ناطقين بصراحة بأنّ الزجاج ينكر وجود التضاد اللفظي - في القرآن وغيره - إنكاراً لا لبس فيه^١؛ فتجده مثلاً: يسلك هذا النهج في نفي الأضداد في تفسيره لقوله تعالى: {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الحجر: ١]؛ يقول: "فأمّا من قال عن "ربّ" يعني بها الكثير، فهذا ضدّ ما يعرفه أهل اللغة، لأنّ الحروف التي جاءت لمعنى تكون على ما وضعت العرب، فرُبٌّ موضوعة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير. وإنما خوطبوا بما يعقلون ويستفيدون.

وتراه يقف موقفاً مبهماً من اللفظ القرآني {حنيفاً} في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً} [الأنعام: ١٦١] ففي حين يكاد يصرّح بالقول بالتضاد في هذا اللفظ؛ حيث يقول: " أي مائلاً إلى الإسلام ميلاً لا رجوع معه"، تجده يقول بعد ذلك "... "والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام" فيجعل الوصف بـ "الصحيح الميل" على حاقّة الحكمين!

- ومن تضيق القول بالتضاد ما قاله في تفسير الآية الكريمة: {وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ} [التكوير: ١٧] حيث قال: "يقال: "عسس الليل" إذا أقبل و"وعسس" إذا أدبر، [والمعنى: أن] ٢ يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره ٣"

فيتبين من هذه المواقف - وقد توخى فيها الاستقرار التام - تضيق الزجاج للقول بالتضاد اللغوي في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) إلى درجة تقارب إطلاق القول بالمنع.

الراغب الأصفهاني: مع أنّ العبارات التي استخدمها الراغب كانت أقرب إلى ميدان البحث الكلامي والمنطقي، وأنها لم تقدّم دليلاً نظرياً واضحاً على موقف الراغب من (التضاد اللفظي)، إلا أنّ الراغب انطلق من هذه التحديدات المنطقية من باب أنّ العلاقة بين اللغة والمنطق، وعلم الكلام قائمة لا تنقطع، فظهر أثر هذه التحديدات المنطقية والكلامية في موقفه التطبيقي من الظاهرة، فهو يستخدم لفظ الضدّ في تفسيره المعجمي لبعض المفردات، ويطبّق الألفاظ التي اعتمدها المنطقيون وأهل الكلام في تقسيماتهم للألفاظ التي تدخل أو تقارب الدخول في حدّ التضادّ، كمصطلح "الأسماء المتضايقة"

١- انظر الأمثلة في مطلب التضاد اللفظي عند الزجاج.

٢- كذا، ولعلّ الصواب: (والمعنيان).

٣- يبدو التكلف في هذا القول واضحاً، ولعلّ الجامع الأوضح هو تشبيهه بالمتفحص لطريقه، ينسحب على مهل في الإقبال والأدبار.

و"المتقابلة"، أو "المتخالفة"، والمستخدمة "على عكس المعنى"، ومع ذلك فهو حين يورد ذكر بعض الألفاظ المشتملة على علاقة التضادّ يجتهد في تأويل هذه العلاقة تأويلاً يخرجها عن أن تكون تضاداً في (أصل الوضع) وهو يخالف بذلك كثيراً من العلماء الذين تبوّأوا ظاهرة الأضداد ومن وسائله البارعة في ذلك: النظر إلى الاعتبار الذي اقترن فيه اللفظ بكلّ من المعنيين المتضادّين، أو النظر إلى أصل جامع يفكك فيه التضادّ الظاهر أمّا ما لا انفكّك من القول فيه بالتضاد من غير تأويل يخرج من هذا الوصف فهو يستخدم الوصف بـ (ما يقال على سبيل العكس).

وقد سلك الرّاعب في التعامل مع التضادّ اللفظي ثلاثة مسالك:

- تمريره اللفظ دون تعليق ومنه قوله: ^١ "والغريم يقال لمن عليه الدّين ولمن له الدّين" وقوله: والمولى يقال للمعتق والمعتق، والحليف وابن الجار، وكلّ من ولي أمر الآخر فهو وليّه.
- أن يرجع المعنيين المتضادّين للفظ إلى النظر للأمر الواحد باعتبارين مختلفين، ومن ذلك: وقوله: "ويقال للبيع الشراء وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمثمن، وعلى ذلك قوله عزّ وجلّ {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠]".^٢
- وقوله: "ويكنى بالقلّة عن الذلّة" اعتباراً بما قال الشاعر:

ولستُ بالأكثر منهم حصاً وإنما العزّة للكثير

- وعلى ذلك قوله تعالى: {وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرَكُمْ} [الأعراف: ٨٦] ويكنى بها تارة عن العزّة اعتباراً بقوله: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} [سبأ: ١٣]، {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} [ص: ٢٤] وذلك أنّ كلّ ما يعزّ يقُلّ وجوده...".^٣

وخلاصة الأمر أنّ الرّاعب اعترف بجريان التضادّ بغزارة في مجرى الاستعمال اللغوي، ولكنّه يضيق من احتسابه ظاهرة موجودة في أصل الوضع.^٤

اثبع ابن سيّدة موقف أبي علي الفارسيّ في النظر إلى التضادّ أنّه لم يكن موجوداً في أصل الوضع، وإنّما نجم عن تداخل اللغات أو تطوّر الاستعمال - كما سبق ذكره - في باب الأضداد من كتاب المخصّص - ومع ذلك فقد اعتبر جريان العادة بهذا الاستعمال مما يكسب ورود اللفظ على المعنيين

١- مادة غرم، صفحة ٦٠٦.

٢- على أن في هذين المثالين ملمح الرجوع إلى أصل جامع.

٣- الرّاعب، لمفردات، مادة بيع، صفحة ١٥٥.

٤- المفردات، ص ٦٨٠، البيت للأعشى في ديوانه، ص ١٧٥.

٥- الرّاعب، المفردات، مادة قلّ، صفحة ٦٨١.

٦- انظر تفاصيل موقف الرّاعب في مطلب موقف الرّاعب من التضادّ اللفظي.

قوة الأصل، ويستشهد على ذلك بروايات علماء اللغة. هذا في (المخصّص) أما في (المحكم) فقد عبّر عن موقفه من التضاد بتفسيره اللفظ الواحد بالمعنيين المتضادين، ومن ذلك قوله:

والدقع: سوء احتمال الفقر، وجوع ديقوع: شديد وقدم أعرابي إلى الحضر فشبع فأتم فقال:

أقول للقوم لما ساء ني شعبي

ألا سبيل إلى أرض بها الجوع

ألا سبيل إلى أرض يكون بها

جوعٌ يصدعُ منه الرأسُ ديقوعُ

ودقع الفصيل: بشم، كأنه ضد^١.

- وقد يستخدم ابن سيده ألفاظا يشبه معناها معنى التضاد، وفي وصف العلاقة بين لفظين ليسا من نفس المادة؛ كقوله: "

العقدُ نقيضُ الحل " ^٢، وقوله: " العتقُ خلافُ الرّق " ^٣

واستخدام اللغويين لهذه الألفاظ، ومنهم ابن سيده والزجاج، والراغب يعبر عن فرق دقيق يحسن الانتباه إليه؛ وهو ما نبه إليه أبو الطيب اللغوي في (كتاب الأضداد)، قال: " ضدّ كلّ شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كلّ ما خالف الشيء ضدّاً كلّهُ؛ ألا ترى أنّ القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما ضدّ القوة الضّعف، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضاد؛ إذ كان كلّ متضادّين مختلفين، وليس كلّ مختلفين ضدّين "، أما الراغب فكان أكثر دقةً وتحديداً لمفهوم الأضداد، فقال: " الضدّ هو أحدُ المتقابلات، فإنّ المتقابلين هما الشينان المختلفان للذات، وكلّ واحدٍ قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد... " ^٤

وكما طبّق الراغب التقسيمات المنطقية والكلامية في وصف العلاقة بين اللفظ والمعنى فكذلك استخدم ابن سيده بعض الألفاظ المشابهة لألفاظ المنطقيين وعلماء الكلام. فعبر عمّا يقارب علاقة التضاد بـ (الخلاف) وقد يستخدم لفظ (النقيض) في وصف لفظين مختلفين في اللفظ متضادين في المعنى.

ومن الجدير بالذكر أنّ نظرة إجمالية لتكرار أمثلة التضاد عند العلماء الثلاثة تكفي لعدّ الراغب في مقدّمة العلماء الثلاثة في الأخذ - عملياً - بالقول بوجود التضاد، يليه في ذلك ابن سيده، في حين أنّ من الطبيعي أن لا تجد عند الزجاج إلا أمثلة نادرة هي شواهد على إنكاره للظاهرة، مع

١ - الفصيل: ولد الناقة، وبشم: أتخم، واللفظ والأبيات في مجلد ١، صفحة ١٧٧ ولم أعثر لهما على نسبة.

٢ - ابن سيده، المخصّص، ١/١٦٥

٣ - ابن سيده، المخصّص، ١/١٧٧

٤ - الراغب، المفردات، ٣/٥٠٣

ضرورة الأخذ بالاعتبار نسبة الأمثلة إلى حجم الكتاب، وصعوبة عدّ الأمثلة أو احتسابها بشكل إحصائي دقيق. لضخامة الأعمال محلّ المقارنة. كما أنّ خروج الزّجاج من ساحة الإقرار بالتضاد، وتلاقي موقفي الرّاعب وابن سيّدة وطبيعة علاقة اللفظ بالمعنى في دائرة التضاد، جعل من الصعب العثور على شواهد خلافية في النظر إلى ألفاظ بعينها أو في محلّها المناسب من تقسيمات المنطقيين - ولعلّ دراسة محدودة النطاق، تحصر جهودها في استنباط مثل هذه الفروق تخرج بنتائج أكثر تفصيلاً في المقارنة بين موقف العالمين من هذه الظاهرة.

مواقف الزّجاج، والرّاعب، وابن سيّدة من المعرّب والدخيل:

الزّجاج: سبق القول أنّه يظهر من تصرّف الزّجاج في كتابه أنّه يضيّق القول بوجود الدّخيل أو المعرّب في القرآن؛ بدليل أنّ عدد ما ذكره في كتابه قد لا يتجاوز ما أحصي في هذه الدراسة - إجمالاً - وهو اثنتا عشرة لفظة تقريباً، وأنّه يغفل وصف كلمات عدّها بعض العلماء من المعرّب أو الدّخيل بما وصفت به، مع التنبيه على جريانه مجرى العربية. وقد يستخدم من العبارات ما يشعر بمقاومته للإقرار بالأصل الأعجمي للكلمة ما لم يمتنع إجراؤها مجرى العربية، كقوله: "فلا أنكر أنّ هذا من المعرّب"، وهو يعبر عن المعرّب بعبارات مختلفة كقوله: "معناه كذا بلغة..." أو أنّه "معدول عن لغة كذا" أو "أنّه مما أعرب"، ومن ذلك: قوله في تفسير لفظ {سجّيل} [هود: ٨٢] "وقال أهل اللغة: هو فارسي معرّب، والعرب لا تعرف هذا. والذي عندي أنّه إذا كان هذا التفسير صحيحاً فهو فارسيّ أعرب... ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب... فلا أنكر أنّ هذا مما أعرب".

الرّاعب: قلل الرّاعب أيضاً من وصف ألفاظ جرى وصفها من بعض العلماء على أنّها من المعرّب أو الدّخيل، فكان يقارب في إغفاله لهذا الوصف الزّجاج أو يزيد عنه إغفالاً لها. واستخدم في وصف ما ذكره منها ثلاثة وجوه من وجوه التعبير هي:

وصف اللفظ بأنّه أعجميّ، وقد يزيد بأنّه "لا أصل له في العربية"، وقد يحدّد إلى أيّ اللغات ينتسب، وقد يصفه بأنّه معرّب. مما يوحي بأنّ المراوحة بين الوصف بالعجّمة، والتعريب له دلالة في إثبات استدخال اللفظ في العربية أو بقائه على حاله. وقد يتردّد في وصف بعض هذه الألفاظ بالمعرّب أو نسبتها إلى العربية أصلاً فمما وصفه بالأعجمي:

السرداق: قال: "فارسي معرّب"^١

السوار: قال: "فارسي معرّب"^٢

ما تردد في وصفه بالمعرب أو نسبته إلى كلام العرب، ومنه:

- أزر: قال: "أزر انتهى بياض قوائمه إلى موضع شدّ الإزار قال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ} [الأنعام: ٧٤] قيل: كان اسم أبيه تارخ، فعرب فجعل أزر، وقيل أزر معناه الضال في كلامهم"^٣ ويلاحظ ما في هذين القولين من تكلف، وبخاصة قوله: " وقيل: أزر معناه الضال" في كلامهم . فقد سُمي بمثل هذا اللفظ بعض الصالحين منهم!

- البيع: قال: "فالبيع جمع بيعة، وهو مصلى النصرى، فإن يكن ذلك عربياً في الأصل: فتسميته بذلك لما قال [تعالى] {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ} [التوبة: ١١١]

ابن سيدة: أما ابن سيدة فقد اعتنى عناية كبيرة بذكر "ما عرب من الأسماء الأعجمية" وذكر منها في المخصّص قرابة التسعين لفظاً^٤، علماً بأن مادة المخصّص في الغالب هي نفس مادة المحكم، ولذلك فمن السهل على المتتبع لما أورده في المحكم من (المعرب) أو (الدخيل) أن يجده يذكر في المحكم ما ذكره في المخصّص. على أنه في المخصّص أكثر توثيقاً في رواية الألفاظ المعربة إلى رواتها. وكذلك اعتنى بذكر قواعد التعريب وقواعد الحكم على اللفظ بأنه ليس أصيلاً في العربية، أو غير مستدخل فيها.

ومن الجدير بالتنويه أنّ ما يرتبط بألفاظ القرآن عند ابن سيدة مما ورد في المحكم هو أقلّ بشكل ملحوظ - من حيث العدد - مما ورد عند الرّاعب والزّجاج؛ فلا يكاد المرء يجد غير الألفاظ الآتية: "الزّقوم، إلياس، موسى، طوبى، التّنور" علماً بأنّ بعض العلماء قد وصلوا بالألفاظ المعربة في القرآن إلى ما يزيد على مائة لفظة. معظمها مشمول بمنظومة ابن السّبكي، وما أضافها عليها ابن حجر العسقلاني^٥. وابن سيدة في المحكم لا يذكر نسبة الألفاظ المعربة إلى رواتها كما فعل في المخصّص. وهذا الأمر بحّد ذاته إلى جانب كثرة الإحالات في المحكم إلى المخصّص يقوّي الاستنتاج

١- الرّاعب، المفردات، صفحة ٤٠٦.

٢- الرّاعب، المفردات، صفحة ٤٣٣.

٣- الرّاعب، المفردات، صفحة ٧٤، ٧٥.

٤- انظر طبعة دار الكتب العلمية المصوّرة عن الطبعة الأميرية، مرجع سابق.

٥- انظر السيوطي، جلال الدين، المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق التهامي الراجحي، طبعة صندوق إحياء التراث الإسلامي، الدار البيضاء، ١٩٨٠م، ص ١٦٨، والعسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، جزء ٨، ص ٣١٩.

بأنّ فكرة تأليف المخصّص كانت أسبق إلى الوجود التطبيقي من فكرة تأليف المحكم، وأنّ ما كان ينجز من المخصّص أسبق ممّا ينجز من المحكم، وإن كان عمل فيهما في وقت واحد.

مقارنة عناية العلماء الثلاثة بالنادر اللغوي

يبدو ممّا سبق من تتبّع أمثلة النادر اللغوي عند العلماء الثلاثة أنّ هذا المبحث أكثر ما يدور في نطاق علم الصّرف، - بمعناه التقليدي - وقد يدخل قليلاً في النّحو من باب الكلام في معاني الحروف. وأنّ أحداً منهم لم يخصّص في خطّته لتصنيف كتابه جانباً للعناية بهذا المقصد، ولكنهم قصدوا إلى ذكره على شكل ملاحظات مبنوثة تنويهاً بأهميته وضرورة الاطلاع عليه لمن يتصدّى لدرس اللغة أو التفسير. وبسبب اتّصاف هذه الملاحظات بهذا الوصف تجد من الصّعوبة بمكان أن تنظّم أجزاءها في مسلك المقارنة، إلا أن يلتقي اثنان منهم أو ثلاثتهم على البحث في لفظ من الألفاظ - وإن اختلف محلّ النّظر إلى المسألة، أو اختلف القول فيها - .

- فمما وقع نظر الزّجاج فيه على النادر اللغوي- واختلفت فيه نظرة ابن سيّدة- اللفظ (براءة) قال الزّجاج: "ولم نجد فيما لامه همزة (فعلتُ أفعلُ).. إلا في هذا الحرف"^١. في حين أغفل ابن سيّدة ما في تصاريّف الكلمة من النادر اللغوي، وانصرف نظره إلى ذكر لهجات العرب في تصريف الكلمة - ومما وقع نظر الرّاعب فيه إلى النادر اللغوي اللفظ (تجر)؛ حيث نبّه إلى أنّه "ليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذا اللفظ"^٢ والتفت الرّاعب إلى ما كان يغلب على لفظ تاجر في الاستعمال حيث ذكر أنّه كان يغلب استعمالها في الحّمّار! واستشهد بقول الأعشى:

ولقد شهدتُ التّاجر الأمانَ موروداً شراً^٣

- كذلك وقع نظر الزّجاج: على النادر اللغوي في اللفظ (خالف)؛ من حيث إنّّه "لم يأت في فاعل فواعل إلا في حرفين: "فارس وفوارس، وهالك، وهالك"^٤ في حين اكتفى الرّاعب بالنظر إلى مجرد المعنى الدلالي^١، وأغفل ابن سيّدة النادر اللغوي مما قاله الزّجاج، مع ذكره لمجمل قول الزّجاج مرّتين في مسائل تتعلّق باللفظ نفسه.

١- انظر الزّجاج، معاني القرآن ٢/٢٦٨، وابن سيّدة، المحكم ١٠/٢٨٦.

٢- الرّاعب، المفردات، ١٦٤.

٣- الرّاعب، المفردات، ٣٥٣.

٤- المعاني، ٢/٢٩٢.

- ومما انصرف نظر الزّجاج إليه وخالفه فيه الرّاعب: قول الزّجاج في (المعاني) في تفسير قوله تعالى: {يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [التوبة: ٣٠]: "والهمزة زائدة، كما زيدت في (شمال، وغرقىء البيضة) ولا نعلم زيدت غير أول إلا في هذه الأشياء، ويجوز أن تكون (فَعِيل) وإن كانت بنية ليس لها في الكلام نظير...^٢ " ! وخالفه ابن سيدة متبنيًا قول ابن جنّي، قال: "فيكون ضهيأة، فَعِيلَة من (ضاهأت) بالهمز، قال ابن جنّي: هذا الذي ذهب إليه من الاشتقاق معنى حسن، وليس يعترض قوله شيء، إلا أنه ليس في الكلام (فَعِيل) بفتح الفاء، إنّما هو (فَعِيل) بكسرها؛ نحو: حَذِيم، وطَرِيم، وغَرِين، ولم يأتِ الفتح في هذا الفنّ ثبّتًا، إنّما حكاه قوم شاذًا"^٣. انتهى، أمّا الرّاعب فأغفل ما قاله الزّجاج، ولم يتطرق إلى هذه المسألة، بل أتى على تفسير اللفظ باختصار نادر المثال!

مواقف العلماء الثلاثة من التعامل مع السياق القرآني باعتباره وسيلة لتقرير المعنى

استخدم العلماء الثلاثة ثلاثة أساليب رئيسية من أساليب تحكيم السياق-على تفاوت بينهم في استخدام كل منها- وهي أسلوب الإشارة إلى خصوصية معنى اللفظ في سياق معيّن بكلمة (هاهنا) وقد سبق ذكر بعض أمثلة ذلك في مطلب العناية بالسياق باعتباره وسيلة لتقرير المعنى عند كلّ منهم، ولا بأس بذكر مزيد من صنعة كلّ واحد من العلماء الثلاثة:

- فمن أمثله عند الزّجاج قوله: "وقالوا في معنى قوله [تعالى]: {فَمَا فَوْقَهَا} [البقرة: ٢٦] قولين: قالوا: {فَمَا فَوْقَهَا}: أكبر منها، وقالوا: {فَمَا فَوْقَهَا} في الصّغر. وبعض التّحويين يختارون الأوّل، لأنّ البعوضة كانت نهاية في الصّغر فيما يضرب به المثل، والقول الثاني مختار أيضاً لأنّ المطلوب هنا والغرض الصّغر، وتقليل المثل بالأنداد"^٤.

- وقوله في تفسير قول الله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦] " {لَا تَفْرَحْ} ههنا - والله أعلم - أي: لا تفرح لكثرة المال في الدنيا؛ لأنّ الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أمر الآخرة مذموم فيه، قال الله - عزّ وجلّ -: {لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: ٢٣] والدليل على أنهم أرادوا لا تفرح بالمال في الدنيا قولهم: {وَأَبْنَعْ

١- الرّاعب، المفردات، ص ٢٩.

٢- جزء ٢، ص ٢٧٧.

٣- ابن سيدة، المحكم، ٣٥٠/٤.

٤- الزّجاج، المعاني، ٨٧/١، ٨٨.

فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص: ٧٧]، {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أي لا تنس أن تعمل به لآخرتك لأنه حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته^١.

- وقوله في تفسير قوله تعالى على لسان سليمان-عليه السلام-: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص: ٣٢] "...قال أهل اللغة: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} يعني الشمس، ولم يجر للشمس ذكر- وهذا لا أحسبهم أعطوا الفكر حقه فيه - لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس وهو قوله تعالى: {إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ} [ص: ٣١] والعشي: في معنى بعد زول الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل بمنزلة الذكر...^٢

ومن أمثله عند الرَّاغِب: قوله: "ونعم يقال في الاستفهام المجرد نحو قوله تعالى: {فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ} [الأعراف: ٤٤] ولا يقال هنا بلى، فإذا قيل: ما عندي شيء فقلت: بلى فهو رد لكلامه، وإذا قلت نعم فأقرار منك"^٣.

ومن أمثله عند ابن سيده: قوله في تفسير قوله تعالى: {كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ} [البقرة: ١١٦] "أي: مطيعون، ومعنى الطاعة - ها هنا - أن من في السماوات مخلوقون بإرادة، لا يقدر أحد على تغيير الخلق ولا ملك مقرب"^٤.

- أسلوب المقارنة بين معنيين أو أكثر للفظ بحسب موقعه في جملتين أو أكثر:

وأمثله عند الزَّجَّاج: نادرة جداً، لعلّ منها قوله في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوقَّيْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} [هود: ١١١]: "فَرَنْتَ بِتَشْدِيدِ النَّوْنِ وَتَخْفِيفِهَا، وَفَرَنْتَ (لَمَّا)، وَ (لَمَّا) بِتَشْدِيدِهَا... وَأَمَّا التَّشْدِيدُ فِي (لَمَّا) فَزَعَمَ بَعْضُ التَّحْوِيلِيِّينَ أَنَّ مَعْنَاهُ (لَمَنْ مَا) ثُمَّ انْقَلَبَتِ النَّوْنُ مِيمًا فَاجْتَمَعَ ثَلَاثُ مِيمَاتٍ فَحَذَفَتْ إِحْدَاهَا وَهِيَ الْوَسْطَى فَبَقِيَ (لَمَّا) وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلًا لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ (لَمَّا) بِمَعْنَى (إِلَّا) كَمَا تَقُولُ: سَأَلْتُكَ لَمَّا مَعَكَ كَذَا وَكَذَا، وَإِلَّا فَعَلْتَ كَذَا. وَمِثْلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤] وَحِكْيَ سَيَّبِيوِيهِ وَجَمِيعِ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ

١- المعاني، ٣/ ٣٣١.

٢- معاني القرآن وإعرابه، ٤/ ٥٧.

٣- الرَّاغِب، المفردات، ١٤٦.

٤- ابن سيده، المحكم، ٦/ ٢٨٤.

لَمَّا) تستعمل بمعنى (إلا) ويجوز {وإنَّ كَلَّماً لِيُوقِيَهُمْ} معناه: وإن كلاً ليوقينهم جمعاً لأن معنى اللَّمَّ الجمع، يقال: لمت الشيء ألمه لماً إذا جمعته.^١

وأمثله عند الرَّاعِب: قوله: "والخارجي: الذي يخرج بذاته عن أحوال أقرانه، ويقال ذلك تارة على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة من هو أعلى منه، وتارة على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو أدنى منه، وعلى هذا يقال: فلان ليس بإنسان تارة على المدح كما قال الشاعر:

فلسيت بإنسي ولكن كملك
تنزل من جو السماء يصب

وتارة على الذم نحو قوله تعالى: {إنَّ هُمُ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ} [الفرقان: ٤٤].^٢

- وقوله: "ورسل الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء، ... وقوله: {يا يأيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً} [المؤمنون: ٥١] قيل: عني به الرسول وصفوة أصحابه فسامهم رسلاً لضمهم إليه..."^٣

- وقوله: "الشعل: شهاب النار، يقال: شعلة من النار، وقد أشعلتها، ... قال تعالى: {وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً} [مريم: ٤] تشبيهاً بالاشتعال من حيث اللون، واشتعل فلان غضباً تشبيهاً به من حيث الحركة، ومنه اشتعلت الخيل في الغارة، [و] نحو: أوقدتها، وهيجتها، واضرمتها.^٤

ومن أمثله عند ابن سيده: في تفسير قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الروم: ٤١]:
"والبحر: الريف، وبه فسّر أبو علي^٥ الآية لأن البحر الذي هو الماء لا يظهر فيه فساد ولا صلاح.^٦

- أسلوب جمع الآيات المشتملة على اللفظ في مكان واحد ودراسة معناها في مواقعها المختلفة:

وقد تفوق به الرَّاعِب على الرَّجَاج وابن سيده، كما تفوق به ابن سيده على الرَّجَاج، وذلك لارتباطها بالمقصد الرئيس عند كلٍّ منهم، فالرَّجَاج: مقصده النظر في المعاني التركيبية أكثر من النظر في اللفظ بحد ذاته. والرَّاعِب يعنى باللفظ في مواقع، وأحوال، استخدامه المختلفة، وكذلك بالنسبة للاعتبارات التي ينظر فيها إلى المعنى. وكذلك تقتضي مقاصد التأليف المعجمي عند ابن سيده إجراء مثل هذا الجمع لشواهد استعمال اللفظ في موقع واحد، لإجراء المقارنة، بحيث يعطي اللفظ

١- الرَّجَاج، المعاني، ٣٤٥/٢.

٢- الرَّاعِب، المفردات، ٢٧٩.

٣- نفسه صفحة ٣٥٣.

٤- الرَّاعِب، المفردات، ٤٥٧.

٥- ابن سيده، المحكم، ٣١٢/٣.

٦- يقصد أبا عليّ الفارسي.

٧- هذا قد يصح في عصر الفارسي، أمّا في أيامنا هذه فقد ظهر في أعماق البحار وعلى شواطئها من فساد أخلاق الإنسان ومخلفات حياته، ما يشهد لتفسير الآية على ظاهر معنى اللفظ، والله تعالى أعلم.

حقه من تقصّي المعاني كما وردت عن العرب، أو كما استخدمت في السياق القرآني، فبذلك فقط تبرأ ذمة المعجمي، ودليل ذلك حرص المعجميين على جمع مفردات اللغة، حتى في موضوعات يُستحيى من التلقظ بألفاظها! وبهذه السمة المنهجية وهي جمع الآيات المتعلقة باللفظ أو الموضوع القرآني وتحليل العلاقة بين معانيها من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وتطور الاستعمال، واختلاف الاعتبارات محلّ النظر استحقّ الرّاعب أن يسمّى رائد التفسير الموضوعي للقرآن، واستحقّ ابن سيده بمثل هذه السمة المنهجية أيضاً - التي اتّسمت بها صنّعه في (المخصّص) - أن يسمّى رائد التأليف في معاجم الموضوعات، هذا مع العلم بأنّ بذور هذا المنهج موجودة في كتب الأدب، ومن أشهر روادها الجاحظ، وموجودة أيضاً في كتب اللغة حيث خصّصت كتب لما ورد من ألفاظ في الإبل، أو الخيل، أو النبات، أو الأنواء، أو خلق الإنسان... ومنها جمع ابن سيده مادة كتابه المخصّص، الذي ألفه على منهج جمع الألفاظ للموضوع الواحد في كتاب أو باب منفصل، وهي نفسها المادة التي نثرها في (المحكم) مرتبة بحسب مخارج الحروف. ومن أمثلة هذا الأسلوب في المحكم قوله: " المرَح: شدة الفرح حتى يجاوز قدره، وقيل: المرَحُ التبختر والاختيال وفي التنزيل: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [الإسراء: ٣٧] أي متبخترًا مختالًا وقيل: المرَحُ الأشر والبطر. ومنه قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر: ٧٥].

وبمقارنة هذا التطبيق في الكتب الثلاثة بالقدر المناسب من التأمل يجد المرء هذه السمة نادرة جداً عند الزّجاج، لا يكاد يعثر لها على مثال، إلا أن يتكلف له شيئاً من التكلف، وقد كان يحسن به أن يجري على هذا الأسلوب في تفسيره للآيات التي تتحدّث عن المشيئة - وقد تصدّى للمجادلين في معناها - قال: "وقال قوم [في قوله تعالى]: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف: ٨٩]: أي فالله لا يشاء الكفر، قالوا: هذا مثل قولك: لا أكلمك حتى يبيضّ الفأر ويشيب الغراب، والفأر لا يبيضّ والغراب لا يشيب، قالوا: وكذلك تفسير الآية... قال أبو إسحاق [هو الزّجاج]: " وهذا خطأ لمخالفته أكثر من ألف موضع في القرآن لا تحتل تأويلين، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته وعن علمه، وإمّا أن يكون علمه حادثاً فشاءه حادثاً، أو علمه غير حادث فشاءه غير حادث، ولا يجوز لمن [مُكّن الخلق من التصرف] أن يُحدث الممتنع موجوداً، ولا يكون ما علّمه أنه يوجد ممتنعاً؛ فهو موضع يستحقّ بل يستوجب جمع شواهد من الآيات المشتملة على لفظ المشيئة

١- الزّجاج، المعاني، ٢٢٢/٢.

٢- كذا، والصواب: مَكَّن

مما يدفع به أقوال القدرية أو المجبرة في مواقف الجدل العقدي؛ وهو عمل يسير بالنسبة للزجاج، ومع ذلك صرف وجه القلم عنه!

وقد يتوقف الزجاج لبيان الفائدة من السياق، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} [النساء: ٦٣] قال: "الله يعلم ما في قلوبهم وقلوب غيرهم، إلا أن الفائدة في ذكره هنا (الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي أولئك الذين علم الله أنهم منافقون، والفائدة لنا: اعلموا أنهم منافقون".^١

ومما تميّز به الرَّاعِبُ في هذا المجال - وقد سبق ذكره مفصلاً بأمثله - :

- بيان اختلاف معنى اللفظ في مواقع مختلفة بسبب ما جرى عليه من أشكال تحوّل الدلالة أو تخصيصها أو تعميمها.
- أخذه بالاعتبار تغيير معنى اللفظ وفقاً لحال المتكلم أو المخاطب، أو اختلاف معنى اللفظ بحسب ما عُلق به، أو مراحل تطوّر الشيء، أو ما يصلح اختياره أو فهمه على الوجه الأنسب وفقاً لحال المتكلم أو المخاطب النفسية!
- عنايته بالسياق الاجتماعي المتضمّن في أقوال العرب، وأمثالها وعاداتها، وهو موجود في (المحكم) لابن سيده، بل إنّ كثيراً ممّا رواه ابن سيده - في المحكم عامّة - يتضمّن ما يشبه التّساوير الساخرة الناقدة التي تمثل أنماطاً من الناس والسلوكات لا تنقطع على مرّ الزّمان، مما لا يناسب المقام ذكره. أمّا إذا بحث المرء عن مثل هذا التوظيف للسياق الاجتماعي في دائرة التفسير اللغوي للقرآن فيجده من القليل النادر، ومع ذلك لم يخلُ هذا النادر من مجازفة يستبعد القارئ أن تكون قد وقعت منه فعلاً، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ} [البقرة: ١٣٨]، حيث قال: "...وقال بعضهم: كانت النّصارى تغمس أبناءها في ماء ينصرونهم بذلك، وهذا ضعيف" وهو بذلك يُضعف ما ورد في (معاني الزجاج)، حيث قال الزجاج في تفسيرها: "وقيل: إنّما ذكرت الصبغة لأنّ قوماً من النّصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء لهم، ويقولون: هذا تطهيرٌ كما أنّ الختان تطهير لهم، فقيل لهم: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}، أي التطهير الذي أمر به مبالغٌ في التّظافة"^٢ قال القرطبي في ذلك: "وروي عن مجاهد والحسن وأبي العالية

١- الزجاج، المعاني، ٤/٢.

٢- ابن سيده، المحكم، ١٦٩/٢.

وقتادة: الصَّبْغَةُ الدين، وأصل ذلك أن النَّصَارَى كانوا يصبغون أولادهم في الماء، وهو الذي يسمونه "المعمودية"، ويقولون هذا تطهيرهم"^١ .

والغريب أن ينكر ابن سيدة هذا القول في تفسير الآية، على شيخ شيوخه الزَّجاج، الذي اعتمد عليه في تفسيره اللغوي اعتماداً رئيساً ونقل عنه معظم ذلك رواية، وخاصة أن ابن سيدة عاش عمره في بلد دام فيها اختلاط المسلمين بالنَّصارَى ما يزيد - في أيامه - على أربعة قرون وهو ما لا يخفى على العامة في بلاد المسلمين! وما أنكره ابن سيدة على الزَّجاج أثبتته الرَّاغِبُ.

عناية الزَّجاج والرَّاغِبِ وابن سيدة بالتطوُّر الدَّلالي

اعتنى كل واحد من العلماء الثلاثة بالتطوُّر الدَّلالي باعتباره وسيلة لتقرير المعنى، لألفاظ القرآن الكريم بقدر من التوسُّع أو المحدودية، بحسب مقصده التأليفي:

الزَّجاج: لما كان غرض الزَّجاج بيان معاني ألفاظ القرآن في أحوالها التركيبية دون التوسُّع في بحث (البعد الإعجازي) جاء أداؤه متوسطاً، فوجّه جزءاً من بحثه الدَّلالي إلى بيان أثر التطوُّر الدَّلالي على اللغة في المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، ووجّه عامته إلى المستوى اللغوي بمعناه الفرعي.

- فمما يتعلق بالتطور على المستوى الصوتي قوله في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦] قال: "الأكثرين في قوله: "إنا لله" تفخيم الألف ولزوم الفتح، وقد قيل: وهو كثير في كلام العرب {إنا لله} بإمالة الألف إلى الكسر، وكان ذلك في هذا الحرف بكثرة الاستعمال، وزعم بعض النحويين أن النون كسرت، ولم يفهم ما قاله القوم، إنما الألف ممالاة إلى الكسرة. وزعم أن هذا مثل قولهم: "الحمد لله" فهذا الصواب؛ أعني: قولهم "إنا لله" بالكسر، وقولهم "الحمد لله" من أعظم الخطأ، فكيف يكون ما هو صواب بإجماع كالخطأ"^٢

- ومما يتعلق بالتطور على المستوى الصرفي قوله "... وقال سيبويه والخليل وجميع أهل اللغة: العَمْرُ والعُمْرُ بمعنى واحد، فإذا استعمل في القسم فتح أوله لا غير، لا تقول العرب: إلا لعمرك، وإنما أثروا الفتح في القسم لأنَّ الفتح أحف عليهم وهم يكثررون القسم بـ "العَمْرِي ولعمرك" فكلمة

١- تفسير القرطبي، دار الفكر، ١٣٥/٢.

٢- الرَّاغِبُ، المفردات، مدخل صبح، ص٤٧٥.

٣- المعاني، ١/١٨٢، ١٨٣.

كثر استعمالهم إياه لزموا الأخف عليهم^١.

فبحث في درجة الاستعمال، وكثيراً ما عبّر عن ما ورد في تفسير معنى، أو طريقة لفظ كلمة، أو اختيار إعرابي بأنه أكثر، أو أعلى، أو عليه إجماع أهل اللغة، أو عامة البصريين^٢، ومن الأمثلة البارزة على وصف درجة الاستعمال قوله في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٥٦] "قال الأكثرون في قوله تعالى: {إِنَّا لِلَّهِ} تفخيم الألف، ولزوم الفتح، وقد قيل:

- وهو كثير في كلام العرب (إنا لله) بإمالة الألف إلى الكسر، وكان ذلك في هذا الحرف بكثرة الاستعمال..."^٣.

- **ومن أمثلة تعميم الدلالة**: قوله: "والميسر القمار كله، وأصله أنه كان قماراً في الجزور، وكانوا يقسمون الجزور في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً... وكانوا يضربون عليها بالقداح وهي سهام خشب... فيحصل كل رجل على قدر إمكانه، فهذا أصل الميسر..."^٤.

- **ومن أمثلة تخصيص الدلالة** قوله في تفسير قوله تعالى: {قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي} [هود: ٣٥] من قولك: "أجرم الرجل إجراماً"، ويقال: "جرم" في معنى أجرم، وأكثر ما تستعمل أجرم في كسب الإثم خاصة، يقال: "رجل مجرم وجارم"^٥.

ومن أمثلة تحوّل الدلالة عند الزجاج قوله في تفسير قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: ٢٤٥] قال: "معنى القرض في اللغة: البلاء السيء والبلاء الحسن، والعرب تقول: "لك عندي قرض حسن وقرض سيء" وأصله ما يعطيه الرجل أو يعمله ليجازي عليه، والله عزّ وجلّ لا يستقرض من عوز، ولكنه يبلو الأخبار، فالقرض كما وصفنا انتهى، واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت:

كلّ امرئ سوف يجزى قرضه

حسناً أو سيئاً كالذي دانا^٦

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة: ٢٣٢]: "وأصل

العضل: من قولهم: "عضّلت الدجاجة فهي معضل إذا احتبس ببيضها ونشب فلم يخرج،

ويقال: "عضّلت الناقة" أيضاً إذا احتبس ما في بطنها"^١ وذكر شاهداً على ذلك قول الكميّ:

١- القول (لما كثر استعمالهم): يحتاج إلى استقصاء تاريخي للاستعمال، ولعلّ القول به من باب الاجتهاد في تفسير الظاهرة، وليس من باب الحكم القطعي بعلمها.

٢- انظر الزّجّاج، المعاني، جزء ٢، ص ٤٥، ٥٢، ٥٨، ٧٠، ١٧٧، ٢٠٠، ٢٠٧ - على سبيل المثال لا الحصر.

٣- الزّجّاج، المعاني، ١/١٨٢، ١٨٣.

٤- الزّجّاج، المعاني، ٢/١٢٣.

٥- الزّجّاج، المعاني، ٢/٣٢٧.

٦- الزّجّاج، المعاني، ١/٢٥٤.

وإذا الأمور أهمَّ غبُّ نتاجها

يسرَّت كلَّ مُعضلٍ ومطرَقٍ"^٢

ومنه قوله: "وأصل الرَّجَز في اللغة تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: (رجزاء) إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومن هذا رجز الشعر لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال فيه من بيت إلى بيت سريع..."^٣

- الرَّاعِب الأصفهاني: لم يختلف منهج الرَّاعِب الأصفهاني اختلافاً نوعياً ملحوظاً في نظريته إلى التطوُّر الدلالي مع ملاحظة ندرة الأمثلة التي يمكن أن يقع عليها الباحث في مسألة انتقال الدلالة عند الرَّجَاج، ووفرتها عند الرَّاعِب، وكذلك فإنَّ المسائل الدلالية توزَّعت على مباحث علوم اللغة بما يشبه توزَّعها عند الرَّجَاج، وكان للمباحث الصوتية والصرفية نصيباً منها، إلا أنَّ علم اللغة - بمعناه الفرعي - كان له الحظُّ الأوفر من الأمثلة في (مفردات الرَّاعِب)^٤.

فمما يتعلَّق بالتطوُّر في الاستعمال على المستوى الصوتي:

- قوله: "ابن: أصله بنو، لقولهم في الجمع: أبناء وفي التصغير: بني"^٥.
 - وقوله "والحيلة من الحول، ولكن قلبت واوها ياءً لانكسار ما قبلها، ومنه قيل، رجُلٌ حَوْلٌ"^٦
- ومما يتعلَّق بالتطوُّر في الاستعمال على المستوى الصرفي:
- قوله: "والثور: البقر الذي يثار به الأرض، فكأنه في الأصل مصدر جعل في موضع الفاعل، نحو ضيفٌ وظيف في معنى: ضائف وطائف"^٧.

١- نفسه عند الرَّاعِب، ص ٥٤٤، ومثله عند ابن سيدة، المحكم، ٤٠٧/١.

٢- الرَّجَاج، المعاني، ٢٤٤/١.

٣- الرَّجَاج، المعاني، ١٢٤/٢، انظر في التطوُّر الدلالي على المستوى الصوتي والصرفي: المعاني: لفظ (آثاف) ١٢٨/١ (عَمُر) ٦٦/٣، (إنسا لله)، ١٨٢/، (الميتة) ١٩٠/، (يرتد) ١١٠/٢، (منذر) ٣١٢/٤. وفي تعميم الدلالة: (ويل) ١٢٨/١، (تدلو) ٢٠١/١، (ذكاء) ٨٧/٢، (ميسر) ١٢٣/٢، (إل) ١٢٧/٢، (بغى) ٣٠٧/٢، (قط) ٥٢/٤، (عقري) ١٩٨/٤. وفي تخصيص الدلالة: (المعاني): (قنت) ٢٥٢/١، (جرم) ٣٢٧/٢، (العرجون) ٣٢/٤.

٤- انظر في تعميم دلالة الألفاظ: (بدء) ١١٣، (بسط)، (ظهر): وفيها ملح اقتران التعميم بالنظر إلى بعض الاعتبارات، (نفت) ١٦٥، (حوب) ٢٦١، ومن بديع التعميم: لفظ (الرسل) في قوله تعالى: {يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [المؤمنون: ٥١]؛ قال: قصد بها الرسول وأصحابه، (غيم) ٦١٥. وفي تخصيص الدلالة: (تبع) ١٦٣، (الحباله) ٢١٧، (حمل) ٢٥٨، (حوب) ٢٦١، (خلق) ٢٩٧، (الهالك) ٣٢١، (الذين) ٣٢٣، (السعي) ٤١٢، (رجل) ٣٤٥، (الشعر) ٤٥٦، (التوديع) ٨٦١، وفي انتقال الدلالة: الألفاظ: (برح) ١١٦، (برك) ١١٩، (بزغ) ١٢٢، (حد) ١٨٨، (جناح) ٢٠٧، (حرت) ٢٢٣، (حصد) ٢٣٨، (حطب، حطم) ٢٤٢، (حل) ٢٥١، (المخالفة) ٢٥٢، (خبز) ٢٧٣، (حنف) ٢٨٢، (دخن) ٣١٠، (درج) ٣١١، (دك) ٣١٦، (دهر) ٣١٩، (ذباب للعين) ٣٢٥، (ذبح) ٣٢٦، (ذنبه) ٣٢٥، (رجل) ٣٤٥، (راضع) ٣٥٥، (رطب) ٣٥٦، (الرفات) ٣٥٩، (الرقبة) ٣٦١، (روحاء) ٣٧١، (أراد) ٣٧١، (راش) ٣٧٢، (سبح) ٣٩٢، (السقي) ٣٩٥، (المسحل) ٤٠٢، (سلخ) ٤١٩، (الشعر) ٤١١، (المصيبة) ٤٩٥، (الطعن) ٥٢٠، (طلع) ٥٢٢، (عتب) ٥٤٤، (عضل وأقسم) ٦٥٠، (علوق) ٥٨٠، (أفاض) ٩٤٨.

٥- الرَّاعِب، المفردات، صفحة ١٤٧.

٦- في اللسان: رجل حَوْلٌ وحَوْلَةٌ، مثل هَمْزَةٌ: محتال: شديد الاحتيال.

٧- نفسه، صفحة ١٨١.

- قوله: "وحببتُ فلانا يقال في الأصل بمعنى أصبتُ حبة قلبه، نحو: شغفته وضع محبوب موضع محبب، واستعمل (حببتُ) أيضاً موضع أحببتُ".^١

ومما يتعلق بتعميم الدلالة:

- قوله: "التتعلُّ: شهاب النار، يقال: شعلة من النار، وقد أشعلتها... قال تعالى: {واشتعل الرأسُ شيباً} [مريم: ٤] تشبيهاً بالاشتعال من حيث اللون، واشتعل فلان غضباً تشبيهاً به من حيث الحركة، ومنه اشتعلت الخيل في الغارة، [و] نحو: أوقدتها، وهيجتها، وأضرمتها.^٢

- قوله: "وظهر الشيء أصله: أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى، وبطن إذا صار في بطنان الأرض فيخفى، ثم صار مستعملاً في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة"^٣.

- قوله: "الغيب مصدرُ غابت الشمس وغيرها: إذا استترت عن العين،... واستعمل في كل غائب عن الحاسة، عما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب..."^٤

ومن تخصيص مجال الدلالة:

- قوله: "قال ابن الأعرابي: لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب، وإنما قالوا: فسقت الرطبة عن قشرها"^٥.

- قوله: السعي: المشي السريع، وهو دون العدو... وخصَّ السعي فيما بين الصفا والمروة من المشي، وخصت السعاية بالنميمة، وبأخذ الصدقة وبكسب المكاتب لعتق رقبته... والمسعاة بطلب المكرمة.^٦

ومن القيود ما يحدد مجال استعمال اللفظ، ومنه:

- قوله: "ولا يقال "الحشر" إلا في الجماعة"^٧

- قوله: "والتخريج أكثر ما يقال في العلوم والصناعات..."^٨

- قوله: "الدبُّ والدَّبِيبُ: مشيٌّ خفيف، ويستعمل ذلك في الحيوان، وفي الحشرات أكثر، ويستعمل في الشراب، والبلى، ونحو ذلك مما لا تدرك حاسته". والألفاظ الإسلامية هي جميع الألفاظ التي

١- الرّاعب، المفردات، المفردات، ٢١٤.

٢- الرّاعب، المفردات، ٤٥٧.

٣- الرّاعب، المفردات، ٥٤١.

٤- الرّاعب، المفردات، ٦١٦.

٥- الرّاعب، المفردات، ٦٣٧.

٦- الرّاعب، المفردات، صفحة ٤١٢.

٧- الرّاعب، المفردات، صفحة ٢٣٧.

٨- الرّاعب، المفردات، صفحة ٢٧٨.

كانت عامة المدلول، ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة؛ تتعلق بالعقائد أو الشعائر، أو النظم الدينية؛ كالصلاة والحج والصوم، والإيمان، والكفر، والركوع والسجود^١.

ومن تخصيص مجال الدلالة بالنظر في الاعتبارات:

- وقوله: "الهجيرُ لا يكادُ يستعمل إلا في العادة الذميمة"^٢.
 - وقوله: "أكثر ما يستعمل السعي في الأعمال المحدودة"^٣.
- ومما يتعلق ببيان درجة الاستعمال:
- وقوله: "ظلة أكثر ما يستخدم فيما يستكره"^٤.
 - وقوله: "الخوض: هو الشروع في الماء والمرور منه، ويستعار في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذمُّ الشروع فيه"^٥.

ومما يتعلق بانتقال الدلالة :

- قوله: "... وعقرته أصبتُ عقره، أي أصله، نحو، رأسه، ومنه: عقرتُ التخل: قطعته من أصله، وعقرتُ البعير: نحرته...فقولهم: رفعَ فلانٌ عقيرتَه: أي صوته، فذلك لما روي أن رجلاً عقرت رجله فرفع صوته"^٦.
- وقوله: الرقبة: اسمٌ للعضو المعروف، ثم يعبر بها عن الجملة، وجعل في المتعارف اسماً للمماليك^٧.

ومما تميّز به الرّاعب: العناية بمجال الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله: "الدّبّ والدّبّيب: مشي خفيف، ويستعمل ذلك في الحيوان، وفي الحشرات أكثر، ويستعمل في الشراب والبلى ونحو ذلك مما لا تدركه الحاسة"^٨.
- وقوله في الصّاحب: "ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرف فيه"^٩.

١- أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥، ص ٥٣.

٢- الرّاعب، المفردات، صفحة ٨٣٤.

٣- الرّاعب، المفردات، صفحة ٤١١.

٤- الرّاعب، المفردات، ٤٧٤.

٥- الرّاعب، المفردات، ٣٠٢.

٦- الرّاعب، المفردات، صفحة ٥٧٧ و ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ١/ ٦٦، وابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، المجلد في اللغة، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. ٣/ ٦٢٢ و ابن دريد، الجمهرة في اللغة، طبع الهند، مرجع سابق، ٢/ ٣٨٣.

٧- الرّاعب، المفردات، ٣٦١ص.

٨- الرّاعب، المفردات، ٣٠٦.

- وقوله: "وصلاتة اللسان: القوّة على المقال، وذلك في الدّم أكثر استعمالاً"^٢.
- وقوله في الكسب: وقد ورد في القرآن في فعل الصالحات والسيئات،... وقال في تفسير قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] "فقد قيل: خصّ الكسب هاهنا بالصالح، والاكتساب بالسيء، وقيل غني بالكسب ما يتحرّاه من المكاسب الأخروية، وبالاكتساب ما يتحرّاه من المكاسب الدنيوية..."^٣.
- ومما يرتبط بهذا الأمر: تنبيهه على انفراد صيغة معينة للفظ في الاستعمال القرآني: كقوله: "والمقام يقال للمصدر والمكان والزمان والمفعول، لكن الوارد في القرآن هو المصدر نحو قوله تعالى: {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان: ٦٦]"^٤.
- وقوله: "والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء... وفي عامّة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً"^٥.
- وكذلك اعتنى الرّاغب زيادة على ما اعتنى به (نظيره) بوصف تسلسل التطوّر الدلالي، ومن ذلك: قوله: "والعيد ما يعاود مرّة بعد أخرى، وخصّ في الشريعة بيوم الفطر ويوم النحر، ولمّا كان ذلك اليوم مجعولاً للسرور في الشريعة... صار يستعمل العيد في كلّ يوم فيه مسرة..."^٦.
- قوله: "...الفرج... كني به عن السّوأة، وكثّر حتى صار كالصّريح فيه، قال تعالى: {وَأَلْتَمِسْ أَرْضًا مَّوَدَّةً لِلنَّبِيِّ...} [الأنبياء: ٩١]، واستعير الفرّج للشعر وكلّ موضع مخافة، وقيل الفرّج في الإسلام: الثّرك والسودان"^٧.
- ابن سيّدة: يتشابه البحث الدلاليّ عند ابن سيّدة من حيث المضمون - نوعياً - معه عند الزّجاج والرّاغب؛ حيث تنوّع مباحثه على فروع اللغة، وبخاصّة الصوتيات، والصّرف، وعلم اللغة - بمعناها الفرعيّ - على أنّ المستوى اللغوي قد احتلّ المساحة الواسعة من هذا البحث، وارتكزت تعليقات ابن سيّدة في هذا المجال على درجة الاستعمال، وبالدرجة الثانية على نوعين من تطوّر الدلالة، هما: تعميم الدلالة، وتخصيص الدلالة، وفي حين بالغ الرّاغب في التوسّع في التنبيه على

١- الرّاغب، المفردات، ٤٧٥.

٢- الرّاغب، المفردات، ص ٤٢٠.

٣- الرّاغب، المفردات، ص ٧١٠.

٤- الرّاغب، المفردات، ص ٦٩٣.

٥- الرّاغب، المفردات، ص ٦٩٣.

٦- الرّاغب، المفردات، ص ٥٩٤.

٧- الرّاغب، المفردات، ص ٦٢٨.

تحول الدلالة، فجمع في هذه الدائرة كل ما جرى من المتكلم على سبيل الاستعارة، ولم يفرق بين الاستعارات المتجدرة في الاستعمال، والاستعارات التي تُتوحى فيها غايات جمالية في التعبير، مع استقرار الفارق في الذهن بين الأصل والشبه. وقد سبق ذكر شيء من وصف منهج ابن سيدة في هذا الموضوع. وحرى بالتنبيه هنا أن اختيار ابن سيدة لمنهج الرواية هو الذي جعله يعتني أكثر بدرجة الاستعمال، وأن غياب المقصد البلاغي عنده سبب جوهرى وراء اختفاء العناية بتحول الدلالة.

عناية العلماء الثلاثة بالاشتقاق وسيلة لتقرير المعنى

يصعب استخلاص مقارنة ذات طابع إحصائي لمدى اهتمام العلماء الثلاثة بالاشتقاق في سعيهم لجلاء معنى الألفاظ. ولكن انطباعاً جديراً بالثقة، قائماً على تأمل العلاقة بين طبيعة (الاشتقاق)، وطبيعة المقصد التأليفي لكلّ منهم، بالإضافة إلى التفحص للتطبيق في الكتب الثلاثة يعزّز الحكم بترتيب الكتب الثلاثة بناء على مدى عنايتهم بمباحث الاشتقاق بدءاً بالراغب، ومروراً بالزجاج وانتهاءً بابن سيدة.

وذلك لأنّ منهج الراغب في (المفردات) قائم على الكشف عن ما وصفه بـ (المناسبات بين الألفاظ) وهو تعبير يعني به العلاقات الاشتقاقية القائمة بينها، وواضح من قراءة مقدّمة كتابه، ومن تأمل تطبيقاته أنّه يقصد بذلك الكشف عن الفروق بين الألفاظ.

وكذلك عُرف عن الزجاج ولعه بالاشتقاق إلى درجة تنذر البعض بها كما سبق ذكره في محله، ومع ذلك فقد كان مقتصداً في البحث الاشتقائي في كتاب (معاني القرآن) فكانت مسائل الاشتقاق في كتابه تقارب الستين مسألة - في حدود ما وقع الاطلاع عليه في هذا البحث - . أمّا ابن سيدة فتحول ضخامة المعجم من جهة، كما يحول تحديد هذه الدراسة بما استقلّ به ابن سيدة من التفسير عن الزجاج دون الوصول إلى وصف كمّي مقارب حول قياس مدى عنايته بالاشتقاق بالنسبة لنظيره في المقارنة.

وعلى أية حال، فقد اتفق العلماء الثلاثة في بعض السمات المنهجية في مبحث الاشتقاق أبرزها:

- توظيف مباحث الاشتقاق في ضبط حقيقة الانفصال المعنوي بين الكلمات التي يُنبّه إلى الفروق القائمة بينها، وخاصة في اللفظين المنتميين إلى المادة الواحدة، ومن ذلك:

قول الزّجاج في تفسير قوله تعالى: {ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا} [المائدة: ٣٣] "يقال: خزي الرّجل يخزي خزيًا إذا افتضح وتحبّر فضيحة، وقد خزي يخزي خزاية إذا استحيا، كأنه يتحير أن يفعل قبيحا"^١.
قول الرّاعب في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [التوبة: ١٨]
"إما من العمارة، التي هي حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم عمّرتُ بمكان كذا، أي أقمت به..."^٢.

- ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٨]: "قيل هو أفلعنا من العتاد، وقيل أصله أعددنا، فأبدل من إحدى الدالين تاء"^٣.

- ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ} [التوبة: ١٨]: "إما من العمارة التي هي حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم: عمّرتُ بمكان كذا؛ أي أقمت به؛ لأنه يقال: عمّرتُ المكان و عمّرتُ بالمكان"^٤

قول ابن سيدة مفرقًا بين ما هو مشتق من المهانة، وما هو مشتق من الهون بمعنى السهولة.
"والمهين من الرّجال الضعيف، وفي التنزيل: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} [الزخرف: ٥٢]
ومعنى مهين: قليل، وهو من المهانة"^٥.

اتفاق العلماء الثلاثة على استخدام (الاشتقاق) لضبط نطاق القول بـ (الاشتراك اللفظي)، ومن ذلك:
قول الزّجاج: "ومعنى السّلام الذي هو مصدر سلمت، أنّه للإنسان أن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله التخلّص. والسّلام اسم من أسماء الله [تعالى] تأويله - والله أعلم - ذو السّلام؛ أي: هو الذي يملك السّلام الذي هو تخليص من المكروه.

فأما (السّلام) الشّجر، فهو شجر عظام قويّ أحسبه سمّي بذلك لسّلامته من الآفات، والسّلام الحجارة الصلبة، سمّيت بذلك لسّلامتها من الرّخاوة. والصّحح يسمّى السّلم، والسّلم والسّلم، وسمّي بهذا لأنّ

١- الزّجاج، المعاني، ١٠٢/٢.

٢- الرّاعب، المفردات، ٥٨٦.

٣- الرّاعب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٥

٤- الرّاعب، مفردات ألفاظ القرآن، ٥٨٦، و انظر المزيد من الأمثلة في "معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، والعيون، رانيا محمود، دراسة لغوية للجوانب الصرفية والنحوية وصلتها بالمعنى، رسالة ماجستير، جامعة بيروت العربية، قسم اللغة العربية و أدابها، ٢٠٠٣م، ص ٦٢- ٧٥

٥- ابن سيدة، المحكم، ٩٣/٨.

معناه السَّلام من الشَّرِّ، والسَّلم الذي يرتقى إليه سَمِّي بهذا لأنَّه يسلمك إلى حيث تريد، والسَّلم السبب إلى الشيء، سَمِّي بهذا لأنَّه يؤدي إلى غيره كما يؤدي السَّلم الذي يرتقى عليه" ^١.
ومما لَمَحَ فيه الرَّاعِبُ إلى الاشتقاق وأنَّه يترتَّبُ عليه أصلٌ جامع: قوله: "وقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: ١٧]، قيل أريد بها السَّحاب، فإن يكن ذلك صحيحاً فعلى تشبيهه السَّحاب بالإبل وأحواله بأحوالها، وأبَلَّ الوحشيَّ يأبُلُ أبلاً: اجتزأ عن الماء تشبهاً بالإبل في صبرها عن الماء" ^٢.

أما الرَّجَاجُ فقد أغفل هذا المعنى ولفت الأنظار إلى ما في خلق الإبل من آيات عظيمة. ^٣ في حين إنَّ ابن سيده يلمحُ في كلامه الإشارةُ إلى الاشتقاق من الفعل (أبَلَّ) وجعله أصلاً جامعاً للمشارك، فجاء بما جاء به الرَّاعِبُ وزاد عليه، ومما زاد عليه قوله: "والأبيلُّ: رئيس النصارى، وقيل هو الراهب، واستشهد بقول ابن عبد الجن: ^٤

وما قدَّس الرَّهبان في كلِّ هيكلٍ
أبيلَّ الأبيلين المسيحَ بنَ مريما" ^٥
أضافه إليهم على [التشنيع] ^٦ لقدره، والتعظيم لخطره.
ويقول الأعشى:

وما أبيليَّ على هيكلٍ بناه وصلب فيه وصارا
والأبلة: العداوة. ^٧

- ومما وافق فيه منهج الرَّاعِبُ ومنهج ابن سيده منهج الرَّجَاجُ في بحث الاشتقاق أنَّ ثلاثتهم لا يتقيَّدون باعتبار المصدر أصلاً للاشتقاق، بل قد يصرِّحون بالاشتقاق من الفعل، أو اسم الذات، أو اسم المعنى، فمن أمثلة القول بالاشتقاق من المصدر عند الرَّاعِبُ قوله:
- قوله: "السَّقْنُ: نحتٌ ظاهر الشيء... وباعتبار السَّقْنِ سميت السفينة... " ^٨

١- الرَّجَاجُ، معاني القرآن، ١٥٥/٢، ١٥٦. هذه الوجوه التي ذكرها الرَّجَاجُ، ذكرها ابن سيده في المحكم، ووجهها بمثل ما وجهها الرَّجَاجُ، وضبطها في المحكم أجود، وزاد ابن سيده: "السَّلمُ: لدغ الأفعى" ولم يخرجه وهو محمول على التفاؤل، "والسَّلمُ: الدلو"، ولم يخرجه وقد يحمل على أنه يحفظ الماء ويسلمه إلى متناوله، انظر (المحكم)، ٥١٢/٨، وكذلك جاء الرَّاعِبُ بشرح هذه الألفاظ منبهاً إلى الأصل الجامع الذي لا يخلو التوصل إليه من ملحظ النَّظَرِ إلى أصل الاشتقاق. انظر (المفردات)، ٤٢١ - ٤٢٤.

٢- الرَّاعِبُ، المفردات، ٥٩، ٦٠.

٣- الرَّجَاجُ المعاني، ٣٣٤/٤.

٤- عمرو بن عبد الجن شاعر جاهلي قديم ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني.

٥- المحكم، ٤٠٨/١٠.

٦- كذا، واللفظ مما ضعف استعماله في معنى التعظيم.

٧- لعلَّ في ذلك إشارة إلى اجتماع النفس عليها، أو اجتماع الناس وافتراقهم بسببها.

٨- نفسه، ص ٤١٤

- قوله: "الغيبُ: مصدر غابت الشمس وغيرها" ^١.
- ومن أمثلة القول بالاشتقاق من الفعل عنده:
- قوله: الحرصُ فرطُ الشَّرِّه وفرطُ الإرادة... وأصلُ ذلك من: حَرَصَ القَصَّارُ الثوبَ أي: قشره بِدِقَّةٍ ^٢.
- قوله: "وقوله تعالى: {وأشربُوا في قلوبِهِمُ العَجَلَ} [البقرة: ٩٣] قيل: هو من قولهم أشربتُ البعيرَ، أي: شددتُ حبلًا في عنقه، قال الشاعر:
- فأشربُها الأقرانَ حتى وقصتها
بقرح وقد ألقين كلَّ جنين ^٣
- ومن أمثلة القول بالاشتقاق من الاسم عنده:
- قوله "وئُصُورٌ من الحَجَرِ معنى المنع لما يحصل فيه، فقيل للعقل حجراً؛ لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه..." ^٤
- قوله: "السَّحَرُ طرفُ الخُلقوم، والرَّئَةِ... وقيل منه اشتق السَّحْرُ، وهو إصابة السَّحَرِ" ^٥.
- ومن أمثلة القول بالاشتقاق من الصفة عنده:
- "الحياة تستعمل على أوجه: الأوّل للقوة النامية الموجودة في النبات، والحيوان ومنه قيل: نبات حي... ^٦.
- ومن القول بالاشتقاق من غير المصدر عند ابن سيدة قوله بالاشتقاق من الحرف؛ فهو يرى أنّ (سوف) حرفٌ اشتقّ منه فعل ^٧ وهذا التصرف من العلماء الثلاثة وغيرهم في مسألة قام عليها خلافٌ بين المدرستين يدلّ على درجة من التسامح في التطبيق يصعب أن تتوقّر على مستوى التأسيس!
- والاشتقاق وسيلة للتفريق بين الأصيل والدّخيل لم يخلُ منها كلام من تصدّى من العلماء لظاهرة المعرّب والدّخيل، ومن ذلك:
- قول الزّجاج: "زعم أهل اللغة أنّ {سجّين} فعيلٌ من السجن؛ المعنى: كتابهم في حبس،..." ^٨

١- نفسه، ص ٦١٦

٢- المفردات، ص ٢٢٨

٣- المفردات، ص ٤٤٩، والبيت منسوب لأحد لصوص بني أسد، انظر المحكم، ٤٥٠/٢، واللسان، مادة شرب.

٤- الرّاعب، المفردات، ص ٢٢٠

٥- الرّاعب، المفردات، ص ٤٠٠

٦- المفردات، ص ٢٦٨

٧- المحكم، ٦١٨/٨.

٨- المعاني، ٣٢٢/٤.

وقوله: "والذي يخرّج في اللغة أنّ لفظ القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة مأخوذة من ذلك..."

أما ابن سيّدة فقد اتّبع موقف أبي عليّ الفارسي في مراعاة قوانين الاشتقاق في استدخال الكلمات الأعجمية إلى العربية، وهو ما سمّاه بقوانين الفارسية في تصريف التعريب، وذلك في الباب الذي خصّصه في كتاب (المخصّص) للكلام عن ما (عُرب من الأسماء الأعجمية).

أما الراغب: فلمّح إلى تحكيم الاشتقاق في وصفه للكلمات مفرّقاً بين ما هو "أعجميٌّ لا أصل له في العربية"، وبين "الفارسيّ المعرب"^١.

- ولكلّ من الرّجاج والرّاغب وابن سيّدة مواقف نقدية في مسائل الاشتقاق، فمن ذلك:

قول الرّجاج في تفسير قوله تعالى: {فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَسْتَهْزَهُ} [البقرة: ٢٥٩] "يجوز بإثبات الهاء وبإسقاط الهاء في الكلام، ومعناه: لم تغيّره السنون... "وقد قال بعض التّحويين: إنّه جائز أن يكون من التّغيير [من قولك] {مَنْ حَمَا مَسْنُونٌ} [الحجر: ٢٨] وكانّ الأصل عنده: "لم يسنن، ولكّنه أبدل من النون ياء كما قال الراجز:

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَر

يريد تفضّض. وهذا ليس من ذاك؛ لأنّ (مسنون) إنّما هو مصبوب على سنّة الطريق"^٢.

وقول الراغب: "والمعاورة قيل في معنى الاستعارة. والعارية فِعْلِيَّةٌ من ذلك؛ ولهذا يقال: تعاوره العواري، وقال بعضهم هو من العار، لأنّ دفعها يورث المذمّة والعار، كما قيل في المثل: إنّه قيل للعارية أين تذهبين؟ فقالت: أجلب إلى أهلي مذمّة وعاراً، وقيل هذا لا يصحّ من حيث الاشتقاق، فإنّ العارية من الواو، بدلالة تعاورنا، والعار من الياء لقولهم عيّرتّه بكذا"^٣

ويشهد لقول الراغب أنّ ابن سيّدة جعلها أيضاً في مدخل عور: قال: "والعارية والعارة: ما

تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء، وأعاره منه، وعاوره إيّاه، قال ذو الرّمّة:

وسقط كعين الدّيك عاورتُ صاحبي أباهاً وهيّأنا لموضعها وكرأ

وتعورّ، واستعار: طلب العارية"^٤.

١- مثلاً: انظر مطلب: موقف الراغب من (المعرب في القرآن الكريم).

٢- الرّجاج، المعاني ١/٢٧١.

٣- الراغب، المفردات، ص ٥٩٥، ٥٩٦.

٤- ابن سيّدة، المحكم، ٢/٣٣٤.

- أما ابن سيدة فأبرز مواقفهُ التقديّة للعلماء تدور في موضوعي الصّرف والاشتقاق، منه ما سبق ذكره في مطلب العناية بالاشتقاق عند ابن سيدة، ومنه كذلك قوله: "وثى به إلى السلطان: وشى - عن ابن الأعرابيّ - ... والمعروف عندنا أثنى، فإن كان ابن الأعرابيّ سمع من العرب وثى فذاك... وإن كان ابن الأعرابيّ إنّما اشتقّ وثى من هذ افهو غلط".^١
- ومما جرت به العادة في مثل هذه الكتب، أن يغدّي المصنّف المعنى بذكر مزيد من المشتقات، وهي ظاهرة أوضح ما تكون في المعاجم وما شابهها، ولذلك فمن الطبيعي أن يتميز بها ابن سيدة، يليه الرّاعب.
- أمّا فيما وراء هذه الظواهر، فلا يجد المرء ما يميّز به الواحد منهم على الآخر مما يشكّل ظاهرة منهجية، ولكنّ بعض الملاحظات التي تنمّ عن ذوق لغويّ متميّز، ومن ذلك:
- تتبع الرّاعب لتسلسل الاشتقاق بحكم تطوّر الاستعمال، وذلك قوله: "أصلُ البرد خلاف الحرّ،... والبُرْد في الطُّرُق جمع البريد، وهم الذين يلزم كلّ واحد منهم موضعاً منه معلوماً، ثمّ اعتبر فعله في تصرفه في المكان المخصوص به، فقيل لكلّ سريع هو يبرد، وقيل لجناحيّ الطائر بريده... وذلك فرع على فرع حسب ما بيّن في أصول الاشتقاق".^٢
- اعتماد ابن سيدة الاشتقاق في الاحتجاج لوجهة نظره فيما طرأ على اللفظ من تغيّرات تصريفية، حتى وصل إلى الحال التي يلفظ عليها، ومن ذلك قوله: "الألوك والمألكة والمألكة الرّسالة لأنها تولك في الفم... والملك مشتقّ منه، وأصله مألّك، ثمّ خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها؛ فقيل ملك، وقد يستعمل متمماً، والحذف أكثر".^٣

عناية الزجاج، والرّاعب وابن سيدة بعلم الصّرف باعتباره وسيلة لتقرير المعنى

توزعت الأبحاث الصّرفية وما يجري مجراها عند الزجاج والرّاعب وابن سيدة على مباحث صوتيّة، و مباحث صرفيّة، تباينت من حيث اشتمالها أو عدم اشتمالها على بعض العناصر، ثم من حيث التوسع في بحث العناصر محلّ الاهتمام.

١- ابن سيدة، المحكم، ٢٢٤/١٠.

٢- الرّاعب، المفردات، ص ١١٨، ١١٧.

٣- ابن سيدة، المحكم، ٨٨/٧.

١. فمن اهتمام العلماء الثلاثة بالصوتيات :

- اهتمامهم بأحكام الهمزة التصريفية :

- ومن ذلك عند الزجاج : قوله في تغير المعنى بثبات الهمزة أو عدمه، في تفسير قوله تعالى :
- { أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } [البقرة: ٦١] " أما { أدنى } غير مهموزة فمعناه الذي هو أقرب وأقل قيمة، كما تقول: هذا ثوب مقارب، فأما الخسيس، فاللغة فيه أنه مهموز، يقال: " دنوء ودناءة وهو دنيء" ويقال: هذا (أدنى) منه بالهمزة. ومن أمثله عند الزجاج:
- قوله في تفسير قوله تعالى: { فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ } [فصلت : ٣٩]: ويقرأ: "وربأت بالهمز، ومعنى ربت عظمت، ومعنى ربأت ارتفعت؛ لأنّ النبت إذا همّ أن يظهر ارتفعت له الأرض"^٢.

و الأمثلة على ارتباط الهمز بالمعنى نادرة جداً عند الزجاج وكذلك عند ابن سيده فيما يتعلق بالتفسير اللغوي للقرآن.

- ومنه عند الراغب قوله في تفسير قوله تعالى: { هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَعِيًا } [مريم: ٧٤] " فمن لم يهمز جعله من روي؛ كأثه ريان من الحسن، ومن همز فلذي يرمق من الحسن به..."^٣ وقد تميّز الراغب على (نظيره) نسبياً بقدر زائد مما يقع عليه المرء في كتابه لأثر وجود الهمز وعدمه في معنى اللفظ . ومن ذلك المعاني التي يدخلها الهمز على صيغة (أفعل) ومنها:
- التحول: مثل قوله: " وأسبل الزرع: صار ذا سنبله، نحو: أحصد، وأجنى"^٤ ومنه: " مرّ الشيء و أمرّ، صار مرّاً "^٥، وقوله: " والإسالة في الحقيقة حالة في القطر تحصل بعد الإذابة " .
- الإزالة: وهي قريبة من التحول، ومنها: أشكيت: إذا أزلت شكايته وشبيه به: " أعذر: أي أتى بما صار به معذوراً... قال بعضهم أصل العذر من العذرة وهو الشيء النجس... وكذا عذرت فلاناً أزلت نجاسة ذنبه بالعمو عنه"^٦.

أن تأتي بمعنى التخصيص أو الجعل، ومنه:

١- كذا، والصواب: أدنى، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ١/١١٧

٢- "ñë#"

٣- الراغب، المفردات: ٣٧٦

٤- الراغب، المفردات، ص ٣٩٦

٥- الراغب، المفردات، ص ٧٦٣

٦- الراغب، المفردات، ص ٥٥٥

- قوله: " وأقبرته: جعلتُ له مكاناً يقبر فيه. نحو: أسقيته، جعلتُ له ما يستقي منه ^١ .
- قوله: "... وقد ألبدتُ السَّرجَ: جعلتُ له لبداً، وألبدتُ الفرسَ: ألقيتُ اللبدَ. نحو: أسرجته، و الحمته، وألبيته ^٢ .
- أن تأتي بمعنى الإعطاء، مثل: "أسجلته: أعطيته سجلاً، واستعير للعطية العظيمة" ^٣ و"الحمته: أطعمته لحمًا" ^٤ .
- ما دلّ على التلبس بالصفة، مثل قوله: "ورجلٌ أسوق وامرأة سوقاء بينة السوق: أي عظيمة الساق" ^٥ .
- ما دلّ على حال وقوع الفعل: قال: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرداً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام.
- ما دلّ على بقيّة، كقوله: "أسارتُ في القدح: أبقيت بقيّة.
- ما دلّ على نسبة المفعول إلى الفعل، مثل: "وأغللتُ فلاناً: نسبتُه إلى الغلول" ^٦ .
- ما دلّ على الاقتراب: مثل: "أشفي فلان على الهلاك: حصل على شفاه" ^٧ .
- ما دلّ على الالتصاق، مثل: "أقرد: أي لصق بالأرض لصوق القراد" ^٨ و"ألحمت بين الشيين: لحمتهما" ^٩ .
- ما دلّ على الإظهار: "أعرض: أظهر عرضه" ^{١٠} .
- ما دلّ على زيادة في الصفة: قال: السقي والسقيا أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي" ^{١١}
- ما دلّ على كثرة، مثل: "وألبن فلان: كثر لبنه" ^{١٢}

-
- ١- الرّاغب، المفردات، ص ٦٥١
 - ٢- الرّاغب، المفردات، ص ٧٣٤
 - ٣- الرّاغب، المفردات، ص ٣٩٨
 - ٤- الرّاغب، المفردات، ص ٧٣٨
 - ٥- الرّاغب، المفردات، ص ٤٣٦
 - ٦- الرّاغب، المفردات، ص ٦١٠
 - ٧- الرّاغب، المفردات، ص ٤٥٩
 - ٨- الرّاغب، المفردات، ص ٦٦٦
 - ٩- الرّاغب، المفردات، ص ٧٣٨
 - ١٠- الرّاغب، المفردات، ص ٥٥٩
 - ١١- الرّاغب، المفردات، ص ٤١٥
 - ١٢- الرّاغب، المفردات، ص ٧٣٥

ما دلّ على تعدية: قال: الغرق الرّسوب في الماء وفي البلاء، وغرق فلان يَغرقُ غَرَقاً، وأغرقه^١

ما كان استخدامه على وجه مخصوص ومن ذلك:

- قوله: "وقوله تعالى: {وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ} [النساء: ٤٦] يقال على وجهين: أحدهما: دعاءً على الإنسان بالصمم، والثاني: دعاء له، [فالأول^٢] نحو: أسمعك الله، أي لا جعلك الله أصمّ. [والثاني^٣] أن يقال: أسمعت فلاناً: إذا سببته، وذلك متعارف في السبّ..."^٤
 - قوله: "زريتُ عليه: عبثه، وأزريت به قصرْتُ به"^٥
- أما عند ابن سيدة فقد تعدّر رصد أمثلة لتغير المعنى بسبب وجود الهمز أو عدمه رغم ضخامة (المحكم)، وذلك لضيق مجال البحث .

- أثر التنوين وتركه في تغير المعنى:

ومثاله عند الزجاج قوله: "وقوله عزّ وجل: {مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: ٧٢] الأجود في {مُخْرَجٌ} التنوين لأنه إما هو لما يستقبل أو للحال، ويجوز حذف التنوين استخفافاً فيقرأ "مخرج ما كنتم تكتمون" "فإن كان قرىء به، وإلا فلا يخالف القرآن كما شرحنا"^٦. ويصعب أن تجد له أمثلة عند ابن سيدة - في ضوء ما توصل إليه هذا البحث - .

- أثر الإدغام أو فكّه على المعنى، ومن ذلك :

قول الزجاج في تفسير قوله تعالى: {لَا يُضِرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ} [المائدة: ١٠٥] "الأجود أن يكون رفعاً ويكون على جهة الخبر، ويجوز أن يكون جزءاً، ويكون الأصل: لا يضرركم إلا أنّ الرّاء الأولى أدغمت في الثانية فضّمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية على جهة النهي: ولا يضرركم، بفتح الرّاء، ولا يُضِرُّكم بكسرها ولكن القراءة لا تخالف، ولأن الضم أجود كان الموضع رفعاً أو جزءاً"^٧ وقوله في تفسير قوله تعالى: {تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا} [مريم: ٢٥] "فمن

١- الرّاغب، المفردات، ص ٦٠٥

٢- كذا، والصواب: الثاني

٣- كذا، والصواب: الأول

٤- الرّاغب، المفردات، ص ٤٢٥

٥- الرّاغب المفردات، ص ٣٧٩

٦- الزّجاج، المعاني ١/١٢٤

٧- الزّجاج، المعاني: ١٣١/٢

قرأ(يساقط)فالمعنى يتساقط فأدغمت التاء في السين ،ومن قرأ تساقط ، فالمعنى تتساقط أيضاً فأدغمت الياء في السين وأنت لأن لفظ النخلة مؤنث " ١ .

وقد يبحث في الإدغام فيما ليس له تعلق بالمعنى، كقوله : "والميتة أصلها الميتة، فحذفت الياء الثانية استخفافاً لنقل اليائين والكسرة والأجود في القراءة(الميتة) بالتخفيف، وقوله في تفسير قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ } [التوبة: ٧٥] "الأصل: لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها" ٢ .

أما أمثلة الإدغام عند الراءب، فهي على - ندرتها- لا تتعلق بأثر الإدغام في المعنى، ولكن بالتخفيف أو التثقيل بحسب الاستعمال، ومنها قوله: " { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ } [الأنعام: ٦٣] و { لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } [الأعراف: ٩٤] أي يتضرعون، فأدغم" ٣ . ومن ذلك عند ابن سيدة: " قوله في قراءات قوله تعالى: { يَخْصُمُونَ } [يس: ٤٩]: "فمن قرأ به فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون الخاء مشددة، فتكون مفتوحة بحركة التاء المنقول إليها، أو مكسورة لسكونها وسكون الصاد الأولى" ٤ .

٢. ومن اهتمامهم ببقية مباحث الصرف:

- عنايتهم بمعاني صيغ المصادر، ومن ذلك:

قول الزجاج في تفسير قوله تعالى: { وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ } [النور: ٢]: "وتقرأ رأفة، في دين الله على وزن فعالة... ومثله كتابة، ف (فعالة) من أسماء المصادر، وسامة على قياس كلاله، وثقالة في الخصال مثل القباحة والملاحة والفخامة وهذا يكثر جداً" ٥ .

ومنه قول الراءب : " السكوت مختص بترك الكلام، و السكات ما يعتري من مرض... و السكت يختص بسكون النفس في الغناء. ٦

قوله: "والتمرريض: القيام على المريض، وتحقيقه: إزالة المرض عن المريض، كالتفذية في إزالة القذى عن العين. ٧

١- الزجّاج، المعاني: ١٥٨/٣

٢- الزجّاج، المعاني: ١٩٠/١

٣- الراءب، المفردات، ٥٠٦

٤- ابن سيدة، المحكم، ٦٦/٥

٥- الزجّاج، المعاني ٢٤٨/٣، وقال ابن سيده في المحكم: ٢٨٢/١٠ الرأفة : الرسة، رأف به، يرأف، ورأف، ورؤف، ورؤف رأفة، ورأفة.

٦- الراءب، المفردات: ٤١٦

٧- المفردات، ص ٧٦٥

ومنه عند ابن سيدة قوله: " والوعيد التَّهْدُدُ، وقد أوَّعده وتوَعَّده. قال الفراء يقال: وعدته خيراً ووعدته شراً، بإسقاط الألف فإذا أسقطوا الخير والشرَّ قالوا في الخير وعدته وفي الشرِّ واعدته. وفي الخير الوعد والعدة، وفي الشرِّ الإيعاد والوعيد، فإذا قالوا أوَّعده بالشرِّ أثبتوا الألف مع الباء..."^١

وقوله: " رَكَنَ إلى الشيء، وَرَكَنَ يَرُكِنُ، رُكْنًا وَرُكُونًا وَرُكَانَةً وَرُكَانِيَّةً: مال، وَرَكَنَ في المنزل يَرُكِنُ رُكُونًا: أقام وَرَكَنَ بالمنزل يَرُكِنُ رُكُونًا: ضنَّ به فلم يفارقه."^٢

٣. بيان صيغ الأفعال وأثر اختلافها في اختلاف المعنى، ومن ذلك:

قول الزجاج في تفسير قوله تعالى: { بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ } [طه: ٩٦] "يقال: قد بَصَرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ إذا كان عليمًا بالشيء، وَأَبْصَرَ يُبْصِرُ إذا نظر، والتأويل: علمت بما لم يعلموا به."^٣

- وقوله: " المحروم جاء في التفسير: الذي لا ينمو له مال، و الأكثر في اللغة: لا يَنَمَى له مال...
وقوله في تفسير قوله تعالى: { وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا } [سبا: ٢] " ما يصعدُ فيها، ويقال: عَرَجَ يَخْرُجُ إذا صَعَدَ والمعارج الدَّرَج من هذا ويقال: عَرَجَ يَخْرُجُ إذا صار ذا عَرَج، وَعَرَجَ يَخْرُجُ إذا غَمَزَ من شيءٍ أصابه؛

- ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: { لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } [طه: ٥٢] " معناه لا يضلها ولا ينساها ولا يضلها ربي ولا ينساها يعني به الكتاب، ومعنى ضَلَلْتُ الشيء وضَلَلْتُ بكسر اللام وفتحها، أضله إذا جعلته في مكان لم تدر أين هو، وَيَضِلُّ من أضلته، ومعنى أضلته أضعته قال أبو إسحق من قرأ بالفتح فمعناه لا يَضِلُّ أي: لا يضلَّ عن ربي، وإذا ضمنت الياء فمعناه لا يوجد ربي ضالاً عنها"^٤.

- ومنه ما ذكر في تفسير الآية الكريمة: {وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة: ٦] "...
وصرصر متكررٌ فيه البرد، كما تقول: "قد قفلتُ الشيء، وأقللتُ الشيء" إذا رفعتَه من مكانه، إلا أنَّ قفلتَه رددتَه؛ أي كررت فعله، وأقلتَه: رفعتَه، فليس فيه دليل تكريره كذلك "صرصرُ،

١- ابن سيدة، المحكم: ٣٢٨/٢

٢- ابن سيدة، المحكم: ٨٠٣/٦

٣- الزجاج، المعاني: ١٨٨/٣

٤- الزجاج، المعاني: ٣/٤

٥- نفسه، ١٧٨/٣.

وصراً، وصلصل، وصل^١ إذا سمعت صوت الصرير غير مكرر قلت "قد صرّ وصل^١ فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: "قد صلصل، وصرصر^١".

وقال ابن سيّدة: البصر حسُّ العين، والجمع أبصار، بصُرَّ به بصراً وبصارةً، وبصارةً، وأبصره، وتبصّره: نظر إليه، هل يُبصرُهُ قال سيبويه: بصُرَّ صار مُبصِراً وأبصره: إذا أخبر بالذي وقعت عينه عليه^٢ وقال: "وتعبّد الرَّجُلَ وأعبّده: صيّرهُ كالعبد، وعبّده، واعتبّده، واستعبّده: اتخذهُ عبداً عن اللحياني^٣".

وقال الرَّاعِب: البصرُ يقال للجارحة... ويقال لقوة القلب المُدرّكة بصيرةً، وبصر... ولا يكاد يقال للجارحة بصيرةً، ويقال من الأوّل أبصرت، ومن الثاني أبصرتَه وبصرتُ به. وقلما يقال بصرتُ في الحاسة إذا لم يضامها رؤية القلب...^٤

وقال: "وعرَجَ عُرُوجاً وعرَجاناً: مشى مشياً العارج: أي الذاهب في صعود، كما يقال: درَجَ إذا مشى مشياً الصاعد في درَجِه، وعرج: صار ذلك خَلقةً له، وقيل للضُّع: عرجاء، لكونها في خلقتها ذات عَرَج...^٥".

٤. عناية الزجاج والرّاعِب وابن سيّدة بمعاني زيادات الأفعال:

قال الزّجاج: "الرّواية عند أهل اللغة أنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض من التّصرّف: قد أحصر، فهو مُحَصَّر، ويقال للرجل الذي حُبِسَ قد حُصِرَ فهو محصور، وقال الفراء: لو قيل للذي حُبِسَ أحصر لجاز، كأنه يجعل حابسه بمنزلة المرض والخوف الذي منعه من التّصرّف والحقّ ما عليه أهل اللغة من أنّه يقال للذي يمنعه الخوف والمرض: (أحصر) وللمحبوس (حُصِر) وإمّا كان ذلك هو الحقّ لأنّ الرّجل إذا امتنع من التّصرّف فقد حبَسَ نفسه، فكأنّ المرض أحبسه أي جعله يحبس نفسه، وقوله: (حصرتُ فلاناً) إمّا هو حبسته لا أنه حبس نفسه، ولا يجوز فيه (أحصر)^٦".

وقال الرَّاعِب: "والحصرُ والإحصار المنع من طريق البيت، فالإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدوّ والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن، فقوله تعالى: {فإنّ

١- نفسه، ٤/٢٦٧

٢- ابن سيّدة، المحكم: ٣١٥/٨

٣- ابن سيّدة، المحكم: ٢٥/٢

٤- الرَّاعِب، المفردات: ص ١٢٧

٥- الرَّاعِب، المفردات: ص ٥٥٨

٦- الزّجاج، المعاني: ٢٠٩/١

أَحْصِرْتُمْ} [البقرة: ١٩٦] فمحمول على الأمرين وكذلك قوله: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة: ٢٧٣] وقوله عزّ وجل: { أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } [النساء: ٩٠] أي ضاقت بالبخل والجبن وعبر عنه بذلك، كما عبر عنه بضيق الصدر كما عبر عنه بالبر والسعة^١.
 وقال ابن سيدة: " وحصره يحصره حصراً فهو محصورٌ و حصير، وأحصرة، كلاهما : حبسه عن السفر وغيره. وفي التنزيل : { فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } [البقرة: ١٩٦] وقوله عز وجل: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة: ٢٧٣] قيل أحصرهم فرض الجهاد، أي منعهم من التصرف، وقيل معناه: أحصرهم عدوهم ؛ لأنه شغلهم بجهادهم له^٢.

٥. العناية بصيغ الإفراد والتثنية والجمع:

- فمن ذلك عند الزّجاج قوله في تفسير قوله تعالى: { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى } [الأنفال: ٦٧] ويقرأ "أسارى" فمن قرأ {أَسْرَى} فهو جمع أسير، وفعلى جمع لكلّ ما أصيبوا به في أبدانهم وعقولهم، يقال: " هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى"
 - ومن قرأ أسارى، فهو جمع الجمع، تقول: أسير، وأسارى...^٣ .
 - ومنه تعليل استخدام المفرد بمعنى الجمع، ومن أبرز أمثله: ما ذكره في تفسير قوله تعالى : { حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ... } [البقرة: ٧] : "فأما قوله [تعالى] {عَلَىٰ سَمْعِهِمْ} وهو يريد وعلى أسماعهم ففيه أوجه ثلاثة^٤: فوجه منها: أنّ السمع في معنى المصدر فوحد... "ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دلّ على معنى أسماعهم..."^٥
 وقال الراغب: " وقيل في الجمع أسارى، وأسارى وأسرى^٦ .
 - ومن ذلك قوله: اللحم: جمعه لحام، ولحوم، ولحمان.
 وقد يذكر الرّاغب بعض فوائد تتعلّق بالجمع ومن ذلك:
 - وقوله: " وقوله تعالى: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [المؤمنون: ٦٧] قيل معناه سمّاراً، فوضع الواحد موضع الجمع، وقيل بل السامر: الليل المظلم.^٧
 - وقوله: " والسما المقابل للأرض مؤنثة وقد تُذكَر، ويستعمل للواحد والجمع"^٨

١-الراغب، المفردات: ٢٣٩

٢- ابن سيدة، المحكم، ٩٣/٨

٣-الزّجاج، المعاني: ٢٦٥/٢

٤- ذكر وجهين ولم يذكر الثالث.

٥- نفسه، ١/ ٢٧٢، وانظر مزيداً من الأمثلة : ١/ ١٠١، ١١٨، ١٢٥، ٤/ ٢٦٩ .

٦- الراغب، المفردات: ٧٦

٧- الراغب، المفردات، ص٤٢٥

وقال ابن سيده: قال مجاهد: الأسير المسجون، والجمع أسراء، وأسارى وأسرى، وقال ثعلب: ليس الأسر بعاهة فيجعل أسرى من باب جرحى في المعنى، ولكنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللدغ، فكسّر على فعلى كما كسّر الجريح ونحوه...^٢

- وقد ينبّه إلى ما لا يجوز من صيغ الجمع:

ومن ذلك قول الزجاج في تفسير قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} [النحل: ٨١] " واحد الأكنان: كِنّ على وزن حمل وأحمال ولا يجوز أن يكون المفرد منها (كناناً) لأنّ جمع الكنان أكنة. أي جعل لكم ما يكئكم"^٣.

وقوله في تفسير قوله تعالى {مُكَيِّنَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: ٧٦] " وقرئت على رفارفٍ خضرٍ وعباقريٍّ"^٤ القراءة هي الأولى وهذه القراءة لا مخرج لها في العربية لأنّ الجمع الذي بعد ألفه حرفان، نحو: (مساجد ومفاتيح) لا يكون فيه مثل عباقريّ لأنّ ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب، لو جمعت (عبقريّ) كان جمعه (عباقرة) كما أنّك لو جمعت مهلبيّ كان جمعه مهالبة ولم يقل (مهالبي)^٥.

وقد يُحتكّم إلى صيغة الجمع في الكشف عن الفروق بين الألفاظ المشتركة ومن ذلك :

قول الراغب: "والسماء المقابل للأرض مؤنثة، وقد تذكر ويستعمل للواحد والجمع... والسماء الذي هو المطر يذكّر، ويجمع على أسمية"^٦.

وقال ابن سيده: " والسماء التي تُظِلُّ الأرض أنثى وقد تُذكّر وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى {السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ} [المزمل: ١٨] لا على النسب كما ذهب سيبويه، والجمع أَسْمِيَّةٌ وسُمِّيٌّ، وسمواتٌ، وسماءٌ... والسماء: المطر، مذكّر والجمع سُمِّيٌّ، قال:

تلّقه الرّياح والسّمّيّ

وسماء التّل أعلاها الذي تقع عليه القدم، وسماء البيت رواقه... وسمائته: كسمائه وسمائة كل شيء شخصته وطلعته، والجمع من كل ذلك سماءً وسماءً^١.

١- المفردات، ص ٤٢٧

٢- ابن سيده، المحكم، ٥٤٣/٨

٣- الزّجّاج، المعاني: ٨٧/٣

٤- قال ابن حيّان في (البحر المحيط، ١٩٩/٨) "وقال صاحب اللوامح: وقرأ عثمان بن عفان، ونصر بن عاصم، والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن، وزهير العرقبي

٥- الزّجّاج، المعاني، ١٩٧/٤، لم ينبه الراغب إلى هذا المنهى في المفردات، ص ٥٤٤، وكذلك لم ينبّه إليه ابن سيده: المحكم ٤١١/٢

٦- الراغب، المفردات: ٤٢٧

- وقد يستدل بالجمع على لام الفعل ومن ذلك:

قول الراغب: " وأصل ماءٍ مَوَّةٌ، بدلالة قولهم في جمعه: أمواه ومياه. في تصغيره مَوَّيه" ^١.
وقال ابن سيدة: " وهمزة ماءٍ منقلبة عن هاء بدلالة ضروب تصاريفه على ما أذكره الآن من جمعه وتصغيره، وجمع الماء أمواه ومياه" ^٢.

٦. عناية الرَّجَّاجِ و الرَّاعِبِ وابن سيدة بتناوب الأبنية الصَّرْفِيَّة:

وأمثلته قليلة عند الرَّجَّاجِ، كما أن استخلاصها لا يكون مباشراً دائماً عنده: ومنها- زيادة على ما سبق ذكره- قوله: " وقال أهل اللغة في (المحور) وهو العود الذي تدور عليه البكرة قولين: قال بعضهم: إنما قيل له (محور) للدوران؛ لأنه يرجع إلى المكان الذي زال منه، وقيل: إنما قيل له (محور) لأنه بدورانه ينصقل حتى يصير أبيض " انتهى النقل عن (المعاني) ومفهومه أن كلمة (محور) يتناولها معنيان: الفاعلية في المعنى الأول، والمفعولية في المعنى الثاني ومنها أن يقال للشجر، وجاز أن يقال للريح لقحت إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بالخير، وأتت بالعذاب... ويجوز أن يقال لها لواقح وإن لقحت غيرها لأن معناها النسب " انتهى، فهو يشير أولاً إلى تناوب الفاعلية والمفعولية على اللفظ الواحد، ويسوغ حمل الاحتمالين على الفاعلية إذا حُمِلَ المعنى على النسب : أي : ذات حمل" ^٤.

أما عند الرَّاعِبِ فأمثلته أكثر وضوحاً وعدداً، وأسهل وصولاً ومنها قوله: " ودمعٌ ساكبٌ: مَنْصُورٌ بصورة الفاعل، وقد يقال منسكب" ^٥.

قوله: " والمقام يكون مصدرأ، واسم مكان القيام، وزمانه... " ^٦.

وقوله: " والنبيُّ لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول الذكية وهو يصحّ أن يكون فعلاً بمعنى فاعل، لقوله تعالى: { نَبِيٌّ عِبَادِي } [الحجر: ٤٩]... وأن يكون بمعنى المفعول لقوله تعالى: { نَبِيٌّ أَلْعَلِيمُ أَلْخَبِيرُ } [التحریم: ٣].

وهو شبيهة بقول ابن سيدة : " وماءٌ سكبٌ، وساكبٌ، وسكوبٌ، وسيكبٌ وأسكوبٌ: منسكبٌ أو

١- ابن سيدة، المحكم: ٦١٠/٨

٢- الرَّاعِبِ، المفردات: ٧٨٤

٣- الرَّجَّاجِ، المحكم: ٤٤٥/٤، أكتفي في هذا النقل بمحلّ الاهتمام وذكر ابن سيدة في الاستدلال تصاريف يحسن الاطلاع عليها لمن طلب الزيادة

٤- الرَّجَّاجِ، معاني القرآن وإعرابه، ٣٢٥/١

٥- المفردات: ص ٤١٦

٦- المفردات، ص ٦٩١

مسكوب" ^١. وقوله: " و الطَّرْفُ : الفرس الكريم، وهو الذي يُطَرَفُ البصر من حسنه، فالطَّرْف في الأصل هو المطروف... " ^٢ وكلام ابن سيدة في المحكم يتضمّن المعنى ولا يصرّح به؛ قال: " والطَّرْف من الخيل: الكريم العتيق، وقيل: هو الطويل القوائم والعنق... " ^٣.

ومنه عند ابن سيدة أيضاً قوله: " والرتقُ: المرتوق " ^٤.

٧. التنبيه على ما طرأ على اللفظ من تغييرات صرفية:

ومن ذلك عند الزّجاج: قوله: " والأصل في يقيم (بِوَقِيم) والأصل في يُكرم (بِوَكْرَم) ولكنّ الهمزة حذفت لأنّ الضمّ دليل على الدّوات الأربعة " انتهى: أي ما كان من الأفعال رباعياً مهموزاً فإنّه يستدلّ على حذف همزته بالضمّة في حرف المضارعة " ^٥.

وقوله في تفسير قوله تعالى: { قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣] " وفي تذكرون وجهات في القراءة : بالتشديد في الذال؛ والمعنى: قليلاً ما تتذكرون، إلا أنّ التاء تدغم في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه . ومن قرأ { تَذَكَّرُونَ } فالأصل أيضاً تتذكرون إلا أنّه حذف إحدى التائين وهي التاء الثانية لأنهما زائدتان، إلا أنّ الأولى تدل على معنى الاستقبال، فلا يجوز حذفها، والثانية إنّما دخلت على معنى فعلت الشّيء على تمهّل، نحو (تَفَهَّمْت وتعلّمت) أي أحدثت الشّيء على مهل وتدخل على معنى إظهار الشّيء والحقيقة غيره، كقولك "تفتست" أي أظهرت أنني قيسي. " ^٦

ولعلّ أبرز أمثله عند الرّاعب قوله: " وقوله [تعالى] { فَأَدَّارَ أُنْمُ فِيهَا } [البقرة: ٧٢] هو تفاعلت، أصله تدار أتم، فأريد منه الإدغام تخفيفاً، وأبدل من التاء دالّ فسكّن للإدغام، فاجتلب لها ألف الوصل فحصل على افاعلت. " قال بعض الأدباء أدار أتم افتعلتم، وغلط من أوجه:

الأول: إنّ أدار أتم على ثمانية أحرف، وافتعلتم على سبعة أحرف .

والثاني: أنّ الذي يلي ألف الوصل تاءً فجعلها دالاً.

والثالث: أنّ الذي يلي الثاني دال فجعلها تاء .

والرّابع: أنّ الفعل الصّحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحرّكاً وقد جعله هاهنا ساكناً.

١- ابن سيدة، المحكم: ٦/٧٣٠

٢- الرّاعب، المفردات: ص ٥١٨

٣- ١٤٧/٩

٤- ابن سيدة، المحكم: ٦/٣٣١

٥- الزّجاج، المعاني: ١/٦٤

٦- الزّجاج، المعاني: ٢/١٩٧

والخامس: أن هاهنا قد دخل بين التاء والدال زائداً، وفي افتعلت لا يدخل ذلك.

والسادس: أنه أنزل الألف منزل العين وليست بعين .

والسابع: أن تاء افتعل قبله حرفان وبعده حرفان، وادّار أتم بعد التاء ثلاثة أحرف افاعلتم^١ .

وما جاء به الرّاعب هنا مفصّلاً أوفى به وأشفي .

ذكره الزّجاج ملخصاً فقال: " معناه : فتدار أتم فيها أي تدافعتم... ولكنّ التاء أدغمت في الدال

لأنّها من مخرج واحد، فلما أدغمت سكنت فاجتلبت لها ألف الوصل...^٢ .

واكتفى ابن سيّدة بالتلميح إلى الأصل فقال: " وتدار أ القوم : تدافعوا في الخصومة ونحوها واختلفوا،

وفي التنزيل: {فَادَارَ أْتُمْ فِيهَا} [البقرة: ٧٢]"^٣ .

٨. المخالفة بين المباني لاختلاف المعاني^٤ :

ومن ذلك قول الرّاعب: " التّسخير سياقة إلى الغرض المختص به قهراً والسّخرية والسّخرية

بفعل السّاخر"^٥ وقوله: "ورجل صيّتٌ: شديد الصوت، وصائت: صائح"^٦ .

قوله: "وفجرٌ مستطير، أي فاش،... وغبارٌ مستطار، خولف بين بنائهما، فثُصِّورُ الفجر بصورة

الفاعل، فقيل مستطير، والغبار بصورة المفعول، فقيل: مستطار و فرسٌ مطارٌ للسريع"^٧ .

- ومنه قوله في المخالفة بين أبنية المصادر :

قوله: "العدالة والمعادلة: لفظ يقتضي معنى المساواة، ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل والعدل

يتقاربان، لكنّ العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة، كالأحلام... والعدل والعدل فيما يدرك

بالحاسة..."^٨

وقال ابن سيّدة: " وسخّره يسخّره سِخْرِيًّا، وسُخْرِيًّا وسَخْرَةً: كلفه ما لا يريد وقهْرُهُ "...

وقيل: السّخرى بالضمّ من التّسخير والسّخرى، بالكسر من الهزء.

وقال في قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ} [الصّافات: ٤] " قال ابن الرّماني: معناه: يدعو

١- الرّاعب، المفردات: ٣١٤

٢- الزّجاج، المعاني: ١٢٤/١

٣- ابن سيّدة، المحكم: ٣٧٢/٩

٤- سبق ذكر تعريفه عند الكلام عن عناية الرّاعب بالتصريف كوسيلة لتقرير المعنى اللغوي.

٥- الرّاعب، المفردات: ٤٠٢

٦- الرّاعب، المفردات، ص ٤٩٦

٧- المفردات، ص ٥٢٩

٨- المفردات، ص ٥٥١، وانظر مزيداً من الأمثلة: مادة(عول)، ص ٥٩٧، مادة(غرر)، ص ٦٠٣، مادة(قبل)، ص ٦٥٣

بعضهم بعضاً إلى أن يسخر؛ ذهب إلى المعنى الغالب على هذا البناء، وعندى أن يستسخرون كيسخرون ، كعلا قرئه، واستعلاه"¹.

وقال الزجاج: "يَسْتَسْخِرُونَ" [الصّاقات: ٤: ١] أي إذا رأو معجزة استسخروا واستهزأوا "انتهى؛ كأنه يرى البناء نفسه يكون على المعنيين. وقال: {سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢] أي ليستعمل بعضهم بعضاً... وقيل سُخْرِيًّا أي يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً" انتهى؛ وكأنه ينوّه إلى ارتباط المبنى بالقهر"².

٩. **تقارب المعنى لتقارب الرسم والمبنى :** والظاهر من دراسة هذه المسألة عند العلماء الثلاثة اهتمام الرّاعب فيها اهتماماً زائداً على (نظيره في المقارنة) وذلك لأته- فيما يظهر واضحاً للدارس لمنهجه - يتجاوز العناية بمجرد الدلالة على المعنى إلى العناية بأليات هذه الدلالة، وكيف تنتج هذه الدلالة عنها . ومن أمثلة تقارب المعاني لتقارب المباني- زيادة على ما سبق ذكره-

قول الزجاج في شرح حديث الرؤيا"والذي جاء في الحديث مخفف (تضارون وتضامون)، وله وجه حسن في العربية، وهذا موضع يحتاج أن يستقصى تفسيره لأنه أصله في السنة والجماعة، ومعناه: لا ينالكم ضير ولا ضيم في رؤيته؛ أي ترونه حتى تستوا وفلا يضير بعضكم بعضاً ولا يضير بعضكم بعضاً"³.

- **قول الرّاعب:** " المعانئة كالمعاندة، لكنّ المعانئة أبلغ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك... ويقال للعظم المجبور إذا أصابه ألم فهاضه: قد أعنته"⁴.

- قوله: "القبض [بالصاد] التناول بأطراف الأصابع،... والقبض: تناول الشيء بجميع الكف"⁵.

- وقوله: "أصل المحص: تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز شيء من أثناء ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به، يقال: فحصت الذهب ومحصته...".⁶

وقال ابن سيدة: " وَعِنْدَ الرَّجُلِ يَعْنُدُ عِنْدًا وَعُنُودًا وَعِنْدٌ : عتا وطغى وجاوز قدره"¹. وقال: العنّت دخول المشقة على الإنسان ولقاء الشدة وقيل: العنّت الفساد، والعنّت الهلاك وعنّت العظم عنتاً فهو عنّتٌ : وهى وانكسر"².

١- ابن سيدة، المحكم، ٧٤/٥

٢- الزجاج، المعاني: ٤٠/٤

٣- الحديث سبق تخريجه، المعاني، ٧٦/٤

٤- الرّاعب، المفردات: ٥٩٠

٥- المفردات، ص ٦٥٢

٦- المفردات، ص ٧٦١

وقال الراغب: "البِتُّ يُقَارَبُ البِتَّ، لكن البِتَّكَ يستعمل في قطع الأعضاء والشَّعر... وأمَّا البِتُّ فيقال في قطع الحبل والوصل... والبشك مثله، يقال في قطع الثوب... البتر يقارب ما تقدّم لكن يستعمل في قطع الذَّنْبِ ثمَّ أُجْرِي قطع العقب مجراه" ^٣.

وقال في تفسير قوله تعالى: {وَتَبَيَّلُ إِلَيْهِ تَبْيِيلًا} [المزمل: ٨] أي انقطع في العبادة، وإخلاص النيّة انقطاعاً يختصُّ به... ^٤

وقد انتبه ابن سيده لهذا التقارب، ولكن في مواقع لألفاظ متفرقة على محالها في المحكم، فقال: "البِتُّكَ القَطْعُ، وقيل: هو أن تقبض على الشيء بيدك ثمَّ تجذبه حتى ينقطع، وقيل: هو قطع الشيء من أصله" ^٥. وقال: "بت الشيء يَبْتُهُ ويَبْتُهُ بئاً وابْتَهُ قطعهُ مستأصلاً" وقال: "البتر استئصال، الشيء قطعاً وقيل كلُّ قطع بتر" ^٦.

سمات بارزة في منهج التفسير اللغوي دراسة مقارنة لمناهج الزجاج والراغب وابن سيده فيها

أولاً: اعتمادهم التفسير بالمأثور.

مصادر التفسير بالمأثور:

أ) القرآن الكريم.

استخدم العلماء الثلاثة منهج تفسير القرآن بالقرآن على شيء من التفاوت فيما بينهم.

سلك الزجاج في استشهاده بالقرآن الكريم في تفسيره آيات قرآنية أخرى مسلكين، كانت له من ورائها مقاصد لغوية وشرعية مختلفة. أمّا المسلكان فهما:

١. مسلك الاستشهاد بالقرآن الكريم على سبيل التمثيل، وقد استخدمه الزجاج لمقصد إعرابي، ومن ذلك قوله في إعراب اللفظ القرآني: {غشاوة} [البقرة: ٧] "والرفع في {غشاوة} هو الباب، وعليه مذهب الفراء، والنصب جائز في النحو على أن المعنى: وجعل على أبصارهم غشاوة" كما قال -عز وجل-: {وَحَنَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} [الجاثية: ٢٣].

١- ابن سيده، المحكم: ١٩/٢

٢- ابن سيده، المحكم: ٥١/٢

٣- الراغب، المفردات، ١٠٧، ١٠٦

٤- الراغب، المفردات، ص ١٠٧

٥- ابن سيده، المحكم: ٧٩٩/٦

٦- ابن سيده، المحكم: ٤٨٣، ٤٦٧/٩

ومن استخدام الاستشهاد بالقرآن لمقصد عقدي قوله: " ويجوز والله أعلم- وهو الوجه المختار عند أهل اللغة- أن يكون معنى {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥] يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسمى جزاء الذنب باسمه، كما قال -عزّ وجل- {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: ٤٠] فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكن سميت سيئة لازدواج الكلام، وكذلك قوله-عزّ وجل-: {فَمَنْ أَعَدَّىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]، فالأول ظلم والثاني ليس بظلم، ولكنه جيء في اللغة باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به...^١

- ومنها ما يتعلق بالتوجيه البلاغي العقدي، كتوجيهه للأمر في قوله تعالى: {وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء: ٦٤] بأنّ الأمر إذا تقدّمه نهياً عما يؤمر به، فالمعنى في الأمر الوعيد والتهديد...

- ومما يتعلق بالتوجيه المعنوي تفسير اللفظ باستقراء وروده في القرآن، ومثاله:

قوله في تفسير الآية الكريمة: {مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة: ١٦] "... ومعنى متقابلين ينظر بعضهم في وجوه بعض، ولا ينظر في أفعال بعض، وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة، ومن ذلك قوله -عزّ وجل-: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَابِلِينَ} [الحجر: ٤٧].

٢. مسلك الاستشهاد بآيات القرآن على سبيل الاستدلال: ومن ذلك قوله: " والدليل على أنّ (المحصنات) هنّ (العفائف) قوله: {وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [التحريم: ١٢] أي أعت فرجها"^٢ وهو استشهاد مرتبط بمقصد شرعي يتعلق بأحكام النكاح.

وقد يكون الاستدلال للنحو: ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} [النور: ١٠]: ها هنا جواب (لولا) متروك. والمعنى-والله أعلم- ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب لما ذكرنا عذاب عظيم. ويدل عليه {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٤]^٣ والزجاج حريص على الاستدلال للمقاصد العقدية، ومن ذلك استشاده بقوله تعالى: {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ٩٣] وقوله: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} [النساء: ١٥٥] على أنّ التزيين الوارد في قوله تعالى: {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} [الأنعام: ١٠٨] بأنّ الله يطبع على قلوب الضالين

١- سبق ذكر هذا المثال مع أمثلة أخرى في مكانه من مطلب: مصادر التفسير بالمأثور عند الزجاج (التفسير بالقرآن).

٢- الراغب، معاني القرآن وإعرابه: ٢٤/٢

٣- الراغب، معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٢/٣

ويهدي المحسنين . ومما استدل به أيضاً قوله تعالى: {أَقْمَنَ زَيْنٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: ٨].^١

يلاحظ أن الزجاج يشير هنا إلى الخلاف بين أهل السنة والجماعة من جهة، وبين المعتزلة من جهة أخرى، وممن فسّر هذه الآية على منهج أهل السنة الحافظ ابن كثير؛ قال: "كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ" [الأنعام: ١٠٨]: أي كما زينا لهؤلاء القوم حبّ أصنامهم، والمحاماة لها والانتصار كذلك، زينا لكلّ أمةٍ -أي من الأمم الحاليّة على الضلال - عملهم الذي كانوا فيه، والله الحجّة البالغة، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره".

وفي تفسير قوله تعالى: {زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: ٤] قال ابن كثير: "أي حسناً لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم، وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة، كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ} [الأنعام: ١١٠]"^٢ ويمثّل رأي المعتزلة - من المتأخرين كذلك - الزمخشري: قال في تفسير قوله تعالى: "كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ" [الأنعام: ١٠٨] "مثل ذلك التزيين زينا لكلّ أمة من الأمم الكفار سوء عملهم، أي خليناهم وشأنهم، ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم، أو أمهلنا الشيطان حتى يزين لهم، أو زيناه في زعمهم وقولهم: إن الله أمرنا بهذا أو زينه لنا"^٣.

وقال ما يشبه ذلك في تفسير قوله تعالى: {زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: ٤]، وقد جاء في تعقيب أحمد بن المنير على تفسير الزمخشري لهذه الآية "وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصّلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله للعبد إلا ما هو مصلحة، فمن ثمّ جعل إسناد التزيين إلى الله مجازاً، وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لفاز بالصواب..."^٤. وهذا التنبيه عند أهل السنة في هذا المقام مبعثه سدّ الذريعة في وجه اعتقاد المعتزلة بأنّه واجب على الله فعل ما هو أصلح!

الاستشهاد بالقرآن الكريم عند الرّاغب

أورد الرّاغب الأصفهاني الشّاهد القرآني لثلاثة مقاصد رئيسة سبق ذكرها بأمتلتها وهي:

- ١- الرّاغب، معاني القرآن وإعرابه: ١٧٤/٢
- ١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مجلد ٢، مرجع سابق، ص ١٧٠، ومجلد ٣، ٣٦٨
- ٣- الزمخشري، الكشاف، تحقيق خليل محمود شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ٤- المرجع السابق، صفحة ٧٧٥، وحاشية ابن المنير، رقم ٤ من نفس الصفحة.

١. المقصد التفسيري؛ حيث يربط شرحه لآية من الآيات بمعنى ورد في آية أخرى ومن أمثلة ذلك سوى ما سبق ذكره قوله: " أصل الغمر: إزالة أثر الشيء، ... والغمرّة: معظم الماء الساترة لمقرّها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها، وإلى نحوه أشار بقوله: {فَأَغْشَيْنَاهُمْ} [يس: ٩] ونحو ذلك من الألفاظ قال: {فَدَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ} [المؤمنون: ٥٤] و{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ} [الذاريات: ١١] وقيل للشدائد غمرات قال تعالى: {فِي غَمْرَاتٍ أَلْمُوتِ} [الأنعام: ٩٣]...^١ وقوله: " وليلة المعراج سميت لصعود الدعاء فيها إشارة إلى قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠]"^٢.
 وقوله: " وقيل معنى {عُضِينَ} [الحجر: ٩١] ما قال تعالى: {أَفْتُونُونِ بَبَعْضِ الْكُتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَبَعْضِ} [البقرة: ٨٥]"^٣.

٢. مقصد الاستدلال للمعنى بالشاهد القرآني، ويشمل:

التمثيل للمعنى المجرد، ومن أمثلته قوله: " وقوله تعالى: {أَلْحَاقَهُ * مَا أَلْحَاقَهُ} [الحاقة: ١، ٢] إشارة إلى يوم القيامة، كما فسره بقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ} [المطففين: ٦] لأنه يحق فيه الجزاء"^٤. ويشمل النسبة العظمى من الشواهد القرآنية في الكتاب.
 ومنه الاستدلال بالشاهد القرآني على الفروق بين الألفاظ التي ظاهرها الترادف، كقوله: " ويقال: حاكم وحُكّام لمن يحكم بين الناس، قال تعالى: {وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} [البقرة: ١٨٨] والحكّم المتخصّص بذلك فهو أبلغ، قال تعالى: {أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَعِي حَكَمًا} [الأنعام: ١١٤] وقال عزّ وجل: {فَابْتَعُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥]، قيل: وإنما قال حكماً ولم يقل حاكماً، تنبيهاً أنّ من شرط الحكمين ان يتوليا الحكم عليهم ولهم حسب ما يستصوبانه من غير مراجعة في تفصيل ذلك..."^٥
 ومنه الاستدلال على الوجه المختار من معاني اللفظ، كقوله: "فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرّة، واسودادها عبارة عن المساءة ونحوه: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ أَظْلًا وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاسِرٌ} [النساء: ١٥]".

١- الرّاعب، المفردات: ٦١٤

٢- الرّاعب، المفردات، مادة عرج، صفحة ٥٥٧.

٣- الرّاعب، المفردات، مادة عضّة، صفحة ٥٧١.

٤- الرّاعب، المفردات: مادة حقّ، ص ٢٤٧

٥- الرّاعب، المفردات مادة حكم، ص ٢٤٩

كَطِيمٍ} [النحل: ٥٨] وحمل بعضهم الابيضاض والاسوداد على المحسوس والأول أولى لأن ذلك حاصلٌ لهم سوداً كانوا في الدنيا أو بيضاً، وعلى ذلك دلّ قوله في البياض:

{وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} [القيامة: ٢٢] وقوله في السواد: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة: ٢٤]¹

٣. مقصد التمثيل للمعنى بشاهد قرآني ويشمل:

التمثيل لمسائل الاشتقاق، ومن ذلك قوله: "قال الله عزّ وجل: {أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ أَلْفُدُسٍ} [المائدة: ١١٠] فعَلْتُ من الأيد: أي القوة الشديدة"².

تقديم الشاهد القرآني مدخلاً لمناقشة أقوال العلماء في الاشتقاق فيما يتعلق بالمعنى القرآني³. الاستشهاد بالشاهد القرآني على أصل الاشتقاق، وقد سبق ذكر أمثله والإحالة إلى بقيتها في (المفردات) ومنها: وقوله تعالى: {أَسْتَعْلِيهِمْ بِمُصِطَرٍّ} [الغاشية: ٢٢] وقوله {أَمْ هُمُ الْمُصِطَرُّونَ} [الطور: ٣٧] فإنه يقال تسيطر فلان على كذا وسيطر عليه إذا قام عليه قيام سطر⁴.

الاستشهاد لما يرد على اللفظ من صيغ الأفعال والمصادر، ومن ذلك ما سبق ذكره من مادة عرَضُ

الاستشهاد لصيغ الأفراد والجمع، ومنه قوله: "والمشرق والمغرب إذا قيما بالإفراد فأشارة إلى ناحيتي المشرق والمغرب، وإذا قيما بلفظ التننينة فأشارة إلى مطلعَي ومغربَي الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه، قال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [الشعراء: ٢٨]، {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧] {يَرْبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [المعارج: ٤٠] ..."⁵

- التمثيل لتناوب الأبنية الصرفية: ومن أمثله: قوله: "و {يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود: ٧٧]: شديد، يصحُّ أن يكون بمعنى فاعل، وأن يكون بمعنى مفعول. أي يومٌ مجموعُ الأطراف، كقولهم: يومٌ ككفة حابل، وحلقة خاتم"⁶.

١- الرّاعب، المفردات مادة سود، ص ٤٣٢

٢- الرّاعب، المفردات مادة: أيد، ص ٩٧

٣- سبق ذكر مثاله، الرّاعب، المفردات، مادة خلّ، ص ٢٩١

٤- مدخل: سطر، ٤٠٩

٥- الرّاعب، المفردات، ص ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١

٦- المفردات مادة: شرق، ص ٤٥١

٣- المفردات: مادة عصب، ص ٥٦٨

قوله : " والوكيل فعيل بمعنى المفعول، قال تعالى: { وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: ٨١] أي اكتف به أن يتولى أمرك، ويتوكل لك وعلى هذا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣] و { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } [الأنعام: ١٠٧] أي بموكل عليهم وحافظ لهم " .

وهو في هذه الأمثلة وغيرها، يهتم بالتطبيق ولا يركز عنايته على التأصيل، ومع ذلك قد يرد في كلامه بعض التنبيهات النظرية، كما في المثال الأول.

- التمثيل للوجوه الدلالية: ومن أمثله قوله: ^٢ "أحد: يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط، والثاني في الإثبات وأما المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه ...^٣ .

- قوله: "ذو على وجهين: أحدهما يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس والأنواع، ويضاف إلى الظاهر دون المضمرة، ويثنى ويجمع،... ولا يستعمل في شيء منها إلا مضافاً، قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ} [البقرة: ٢٥١]، وقال: { ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ } [النجم: ٦]... والثاني في لفظ ذو لغة طيء، يستعملونه استعمال الذي "^٤ .

- قوله : "وقوله تعالى: { فَأَخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا } [المؤمنون: ١١٠] و { سِحْرِيًّا }، فقد حمل على الوجهين : على التسخير، وعلى السخرية. [وعلى السخرية] قوله تعالى: { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَا هُمْ سِحْرِيًّا } [ص: ٦٣، ٦٢]، ويدل على الوجه الثاني قوله بعد: { وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ } [المؤمنون: ١١٠] "^٥ .

التمثيل لضروب معاني اللفظ المعرف: ومن ذلك قوله: "أقال بعضهم : البيان يكون على ضربين: أحدهما بالتسخير، وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار الصنعة، والثاني: بالاختيار، وذلك إما ان يكون نطقاً او كتابةً أو إشارة؛ فمما هو بيان بالحال قوله [تعالى]: { وَلَا يَصُدَّقْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [الزخرف: ٦٢] أي كونه عدواً بين في

١- المفردات : مادة وكل، ص ٨٨٢، وقوله الوكيل فعيل بمعنى المفعول: المقصود بمعنى الموكل.

٢- مادة: أحد، ص ٦٦

٣- سبق ذكره وانظر بقية الشواهد، والإحالات إلى ما لم يورد، في محله من البحث.

٤- المفردات : مادة ذو، ص ٣٣٣

٥- المفردات: مادة سخر، ص ٤٠٢، أنظر المزيد من ذلك : مادة حشر، حين، ٢٣٧، حيي، ٢٦٨، رد، ٣٤٨، رسل، ٣٥٣، رفع، ٣٦١، سمع، ٤٢٥، صلى، ٤٩١، ضر، ٥٠٤، قدر، ٦٥٨، قضى، ٦٧٤، كتب، ٦٩٩، هدى، ٨٣٥، هلك، ٨٤٣، ٨٤٤، هون، ٨٤٨، ٨٤٩، وجب، ٨٥٤، وجه، وحد، ٨٥٧.

٦- الرأغب، المفردات، مادة: بيان، ١٥٧، ص.

الحال، ومما هو بيانٌ بالاختيار: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الدُّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل: ٤٣، ٤٤] ^١.

التمثيل للتطور الدلالي (أثر الاستعمال)، ومن أمثله:

- ما يتعلّق بتحوّل الدلالة: كقوله: " ويستعار الرّجم للرّمي بالظن، والثوّه، وللشتم والطرّد، نحو قوله تعالى: { رَجْمًا بِالْغَيْبِ } [الكهف: ٢٢] ^٢.

- قوله: " فالريحان ما له رائحة، وقيل رزق ثمّ يقال للحبّ المأكول ريحان في قوله تعالى: { وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ } [الرحمن: ١٢] وقيل لأعرابي إلى أين؟ فقال أطلب من ريحان الله، أي من رزقه، والأصل ما ذكرنا ^٣.

- قوله: " ولكون الريش للطائر كالثياب للإنسان استعير للثياب، قال تعالى: { وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْقَوَى } [الأعراف: ٢٦] ^٤.

- التمثيل لتخصيص الدلالة نتيجة تطوّر الاستعمال، ومن أمثله قوله: " السعي المشي السريع، وهو دون العدو ويستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أم شراً...، وخصّ السعي فيما بين الصفا والمروة من المشي، وخصّت السعاية بالنميمة، وبأخذ الصدقة، وبكسب المكاتب لعنق رقبتة. والمساعة بالفجور، والمساعة بطلب المكرمة، قال تعالى: { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ } [سبأ: ٥] أي اجتهدوا أن يظهروا لنا عجزاً فيما أنزلناه من الآيات ^٥.

- قوله: " والتوديع أصله من الدعاء، وهو أن تدعو للمسافر بأن يتحمّل عنه كآبة السفر، وأن يبلغه الدّعة كما أنّ التسليم دعاء له بالسلامة، فصار ذلك متعارفاً في تشبيح المسافر وتركه، وعبر عن الترك به في قوله: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } [الضحى: ٣] ^٦.

- التمثيل لتعميم الدلالة نتيجة لتطوّر الاستعمال، ومن ذلك: قوله: " وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء المالح دون العذب، وقوله تعالى: { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ

١- سبق ذكر الكثير من الأمثلة والإحالات في محله.

٢- الرّاعب، المفردات، مادة: رجم، ٣٤٥ انظر بقية الأمثلة والإحالات في محله من البحث.

٣- الرّاعب، مادة: روح: ص ٣٧٠، ٣٦٩

٤- الرّاعب، مادة: ريش: ص ٣٧٢

٥- الرّاعب، المفردات، مادة: سعي، ص ٤١٨، ٤١١

٦- الرّاعب، المفردات، مادة: ودع، ص ٨٦١، انظر المزيد من الأمثلة في المواد: ردّ ٣٤٩، زحر ٣٧٨، سرق ٤٠٨، سعد ٤١٠، سفر ٤١٢، عطا ٥٧٢، فرج ٦٢٨، فرض ٦٣١، هدى ٨٣٩، وقع ٨٨٠، ولي ٨٨٥.

أَجَاجُ} [الفرقان: ٥٣]: إنما سمي العذب بحراً لكونه مع الملح، كما قال للشمس والقمر: قمران، وقيل للسحاب الذي كثر ماؤه: بنات بحر"^١

قوله: " بسط الشّيء: نشره وتوسيعه، فتارةً يتصور منه الأمران، وتارةً يتصور منه أحدهما ويقال: بسط الثوب: نشره،... واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب وتأليف ونظم، قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ} [البقرة: ٢٤٥] وقال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ} [الشورى: ٢٧] أي لو وسّعه، {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧]"^٢.

- قوله: "... وتصور من قطع الأرض القطع المجرد، فقيل: جدّدت الثوب إذا قطعت على وجه الإصلاح، وثوبٌ جديد: أصله مقطوع، ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه، قال تعالى: {بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق: ١٥] إشارة إلى النشأة الثانية..."^٣.

- التمثيل لمجال الاستعمال، ومن ذلك:

- قوله: " ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، قال الله تعالى: {وَأَبَعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الشعراء: ٣٦]" ثم ذكر مجموعة من الآيات كشواهد على ذلك"^٤.

- قوله: " والدورة والدائرة في المكروه، كما يقال: دولة في المحبوب، وقوله تعالى: {نَحْشِيْ أَنْ نُصَيِّبَنَّكَ دَائِرَةً} [المائدة: ٥٢]"^٥.

- التمثيل بالشاهد القرآني على الفروق اللغوية، ومن ذلك: قوله: "وقوله تعالى: {مُعْتَدٍ أُنْتُمْ} [القلم: ١٢] أي أنتم، وقوله تعالى: {يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ} [المائدة: ٦٢] قيل أشار بالإثم إلى نحو قوله: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] وبالعدوان إلى قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥] فالإثم أعم من العدوان"^٦.

ومن هذه الفروق ما يتعلق بمعاني صيغ المصادر، ومن أمثلته قوله: " يقال: رابني كذا، وأرابني، فالرّيب: أن تتوهم بالشّيء أمراً فيتكشف عما تتوهمه فيه، وبهذا قال: {لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة: ٢] والإرابة أن تتوهم فيه أمراً فلا ينكشف عما تتوهمه فيه، قال الله تعالى: { يَأْتِيهَا النَّاسُ

١- الرّاغب، المفردات، مادة بحر، ص ١٠٨، وانظر بقية الأمثلة في محلها من البحث كما سبق ذكره.

٢- الرّاغب، المفردات، مادة: بسط، ص ١٢٣

٣- الرّاغب، المفردات، مادة: جدّ، ص ١٨٧

٤- المفردات: مادة حشر، ص ٢٣٧

٥- المفردات: مادة دار، ص ٣٢١

٦- الرّاغب، المفردات، مادة: أنتم، انظر بقية الأمثلة في محلها من البحث

إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ { [الحج: ٥] ... وقوله: ريب المنون، سمّاه ريباً لا لأنه مشكك في كونه، بل من حيث تُشكك في وقت حصوله، فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته، لا من جهة كونه...^١.

- التمثيل للفروق في معنى اللفظ باختلاف الاعتبار المنظور فيه إليه:

قوله: " والحسنة والسيئة ضربان: أحدهما بحسب اعتبار العقل والشرع، نحو المذكور في قوله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا} [الأنعام: ١٦٠] وحسنة وسيئة بحسب اعتبار الطبع وذلك ما يستخفه الطبع وما يستثقله، نحو قوله: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف: ١٣١] وقوله: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ} [الأعراف: ٩٥]...^٢.

أما ابن سيدة، ف تفسير القرآن بالقرآن لا يشكّل عنده ظاهرة واضحة:

فأمثله- في الحدود التي اقتصر عليها نطاق هذا البحث- نادرة جداً تعدُّ على أصابع اليد وهي تتوزع على مقاصد مختلفة، منها ما يتعلق بعلوم القرآن في باب المحكم والمتشابه، وهو ينقل ذلك عن الزجاج من دون نسبة.

وبعض ذلك إنما هو من باب جمع النظر إلى النظر أكثر من كونه استدلالاً، كالأيات المشتملة على الإحصار في الحج^٣.

ويلاحظ أن ابن سيدة يغلب على استشهاده بآيات القرآن مسلك التمثيل لا مسلك الاستدلال.

و خلاصة القول في مقارنة هؤلاء العلماء الثلاثة ومقاصدهم، سلوكهم في الغالب مسلكين:

١. الاستشهاد على سبيل التمثيل وقد يغلب عليه الطابع التفسيري في بعض أمثله عند الراغب، وقد يكون تمثيلاً مجرداً. بينما يغلب على مسلك الزجاج وابن سيدة التمثيل التفسيري.

٢. الاستشهاد على سبيل الاستدلال

أما مقاصدهم من ذلك فتتوزع على المقاصد العقدية، والتشريعية، ويميل الزجاج زيادة على نظيره في المقارنة إلى التوظيف بمقصد إعرابي بينما أكثر الراغب من توظيف الشواهد لمقاصد صرفية أو اشتقاقية وبرع في توزيعها على المباحث الدلالية كالاستشهاد للفروق وأثر التطور اللغوي بأشكاله المختلفة والتقسيمات المنطقية التي برع في تشويق المعاني وتوزيعها عليها،

١- الراغب، المفردات، مادة: ريب وانظر بقية الأمثلة في محلها من البحث

٢- مادة: سوا/ ٤٤١

٣- ابن سيدة، المحكم: ١٤٣/٣

كالاستشهاد التمثيلي لضروب معاني اللفظ المعرف، والاستشهاد لتوزيع المعنى على الاعتبارات المختلفة، والراغب بارع في تفصي الآيات الواردة على الموضوع الواحد وتحليل العلاقات بين الألفاظ والمعاني مما استحق به أن يكون رائد التفسير الموضوعي. وهو زيادة على تفوقه النوعي في مجال تفسير القرآن بالقرآن، متفوق على نظيره بغزارة هذه الظاهرة في كتابه بحيث لا تكاد تخلو منها صفحة!

الحديث الشريف كمصدر للتفسير بالمأثور عند الزجاج والراغب وابن سيدة/مقارنة

١. مصادر الرواية: لم يصرح الزجاج والراغب بمصدرهما في الرواية، مع أن الزجاج ذكر سنداً تاماً عن شيخه إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن شيخه مسدد بن مسرهد- شيخ الإمام البخاري (ت ٢٨٢هـ) بلغت طرقه تسع عشرة طريقاً. وكذلك لم يذكر الراغب اسم واحد من شيوخه في الحديث، ولم يسم مصادرهم في روايته.

في حين سمى ابن سيدة في منظومته المشهورة أبا عبيد فيمن تلقى عنهم الحديث، وسمى مصادرهم التي روى عنها في المحكم، ومنها كتاب (غريب الحديث) لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥) - وهو غير إسماعيل بن إسحاق القاضي - "روى المخلص عن أبيه قال: كان إسماعيل القاضي يشتهي أن يلتقي إبراهيم، فالتقيا يوماً وتذاكرا، فلما افترقا سئل إبراهيم عن إسماعيل فقال: إسماعيل جبل نُفخ فيه الروح، وقال إسماعيل: ما رأيت مثل إبراهيم".^١ صرح ابن سيدة بالنقل عنه في "حديث كسوف الشمس"^٢ وكلا هذين الرجلين كما ورد في ترجمتهما تلقيا الحديث عن مسدد شيخ البخاري. ومن مصادر ابن سيدة في الحديث أيضاً: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، والغريبين للهروي.

٢. أما من حيث عدد الأحاديث التي أوردها كل منهم، فقد أورد الزجاج ثمانين حديثاً، نصفها تقريباً في أسباب النزول. وأورد الراغب - في (مفردات ألفاظ القرآن) ثلاثمائة وخمسة وأربعين شاهداً، وأورد ابن سيدة في المحكم تسعمائة وستين حديثاً وظف القليل منها في التفسير اللغوي.

٣. لم يستشهد العلماء الثلاثة بالحديث الشريف لمسائل النحو، ويغلب على الظن من خلال تتبع هذه الدراسة لكتاب (معاني القرآن وإعرابه) أن الزجاج لم يستشهد بالحديث لمسائل الصرف

١- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، مرجع سابق، جزء ١٣، ص ٣٥٧.

٢ ابن سيدة، المحكم، ٦٩/٩.

والاشتقاق. أمّا الرّاعب الأصفهاني فقد استشهد بالحديث لمسائل الاشتقاق كما استشهد لمسائل التطوّر الدلالي، كتخصيص الدلالة، وتعميمها، وانتقال الدلالة، وبيان أضرب معاني اللفظ المعرّف ...

٤. وقد غلب على الثلاثة توظيف الاستشهاد بالحديث للمقصد اللغوي، وهو ما انحصر فيه الاستشهاد عند الرّاجح وابن سيّدة.

وقد وظّف الرّاجح الاستشهاد بالحديث لمقاصد عقديّة، وتشريعيّة ولغويّة. وكذلك فعل الرّاعب، إلا أنّ الجانب اللغوي عند الرّاعب غلب عليه الطابع الدلالي، وانسحب ذلك على اختياره للشواهد. أمّا ابن سيّدة فانحصر استشهاده بالحديث في المعنى اللغوي - وبخاصة المعجمي - ، وفي ذلك محلّ للمقارنة بالرّاجح والرّاعب، حيث تعدّيا المعنى اللغوي المعجمي أو المجرّد إلى المعنى اللغوي التركيبي غالباً، في حين يغلب على ابن سيّدة الاكتفاء بالمعنى المعجمي.

مناهج الرّاجح والرّاعب وابن سيّدة في الاستشهاد بالشعر

سبق ذكر ما وصفه الرّاجح بأنّه "من مدرسة المعلّمين" التي من قوام منهجها العناية بدراسة ورواية الأشعار والأخبار، وهي صفة تتجلى في أعمال أستاذه أبي العباس ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرّد، كما تتجلى في تلاميذه، ومنهم أبو القاسم الرّاجح، وأبو علي الفارسي، والحسين بن بشر الأمدي^١. اختار العلماء الثلاثة شواهدهم في الغالب من المدة التي تسمّى بعصر الاستشهاد، وهي كما حددها الأصمعيّ وشاع اعتمادها بعده، حيث استقرّ الأمر على أن عدّوا ابن هرمة (ت ١٥٠هـ) وبشّار بن برد (ت ١٦٧هـ) أوّل الشعراء المحدثين المولدين الذين لا يحتج بشعرهم. فإذا تأمل المرء شواهد الرّاجح - واعتبر المائة شاهد الاولى عينةً يقاس عليها، فإنّه يجدّ شواهد الشعر الجاهلي تساوي أربعين بالمائة من هذه الشواهد. في حين تمتدّ بقية فترة الاستشهاد إلى عهد مبكّر من أيّام الأمويين ولا تمتدّ إلى العصر العبّاسي. منهم ما يزيد على العشرة بالمائة من المخضرمين وما يقارب العشرة بالمائة من المجهولين، نصفهم تقريباً أمكن التّعرّف عليهم - وكلّهم ينتمون إلى عصر الاستشهاد - ولعله أخذ في ذلك بتحديد أبي عمرو بن العلاء الذي يذكر أنّه توقّف في تحديد عصر الاستشهاد عند طبقة جرير والفرزدق .

١- الرّاجح، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، مرجع سابق، ص ١٨

أما شواهد الرّاعب في كتابه (المفردات) فقد توسّع عن النّطاق الذي خطّه الرّجّاج لنفسه، فنجده يستشهد لشعراء من العصر العبّاسي الثّاني؛ أي ممّن امتدّت حياته إلى بدايات القرن الثّالث الهجري، ومع ذلك غلب على الرّاعب الاستشهاد بالشّعْر الجاهلي ثمّ الإسلامي بحيث تقل نسبة الشّواهد المنتمية إلى العصر كلما تأخّرت الطبقة.

وكذلك توزّعت شواهد (المحكم) متدرّجة بنسبتها إلى كلّ مرحلة، بحيث تزيد فيها الشّواهد المنتمية إلى الطبقات الأولى، وتقلّ في الطبقات الأخيرة، ولكن يبدو أنّ شيئاً من المرونة قد طرأ على نطاق الاستشهاد وقد برزت في (المحكم) ظاهرة استئثار بعض الشعراء والرّجّاز في العصر الإسلامي، والأموي على أبناء طبقاتهم، وخاصّة الرّجّاز، وشعراء النقائض، كما احتلت أشعار الهذليين مساحة واسعة في نطاق الاستشهاد، تليها أو تزامنها أشعار التّميميين. وهي ظاهرة لم تبرز في (معاني الرّجّاج) أو (مفردات الرّاعب).

وقد ظهرت في هذه الكتب الثلاثة، كما ظهرت في غيرها من كتب اللغة والنحو فجوة لم تنزل تحتاج إلى تجسير بين بعض الشّواهد والقضايا اللغوية المستشهد لها، أكثر ما تتمثل في غياب نسبة عدد من الشّواهد إلى قائلها ممّا يسترعي الاهتمام؛ لحساسية وظيفة كل شاهد، ولكون هذه الأهميّة لا تسوّغ مجرد النّظر إلى نسبتها العددية نظرة تغفل أثرها في حركة الدّرس اللغوي التفسيري. وقد تتمثل هذه الفجوة في شكل آخر من أشكال ضعف الصّلة بين الشّاهد وقضيّته، وهو كون بعض الشّواهد يروى منسوباً إلى أكثر من قائل أحياناً، أو يروى بروايتين اختلفت في أحدهما بعض الألفاظ - على أنّ هاتين الهاتين نادراً ما تقع عليهما العين في كتب هؤلاء العلماء، حتى لو سلكت في النّظر إليهما مسلك المقارنة- ومع ذلك فهي تستحقّ الحذر في الدّراسات اللغوية و التفسيرية العامّة، ولا يعدم من يستقرئ الشّواهد استقراءً تاماً أن يجد بيتاً اختلف في نسبته، وعلى سبيل المثال فقول الفرزدق في وصف استضافته للذئب:

تعشّ فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

تجده في حاشية(المعاني)¹ منسوباً إلى أبي الأحرز الخُماني، في حين أنّ القصيدة مشهورة ومثبتة في ديوان الفرزدق² والبيت في ديوان الفرزدق بالنصّ الآتي:

تعشّ فإن واتقتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

١- تحقيق أحمد فتحي عبد الرّحمن، مجلد ١، ص ١١٨، حاشية ١
٢- دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، مجلد ٢، صفحة ٣٢٩.

وهو في (معاني القرآن وإعرابه للزجاج) بصيغة:

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

تعال فإن عاهدتني لا تخونني

وشبيه بذلك الشاهد الوارد في المعاني بصيغة:

إنّ الحديد بالحديد يفلح

قد علمت خيلك أنّي الصحصح

وقد نسبه البعض إلى مصعب بن الصحصح، من قادة الأمويين الذين قاتلوا الخوارج، ونسبه البعض إلى رجلٍ من الخوارج يخاطب مصعباً، بلفظ:

قد علمت خيلك يا ابن الصحصح:

ومن ذلك الشاهد الذي يرويه الزجاج دون نسبة:

أربتُ وإن عاتبته لان جانبُهُ^١

أخوك الذي إن ربته قال إنّما

حيث اختلف رواية اللغة في نسبته، فبعضهم نسبه لبشار وبعضهم نسبه للمتلمس العبديّ- من شعراء الجاهليّة-، وقد ورد التشكيك في أنّ بشاراً سطا عليه من شعر المتلمس، على لسان الرواة الأوائل؛ فقد روى صاحب (الأغاني) عن إسحاق الموصليّ عن ابي عبيدة معمر بن المثنى أنّه قال لبشار أنّ شبيلاً أخبره أنّها للمتلمس، فقال: "كذب والله شبيلاً: هذا شعري ولقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ديناراً". انتهى.

ومع ذلك دافع أبو الفرج الأصفهاني عن بشار ونفى عنه التهمة^٢. والقصيدة موجودة في ديوان بشار، وفي ديوان المتلمس، وقد نسبها ابن المعتز في (طبقات الشعراء) إلى المتلمس، وزيادة على ذلك فقد ورد البيت من حيث الضبط في (إنما أربت) مرّةً بالضمّ كما هو في نسخة (المعاني) التي اعتمدها هذه الدراسة، ومرّةً بالفتح. فأما على رواية الضمّ فالمعنى أنّ هذا الصديق ينفي عن صديقه أنّ يتسبّب له في الرّيب، ويسند ذلك إلى نفسه تمسكاً بصحبة صاحبه، أو قاصداً الاعتذار؛ حيث: "تقول: "رابني فلان" إذا علمت الرّيبة فيه، وأرابني إذا أوهمني الرّيبة" في حين تحتمل رواية الفتح المعنيين. حيث الهمزة للتعدية، بمعنى جعل، فيحتكم إلى السّياق في إفادتها العلم أو إفادتها الوهم.

١- الزّجاج، المعاني: ٦١/١

٢- انظر: الأغاني، طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، مصورة عن طبعة بولاق الأصلية، ج٣، ص٤٨.

٣- الزّجاج، المعاني: ٦١/١

نقد رواية الشاهد الشعري عند الزجاج والراغب وابن سيدة/مقارنة :

اعتنى العلماء الثلاثة باختيار مصادرهم في رواية الشاهد الشعري، وتجد عند الزجاج ما سبق ذكره من تكرّر التنبية على أصول الرواية والإنكار على من يذكر شاهداً دون نسبة^١ وهو كثيراً ما يردُّ الرواية إذا خالفت القياس، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥] "وقرأ ابن عباس (أمه) والأمة النسيان، يقال: أمة يأمه أمها. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة (أمه) بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدر [أنه]^٢ يأمه أمها لا غير^٣. وهي ظاهرة موجودة عند ابن سيدة أيضاً؛ فهو حريصٌ على أن يطابق بين الشاهد ومحل الاستشهاد، ومن ذلك قوله فيما رواه أبو عبيدة من شعر قيس بن الأسلت:

سرق حسامٌ وادق حدهُ
ومجنأُ أسمرَ قرّاع

"وحكاه أبو عبيد في باب الرّماح وقد غلط، إنّما هو سيفٌ وادق..."^٤.

أما عند الراغب فلم تكن له عناية صريحة في نقد روايات العلماء لشواهدهم، ولكن تظهر في كتابه إشارات متفرقة إلى بعض المصادر التي نقل عنها تدلُّ على حسن انتقائه لمصادر الرواية كما عرف عن نظيره في المقارنة. فتجده يذكر الأخفش، والأصمعي، والخليل، وابن دريد، والزجاج، وأبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة معمر بن المنثى اللغوي، وأبا عمرو بن العلاء، والفراء، وابن قتيبة، والكسائي، والليثاني، والمبرد، كمصادر رئيسة اعتمدها في رواية الشواهد اللغوية و الاحتجاج بها على المسائل المختلفة^٥.

وقد بالغ ابن سيدة- بالنسبة لنظيره في المقارنة- في العناية بتحقيق ألفاظ الشواهد وتعددت عنده مظاهر هذه العناية، وقد سبق ذكر أمثلتها، ويكتفى هنا بذكرها ملخصة بالعناوين.

١. ذكره الإسناد الذي رُويت به اللفظة.
٢. المقارنة بين روايات الشاهد.
٣. تعقبه تفسير الرواة لشواهدهم.
٤. إطلاقه أحكاماً تتعلق بتوثيق أو توهين رواية بعض الألفاظ.

١- انظر الزجاج، المعاني، ١/٢، ٣٠٧/٢٦١.

٢- كذا والصواب أمة.

٣- المعاني، ١٨/٣.

٤- المحكم، ٥٣٩/٦.

٥- انظر الراغب، المفردات، ص ٩٤٢-٩٤٥: فهرس الأعلام.

مسالك العلماء الثلاثة في الاستشهاد بالشعر:

يغلب على استشهاد العلماء الثلاثة: الزجاج والرّاعب وابن سيدة مسلك الاستشهاد بالشعر على سبيل التمثيل للمعنى أو للاختيار. ومن أمثلة ذلك:

التمثيل للمعنى عند الزّجاج في تفسير قوله تعالى: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} [فاطر: ٢٧] قال: {جُدَدٌ} جمع (جُدَّة) وهي الخطة والطريقة، قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ سُرَاتِهِ وَجُدَّةَ ظَهْرِهِ كَنَائِنٌ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيصٌ

وفسر اللفظ في ضوء ذلك بقوله: "(جُدَّة متنه) الخطة السوداء التي تراها في ظهر حمار الوحش...".^١ ومن التمثيل للنحو عنده قوله في تفسير قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ} [الشورى: ٣] "موضع الكاف من {كَذَلِكَ}؛ المعنى: مثل ذلك يوحى إليك، فمن قرأ (يوحي) بالياء فاسم الله -عزّ وجل- رُفِعَ بفعله وهو {يُوحِي} ومن قرأ {يُوحى إليك} فاسم الله مبين عما لم يسم فاعله ومثل هذا الشعر:

لَيْتَكَ يَزِيدُ ضَارِعَ لِحْصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تَطِيحُ الطَّوَايِحُ "٢

ومن استشهادهم للصرف قوله: "وأصل غدٍ: غدوٌ إلا أنه لم يأت في القرآن إلا بحذف الواو، وقد نُكِّم به بحذف الواو، وجاء في الشعر بإثبات الواو وحذفها، قال الشاعر في إثباتها:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حَلُّوْهَا وَغَدُوًّا بِلَاقِعٍ "٣

ومن التمثيل للسياق الاجتماعي قوله في تفسير قوله تعالى: {كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} [الإنسان: ١٧] "أي يجمع طعم الزنجبيل، والعرب تصف الزنجبيل، وهو مستطاب عندها جداً، قال الشاعر:

كَأَنَّ الْقَرْنْفَلَ وَالزَنْجَبِيلَ لِمَا بَاتَا فِيهَا وَأَرِيًّا مَشِيرًا "٤

ومن التمثيل للفروق قوله: "وأصفدته إذا أعطيته، وصفدته إذا أعطيته أيضاً، إلا أنّ الاختيار في العطية أصفدته وفي الحديد صدقته، قال الشاعر:

١- الزّجاج، المعاني، ٢٠/١، البيت في ديوان امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت. الدليص: البريق، انظر: اللسان، مادة دلص،

٢- الشعر لم ينسبه الزّجاج إلى قائل معين، وهو من شعر نهشل بن حريّ الدارمي التميمي من قصيدة مطلعها: لعمري إن أمسى يزيد بن نهشل حشا جدت تسفى عليه الرّوائح

انظر: الضامن، حاتم، شعراء مقلون: نهشل بن حريّ، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ٣- وانظر على سبيل المثال كذلك من أمثلة الصرف الشواهد المبدوءة بالألفاظ التالية: أيا طبية، ٢٨/٣، يا لهف هند، ٢٨/٣، ومما يتعلق بالصوتيات: سبقوا هويّ: ١٧٥/٣.

٤- الزّجاج، المعاني، ٢٩٨/٤، والبيت للأعشى، ديوان الأعشى، طبع دار صادر بيروت.

وإن جنته يوماً فقرَّب مجلسي وأصفدني [على] الزّمانة قائداً^١

وكذلك غلب الاستشهاد على سبيل التمثيل على شواهد الرّاغب في المفردات، ويبقى محلّ المقارنة في أنّ الرّاغب توسّع في الاستشهاد للعلاقات الدلالية، وهي مسائل لم يغفلها الرّجاج في (المعاني) إغفالاً تاماً، ولكنّه لم يجعل بحثها من مقاصد كتابه وكذلك غلب مسلك الاستشهاد على سبيل التمثيل على شواهد ابن سيده في (المحكم) فلا تجد عنده من الشواهد ما ورد على سبيل التعليل إلا أمثلة نادرة .

ومن اللافت أنّ شواهد ابن سيده شابته في موضوعاتها موضوعات الرّاغب في اتساعها، فهي تغطّي من الناحية النوعية عامة فروع اللغة، وتشمل كذلك شواهد العلاقات الدلالية، وشواهد التطور الدلالي وتعبير آخر، فإنّ تشابهاً أحياناً واضحاً في موضوعات الشواهد موجود بين الرّاغب وابن سيده، وهو موجود بصفة أقلّ وضوحاً بينهما وبين الرّجاج، ولكنّها لا تختفي وتحتلّ الشواهد الصرفية مساحة واضحة، في حين تحتلّ الشواهد المتعلقة بمتن اللغة ما يزيد على نصف الشواهد عند الرّجاج وابن سيده، ويقال عن ذلك قليلاً عند الرّاغب .

أمّا مسلك الاستدلال فهو أقلّ من مسلك التمثيل عند العلماء الثلاثة وقد يلتبس به أحياناً، فمن أمثله المحدودة عند الرّجاج:

الاستدلال للنحو، كقوله : في تخريج قوله تعالى: {إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ نَجْوَى} [طه: ٦٣] "... ويحتجّون بأنّ هذه اللام أصلها أن تقع في الابتداء، وأنّ وقوعها في الخبر جائز وينشدون في ذلك من الرجز

خالي لأنّك ومن جريراً خاله
ينل العلاء ويكرم الأخوالاً^٢

الاستدلال للمعنى، كقوله: في تفسير قوله تعالى: {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات: ٤٧] {يُنْزَفُونَ} بفتح الزاي وكسرهما فمن قرأ (يُنْزَفُونَ) فالمعنى : لا تذهب عقولهم بشربها، يقال للسكران نزيّف ومنزوف، ومن قرأ (يُنْزَفُونَ) فمعناه : لا ينفدون شرابهم؛ أي هو دائم أبداً لهم ويجوز أن يكون (يُنْزَفُونَ) : يسكرون، قال الشاعر:

لعمري لأنّ أنزفتم أو صحوتم
لبئس النّدامى كنتم آل أبجرا^٣

١- كذا، والصواب: عند، والبيت للأعشى، وانظر: الطبري، جامع البيان، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جزء ١٣، ص ٣٣٤.
٢- الرّجاج، المعاني، ١٨١/٣
٣- الرّجاج، المعاني، ٤١/٤

ومن الاستدلال للنحو والقراءات قوله في تخريج قراءة قوله تعالى: {فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} [المؤمنون: ١٤] بصيغة المفرد (العظم)، قال: والتوحيد والإفراد هنا جائزان، لأنه يعلم أن الإنسان ذو عظام... وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليل على الجمع ما هو أشد من ذلك، قال الشاعر:

في حلقكم عظمٌ وقد شجبنا

يريد : في حلوكم عظام "١.

ومن الاستدلال لإنكار النضاد: قوله : " وقيل : {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ} [الكهف: ٧٩] معناه: كان قدامهم؛ وهذا جائز في العربية، لأن ما بين يديك وقدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر:

ليس ورائي إن تراخت منيَّتي لزوم العصي تُحنى عليها الأصابع "٢

ومن لطائف الاستدلال بأساليب العرب على القراءات قوله في تفسير قوله تعالى : {إِلَّا يَسْجُدُوا} لله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النمل: ٢٥] " ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن، ومن قرأ {أَلَا يَسْجُدُوا} بالتشديد فليس بموضع سجدة، ومثل قوله: {أَلَا يَسْجُدُوا} بالتخفيف قول الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر وإن كان حيانا عدأً آخر الدهر "٣

ومما جاء على سبيل الاستدلال عند الراغب قوله: " ويقال الخليط للواحد والجمع، قال الشاعر : بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا "٤

وقوله : " والرجاء ظنٌ يقتضي حصول ما فيه مسرة، وقوله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٣] قيل مالكم لا تخافون، وأنشد :

إذا لسعته النحل لم يرجُ لسعها وحالفها في بيت ثوبِ عواملُ

ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان "٥.

وكذلك سلك ابن سيده مسلك الاستدلال في بعض الشواهد، وهي نادرة قياساً بما سلك به مسلك التمثيل، وقد سبق ذكر أمثلتها في مكانها من الدراسة .

١- الزجّاج، المعاني، ٢٣٤/٣.

٢- الزجّاج، المعاني، ١٤٤/٣، والشاعر هو ليبيد العامري، ديوان ليبيد. طبع دار صادر، بيروت.

٣- الزجّاج، المعاني، ٣٠٦/٣، ديوان الأخطل، تقديم محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- المفردات، ٢٩٣، وشطر البيت لزهير، وهو مطلع قصيدته الكافية في ديوانه ص ٤٧، وعجزه وزودك اشتياقاً أية سلكوا.

٥- الراغب، المفردات، ٣٤٦ والبيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١٤٣/١.

والسبيل إلى الفصل فيما يلتبس مما استخدم على وجه الاستدلال، وما استخدم على وجه التمثيل،
تلمس روح البرهان في المثال أو بعض آثاره أو وسائله :

- كأن يأتي المثال بعد ذكر قاعدة، فيكون دليلاً على قوة جريانها.
- أو أن يقول: " ودليل ذلك"، أو "يُستدلُّ على ذلك بـ:" أو " حجَّتهم في ذلك"... ولا مفرّ من أن يكون للدُّوق في ذلك مدخل عند الالتباس وذلك ينسحب سلباً على دقة تصنيف الشواهد بهذين الاعتبارين.

وقد يسوق المصنّف بعض الشواهد لمسألة نحويّة أو صرفيّة ويكون له مقصد اختيار شاهد معين من بين الشواهد الصالحة للاستدلال أو التمثيل، فيوظفه لغرض خفيّ سواء كان شخصياً أو عقدياً، أو سياسياً أو مذهبيّاً، وقد يظهر بعض ذلك في اختيار العلماء الثلاثة لبعض أخبار أهل البيت، مع حرصهم على إيراد شواهد يردُّ بها صراحةً أو ضمناً على المذاهب المخالفة لعقيدة أهل السنّة، وخاصةً المعتزلة، فيظهر للقارئ من جمعهم بين مثل هذه الشواهد ومن خصائص أخرى في منهجهم أنهم أهل سنّة مؤالون لأهل البيت من دون أن يكونوا من "الرافضة" وقد أطلق الثلاثة هذا اللفظ على الشيعة في كتبهم.

لا بدّ من التأكيد على أنّ الفصل التام بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ليس بمقدور أحد أن يدّعيه، فبصمات التفسير بالرأي تكون واضحة في العادة في الصق الأعمال في باب المأثور حتى في كتب الصّاح. حيث لكلّ عالم في تصنيفه منهج أعمل فيه شيئاً من الدراية في الانتقاء والتبويب والإخراج لا تستغني عن إعمال العقل في المرويّات. كما أنّ عملاً من باب التفسير بالرأي من المحال أن يوجد من دون مرويّات يعمل العقل فيها، ومن دون قواعد متفق على سلامتها يخضع لها (التفسير بالرأي المحمود)، وهذا التداخل الحتمي بين المسلكين في التفسير بما يضيفه على عمل المصنّف من بناء تكامليّ وتكافليّ بين العقل والنقل لا يمكن في الوقت نفسه أن يفرض على المصنّف من خارج ذاته مقياساً يحدّد النسبة بين المسلكين.

وكان الزجاج بارعاً في تفكيك خيوط الالتباس بين المعقول والمنقول، وإعادة نسجها في ضوء خبراته النقلية ومهاراته العقلية كأن يوظف السياق الاجتماعي في تفسير ما ورد في آيات القرآن من خبر أو وصف قاطع بحقّ فئة من الناس، ومثّل لهذه البراعة بما أجراه الزجاج من مقارنة بين سلوك المجوس في الدعاء لملوكهم أن يعيشوا ألف سنة - وهم لا يؤمنون بالبعث - ، وكيف أنّ اليهود يتمنّون أن يعيشوا ألف سنة وهم يؤمنون بالبعث، ويدّعون أنّهم لهم نعيم الجنّة. وكيف أنّه يوظف الخبر في تفسير الخبر، فيخرج باستنباط عقليّ رائع، بأنهم يتمنّون الموت خوفاً من المصير

الذي سيواجهونه حتماً نتيجة تكذيبهم بالنبي الذي يعلمون أنه حق! ومما سبق ذكره كذلك من مظاهر فكّ هذا الالتباس قدرته على استنباط العبرة أو الفائدة اللطيفة من التناسب بين الآيات والسور، وقد مُثل له في محله من الدراسة.^٢

أما الراغب الأصفهاني، فقد كانت له مساهمته النظرية في التفريق بين (التفسير المستكره)، و(التفسير المنقاد)، فهو يعبر بـ (المنقاد) عن التفسير المُحتكم إلى ضوابط، منها موافقته للرواية الصحيحة.

ويتجلى ذلك النسيج عند ابن سيدة بغلبة منهج رواية النقد كما وكيفاً على نقد الرواية؛ أما "كما" فلأن معظم ما رواه من نقد منسوب إلى من تتلمذ على كتبهم، وبخاصة أبو عليّ الفارسيّ وابن جنّي ثم الزجاج، وثعلب... وأما "كيفاً" فلما اشتملت عليه مروياته من مجازفات بسبب غلبة منهج الرواية وحب الجمع على تصنيفه. أما الراغب فمع أنّ كتابه (المفردات) لم يخلُ من ملامح منهج الرواية مع كونها (سمة متنجية) إلا أنه من الصّعب القول بأنه على قدر من العناية يستحق الذكر بالنسبة إلى ما ائصف به الزجاج من نقد الرواية وخاصة ما يتعلق بالشاهد الشعري، وما ائصف به ابن سيدة من رواية النقد، فأعمل بحثه العقليّ في معزل عن هذين الاتجاهين.

ومع أنه تبيّن لهذه الدراسة غلبة مسلك التمثيل على مسلك الاستدلال فيما يتعلّق بتوظيف الشاهد الشعري، وأنّ الزجاج كان أكثر ميلاً من نظيره إلى مقصد الاستدلال في توظيفه للشاهد الشعري. إلا أنّ ذلك لا يعني تفوقه من بين الثلاثة في منهج التفسير بالرأي، خاصة وأنّ مقصد الاستدلال إن قلّ استعماله عند الراغب في الاستشهاد بالشعر، فهو إذا ضمّ إلى استدلال الراغب بالقرآن لمسائل التفسير اللغوي فإنه يشكّل دليلاً على عدم إغفال الراغب للخطاب البرهاني، بدليل الشواهد القرآنية والشعرية.

العناية بالقراءات عند الزجاج والراغب وابن سيدة/ مقارنة

اتباع العلماء الثلاثة منهج الاختصار في بحث القراءات على تفاوت بينهم:

كان الزجاج أكثر العلماء الثلاثة تصريحاً باتباع منهج الاختصار في مقدمة (معاني القرآن) الذالة على ذلك بقلبها وقالبها، حيث تشكلت المقدمة من البسمة، وجملة اسمية هي قوام ذلك الإعلان،

١- انظر مثال ذلك في المعاني، ١/٤٢١.

٢- انظر المعاني، ٤/١٤٣.

وبعدها دعاء بالتوفيق فيه، والجملة الاسمية هي: "هذا كتاب مختصر في إعراب القرآن ومعانيه". وقد يحرك هذا التركيب الحيّ للمقدمة في ذهن الباحث وهو في معرض المقارنة توقعاً لأن يكون الزّجاج أكثر العلماء الثلاثة اختصاراً في أبحاثه التي يطرحها في كتابه، ومنها القراءات. وقد يغيب عن ذهنه أن المسألة في مثل هذه الأوصاف نسبية، والحكم فيها يخضع لاعتبارات الموصوف واعتبارات فيمن أطلق الوصف على مصنّفه أو مشروعه التصنيفي، والحال هنا أن الزّجاج يتكلم عن حجم البحث في إعراب القرآن ومعانيه، بالنسبة لحجم خبراته في هذا المجال، والتي تمكنه من التوسّع في مصنّفه كما وكيفاً. فإذا انتبه المرء إلى هذا الاعتبار، ونظر إلى المقارنة من نافذته، أطلّ على ما كان يمكن أن يراه تناقضاً بين القول والفعل؛ خاصّة وهو يكتشف أن الزّجاج كان أطول الثلاثة باعاً، وأبعدهم في ميدان القراءات، ثمّ ينتقل إلى مواجهة إشكال آخر في المقارنة، حيث يتوقع بعدها أن يكون المحكم - باعتبار حجمه الضخم - أكثر عناية بالقراءات، فيواجه مرّة أخرى بأنّ العناية بالقراءات في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للرّاعب، هي أكثر اتساعاً، وأصالة عند الرّاعب منها عند ابن سيّدة! فابن سيّدة زيادة على ندرة المباحث القرائية في كتابه (المحكم)، يعتمد منهج الرواية أكثر من الاستقلال، حتى في توجيه القراءات!

ومن مظاهر الاختصار في مباحث القراءات عند الثلاثة: عدم ذكرهم شيئاً من سند القراءة، بل إغفالهم اسم القارئ في كثير من الأحيان، وهذا أكثر وروداً عند ابن سيّدة، وأقلّ الثلاثة الزّجاج، ويتوسّطهم الرّاعب الأصفهاني. ومن مظاهر الاختصار عندهم كذلك أنّهم لا يتطرّقون بقدر يذكر من التوسّع إلى الترجيح بين القراءات، بل يجرون المقارنة في حدود ما يلزم المسألة، ودون التقيد في ذلك أيضاً في نسبة القراءة إلى صاحبها، ومن ذلك:

قول الزّجاج: في قوله تعالى: {وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا} [البقرة: ١٢٨] "وتقرأ أيضاً (وأرنا) على ضربين: بكسر الراء وبإسكانها، والأجود الكسر، وإمّا أسكن أبو عمرو لأثّه جعله بمنزلة فخذ وعضد، وهذا ليس بمنزلة فخذ وعضد، لأنّ الأصل في هذا "أرئنا"، فالكسرة إمّا هي كسرة همزة ألقيت وطرحت حركتها على الراء..."^١

١- المعاني، ١/١٦٤.

قول الرّاعب: "...وقال: {جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} [القصص: ٣٢] وقرئ: (من الرُّهْبِ)"^١، وقول الرّاعب أيضاً: "وقوله: {تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ} [الكهف: ١٧] أي تميل، قرئ بتخفيف الزّاي وتشديده، وقرئ (تَزَوَّرُ)"^٢.

ومنه عند ابن سيّدة: قوله: "وفي التنزيل: {فَأَذْنُوا بَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٩] أي كونوا على علم. وقد قرئ {فَأَذْنُوا بَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ} أي اعلّموا من لم يترك الرّبا فإنّه حرب"^٣.
ومن مظاهر الزيادة في الاختصار عند ابن سيّدة على ما هو عليه الحال عند نظيريه في المقارنة أنّه كثيراً ما يغفل نقل أقوال الرّجاج في القراءات وإن كان جلّ اعتماده في مرويات التفسير على الرّجاج، ومن ذلك إغفال قول الرّجاج في القراءات الواردة في قوله تعالى: {فِي شُعْلٍ} [يس: ٥٥] "ويقرأ: في شُعْلٍ، وشُعْلٍ". و(شُعْلٍ) و(شُعْلٍ) جائز في العربية"^٤.

مصادر كل من الرّجاج والرّاعب وابن سيّدة في القراءات

الرّجاج: لم يذكر الرّجاج مصادره التي أخذ عنها مبحث القراءات في كتابه معاني القرآن، على أنّ أعمالاً سبقت الرّجاج أو واكبته، تدلّ على نشاط كبير في عناية العلماء بتنظيم علم القراءات والمحافظة على القراءات وتدوينها، والاختيار منها، نتيجة لكثرة القراءات، وخشية أن يؤدي ازدحامها وتفرد مروياتها، وطول أسانيدها على مرّ الزمن إلى حالة تشكّل خطراً على القراءات القرآنية باعتبارها وعاءاً حصيناً للمحافظة على القرآن الكريم.

ولا ننسى أنّ شيخ الرّجاج إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة^٥. والمنتبع للقراءات التي أوردها الرّجاج في (المعاني) يجده أنّه صرّح بأسماء معظم القراء العشرة، وضمّن كتابه قراءات البقيّة الذين لم يصرّح بأسمائهم، وتعدّى القراءات العشر إلى الأربع عشرة وإلى القراءات الشاذّة، وقد صرّح أيضاً ببعض أسمائها، ومن السهل تتبّع ذلك في كتب القراءات ليطلع المرء على سعة اطلاع الرّجاج بذلك العلم الذي يعتبر ركناً أساساً في علم التفسير. كما يجد القارئ في الكتاب بعض المناقشات للعلماء قبله في

١- المفردات، ٣٦٦.

٢- المفردات، ٣٨٧.

٣- المحكم، ٩٦/١٠.

٤- المحكم، ٣٤/٤.

٥- انظر الفارسي، الحجّة، مقدّمة المحققين، ص ٩.

مسائل تتعلق بالقراءة كقوله: "وقوله - عزّ وجلّ - {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: ١٥٤] تقرأ: (بُيُوتِكُمْ) و(بُيُوتِكُمْ) بضمّ الباء وكسرهما، وروى أبو بكر بن عيَّاش عن عاصم بكسر الباء، قال أبو إسحاق: ^١ وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم (بُيُوتِكُمْ) بضمّ الباء، والضمّ الأكثر والأجود. والذين كسروا (بيوت) كسروها لمجيء الياء بعد الباء، و(فِعُول) ليس بأصل في الكلام ولا من أمثلة الجمع، فالاختيار (بُيُوت) مثل قلب وقلوب، وفلس وفلوس.

وكذلك تدلّ مناقشاته لبعض القضايا النَّحْوِيَّة أو اللغوية في كتب الكسائي والفراء وثعلب، وغيرهم على دراسته العميقة لهذه الكتب وما اشتملت عليه من أبحاث القراءات، وقد عاصر إلى جانب ذلك عدداً من شيوخ القراءات والتفسير، منهم ابن مجاهد، وابن جرير الطبري.

ويذكر أنّ الزّجاج جمع مباحث القراءات في كتاب (المعاني) - كما سبق بيانه - القراءات الأربع عشرة، وزاد عليها من قراءات الصحابة والتابعين التي لم تصل إلى حدّ التواتر، وجمع عدداً كبيراً من قراءات اللغويين.

الرّاعب: كذلك يجد المنتبّع للقراءات التي أوردها الرّاعب شمولها للقراء الأربع عشرة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر الشامي، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر المدني، ويعقوب، وخلف، وتلاميذهم، والحسن البصري، وابن محيصن، واليزيدي (يحيى بن المبارك)، وسليمان بن مهران (الأعمش).^٢

ابن سيده: يذكر ابن سيده في سرده لمراجعته في المقدّمة كتابين مهمّين في القراءات، هما: كتاب (الحجّة في علل القراءات السبع) لأبي علي الفارسي، و(المحتسب في تبين شواذّ القراءات) لابن جنّي.^٣ ويذكر أنّ كتاب (الحجّة) للفارسي اشتمل على ذكر قراءات من خارج القراءات السبعة، وأوّل ما يصادف القارئ لكتابه من ذلك ذكر قراءة أبي جعفر المدني - من العشرة - ، والأعرج: عبد الرحمن بن هرمز، وشيبة بن نصاح، وهما من خارج القراءات الأربع عشرة.^٤ وقد ينقل ابن سيده

١- يفهم بناءً على ما جرت به العادة في الكتاب أنّ المقصود الزّجاج وليس شيخه.
٢- انظر على سبيل المثال: المفردات، ص ١١٣ / حاشية ٣، ص ٩٥ / حاشية ٦، ص ١١٩ / حاشية ٢، ص ١٥٦ / حاشية ٢، ص ٢٢٩ / حاشية ٣، ص ٢٧٨ / حاشية ٣. وفي القراءات الشاذّة: ٨٣ / حاشية ٣، ٨٩ / حاشية ٥، ١٢٥ / حاشية ٣، ١٧٨ / حاشية ٤، ١٩٣ / حاشية ٢.
٣- المحكم، ٤٧، ٤٨.
٤- انظر: الفارسي، أبو الحسن بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ) الحجّة للقراء السبعة، تحقيق: قهوجي وحويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ١١، ١٢، وانظر رباح، عبد العزيز، فهارس الحجّة للقراء السبعة، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

القراءات من أهل اللغة كقوله: وفي بعض القراءات {يَزْفون} [الصفات: ٩٤]، قال اللحياني: "قرأ به حمزة عن الأعمش عن ابن وثاب".^١

عناية العلماء الثلاثة بتوجيه القراءات:

احتلَّ التوجيه الصرفي المساحة الأوسع من جهود كلِّ من العلماء الثلاثة، بل إنَّ جهود ابن سيده في توجيه القراءة - وجلِّها منقول عن الفارسي وابن جنِّي - تكاد تكون محصورة في التوجيه الصرفي، في حين تتوزع جهود الرَّاغب الأصفهاني على الصرف والاشتقاق. أمَّا الزَّجاج فمع غلبة التوجيه الصرفي على جهوده، إلاَّ أنَّه ترك مساحة واضحة للتوجيه النحوي، واللغوي، والمعنوي، وغيرها.

- **فمن التوجيه الصرفي عند الزَّجاج:** قوله في تفسير قوله تعالى: {وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} [يوسف: ٦٥] "وتقرأ رُدَّت بكسر الراء^٢، والأصل رُدِدَّت، فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومة، ومن كسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في (قِيل) و (بيع) لتدلَّ أن أصل الدال الكسر"^٣.

ومنه عند الرَّاغب قوله: "وفي بناء (آية) ثلاثة أقوال: قيل هي فعلة، وحقَّ مثلها أن يكون لامه معلاً دون عينه، نحو: حياة ونواة، لكن صُحِّح لامه لوقوع الياء قبلها نحو: راية. وقيل: هي فعلة، إلاَّ أنَّها قلبت كراهة التضعيف كطائي في طيء، وقيل: هي فاعلة، وأصلها (أبيبة) فحقت، فصارت آية، وهذا ضعيف لقولهم في تصغيرها: أَيْبِيَّة، ولو كانت فاعلة لقيل: أُوَيْبِيَّة"^٤.

ومنه عند ابن سيده قوله: " وفي التنزيل: {وَقَالُوا فُلُوبُنَا غُلْفٌ} [البقرة: ٨٨] وقيل معناه: صمٌّ، ومن قرأ غُلْف: أراد جمع غلاف، أي أنها أوعية للعلم ولا يكون جمع أغلف لأنَّ (فُعلاً) جمع (أفعل) عند سيبويه، إلاَّ أن يضطرَّ شاعر..."^٥

- **ومن التوجيه النحوي عند الزَّجاج قوله:** "وقوله عزَّ وجلَّ: {أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ} [البقرة: ٦١] بغير ألف، فمن قرأ (مِصراً) بالألف فله وجهان: جائز أن يراد بها مِصراً من الأمصار، لأنَّهم كانوا في تيهه، وجائز أن يكون أراد (مِصر) بعينها فجعل مصر اسماً للبلد وجائز

١- المحكم، ١١١/٩.

٢- هذه قراءة علقمة ويحي والحسن، انظر: ابن جنِّي، المحتسب في تبیین شواذ القراءات، والبيّن، إتحاف فضلاء البشر، ج٢، ص١٥٠.

٣- المعاني، ٢١/٣.

٤- المقصود إعلال قلب

٥- المفردات، ص١٠٣.

٦- المحكم، ٥٢٨/٥.

أن يكون (مصر) بغير ألف على أنه يريد مصرأ بعينها- كما قال- عز وجل: {أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ
اللَّهُ آمِنِينَ} [يوسف: ٩٩] وإِذَا يُصْرَفْ لِأَنَّهُ لِلْمَدِينَةِ، فهو مذكر سمي به مؤنث^١.

ومنه عند الراغب: -وهو نادر- قوله في تفسير قوله تعالى: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ
عَلَيْنَا} [المائدة: ١١٢]: "وقرى: {هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} أي سؤال ربك^٢؛ حيث أجرى الكلام على تقدير
محذوف.

ومنه عند ابن سيده: - وهو نادر أيضاً عنده في النطاق المحدد لهذه الدراسة - قوله في تعليل
ورود إلى في قوله تعالى: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [الصف: ١٤] "فإنما جاز {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى
اللَّهِ}، لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله، فجاز ذلك أن تأتي - هنا - بالي، وكذلك
قوله تعالى: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكِيَ} [النازعات: ١٨] وأنت إنما تقول: هل لك في كذا، لكنه لما كان
دعاء عنه صلى الله عليه وسلم صار تقديره أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى"^٣.

- ومن توجيه المعنى عند الزجاج: قوله في تفسير قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: ١٦١] "فإن قال قائل: كيف يلعنه الناس أجمعون وأهل دينه لا يلعونونه؟
قيل له: إنهم يلعونونه في الآخرة، كما قال عز وجل: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا} [العنكبوت: ٢٥]"^٤.

ومنه عند الراغب - وهو نادر عنده- قوله: "وقال [تعالى]: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [الصفات: ١٢]
،... وقرأ بعضهم {بَلْ عَجِبْتَ} بضم التاء، وليس ذلك إضافة المتعجب إلى نفسه في الحقيقة، بل
معناه: إنه مما يقال عنده: عجب. أو عجب مستعاراً بمعنى أنكرت، نحو: {أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود: ٧٣]"^٥

١- المعاني، ١١٧/١، وانظر مزيداً من الأمثلة في التوجيه النحوي للقراءات في قوله تعالى: {أَنْ أَلْفَوْهُ لَلَّهِ} [البقرة: ١٦٥] المعاني، ١٨٧/١، {وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ} [البقرة: ٢٧١] المعاني، ٢٨٣/١، {فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} [الرحمن: ٦٨] ١٩٧/٤، {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة: ٢٢] المعاني، ٢٠١/٤، ٢٠٢، {إِنَّا سَمِعْنَا} [الجن: ١]، {فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} [الجن: ٢٣]، {فَأَنَّهُ يَسْأَلُكَ} [الجن: ٢٧] المعاني، ٢٨٠/٤، {كَانَتْ قَوَارِيرًا} [الإنسان: ١٥] المعاني، ٢٩٨/٤.

٢- المفردات، ص ٥٣١ وهذه قراءة الكسائي، انظر البتاء، إتحاف فضلاء البشر، ٥٤٤/٢.

٣- المحكم، ٤٤٤/١٠، وانظر مادة (هيت) ٣٧٦/٤، ومادة سواء، ٦٣٥/٨.

٤- المعاني، ١٨٥/١، وانظر أيضاً تفسيره لقوله تعالى: {حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ} [يس: ٤١]، المعاني، ٣٢/٤، {أَصْنَطَقِي
أَلْبَنَاتِ} [الصفات: ١٥٣]، المعاني، ٤٨/٤، {ءَاعْجَمِي وَعَرَبِي} [فصلت: ٤٤]، المعاني، ٩٤/٤، {عَرَفَ بَعْضُهُ} [التحریم: ٣] ٢٣٥/٤، {لَا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ} [المؤمنون: ٦] المعاني، ٢٧٣/٤، {وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} [البقرة: ٥١] المعاني، ١٠٩/٤، {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: ١١٩] المعاني، ١٥٨/٤، {سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ} [المائدة: ٤١] المعاني، ١٢٨/٢، {وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ٥٥] المعاني، ١٥٧/٢.

٥- المفردات، ص ٤٧٥ والقراءة بضم التاء هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء، انظر إرشاد المبتدي، وعبارة "عجبت مستعاراً بمعنى أنكرت" لا يفهم منها العطف على الجملة قبلها بل يفهم منها أن الله ينكر عليهم تكذيبهم وهذا

- ومنه عند ابن سيدة قوله "وفي التنزيل: { فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ } [البقرة: ٢٧٩] وقرأ { فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ } أي أعلموا من لم يترك الربا بأنه حرب"^١
- ومن التوجيه اللغوي عند الزجاج قوله: "ومعنى قوله [تعالى]: { فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران: ٨١] أي فتبينوا: لأن الشاهد هو الذي يصحّ دعوى المدّعي، وشهادة الله للنبين تبيّنه أمر نبوتهم بالآيات المعجزات"^٢.
- ومنه عند الراغب قوله في تفسير قوله تعالى: { تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ } [الكهف: ١٧] "أي تميل، قرأ بتخفيف الزاي و تشديده، وقرأ (تزوّر)، قال أبو الحسن^٣ لا معنى لـ (تزوّر) ها هنا، لأن الأزورار: الانقباض، يقال: تَزَاوَرَ عنه، ورجلٌ أزور، وقوم زورٌ، وبنرٌ زوراء: مائلة الحفرة، وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته.
- ومن التوجيه البلاغي عند الزجاج قوله في تفسير قوله تعالى: { يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ } [يس: ٣٠] وقرئت: (يا حسرة العباد) بغير على...، إذا قال قائل: ما الفائدة من مناداة ما لا يعقل؛ لأن النداء باب تنبيه، وإذا قلت "يا يزيد" فإن لم تكن دعوته لغير النداء، فلا معنى للكلام، وإما تقول "يا يزيد" فتنبّه بالنداء، ثم تقول له: فعلت كذا، وافعل كذا،... ولذا لو قلت للمخاطب: "أنا أعجب مما فعلت فقد أفتدته أنك متعجب، ولو قلت: "واعجابه مما فعلت" و"يا عجابه" أتفعل كذا وكذا" وكان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى: يا عجب أقبل، فإيه من أوقاتك..."^٤.
- ومنه عند الراغب ما قاله في نفي خلوّ الحرف الزائد من المعنى:
- "الباء: يجيء إمّا متعلّقاً بفعل ظاهر معه، أو متعلّقاً بمضمر... والمتعلّق بمضمر يكون في موضع حال، نحو: خرج بسلاحه، أي: وعليه السلاح...وبما قالوا: تكون زائدة، نحو: { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } [يوسف: ١٧]، { وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء: ١١٤]، { وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧] وفي كل ذلك لا ينفك عن معنى، ربما يدق فيتصور أنّ حصوله وحذفه سواء وهما

موافق لتفسير ابن كثير لقراءة (عجبت) بالفتح بأنه عجب من الرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب المشركين. انظر: تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، جزء ٤، صفحة ٥.

١- المحكم، ٩٦/١٠،

٢- المعاني، ٣٣٨ / ١، انظر: تفسير: { مَن لَّا يَسْتَجِيبْ لَهُ } [الأحقاف: ٥] { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتْرُ الْكَذِبَ } [النحل: ١١٦]

، { تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهٗ } [النمل: ٤٩]، { بَلْ أَدَارِكْ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ } [النمل: ٦٦].

٣- يعني الأخفش سعيد بن مسعدة، النحوى البصرى (ت ٢١٥هـ). والقراءة (تزوّر) هي قراءة الجحدري، انظر: ابن جني، المحتسب في تبيين شواذ القراءات، جزء ٢، ص ٢٥.

٤- المعاني، ٣٠/٤، وانظر توجيه قوله تعالى { وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ } [ق: ٣٠]: المعاني، ١٥٨/٤ و { فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا } [المعارج: ٤٢]، المعاني: ٢٧٤/٤

في التحقيق مختلفان، سيما في كلام من لا يقع عليه اللغو فلا ينفك عن معنى؛ فقوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف: ١٧] فبينه وبين قولك: ما أنت مؤمن لنا فرق، فالمتصوّر من الكلام إذا نُصبت ذات واحدة، كقولك: زيد خارج، والمتصوّر منه إذا قيل: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} ذاتان، كقولك: لقيت بزید رجلاً فاضلاً، فإنّ قوله: رجلاً فاضلاً- وإن أريد به زيد- فقد أخرج في معرض تصوّر منه إنسان آخر، فكأنه قال: رأيت برويتي لك آخر هو رجلٌ فاضل...^١.

مواقف الزّجاج والرّاعب وابن سيدة من بعض الاختيارات في القراءات / مقارنة

الرّجّاج: شهدت بدايات القرن الثالث الهجري حركة واسعة باتجاه استقرار أحوال العلوم على أصولها النظرية، وما انبثق عنها من معايير نقدية جرى تسليطها على مرويات كل علم، وأداء كل راوٍ لروايته، ولم يكن علم القراءات في معزلٍ من هذه الحركة النقدية، فقد تصدّى العلماء منذ عهد الرّسول- صلى الله عليه وسلّم- للتحقق من صحّة القراءات، واستمر الحال على ذلك في عهد التابعين. وشارك فيه أهل المعرفة بالرواية والأداء من أهل القراءة، كما شارك فيه أهل الحديث والفقهاء، وشارك فيه أهل اللغة " فكان أهل الحديث والفقهاء أقلّ الأئمة النقاد انتقاداً للقراءات، وكان أئمة اللغة أكثر الأئمة النقاد انتقاداً للقراءات المتواترة لاعتمادهم في ذلك على قواعدهم اللغوية قبل ثبوت القراءة بالنقل... وكان نحاة البصرة أكثر اللغويين ردّاً وتضعيفاً للقراءات المتواترة"^٢.

وقد سبق الكلام عن عمل الرّجّاج في نقد القراءات وضرورة تفهّمها في ضوء فهم حركة العلوم الشرعية في مرحلة التأسيس والتأصيل، وما سوّغته لها أهدافها السامية من تمحيص المادّة العلميّة وفق معايير الرواية والدراية. فكانت مساهمة الرّجّاج في هذا المجال انطلاقةً من الغيرة على القرآن الكريم ولم تكن في معزلٍ عن تحكيم معايير محورية دار عليها بحثه وأكّد عليها، وهي مقياس الصحّة أو الكثرة في الرواية، ويُقصد بالكثرة ما بلغ حد التواتر، ومع أنّ روايات القراءة الصحيحة كلها متواترة فقد كان الرّجّاج يتوقف عند الرواية التي تنتخلف- نسبياً- على هذا المقياس، فيتعرّض لها بالنقد، وهو يحتكم بعد ذلك إلى مقياس الكثرة في الاستعمال اللغوي، وقد لا يتقيد بترتيب هذين المعيارين إذا أحسّ بمخالفة كبيرة للأقيس أو الأكثر في الاستعمال. وكذلك احتكم في نقده للمرويات

١- المفردات، ص ٦٠، وانظر فيما ذكره في معاني حرف الاستخبار: (هل) وأمثلتها: ص ٨٤٣.
٢- سيسي، عبد الباقي عبد الرّحمن، قواعد نقد القراءات، دار كنوز إشبيلية، الرّياض، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٥٧٣

لمقياس رسم المصحف. وقد استخدم عبارات صريحة في تغليب بعض أحرف من قراءات المشاهير الذين أجمعت الأمة على صحّة قراءاتهم، مع كثرة ما رده من اعتراف بفضلهم بعامّة، وقد عزي بعض ذلك إلى أخطاء الرواة عنهم. على أنّ بعض ألفاظه قد تُحمّل على العزوف عن الاختيار أو التّرجيح ولا تحمل على الرّد.

كقوله: في قراءة عيسى بن عمر: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: ٣٨] "وقرأ عيسى بن عمر {والسارق والسارقة} وهذه القراءة وإن كان القارئ بها مقدّمًا لا أحبّ أن يقرأ بها، لأنّ الجماعة أولى بالاتباع، إذ كانت القراءة سنّة"^١.

الرّاعب: لم يُظهر الرّاعب- رحمه الله- عناية تُذكر بنقد الروايات، سواء الصّحيحة منها أو الشاذّة، ولعلّ لاختلاف العصر، واستقرار مسائل العلم أثرًا كبيرًا في ذلك، على أنّ مثالاً واحداً ورد في كتاب المفردات وإن كان يُعدّ من باب التّقدّ إلا أنّه لا يدخل في مدخل الرّد أو التّغليب أو حتّى الإنكار على من اختاره^٢، وهو قوله في قراءات قوله تعالى: {يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [الروم: ٤٨] وقرئ بلفظ الجمع وهو أصحّ^٣ على أنّه قد يؤخذ عليه ما يؤخذ على التّحويين في نقد القراءات وذلك في تعليقه للقراءات الواردة في قوله تعالى: {هُمُ أَحْسَنُ أَتَانًا وَرَعِيًا} [مريم: ٧٤]؛ حيث استعمل من العبارات ما يوهم بأنّ الثّراء يختارون قراءاتهم تبعاً لقواعد اللغة، والصّواب أنّ للقراءات سببلاً واسعاً للقوامه على اللغة، أمّا سبيل اللغة إلى القراءات فيكون بالتّرجيح على سبيل الاختيار، لا على سبيل الرّد، إلا أنّ يكون الرّد للقراءات التي أخلت شرط الثّواتر، وجمعت إلى ذلك الإخلال بمعيّار القياس اللغوي أو الأكثر في الاستعمال.

ابن سيّدة: لم يقع لهذه الدّراسة - في حدود ما استقلّ به ابن سيّدة من التّفسير اللغوي- سوى مثال واحد لنقد القراءات، ومع ذلك فهو نقد تعرّض به ابن سيّدة لقراءة شاذّة قرأ بها الأصمعيّ وعدّها ابن سيّدة مخالفة لمقاييس التّحويين قال: "والسّراط: السّبيل الواضح، والصّناد أعلى لمكان المضارعة [أي مقاربتها للطاء]، وإن كانت السّين هي الأصل، وحكاه سيّبويه: الصّراط على المضارعة أيضاً، فأما ما حكاه الأصمعيّ من قراءة بعضهم اهدنا الزّراط - بالزّاي المخلّصة فخطأ- إنّما سمع المضارعة [يقصد التي بين الزّاي والطّاء] فتوهّمها زايًا، ولم يكن الأصمعيّ نحوياً فيؤمن على هذا".

١- الزّجاج، المعاني، ١٠٣/٢.

٢- المفردات، ص ٣٧٠، وانظر حاشية ٤

٣- قرأ بصيغة الجمع: (الرّيّاح) نافع وأبو جعفر المدينيّ وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشّامي، وعاصم الكوفي، ويعقوب البصري، انظر: إتّحاف فضلاء البشر، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

٤- المحكم: ٤٣٣/٨

مظاهر العناية بالنحو عند الزجاج والراغب وابن سيدة/ مقارنة

١. محاور البحث النحوي عند كل من العلماء الثلاثة:

الزجاج: انصبَّ جهد الزجاج على الإعراب، كمقصد من مقاصد تصنيفه لكتاب (معاني القرآن وإعرابه) وبرز ذلك عنده في المظاهر الآتية:

- حرصه على استيعاب أبواب النحو في كتابه، كأن يقول: "فهذه جملة باب حتى".^١
- تأكيد انتسابه للمدرسة البصرية في النحو وذلك:

بأن يحرص على بيان قواعد النحو البصري؛ كأن يقول: "وكلُّ منادى عند البصريين كلهم في موضع نصب" أو بأن يعتمد أقوالهم في الترجيح، وبخاصة قول سيوييه، ومن ذلك قوله: "وقوله عزَّ وجلَّ { أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا } [السجدة: ٢٦] وقرئت بالنون (أولم نهدي) وزعم بعض النحويين أنّ (كم) في موضع رفع بـ (يهدي) والمعنى عنده: أو لم تبين لهم القرون التي أهلكنا من قبلهم. وهذا عندنا- أعني عند البصريين- لا يجوز؛ لأنه لا يعمل ما قبل (كم) لا يجوز في قولك (كم جاءني)، وأنت مخبر أن تقول: (جاءني كم رجل)؛ لأنَّ كم لا تزال عن الابتداء ولذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذا نصبت بما في الخبر والاستفهام..^٢ أو بمقارنة أقوال البصريين فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين علماء الكوفة.

الراغب: انصبَّ جهد الراغب النحوي في كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) على بيان معاني الحروف النحويّة، ومع ذلك غلب على منهجه في بحثها الاختصار، كذلك كانت له بعض المواقف التي يُعلّق فيها أو يُبدي فيها شيئاً من النّقد، وهو بذلك يختار من أقوال البصريين أو البغداديين، وبخاصة أبي علي الفارسيّ.

ابن سيدة: كذلك كان لبيان معاني الأدوات النحويّة مكان في البحث النحويّ في (المحكم)، وهو على عادته في كتابه يعتمد غالباً منهج الرواية، ويبدي اهتماماً خاصاً بأقوال أبي علي الفارسيّ.

٢. من الظواهر المشتركة في البحث النحوي عند العلماء الثلاثة:

- عنايتهم بتعليل اختياراتهم ومن ذلك:

عند الزجاج: قوله في تفسير قوله تعالى: { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ } [البقرة: ٢٨] "ومعنى (وكنتم):

١- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، مرجع سابق، وهو النسخة المعتمدة لهذه الدراسة، ج ١، ص ٢٢٥

٢- المعاني، ٧٠/١

وقد كنتم، وهذه الواو للحال، وإضمار(قد) جائز إذا كان في الكلام دليل عليه^١.
ومنه عنده أيضاً: تعليبه استخدام الماضي بمعنى المضارع في قوله تعالى: {فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} [الشعراء: ٤] بـ "أَنَّ الْجَزَاءَ يَقَعُ فِيهِ لَفْظُ الْمَاضِي فِي مَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ"^٢.
ومنه: تعليل النهي عن استخدام صيغةٍ نحويةٍ بذكر القاعدة، وهو قوله في تفسير قوله تعالى:
{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا} [الأحزاب: ٦١]: "لا يجوز أن يكون (ملعونين) منصوباً بما بعد أينما...؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها.

أما الراغب: فقد سلك في تعليبه للصيغ النحوية مسلكاً غير مباشر، بعيداً عن التعليل بذكر القاعدة، وذلك بالتنبيه إلى المحذوف أو التقديم والتأخير، أو باستخدام وسائل التخريج المشتركة عند علماء النحو كالحمل على المعنى أو على النسبة، أو التعليل بالضمين .

وأما ابن سيدة: فقد امتزج التعليل عنده بالتخريج النحوي للقراءات، أو التفسير النحوي للآيات، ومن ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى: {النَّارُ مَثْوًى} [الأنعام: ١٢٨] نقلاً عن أبي علي الفارسي " المثنوى عندي في الآية اسمٌ للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام مُعْمَلًا فيها ألا ترى أنه لا يخلو من أن يكون موضعاً أو مصدرًا، فلا يجوز أن يكون موضعاً لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه. فإذا لم يكن موضعاً ثبت أنه مصدر، والمعنى: النار ذات إقامتكم؛ أي النار ذات إقامتكم فيها خالدين. أي هم أهلٌ أن يقوموا فيها و هو في مثل هذا التعليل لا يخرج عن منهج ابن سيدة العام في كتابه القائم على الجمع بشيء من الانتقاء والتقد مع تنظيم ذلك وإخراجه في ثوب عمل معجمي متكامل.

٣. استخدامهم وسائل التخريج المشهورة في ميدان التفسير النحوي وتوجيه القراءات، وقد سبق ذكرها في محلها من دراسة النحو والقراءات لدى كل واحد من العلماء الثلاثة.

وقد سلك فيها الزجاج وكذلك الراغب منحي التعيد، والاستدلال بالشواهد والتعليل كما سبق ذكره بأمثله في محله من دراسة كل واحد من العلماء الثلاثة.

فإذا ما انتهى المرء من دراسة هذه الجوانب المشتركة بين العلماء الثلاثة فهو يجد نفسه مع مظاهر أخرى نوعية تميز بها الزجاج، بالإضافة إلى مظهر التميز الكمي في هذه المباحث، ومن ذلك: عنايته بالنحو المقارن وقد اتخذ هذا التوجُّه عنده - بشكل عام - المظاهر الآتية:

١- المعاني، ١/ ٨٩

٢- المعاني، ٣/ ٣٦٩

١. المقارنة بين اختيارات المدرستين البصريّة والكوفيّة: ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ} [البقرة: ٢٣٤] "وقال التَّحَوُّيُونَ في خبر {والذين} غير قول؛ قال أبو الحسن الأَخْفَش: {يَتَرَبَّصْنَ} بعدهم أو بعد موتهم، وقال غيره من البصريين: أزواجهم يترَبَّصن، وحذف أزواجهم لأنّ في الكلام دليلاً عليه، وهذا إطباق البصريين، وهو صواب.

وقال الكوفيون: - وهذا القول قولُ الفراء- وهو مذهبه أنّ الأسماء إذا كانت مضافة إلى شيء وكان الاعتماد في الخبر الثاني، أخبر عن الثاني وترك الإخبار عن الأول...

٢. مقارنته الأقوال ضمن المدرسة الواحدة، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: {وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص: ٣] حيث ذكر رواية المبرد في (ولات) كسر التاء، وأنّ سيويوه والخليل لم يرويا الكسر، وأنّ الكسر شاذ شبيه بالخطأ عند البصريين والذي عليه العمل النصب والرفع. وقال الأَخْفَش: أنّ {وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} نصبها ب (لا) كما تقول: رجلٌ في الدار)، ودخلت التاء للتأنيث^١.

٣. تنبيهه إلى مصطلحات الكوفيين: ومثال ذلك قوله: "والفصل^٢ هو الذي يسميه الكوفيون عماداً"^٣

٤. تتبّعه مسائل رأى أنّ الكوفيين قصّروا في بيانها، ومن ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨] "واللام في ذلك كُسرٌ لالتقاء الساكنين، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيء من كتبهم ولا عرفوه، وهذه من الأشياء التي كان ينبغي أن يتكلموا فيها"^٤.

٥. كثرة تعقباته للعلماء، وبخاصّة يحيى بن زياد الفراء، شيخ البصريين (ت ٢٠٧هـ أو ٢٠٩هـ) حيث أحصى الباحث عادل منصور الصرّاف من ذلك ما يزيد على اثنين وثلاثين تعقباً^٥.

٦. نزعه التعليمية المتمثلة في الإشارة إلى صعوبة المسائل المطروحة، كقوله في تفسير قوله تعالى: {فَأَخْرَانَ يَوْمَانَ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانُ} [المائدة: ١٠٧] " وقد قرئت

١- الزجاج، المعاني، ٥١/٤.

٢- أي ضمير الفصل

٣- المعاني، ٦٦/١

٤- المعاني، ١٢٠/٢، وانظر ما بعد هذا الكلام مباشرة.

٥- انظر: الصرّاف، عادل علي منصور، تعقبات الزجاج للفراء في معاني القرآن وإعرابه، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كتيبة دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، ٢٠٠١م، المقدّمة، صفحة ج.

(الأوليين)، و يجوز: (من الذين استحقّ عليهم الأوليان) وهذا موضع من أصعب ما في القرآن في الإعراب. ثم شرع في ذكر أقوال العلماء فيه^١.

٧. دفاعه ضدّ من يقول بوجود اللحن في القرآن، وذلك قوله: " وقال بعضهم: في كتاب الله أشياء استصلحها العرب بألسنتهم^٢: وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يصلحه غيرهم، وهم الذين أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعوه، وهذا ساقط عمّن يعلم بعدهم وساقط عمّن يعلم [منهم]، لأنّهم يُقتدى بهم، فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم، - رحمة الله عليهم - والقرآن محكم لا لحن فيه، ولا تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال - عزّ وجل - : {تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] وقال: {يَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشّعراء: ١٩٥]. ولسيويوه والخليل وجميع التحوّيين في هذا باب يسمونه باب المدح قد بيّنوا فيه صحّة هذا وجودته^٣.

وقد أورد ابن سيّدة مثل هذه المسألة في تفسيره لقول الله تعالى: {أَفَلَمْ يَبْسُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الرعد: ٣١] قال: "أي: أفلم يعلموا، وقال بعض أهل اللغة: معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا علماً يباسوا معه من أن يكون غير ما علموه، وقيل معناه: أفلم يباس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، إذ لو شاء الله لهدى الناس جميعاً. قال: وقال ابن عباس: كتب الكاتب أفلم يباس الذين آمنوا وهو ناعس عين". انتهى، ولم يعقب ابن سيّدة على هذه الرواية^٤. على أنّ اختياره في بداية الكلام أنّ اليأس يكون بمعنى العلم هو ردّ ضمنيّ لهذه الرواية. وقد ردّ العلماء على مثل هذه الافتراءات في تفاسيرهم وبخصوص هذه الرواية عن ابن عباس بالذات، قال الزمخشري: "ومعنى أفلم يباس: أفلم يعلم، قيل هي لغة قوم من النّخع، وقيل إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لأنّ اليأس عن الشّيء عالم بأنّه لا يكون، ويُدلّ عليه أنّ علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا (أفلم يتبين) وهو تفسير (أفلم يباس)، وقيل إنّما

١- المعاني: ٢١٣/٢

٢- تطرّق الزّجاج إلى هذه المسألة في توجيهه لقراءة: {إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} [طه: ٦٣]، المعاني، ١٨٠/٣، اكتفى بذكر رواية أبي عمرو بن العلاء دون تعقيب منه على الرواية.

٣- المعاني، ٧٧/٢

٤- المحكم: ٦٣٢/٨

كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السنين، وهذا و نحوه مما لا يصدق في كتاب الله... وهذه والله
فرية ما فيها مرية^١.

وقال أبو حيان، في قراءة (أفلم يبين): "وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله [تعالى]: {أفلم
يئس}، كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وليست مخالفة للسواد الذين كتبوا (بيئس) بغير صورة الهمزة، وهذا كقراءة
{فنبئوا} [الحجرات: ٦] وكتاهما في السبعة.

١- تفسير الكشاف، الرّعد: ٣١

الخاتمة

اجتهدت هذه الدراسة في أن تقدم وصفاً تفصيلياً مقارناً لجهود ثلاثة من العلماء الذين امتزجت في سيرتهم العلمية علوم اللغة العربية بعلم تفسير القرآن، امتزاجاً على قدر متميز فاستحقوا من الباحثين في التفسير اللغوي أن يخصصهم بقدر من نشاطهم البحثي الجاد، المستقرى لمقاصدهم التصنيفية وأثرها في عناصر التفسير اللغوي الواردة في مصنفاتهم، ومدى التفاوت في التركيز على هذه العناصر ضمن المصنف الواحد، وكذلك بالمقارنة بين جهود العلماء الثلاثة، والطريقة التي اتبعتها كل واحد منهم في عرض هذه العناصر، وارتباط ذلك بالخبرات العلمية التي تلقاها الواحد منهم، وما أفرزته هذه الخبرات من سمات منهجية في أعمالهم.

كما سعت هذه الدراسة من خلال ذلك إلى استنباط الأصول المشتركة للتفسير اللغوي المستخلصة مما اتفقت جهود العلماء الثلاثة على التركيز عليه، والمعايير التي اعتمدها في تقريرهم لمعاني الألفاظ في الاستعمال القرآني، سواء في ما يتعلق باللفظة المفردة، أو اللفظة في السياق القرآني العام، أو في سياقها الخاص الذي وردت فيه.

كما حاولت هذه الدراسة تتبّع المصادر التي اعتمدها المفسرون اللغويون في مصنفاتهم، مما يساعد في فهم بعض المسائل والآراء وأساليب التصنيف والأداء فهماً متسلسلاً من الناحية الزمانية، كاشفاً ذلك النشاط الدائب في تبادل الخبرات العلمية، وتواصل العناية بمصادرها، وقيام علاقات التلمذة الوفية بين علماء المشرق، وعلماء المغرب رغم مخاطر الرحلة واضطراب الأحوال، على بعد في الشقة. وما أثمره ذلك النشاط من ثمار مباركة أغنت الحياة العلمية وحصنت الوحدة الثقافية بين بلدان العالم الإسلامي وقدمت نماذج كثيرة تصلح للقدوة في الإصلاح العلمي والثقافي المنشود، القائم على الإخلاص للعلم وإتقان التعلّم، ومحافظة على منجزات السلف من العلماء وإبراز جهودهم.

وقد اعتمدت المقارنة بين جهود هؤلاء العلماء على أساس من دراسة عناصر التفسير اللغوي، والسمات المنهجية التي تركزت العناية بها، دراسة منفردة خصّ بها كل واحد من العلماء الثلاثة، بحيث تستخلص منها وجوه المقارنة، وتصدر عنها الأحكام المقارنة المعتمدة على رصد التفاصيل، والاجتهاد في تصنيفها بشكل يبرزها كعناصر واضحة، تستحق أن تستوفي حقها في حضور المقابلة حضوراً ناطقاً معبراً. ثمّ خلصت من ذلك إلى فصل يستخلص ما توصل إليه البحث في الفصول السابقة، ويعرض العناصر متسلسلاً بها عرضاً مقارناً مباشراً، مع التمثيل لكل ما

اشتملت عليه من ظواهر التفسير اللغوي، وطرائق إبرازها عند العلماء الثلاثة، بحيث يتوقف البحث عند كلّ ظاهرة، فيناقشها - على حدة - ويستخلص منها ما يمكن الوصول إليه من النتائج، ثمّ ينتقل إلى مقارنة عنصر أو ظاهرة، أو سمة أخرى، بحيث يتوصّل من هذه النتائج الجزئية إلى تكوين صورة كلية تجمع العلماء الثلاثة، إطارها التفسير اللغوي، ومادتها الصور الجزئية التي التقطت في الدراسة لأشكال الاتفاق أو الاختلاف المنهجي الذي قصدت المقارنات إلى إبرازه.

توصّلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

١. كشفت عن وحدة أصول التفسير اللغوي عند العلماء الثلاثة المعبر عنها - عملياً - بالتشابه النوعي في عناصر البحث عندهم.
٢. اعتنت هذه الدراسة ببيان أبرز مصادر المعرفة التي يصدر عنها المفسرون اللغويون في تفاسيرهم.
٣. ناقشت هذه الدراسة بشيء من التفصيل أصناف البحث اللغوي التي استخدمها العلماء كوسيلة لتقرير المعنى القرآني.
٤. أظهرت الدراسة بشكل غير مباشر قوة التواصل العلمي بين علماء المشرق والعلماء المغاربة التي ظهرت واضحة في ثقافة ابن سيدة المرسي.

خلصت الدراسة إلى التوصيات التالية:

١. ضرورة قيام الدراسات ذات توجه تاريخي لمصادر التفسير اللغوي تتبّع عناصره، وطرائق علمائه في التصنيف، ومواقفهم من القضايا اللغوية. تختصر فيها الجهود التي تنصبّ على كل حالة من الحالات بمعزل عن غيرها، وتتكامل بحيث تنتج صوراً صافية لا يختلط فيها الأصل بالمنقول.
٢. أن تُوجّه دراسات التفسير اللغوي توجّهاً يتكيّف مع التطوّرات و (النوازل) الفكرية التي تصبّب طاقاتها الفكرية والنقدية في مجرى التفسير عامة وتطال بهذا النقد ثوابت اللغة إلى جانب ثوابت الشرع!
٣. كما توصي بالعناية بإبراز التراث اللغوي الممتزج بالمسائل التفسيرية وإخراجها إخراجاً يناسب العصر، ويسهل على الباحثين دراستها وذلك بإتقان تحقيقها وتنظيم الفهارس النافعة للباحثين.
٤. أن يكون لأعلام التفسير اللغوي نصيباً وافراً في الدراسات المقارنة، وبخاصة أعلام أبرز المدارس اللغوية في عصرهم كالمرّدد، وتعلّب.

٥. أن تتوجّه بعض جهود الدارسين الجادّة لدراسة القضايا التفسيرية في المعاجم والموسوعات اللغويّة والعلميّة فتبرز ما فيها من فوائد، وتنبّه على ما فيها من زلل، وتحدّر من بواعثه.
٦. العناية التّوعية والكميّة بمستوى الوعي والمعرفة اللغوية لطلبة الشريعة عامّة، ولطلبة التفسير بشكل خاص، من خلال المقررات اللغويّة، وحوافز الإبداع اللغوي والتفسيّريّ.

تمّ بحمد الله في العشرين من جمادى الآخرة

١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

والله وليّ التوفيق

المراجع

١. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن (ت ٣٢٧هـ). الجرح والتعديل . دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
٢. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)، مصنف ابن أبي شيبة. دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣. ابن الأثير الجزري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ . دار صادر بيروت، ١٩٦٥م.
٤. ابن الأثير الجزري، مجد الدين (ت ٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٥. ابن بسام، أبو الحسن علي التغلبي (ت ٥٤٢هـ) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس، طبعة ٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.
٦. ابن بشكوال، أبو القاسم الأنصاري (ت ٥٧٨هـ) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م. وتحقيق: إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٩م.
٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٨. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء. مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٣٣م ، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٩. ابن جزي، القاسم محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ) ، التسهيل لعلوم التنزيل. تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٠. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) ، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق: علي النجدي ناصف، و عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
١١. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) ، الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٠م.

١٢. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)، غريب الحديث. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)، زاد المسير في علم التفسير. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٠ م.
١٤. ابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي (ت ٣٥٤ هـ)، الثقات. تحقيق: السيد شرف الدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، الإصابة في معرفة الصحابة. دار المعرفة، بيروت، ترجمة ٨١٨٩ الطبعة الثانية، والطبعة الثانية، دار الجيل الجديد، ١٤١٢ هـ.
١٦. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٦ م. وطبعة دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م وطبعة دار السلام، الرياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧. ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٨. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان. تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨ م.
١٩. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن البصري (ت ٣٢١ هـ)، الجمهرة في اللغة. طبعت في حيدر آباد بالهند، بعناية المستشرق كرنكو، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م.
٢٠. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٤٥٠ هـ)، البيان والتحصيل. تحقيق: محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢١. ابن الزبير، الغرناطي أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨ هـ)، صلة الصلة. تحقيق عبد السلام الهراس، وسعيد أعراب، المغرب، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٢. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤ هـ)، الألفاظ. تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ١٩٩٨ م.
٢٣. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، المخصص. طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ م. وطبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، وطبعة دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ م.

٢٤. ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. وطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
٢٥. ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، **تفسير التحرير والتنوير**. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م
٢٧. ابن عبد الملك، محمد بن محمد المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، طبعة ١٩٦٥ م.
٢٨. ابن عطية، أبو محمد الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. المجلس العلمي تارودانت، الهند، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٢٩. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، لبنان، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٣٠. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٩٧٧ م.
٣١. ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري (ت ٧٩٩ هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
٣٢. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله (ت ٢٧٦ هـ)، **غريب الحديث**. تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٦ م.
٣٣. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، **المغني في فقه الإمام أحمد**. دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٣٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ)، **بدائع الفوائد**. تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، **البداية والنهاية**. مطبعة السعادة مصر، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
٣٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**. دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٧. ابن مالك، جمال الدين الطائي (ت ٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية . تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبعة ١٤٠٢هـ.
٣٨. ابن مجاهد، أبو بكر أحمد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ)، كتاب السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
٣٩. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم. المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٩٢٤م.
٤٠. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب. دار الجيل، بيروت، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م. وطبعة بتحقيق: عامر أحمد حميد، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٤١. ابن المنير، ناصر الدين السكندري (ت ٦٨٣ هـ)، الانتصاف مما تضمنه الكشاف من الاعتزال، حاشية الكشاف، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، و ط٣ تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
٤٢. ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ)، الفهرست. تحقيق: شعبان خليفة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م. و دار المعرفة بيروت، تحقيق: إبراهيم رمضان، ١٩٩٧م.
٤٣. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)، مسند أحمد. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٤. ابن هشام، جمال الدين الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
٤٥. ابن هشام، جمال الدين الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، مقني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: مازن المبارك ورفيقه، مراجعة سعيد الأفغاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٦. أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. تحقيق: محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٤٧. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة. تحقيق: فوقية حسين، ج٢، ص ١٢٥.
٤٨. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط. تحقيق عادل عبد الموجود ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. و دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٤٩. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
٥٠. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت ٤٠٣هـ)، دفاع عن السنة. مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٥١. أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث والأثر. طبعة حيدر آباد سنة ١٩٦٥م و تحقيق حسين محمد شرف، المطابع الأميرية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. و دار الكتب العلمية؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. وطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٥٢. أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٣. أبو مسحل الأعرابي، عبد الوهاب بن حريش (ت ٢٣٠هـ)، كتاب النوادر. تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٣٨٠هـ.
٥٤. أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٨هـ)، يتيمة الدهر. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٥٥. أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٨هـ)، فقه اللغة وأسرار العربية. طبعة القاهرة، ١٢٨٤هـ.
٥٦. آدم متز (Adam Metz) (ت ١٣٣٥هـ)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م، وطبعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.
٥٧. الأزدي، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي (ت ٣١٠هـ)، المنجد في اللغة. تحقيق أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.
٥٨. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، معجم تهذيب اللغة. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٦٧م.
٥٩. الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت ٥٧٥هـ)، فهرست ما رواه عن شيوخه. تحقيق: كوديرا، ط ٢، ١٩٦٣م مطبعة أوفيسست، منقحة عن طبعة سرقسطة ١٨٩٣م.
٦٠. إطفيش، محمد بن يوسف (ت ١٣٣٢هـ)، تيسير التفسير. تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، وطبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦١. إطفيش، محمد بن يوسف (ت ١٣٣٢ هـ)، هميان الزاد . سلطنة عُمان، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
٦٢. الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٨ هـ)، ديوان الأعشى الكبير. شرح وتعليق: محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
٦٣. الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠ هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة. طبع مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٦٤. الألوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا رقم ولا تاريخ.
٦٥. الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم. مكتبة الإيمان، بلا رقم ولا تاريخ.
٦٦. الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس. ط ١، تحقيق حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٦٧. الأنصاري، أحمد مكي، دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين. دار المعارف بمصر، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
٦٨. الباباني، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)، هداية العارفين. طبعة دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢ م .
٦٩. الباقرلي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٥٤٣ هـ)، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، دار عمار، الأردن، ٢٠٠١ م .
٧٠. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
٧١. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، تحقيق: محمود حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م .
٧٢. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ)، الفرق بين الفرق. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ . ودراسة وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
٧٣. الخطيب البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٧٤. البكري، عبد الله بن عبد العزيز ، [سمط] اللآلي في شرح أمالي القالي. تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٥. البكري، أبو عبيد، فضل المقال في شرح كتاب الأمثال. تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، ط، ١٩٧١م.
٧٦. البيهقي، ظهير الدين علي بن زيد (ت ٥٦٥هـ)، تنمة صوان الحكمة. تحقيق: رفيق العجم، بيروت، ١٩٩٣م.
٧٧. التبريزي، محمد علي مدرّس (ت ١٣٧٣هـ)، ريحانة الأدب . انتشارات خيام، إيران، ١٩٧٤م .
٧٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح. تحقيق: أحمد شاكر وزملاؤه ، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٧٩. تمام حسان، عمر، اللغة مبناها ومعناها. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م.
٨٠. التواتي، مصطفى، المثقفون والسلطة في الحضارة العربية (الدولة البويهية نموذج). دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤م.
٨١. التوحيدي، أبو حيان (ت ٤١٣هـ)، الإمتاع والمؤانسة. تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٩٩٩م.
٨٢. التويجري، حمود بن عبد الله، إتحاف أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن. تقديم: الشيخ عبد العزيز بن باز، دار اللواء، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٨٣. تيمور، أحمد بن إسماعيل (ت ١٩٣٠م)، فهرس الخزانة التيمورية. مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٨م. ج ٣ ص ١٠٨.
٨٤. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٢٩هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، بدون تاريخ.
٨٥. الثعلبي ، أبو إسحاق النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان. تحقيق: محمد بن عاشور مراجعة: نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٨٦. الجاف، حسين، الوجيز في تاريخ إيران . بغداد ، ٢٠٠٣م.
٨٧. جبل، عبد الكريم محمد حسن، المخالفة بين الأبنية للتفريق بين المعاني أصل من أصول العربية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨٨. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة. تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٩. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**. تحقيق: محمود شاکر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٩٠. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: إميل يعقوب و محمد الطريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٩١. الجيوسي، عبد الله محمد، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**. دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
٩٢. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٩٣. الحديثي، خديجة، **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث**، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١ م.
٩٤. الحربي، أبو إسحاق إبراهيم (ت ٢٨٥هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: سليمان العايد، مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
٩٥. حسن، محمود السيد، **التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم**. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠١ م.
٩٦. الحمزاوي، محمد رشاد، **المعجم العربي: إشكالات ومقاربات**. إصدار وزارة الثقافة، الجمهورية التونسية نشر المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات؛ بيت الحكمة، ١٩٩١ م.
٩٧. الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، **جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس**. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م. وطبعة دار الكتاب اللبناني، ط ١٩٨٣ م.
٩٨. الخطابي، عبد الكريم أحمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ)، **غريب الحديث**. تحقيق: إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، ١٤٠٢ هـ.
٩٩. الخوانساري، محمد باقر الموسوي (١٣١٣هـ)، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**. تحقيق: أسد الله اسماعيليان، قم، ١٣٩٢ هـ.
١٠٠. الداودي، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٤هـ)، **طبقات المفسرين**. مراجعة: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. وطبعة ٢٠٠٢ م.
١٠١. درويش، عبد الله، **المعاجم العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦ م..
١٠٢. الدمياطي، أحمد البناء، **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**. تحقيق: الضباع، طبع مصر، ١٤٠٠ هـ.

١٠٣. الدوري، عبد العزيز، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
١٠٤. الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد (ت ٧٨٤ هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق: علي عوض و عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.
١٠٥. الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد (ت ٧٨٤ هـ)، **سير أعلام النبلاء**. تحقيق شعيب الأرنؤوظ و أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.
١٠٦. الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين (ت ٦٠٦ هـ)، **تأسيس التقديس في علم الكلام**. تحقيق: محمد العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م.
١٠٧. الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين (ت ٦٠٤ هـ)، **التفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب**. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
١٠٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
١٠٩. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته**. تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
١١٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **مقدمة جامع التفاسير**. تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.
١١١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**. تحقيق أبو اليزيد العجمي ط. دار الصحوة ودار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٥م.
١١٢. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**. تحقيق: سيد علي ميرلوحى، جامعة أصفهان، معاونية البحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.
١١٣. الراغب الأصفهاني، الحسين بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**. تحقيق: رياض عبد الحميد، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م.
١١٤. الراغب الأصفهاني، الحسين بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ)، **تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين**. تحقيق: عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
١١٥. الربيعي، أحمد فرج، **مناهج معجمات المعاني**. مركز الإسكندرية للكتاب، ط ٢٠٠١م.

١١٦. رضا، محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م
١١٧. الرضي الاستراباذي، محمد بن رضي الدين (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١١٨. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير. نشر المؤلف، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١٩. الزامل السليم، فريد عبد العزيز، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
١٢٠. الزبيدي، محمد بن الحسن الأشبيلي (ت ٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
١٢١. الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، معجم تاج العروس. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
١٢٢. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، معاني القرآن الكريم وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل ثلثي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
١٢٣. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه. تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٢٤. الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم ابن السري (ت ٣١١هـ)، فعلت وأفعلت. تحقيق: د رمضان عبد التواب، و د. صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٢٥. الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٢٦. الزركشي، بدر الدين محمد (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن. تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميله، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.
١٢٧. الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام (قاموس تراجم). دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م. و ط ٥، ١٩٨٠م.
١٢٨. زلهام، رودلف، الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد. ترجمة وتحقيق: رمضان عبد التواب، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٢٩. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود (ت ٥٣٨ هـ)، الفائق في غريب الحديث. تحقيق: علي محمد البجاوي و أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣٠. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. تحقيق: خليل محمود شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٣١. الزبيدي، حاكم مالك، **الترادف في اللغة**. منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة دراسات (٢٢١) سنة ١٩٨٠ م.
١٣٢. الزبيدي، كاصد ياسر، **القراءات القرآنية عند الزجاج**. دار الفرقان، عمان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٣٣. الزيلعي، جمال الدين عبد الله (ت ٧٦٢ هـ)، **تخريج الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الكشاف للزمخشري**. تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
١٣٤. الساريسي، عمر عبد الرحمن، **الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب**. مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٣٥. السالوس، علي أحمد، **مع الإثني عشرية في الأصول والفروع**. دار الفضيلة، الرياض، طبعة ٧، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٣٦. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)، **المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة**، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٣٧. السعد التفتازاني، مسعود بن عمر (ت ٧٩١ هـ)، **شرح مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني**. وحاشية الدسوقي عليه بشرح التلخيص، طبع بمطبعة بولاق بالقاهرة، سنة ١٢٧١ هـ.
١٣٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ هـ)، **القواعد الحسان في تفسير القرآن**. مطبعة أنصار السنة المحمدية في مصر، ١٣٦٦ هـ. و دار الرشد ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٣٩. السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف (ت: ٧٥٦ هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. تحقيق: أحمد خرّاط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
١٤٠. السنباطي، محمد أحمد، **منهج ابن القيم في التفسير**. دار القلم، الكويت، ١٩٨٠ م.
١٤١. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، **الكتاب**. تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
١٤٢. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦ هـ)، **التصوير الفني في القرآن**. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة عشرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- ١٤٣ . سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ)، في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م
- ١٤٤ . السيف، محمد بن عبد العزيز بن حمد، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم. جمعاً ودراسة، الدار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٤٥ . سيسي، عبد الباقي عبد الرحمن، قواعد نقد القراءات. دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- ١٤٦ . السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، طبع المطبع محمدي، ١٣٠٢هـ - ١٨٨٢م، وطبع في المولوي عبد الحق، كلكتة الهند، ١٨٥٦م، وفي لاهور ١٨٧٠م.
- ١٤٧ . السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ. وطبعة مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٤٨ . السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أحمد القيسية و محمد أشرف الأتاسي، مؤسسة النداء، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٤٩ . السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٥٠ . السيوطي، جلال الدين، المهذب في ما وقع في القرآن من المعرّب، تحقيق التهامي الراجحي، طبعة صندوق إحياء التراث الإسلامي، الدار البيضاء، ١٩٨٠م،
- ١٥١ . السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م. و ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- ١٥٢ . الشاعر، عبد العظيم فتحي خليل، النحو العربي عند أبي إسحاق الزجاج مرتبا على أبواب ألفية ابن مالك، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٧م.
- ١٥٣ . الشافعي، حسن محمود، المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، والقاهرة، ط٢، ١٩٩١م.

- ١٥٤ . شاهين، توفيق محمد، **المشترك اللفظي نظرية وتطبيقاً**، مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٥٥ . شلبي، عبد الفتاح، **أبو علي الفارسيّ: حياته وآثاره**. دار المطبوعات الحديثة، جُدّة، ط ٣، ١٤٠٩ هـ.
- ١٥٦ . الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الجكني (ت ١٣٩٣ هـ)، **أضواء البيان في تفسير القرآن**. دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ١٥٧ . الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥ هـ)، **فتح القدير**. دار المعرفة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٥٨ . صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢ هـ)، **طبقات الأمم**، مطبعة محمد محمد مطر، الإسكندرية، مصر، بدون تاريخ.
- ١٥٩ . الصالح، صبحي، **علوم الحديث ومصطلحه**. دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٦٠ . الصّاوي، محمد إسماعيل عبد الله، **شرح ديوان جرير**. نشر مكتبة النوري، دمشق، الشركة اللبنانية للكتاب، بلا رقم، ولا تاريخ.
- ١٦١ . الصاغانى، الحسن بن محمد (ت ٦٥٠ هـ)، **العباب الزاخر واللباب الفاخر**. تحقيق: فير محمد حسن، المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٦٢ . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)، **نكت الهميان في نكت العميان**. علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- ١٦٣ . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)، **الواقف بالوفيات**. تنسيق وفهرسة: محمود الشويحي، مصدر الكتاب: مكتبة الاسكندرية. الناشر: فرانز شتاينر بيفسبادن - ١٩٩١ م.
- ١٦٤ . صوفي، عبد الله، **اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية**. طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٦ م.
- ١٦٥ . الضامن، حاتم (شعراء مقتولون): **نهشل بن حرّي**، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٦٦ . الضبّي، أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ)، **بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس**. باعثناء ف. كوديرا وج. ريبارا، مدريد، ١٨٨٤ م.
- ١٦٧ . ضيف، أحمد شوقي، **كتاب المدارس النحوية**. دار المعارف بمصر، ط ٩، ٢٠٠٥ م.
- ١٦٨ . ضيف، أحمد شوقي، **العصر العباسي الثاني**. دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٧٥ م.

١٦٩. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣٠٩هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣٠٩هـ)، تهذيب الآثار. تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد ، مطابع الصفا - مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
١٧١. الطويل، علي حسن، الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم. دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
١٧٢. الطيّار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم. دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧٣. العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
١٧٤. عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين. دار الشروق للنشر، عمان ، الأردن ١٩٩٧م. ١ / ٧٢، ٧٣.
١٧٥. عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن. دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.
١٧٦. عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته. مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٧٧. عباس، فضل حسن، القراءات القرآنية وما يتعلق بها. دار النفائس، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
١٧٨. عباس، فضل حسن، البلاغة: فنونها وأفانها/ علم المعاني. دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة السابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٧٩. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
١٨٠. عبد الحميد، سعد زغلول، التاريخ العباسي والأندلسي. بيروت : جامعة بيروت العربية , ١٩٧٦م.
١٨١. عبد الدايم ، عبد الله ، التربية عبر التاريخ. دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٦م.
١٨٢. عبد الرحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم. مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٦م.

١٨٣. عتيق، عبد العزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م. وطبعة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٨٤. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، إملأ ما من به الرحمن (التبيان في إعراب القرآن). طبعة بتحقيق علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٨٥. العمري، علي محمد حسن، من أسرار القرآن. مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
١٨٦. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة. مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م.
١٨٧. عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى العصر المرابطي. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٨٨. عوض، أحمد عبده، فضل العربية (تعلماً وتحديثاً والتزاماً)، معالجة قرآنية ونبوية وتراثية، مركز الكتب للنشر، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٨٩. عوض، إبراهيم، مسير التفسير: الضوابط والمناهج والاتجاهات، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٩٠. عيد، يوسف، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٢م.
١٩١. الفتح ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. ط القسطنطينية، ١٣٠٢هـ.
١٩٢. الغماري، عبد الله محمد بن الصديق، كتاب بدع التفاسير. دار الرشاد، المغرب، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩٣. فاخر، أمين محمد، دراسات في المعاجم العربية. مطبعة حسان، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٩٤. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ)، ديوان الأدب. تحقيق: أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٩٥. القراء، أبي زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، طبعة الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م.
١٩٦. الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف. دار المجمع العلمي بجدّه، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٩٧. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط. دار الجيل، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

- ١٩٨ . القاسم بن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث والأثر. تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١٩٩ . القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٣هـ)، محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ والطبعة الثانية، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٠٠ . القاضي أحمد التكري، دستور العلماء، طبعة حيدر آباد، الهند، ١٣٢٩هـ. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٠١ . القاضي عبد الجبار، بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق توفيق الطويل وعيد زايد، مراجعة إبراهيم مدكور، الدار المصرية، طبعة ١٩٦٥م.
- ٢٠٢ . القاضي عبد الجبار، بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق وتقديم أحمد عبد الرحيم السائح وتوفيق وهبة، مكتبة الناظفة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ٢٠٣ . القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي ورفيقاه، دار الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. وطبعة دار الفكر، ١٩٩٣م.
- ٢٠٤ . القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة. دار الفكر القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦..
- ٢٠٥ . كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٠٦ . المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٠٧ . المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ)، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد. تحقيق: أحمد أبو رعد، طبع وزارة الأوقاف بالكويت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٠٨ . محمود، مصطفى (ت ١٣٦٠هـ)، إعجام الأعلام. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٠٩ . محمود، المثني عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني. دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٩هـ - ١٠٠٨م.
- ٢١٠ . المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر. طبع دار الأندلس، بيروت، ط ١. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م. و ط ١، ١٩٨٥م.

٢١١. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم. مكتبة الإيمان، المنصورة، بلا رقم طبعة ولا تاريخ.
٢١٢. المشرقي، علي كاظم، الفروق اللغوية في العربية. دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠١٠م.
٢١٣. مصحف المدينة المنورة، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة ١٤٠٥هـ.
٢١٤. مكرم ،عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. مؤسسة الصباح، الكويت الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
٢١٥. مكرم ،عبد العال سالم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني. مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١، ١٩٩٦م.
٢١٦. منيمنة ،حسن (ت ٩٤٥هـ)، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
٢١٧. موسى ،نهاد، أسئلة اللغة العربية في عصر العولمة. دار الشروق، عمان، ٢٠٠٧م.
٢١٨. مؤنس، حسين ، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١٩٩٧م.
٢١٩. نحلة، أحمد محمود، دراسات قرآنية في جزء عم، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٨م.
٢٢٠. النعيمي، عبد الكريم شديد ، ابن سيده-أثاره وجوده في اللغة، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٤م. وطبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة دراسات (٣٦٨) ١٩٨٩م.
٢٢١. النفاخ، أحمد راتب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٣، مجلد ٤٨، ج ٤.
٢٢٢. نواصرة، راضي محمد، القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها. حمادة للدراسات والنشر، إربد، الأردن، ٢٠٠٣م.
٢٢٣. نوري، موفق سالم، العامة والسلطة في بغداد: دراسة تحليلية، تاريخ العصر الإسلامي. دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ٢٠٠٥م.
٢٢٤. النووي، يحيى بن شرف، شرح النووي على مسلم. دار الخير، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
٢٢٥. هرماس، عبد الرزاق بن إسماعيل، مسائل ابن الأزرقي في ميزان النقد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٩٨ رقم ١٦

٢٢٦. الهروي، أحمد بن محمد صاحب الأزهرى (ت ٤٠١ هـ) ، الغريبين في القرآن والحديث. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٢٧. الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. مكتبة القدسي، القاهرة، طبعة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٢٢٨. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ)، أسباب النزول. تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٢٢٩. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة. دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٦، بدون تاريخ.
٢٣٠. ياقوت الحموي، بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الأديباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

الدراسات والرسائل العلمية:

١. بني عطا، أحمد إبراهيم ، أثر الشاهد الشعري في بيان معاني غريب القرآن، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك (إربد، الأردن) ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٨ م.
٢. الجبالي، زياد محمود محمد، معاني القرآن بين القراء والزجاج، دراسة نحوية، رسالة ماجستير، إشراف د. أحمد حسن حامد، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، ٢٠٠١ م.
٣. الخزامي، رقية محمد صالح، القراءات واللغويات في معاني القرآن للزجاج، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٤. الدالاتي، خديجة، الجهود اللغوية والنحوية للزجاج في كتاب معاني القرآن وإعرابه، رسالة ماجستير، جامعة البعث، سوريا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات اللغوية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٥. سميط، حسن أحمد هود ، الملامح الدلالية في كتب غريب القرآن، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٨ م.
٦. الصرّاف، عادل علي منصور، تعقبات الزجاج للقراء في معاني القرآن وإعرابه، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، ٢٠٠١ م.
٧. العتوم، أيمن علي ، تناوب معاني الأبنية الصرفية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧ م.

٨. علي، سعدون أحمد، أثر معاني القرآن للفرّاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج في الكشف للزمخشري، دراسة نحوية، رسالة دكتوراة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٩. العيون، رانيا محمود، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، دراسة لغوية للجوانب الصرفية والنحوية وصلتها بالمعنى، رسالة ماجستير، جامعة بيروت العربية، ٢٠٠٣ م.
١٠. الفجّال، أنس بن محمود، أثر السياق في فهم الإحالة في القصة القرآنية، أطروحة دكتوراة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٩ م.
١١. قاسم، عبد الحكيم بن عبدالله، دلالة السياق و أثرها في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢١ هـ.
١٢. القويدر، محمود مصطفى، البحث الدلالي عند الراغب، رسالة ماجستير في اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٣. مساعدة، وسام عقلة، التخريجات اللغوية والنحوية في كتاب معاني القرآن الكريم وإعرابه للزجاج، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٩ م.
١٤. المطيري، أحمد لافي فلاح، دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، ٢٠١٠ م.
١٥. المطيري، عبد الرحمن عبد الله، السياق القرآني و أثره في التفسير، دراسة تطبيقية على تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير في التفسير و علوم القرآن، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ.

المقالات:

١. البيدق، فريد مقال بعنوان المشاكلة عرض ونقد، استرجع في الثامن والعشرين من نيسان ٢٠١٢ من الموقع: <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=١٢٨>
٢. حسكور، ناديا، بحث بعنوان أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيدة النحوية، موقع مجلة التراث العربي، عدد ٨٣-٨٤، ٢٠٠٣. ١٦، استرجع في العشرين من أيلول ٢٠١١ م، من الموقع: <http://www.awu-dam.org/trath/٨٣-٨٤/trath٨٣-٨٤-٠١٩.htm>
٣. الدابولي، فتحي أنور. غريب القرآن دراسة وصفية، مجلة المنهل، العدد ٤٩١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ١١٣-١١٩. ٥

٤. الربيعة، محمد بن عبدالله، مقال بعنوان علم السياق القرآني ، مواضع ورود اللفظ في المصحف والاحتكام إلى توجيه صريح السياق، استرجع في السادس والعشرين من حزيران ٢٠١١ من الموقع: <http://www.manqol.com/topic/print.aspx?t=٣٦٨٠>
٥. زغروت، أحمد ابراهيم ، مكتبة الأمويين الاسلامية في قرطبة وتأثرها الفكري في شعوب غرب أوروبا، مجلة البحوث الاسلامية، عدد (١٧)، ١٤٠٦هـ، صفحة ٣٣٥ - ٣٥٠
١٤. عبود، يوسف، مقال بعنوان " الاحتجاج الشعري في النحو"، دراسة منشورة في مجلة المعرفة السورية، عدد ٥٤٨، السنة ٤٨، أيار ٢٠٠٩.
١٥. العزّي، وفاء رفعت، فلسفة الاضداد، (الحب والكراهية)، موقع مركز النور.
١٦. فوضيل، مصطفى، نظرات مصطلحية في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ٢٠٠٧م. استرجع في الخامس من تشرين الثاني ٢٠١٠ من الموقع: www.alnoor.se/article.asp?id=١١٠٢٢٠
١٧. كوري، أحمد مقال: حكام يشجعون القراءات، ٣ - ٤: الموقف مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة، استرجع في السابع عشر من آب ٢٠١١ من الموقع: <http://www.tafsir.net/vb/tafsir٢١٠٥١/>
١٨. مقال: حول تحقيق محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، والشعراء للراغب الأصفهاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٨٠، جزء ١ صفحة ٢١٢ - ٢١٦، مؤتمر تحقيق التراث العربي جامعة آل البيت. ٢٠٠٤م.
١٩. الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، الحضارة العربية "ابن سيده"، ١٩٩٩م، ص ٤١ .

Abstract

Sukker, Dawoud Abdullatif. (٢٠١٢). The linguistic Qur'anic Interpretation of Al-Zajjaj, Al- Ragheb Al-Asfahani and Ibn Seedah, Methodological and comparative study. PH.D study, Yarmouk university. Supervisor: (prof. Abdullah Al-Sawalmeh).

This study compared between the efforts of three scientists in the Linguistic interpretation, they are: Imam Ibrahim Bin AL-Sary Aizajjaj(d.٣١١ H) in his book (mukhtasar fi ea'arab al Qur'an wa ma'anih)) and the common name (ma'ani el- Qur'an) and AL- Raghieb Al-Asfahani (d. ٤٢٥ H) in his book (mufradat alfaz el-Quran) and Ibin Seeda Al- Andalusy, the linguistic (d.٤٥٨ H) in his vocabulary (al-muhkam wa el muheet el a'azam).

This study consists of six chapters and an introduction and a conclusion : The introductory chapter; where the study took care of introducing each of the three scientists, and the conditions of his time, described his total common approach, and its relation to the analytical interpretation. And chapters II, III and IV were devoted to demonstrate the approach, of each of the three scientists separately in the order set out in the title of the study; where each chapter includes two sections, the first section takes care of elements of the Linguistic interpretation of the scientist, who that chapter was devoted to study hem independently, and this section was divided into two demands, the first demand was devoted to describe the care of each one of them of the linguistic tagged phenomena, and the second demand was devoted to describe the care of one of them through estimation of the linguistic meaning. As morphology, derivation, and drawing. And the second section describes the prominent features of the book methodology,

which that chapter was devoted to its study, and that was distributed on the five demands: titling the first requirement: aspects of interpretation adage, titling the second requirement: aspects of interpretation of the opinion, titling the third demand: manifestations of care of grammar and readings, the fourth requirement is about manifestations of Care of verses of beliefs, the fifth requirement is about manifestations of care of provisions, where the study may deal with what was mentioned about one of them, his interest in ethics and sermonizing... this division is paving the way for a comparison between the three scientists in Chapter VI of the study, where it is studying the elements and features of the methodology that singled out of each scientist independent study in chapters II, III and IV, a comparative study conducted every demand of the study, also presented to describe the manifestations of vulnerability and impact for each of the three scientists.

The study concluded to the disclosure of the extent of the qualitative convergence observed in what was adopted by the three scientists from the origins of linguistic interpretation, despite differences in taxonomic purposes of the three books, and the different general approach for each book accordingly.

This similarity, which expressed itself in the light of the similarity of the qualitative elements and features of the methodology and its horizontal distribution on an area of research, taking into account the variation in depth of the vertical distribution of these elements and features at the same spaces, according to the special features distinguish each one of these three scientists, both in his handling elements, or dealing within the general framework for each element or a general methodical attribute , according to the disparity between them in the nature of the times, or cultural

experiences, or excellent talent in the use of a particular method in the classification, analysis of phenomena, or reasoning, or to determine the concepts and terminology.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University